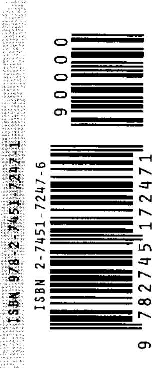


تأليف

الدكتور عمر أحمد زكريا



Title	: **The Life of The Prophet (PBUH) in his house** **(Ḥayāt al-Nabiy ﷺ fī Baytih)**	حياة النبي ﷺ في بيته :	**الكتاب**
Classification:	Prophetic biography	سيرة نبوية :	**التصنيف**
Author	: Dr.ᶜOmar Aḥmad Zakariyyā	د. عمر أحمد زكريا :	**المؤلف**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut	دار الكتب العلميـــة - بيـــروت :	**الناشر**
Pages	: 416	416 :	**عدد الصفحات**
Size	: 17* 24	17* 24 :	**قياس الصفحات**
Year	: 2011	2011 :	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	لبنـــان :	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	الأولى :	**الطبعة**



الإهداء

إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ أهدي هذا البحث، سائلاً المولى جل جلاله أن يرزقني شفاعته ﷺ يوم القيامة بهذا البحث، وأن يجعله في ميزان الحسنات. ثم من جانبه ﷺ الشريف ألتمس منه الهدية إلى روح الوالدين اللذين أسأل الله تعالى أن يتغمدهما بواسع رحمته، وأن يحظيا وجميع المسلمين بشفاعته ﷺ، ثم إلى شيخي وأستاذي العلامة وصفي المسدي أطال الله عمره بخير وعافية، وشيخي وأستاذي عبدالغفار الدروبي رحمه الله، ثم إلى روح مشايخي الأفاضل الذين زرعوا في نفسي حب العلم وأهله.

كلمة شكر ووفاء

انطلاقاً من قول النبي الأكرم ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى..."[1].

أتوجه بالشكر الجزيل لكافة الأخوة الكرام الذين شاركوا في المساعدة في إتمام هذا البحث، وأخصُّ بالشكر شيخنا الكريم الفاضل العلامة المفتي القاضي الدكتور أسامة الرفاعي حفظه الله تعالى وأطال بقاءه ذخراً للإسلام والمسلمين، كما أشكر شيخنا الفاضل الدكتور ياسر المسدي حفظه الله تعالى والذي كان سبب في انتسابي إلى الجامعة بما قدم من المساعدة، كما أشكر الدكتورين محمد درنيقة وإسماعيل مرحبا، كما أشكر زوجتي على رعايتها الكريمة وتهيئة الجو المناسب خلال كتابة البحث، كما أشكر القائمين على جامعة طرابلس الإسلامية بأن سنحوا لي الفرصة بالانتساب إلى جامعتهم وتقديم هذا البحث من خلالها، كما أشكر القائمين على مكتبة الأرقم بن أبي الأرقم فرع عكار الذين سهلوا لي العودة إلى مراجع المكتبة والاستفادة منها، كما أشكر جميع الإخوة الذين قدموا لي العون بتقديم مراجعهم للاستفادة منها، والشكر موصول أيضاً إلى الأستاذ الدكتور محمد درنيقة، والدكتور إسماعيل مرحبا سائلاً المولى جل جلاله وبجاه سيدنا محمد ﷺ أن يجزي الجميع عني خير الجزاء، ثم إلى كُل من أفادني في مسألة علم.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨ط/١ ١٤١٣ - ١٩٩٣م دار الكتب العلمية، بيروت والبخاري في التاريخ الكبيرم/د دار الكتب العلمية ٩/١٥ وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ط/١٩٩٣ مؤسسة الكتب الثقافية ٧٨، وفي الشكر ط/ مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٣، ٦٣ قال في الموسوعة الحديثية ٣٩٠/٣٠ صحيح لغيره ط/١ ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م مؤسسة الرسالة بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستنصره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وصفيه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، فجزاه الله عنا وعن سائر أمته خير ما جزى نبياً عن أمته.

إنّ البحث عن حياة الأنبياء عليهم السلام في بيوتهم، أمر سبق القرآن به كل باحث، وخط في ذلك المنهج ابتداءً بقصة آدم عليه السلام وحواء، ومروراً بقصة نوح ولوط عليهما السلام مع نسائهما، حينما قال الله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾[1] وكذا في الحوار الذي ذكرته سورة هود بين نوح وابنه. ومروراً بالحوار بين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وأبيه، وقصتُهُ مع هاجر رضي الله عنها حينما حملت بإسماعيل عليه السلام، وإسكانه مع أمه هاجر مكة، كما ذكر ذلك في سورة إبراهيم عليه السلام، وكذا في دخول الملائكة عليها السلام على إبراهيم عليه السلام وهو مع زوجته سارة وتبشيرها بإسحاق عليه السلام وجوابها في ذلك كما في سورة هود والذاريات، وغيرها من سور القرآن الكريم، وكذا في قصة شعيب عليه السلام مع بناته كما في سورة القصص، وموسى عليه السلام أيضاً في ذلك وزواجه من إحدى بنات شعيب عليه السلام، ثم مروراً بقصة زكريا عليه السلام مع مريم، ودعاؤه ربّه بالولد، فوهبه الله تعالى يحيى عليه السلام وانتهاءً بقصة عيسى عليه السلام مع أمه عليها السلام.

---

(١) الآية ١٠، سورة التحريم.

ثم إن ما ذكره القرآن الكريم عن سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ مع نسائه كما في سورة الأحزاب، والتحريم، وقصة الإفك في سورة النور حينما برأ الصديقة المطهرة من قول أهل الإفك، كل ذلك وغيره يدل على أهمية البحث في حياة سيدنا ومولانا رسول الله محمد ﷺ. ولما كان رسول الله ﷺ صاحب الميثاق الذي خُصَّ به دون سائر الرسل، والذي أخذه الله تعالى على الأنبياء بقوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ ﴾[1]، وبدورهم أخذ الأنبياء هذا الميثاق على أممهم منذ أن خلق الله تعالى آدم إلى زمن عيسى عليه السلام وما من كتاب سماوي أو صحف سماوية إلا وأشارت إليه ﷺ خلقاً، وخلقاً وبشارة كما في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧ ﴾[2]، وقوله على لسان عيسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾[3]، الأمر الذي جعل منه ﷺ قبلة التاريخ البشري الأول والأخير مكاناً وزماناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، استحق لأجل ذلك كله أن نكشِفَ عن شيءٍ من حياته ﷺ البيتية، كيف لا؟ وهو خاتم الرسل والأنبياء عليهم السلام. وهو ﷺ العِلْمُ والعَلَمُ الأول والأخير من خلق الله تعالى، وقد جاء بكتاب من عند الله تعالى جمع الله تعالى له فيه علم الأولين والآخرين، وليس أدلَّ على ذلك، من قول علي

---

(١) الآية: ٨١ - آل عمران.

(٢) الآية: ١٥٧ - الأعراف.

(٣) الآية: ٦ - الصف.

رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة، فقلتُ: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبرُ ما بعدكُمْ، وحكم ما بينكُم وهو الفصلُ ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذكرُ الحكيم، وهو الصراطُ المستقيم، هو الذي لا تزيغ[١] به الأهواء، ولا تلتبسُ به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق[٢] على كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجِنُّ إذ سمعتْهُ حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾[٣] من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[٤].

قلت: ولما كان رسول الله ﷺ أعلم بني آدم بكتاب الله، وبالتالي أكثرهم تطبيقاً له وترجمة في حياته ﷺ، حتى أصبح رسول الله ﷺ الأصل الأصيل لكافة أهل العلم من أمته فمن علمه وأخلاقه استفاد علماء اللغة، وقعد علماء الأصول، وفرّع الفقهاء، وفسّر المفسرون، واقتبس الأدباء الأدب، والمربون أساليب التربية والتعليم.

فأقول: ما أظنّ، بل متيقن أنّ ما من بيت منذ أن خلق الله آدم وحتى تقوم الساعة، أفضل من بيت سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، كيف لا؟ وهو ﷺ القائل متحدثاً بنعمة ربه عليه: "ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"[٥].

وإذا كان هذا هو شأن ذلك البيت المشرف المعظم؟ فلا يكفي فيه بحث واحدٌ، بل هو يحتاج إلى أبحاث متعددة، كون جوانب الشرف والعظمة فيه لا تتناهى وليس لها حدٌّ؟ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، هذا الأمر هو الذي استحث فيَّ الهمة في

---

(١) في النهاية: «يُقال زاغ عن الطريق يزيع إذا عدل عنه» اهـ مادة زيغ.

(٢) في اللسان: «وخلق الشيء خلوقاً وخلوقةً وخلُقَ خلاقةً وخَلِقَ إخلاقاً واخْلولق: بليَ» اهـ مادة خلق. لسان العرب م/د دار لسان العرب - بيروت.

(٣) الآية: ١ - ٢ الجن.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث لا نعرفُه إلا من هذا الوجه، وإسنادهُ مجهول وفي الحارث مقال. قلت: "والحديث وإن كان ضعيفاً لكنَّهُ صحيحٌ في معناه".

(٥) رواه البخاري، ٧٣٣٥ ومالك في الموطأ ١/١٩٧ وغيرهما.

بيان شيء من جوانب الحياة النبوية الشريفة العظيمة الكريمة. هذا شيء، والشيء الآخر، أن الله تعالى فطر الخلق على حُبِّ التطلع إلى من تعتقد أنه قدوة حسنة في نظرها، لا يتخلف في ذلك إلا معاند أو مكابر.

ونبينا الأكرم محمد ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة كما قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

فالرسول ﷺ مُبلِّغٌ عن الله تعالى لصيانة حركة الإنسان في الحياة، وهو أيضاً أسوة سلوك، وكأنَّ الأسوة والقدوة الحسنة مكانها كل رسول ﷺ، فهو ﷺ ظرف للأسوة والقدوة الحسنة في كل عضو فيه ﷺ ففي لسانه أسوة حسنة، وفي عينِهِ أسوة حسنة، وفي يده أسوة حسنة....- وكذا حياته ﷺ في بيته - كلها أسوة حسنة. هذه الأسوة لمنْ؟ (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[2].

وفي هذه الأسوة مثابة الإيمان للمسلمين، ومصدر الثقة والاطمئنان، وحين نرانا ضعفنا مرة، أو فزعنا مرة، أو ضقنا مرة، فعلينا ألا نقف إلى جوار ضعفنا البشري لأنه من فطرتنا، بل علينا أن ننهض من هذه الكبوة، ونسترد الثقة والاطمئنان إلى ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام وفي تاريخ البشرية جمعاء حاضرها وماضيها فنتخذها أسوة حسنة، ومثالاً أعلى من قمم الجبال الشاهقة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر»[3]. اهـ

والمؤمن الصادق في إيمانه لا بُدّ أن تتطلع عيناهُ إلى الاقتداء بسيدنا محمد ﷺ، ولما انشغل الناس بدنياهم وكلّت هممهم في طلب المعالي في ذلك، لطول المصنفات في ذلك وتشعبها، رأيت من المناسب أن أقدم ملخصاً عن حياة الرسول العظيم ﷺ في بيته في عبادته، ومعاشرته أهله وذريته وزواره، في صحته ومرضه حتى وفاته ﷺ لعلي أستطيع بذلك أن قدم الصورة الرائعة المثالية، ليكون شعلة تضيء للمسلم صحة اختيار القدوة في زمن تشعبت فيه الأهواء والمشارب، سائلاً المولى جل جلاله أن يرزقني في ذلك الإخلاص وأن يجعلني أول من يبادر إلى التطبيق إنه ولي ذلك والقادر

---

(١) الأحزاب آية ٢١.

(٢) انظر تفسير الشعراوي: ١٩/١١٩٨٠. ط ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ - القاهرة.

(٣) ظلال القرآن: ٢٨٤٤/٥، باختصار ط/٣٥ - ١٤٢٥ - ٢٠٠٥، دار الشروق بيروت.

عليه آمين.

ونظراً لوجوب التعرف إلى حياة الرسول الأعظم ﷺ في بيته ولكون همم المسلمين كلّت في تشمير الهمة لمعرفة ذلك، لكونها متفرقة في المطولات من كتب الحديث، والسيرة، والشمائل، ونظراً لعدم وجود كتاب مختصر جامع يتحدث عن حياته ﷺ في بيته.

قررت اختيار هذا الموضوع ليكون مشعلاً يهتدي به المسلمون في حياتهم، ومع نسائهم، وذراريهم، وخدمهم، وضيفانهم، وعبادتهم، وصحتهم، ومرضهم. سائلاً المولى أن يرزقني فيه الإخلاص والاقتداء.

خطة البحث

وقد كانت خطتي في هذه الأطروحة على الشكل التالي:

- الإهداء.
- كلمة شكر.
- المقدمة.

وقد قسمت البحث: إلى الأبواب التالية:

الباب الأول:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أهمية التعرف على حياة الرسول ﷺ في بيته.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في أن المسلم مطالب بالإيمان به ﷺ.

المطلب الأول: في ذكر ما قيل في خصائصه ﷺ.

المبحث الثاني: في كون حبه ﷺ واجب على كل مسلم ومسلمة.

المبحث الثالث: في كون الاطلاع على أوصافه ﷺ تسهل الاقتداء به.

الفصل الثاني: حياته ﷺ من نزول الوحي عليه حتى هجرته.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث **الأول:** في نزول الوحي عليه حتى الجهر بالدعوة.

المطلب الأول: في بيان الحكمة من خوفه ﷺ حين نزول الوحي عليه.

المطلب الثاني: في سرية الدعوة.

المبحث الثاني: فيمن أتاه ﷺ في بيته في مكة المكرمة.

المبحث الثالث: فيمن آذاه من أقربائِهِ وجيرانه ﷺ.

المبحث الرابع: متفرقات حتى هجرته ﷺ.

المطلب الأول: في استماع بعض زعماء قريش إلى قراءة النبي ﷺ في بيته.

المطلب الثاني: في آخر أيامة في مكة ﷺ ثم هجرته إلى المدينة.

الباب الثاني:

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: صفة بيوته ﷺ وأثاثها.

المبحث الأول: في مواقع بيوته ﷺ.

المبحث الثاني: في وصف بيوته ﷺ.

المبحث الثالث: في أثاث بيوته ﷺ.

الفصل الثاني: في صفة عيشه ﷺ.

المبحث الأول: فيما يتعلق بطعامه ﷺ.

المطلب الأول: في أنه ﷺ كان لا يعيب طعاماً.

المطلب الثاني: في دعائه ﷺ أول الطعام وآخره.

المبحث الثاني: فيما يتعلق بشرابه ﷺ.

المطلب الأول: في حبه ﷺ للبن.

المطلب الثاني: في حبه التايمن من أمره كله.

المبحث الثالث: فيما يتعلق بلباسه ﷺ.

مطلب: في أحب الثياب إليه ﷺ.

المبحث الرابع: فيما يتعلق بترجله وما يتعلق بذلك.

المطلب الأول: في هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها.

المطلب الثاني: في ترجله ﷺ.

المطلب الثالث: في حبه ﷺ للطيب.

المطلب الرابع: في بعض الأمور الأخرى.

المبحث الخامس: فيما يتعلق بخاتمه ﷺ.

المبحث السادس: فيما يتعلق بنعله وخفه ﷺ.

مطلب: في خفه ﷺ.

المبحث السابع: فيما يتعلق بنومه ﷺ.

المطلب الأول: فيما يتعلق بنومه ﷺ.

المطلب الثاني: في أنه ﷺ كان ينام أول الليل.

المطلب الثالث: في وضوئه ﷺ وقراءته قبل النوم.

المطلب الرابع: في أدعيته ﷺ عند النوم، وأنه كان ينام على شقه الأيمن.
المطلب الخامس: في أرقه ﷺ.
المطلب السادس: في أنه ﷺ كان ينام مع نسائه في فراش واحد.
المطلب السابع: في أحواله ﷺ وقت استيقاظه من نومه.
الفصل الثالث: في طهوره ﷺ ووضوئه وغسله.
المبحث الأول: في تطهره ﷺ.
المبحث الثاني: في وضوئه ﷺ.
المطلب الأول: في صفة وضوئه ﷺ.
المطلب الثاني: في مقدار وضوئه ﷺ.
المطلب الثالث: في وضوئه ﷺ لكل صلاة.
المبحث الثالث: في غسله ﷺ.
المطلب الأول: في مقدار غسله ﷺ.
المطلب الثاني: في طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد.
الفصل الرابع: في عبادته ﷺ في بيته.
المبحث الأول: في صلاته ﷺ في بيته.
المطلب الأول: في صلاته ﷺ النافلة المقرونة بالفرائض وغيرها.
المطلب الثاني: في صلاته ﷺ بالليل.
المطلب الثالث: في وقت قيامه ﷺ في الليل.
المطلب الرابع: في دعائه ﷺ حين يقوم من الليل.
المطلب الخامس: في استفتاحه ﷺ صلاة الليل بركعتين.
المطلب السادس: في عدد ركعاته ﷺ في قيام الليل.
المطلب السابع: في صفة صلاته ﷺ حين كبر.
المطلب الثامن: في قضائه ﷺ صلاة الليل إذا فاتته.
المطلب التاسع: في صلاته ﷺ الوتر.
المبحث الثاني: في بعض أحواله ﷺ في الزكاة.
المطلب الأول: في تحريم الزكاة عليه ﷺ وعلى أهل بيته.
المطلب الثاني: في أخذه ﷺ الزكاة من أصحابها وتفريقها على مستحقيها.

المطلب الثالث: في حرصه ﷺ أن لا يدع شيئاً عنده من مال الزكاة.

المبحث الثالث: في أحواله ﷺ في الصيام.

المطلب الأول: في جوده ﷺ في رمضان ومعنى ذلك.

المطلب الثاني: في اجتهاده ﷺ في العشر الأواخر من رمضان.

المطلب الثالث: في إفطاره وسحوره ﷺ أو دعائه عند الإفطار.

المطلب الرابع: في صيامه ﷺ في غير رمضان.

المبحث الرابع: أحواله ﷺ في الغنائم والفيء والهدايا.

مطلب: في قبوله ﷺ الهدايا.

الباب الثالث:

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في أحواله ﷺ مع نسائه.

المبحث الأول: في نكاحه ﷺ وولائمه في ذلك.

المطلب الأول: في زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

المطلب الثاني: في زواجه ﷺ من سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

المطلب الثالث: في زواجه ﷺ من عائشة رضي الله عنها.

المطلب الرابع: في زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

المطلب الخامس: في زواجه ﷺ من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

المطلب السادس: في زواجه ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها.

المطلب السابع: في زواجه ﷺ من أم سلمة رضي الله عنها.

المطلب الثامن: في زواجه ﷺ من أم حبيبة رضي الله عنها.

المطلب التاسع: في زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

المطلب العاشر: في زواجه ﷺ من صفية بنت حيي رضي الله عنها.

المطلب الحادي عشر: في زواجه ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

المطلب الثاني عشر: في سراري النبي ﷺ.

المبحث الثاني: في عدله ﷺ بين نسائه.

مطلب: في جماعه ﷺ لنسائه.

المبحث الثالث: في حسن عشرته ﷺ لنسائه.

المطلب الثاني: في وصيته ﷺ أمته بأهل بيته.
المطلب الثالث: في حثه ﷺ على حب أهل بيته.
المطلب الرابع: في غضبه ﷺ عند إيذاء أحدٍ من أهل بيته.
المطلب الخامس: في وعده ﷺ بالمكافأة يوم القيامة لمن أحسن إلى أحد من أهل بيته.
المطلب السادس: في حسن اختياره ﷺ الأسماء الحسنة للحسن والحسين رضي الله عنهما.
المطلب السابع: في ملاعبته ﷺ للحسن والحسين رضي الله عنهما.
المطلب الثامن: في نزوله ﷺ عن المنبر من أجل الحسن والحسين رضي الله عنهما.
المطلب التاسع: في رحمته ﷺ بالحسن والحسين رضي الله عنهما.
المطلب العاشر: في بكائه ﷺ رحمة بالحسين رضي الله عنه.
المبحث الرابع: في حسن معاملته لأقربائه وذويه ﷺ.
المطلب الأول: في حسن عشرته ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه.
المطلب الثاني: في حسن عشرته ﷺ لأبناء عمه العباس.
المطلب الثالث: في حسن عشرته ﷺ لأبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.
المطلب الرابع: في حسن عشرته ﷺ لابن عمه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه.
المطلب الخامس: في حسن عشرته ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه.
المبحث الخامس: في حسن عشرته ﷺ لخدمه.
المبحث السادس: في حسن استقباله ﷺ لزواره.
المطلب الأول: فيمن كان يكثر عليه ﷺ الدخول من أصحابه رضي الله عنهم.
المطلب الثاني: في انبساطه ﷺ لمن زاره.
المطلب الثالث: فيمن استأذن على النبي ﷺ.
المطلب الرابع: في تعاهده ﷺ لضيوفه.
المطلب الخامس: في اجتماع الأنصار رضي الله عنهم عنده ﷺ، يسألونه.
المطلب السادس: في إكرامه ﷺ الكريم من كل قوم.
المطلب السابع: فيمن جاءه ﷺ يطلب منه الدعاء والوسيلة.

المبحث السابع: فيمن جاءه من النساء مستفتياً في بيته.

المطلب الأول: فيمن جاءته ﷺ من النساء تشكو إليه زوجها.

المطلب الثاني: فيمن جاءته ﷺ تشكو إليه أباها.

المطلب الثالث: فيمن جاءته ﷺ من النساء فأوصاها بزوجها.

المبحث الثامن: في إكرامه ﷺ للوافدين عليه.

الفصل الثالث: في أحواله ﷺ في مرضه حتى وفاته.

المبحث الأول: في شدة الوجع عليه ﷺ.

مطلب: في كثرة مرضه ﷺ آخر عمره.

المبحث الثاني: في سحر اليهود له ﷺ.

مطلب: في تداويه ﷺ بالرقيا وأمره بها.

المبحث الثالث: حاله ﷺ في مرضه الأخير.

المبحث الرابع: في آخر وصاياه ﷺ قبل وفاته.

المطلب الأول: في وصيته ﷺ في الأنصار.

المطلب الثاني: في وصيته ﷺ أمته أن يحسنوا الظن بالله.

المطلب الثالث: في وصيته ﷺ بإخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفود.

المطلب الرابع: في وصيته ﷺ أمته أن لا تتخذ قبره وثناً.

المطلب الخامس: في وصيته ﷺ أمته بالصلاة.

الخاتمة.

منهج البحث

لقد جاء منهجي في هذا البحث على النحو التالي:

١ - الكلام على بعض أحوال النبي ﷺ من فضائله في كتب الحديث، والسيرة والتفسير.

٢ - تخريج روايات الأحاديث وعزوها إلى مصادرها.

٣ - دراسة هذه الأحوال واستنباط ما فيها من الفوائد التي هي موضوع البحث.

٤ - عزو الآيات الكريمة إلى مكانها في القرآن الكريم.

٥ - ذكر استنباط معاني الآيات وما فيها من الأحكام.

٥ - تفسير الكلمات الغريبة في البحث.

٧ - اعتماد المتن لذكر الحديث النبوي واعتماد الشروح عليه في الحاشية.

٨ - أجعل ما اقتبسته بين قوسين دلالة على اقتباسه.

٩ - الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في متن الكتاب.

١٠ - التعريف بالكتب الواردة في متن الكتاب عند أول موضوع ذكر فيه.

١١ - وضع الفهارس اللازمة التي تخدم القارئ للوصول إلى مبتغاه بأسرع وقت وأقل جهد.

أ - فهرس الآيات القرآنية.

ب - فهرس الأحاديب النبوية.

ج - فهرس الآثار.

د - فهرس القبائل.

هـ - فهرس الكلمات الغريبة.

و - فهرس الأماكن.

ز - فهرس الأعلام.

ح - فهرس المصادر.

ط - فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة

ليس في حد علمي أن أحداً كتب أو ألّف في الموضوع الذي اخترته عنواناً للبحث، اللهم إلا ما ألّفه الدكتور أحمد شلبي كتاباً سمّاه"الرسول ﷺ في بيته "هذا والكتاب ليس ممنهجاً على المنهج الجامعي في البحث، ثم إن المؤلف لم يتناول جميع الجوانب في حياته ﷺ في بيته وإنما اقتصر على جانب واحد وهو الحديث، وباختصار عن زواجه ﷺ من كل واحدة من نسائه مع بعض الأمثلة عن حسن عشرته ﷺ مع أولاده وحفدته ضارباً الأمثلة في كل ذلك من حياته ﷺ كزوج، وأب، وجد. وهو كتاب يقع في أقل من مائة وخمسين صفحة وقد اتفقتُ في بحثي هذا مع الكتاب المذكور في قسم من أقسام الباب الثالث وهو حسن عشرته ﷺ لنسائه وأولاده وحفدتِهِ.

وقد ألّف أيضاً نزار أباظة كتاباً أسماه "في بيت الرسول " وصف فيه حياة الرسول ﷺ في كل بيت عاش فيه، من بيت جده إلى بيت عمه أبي طالب، ثم انتقاله إلى بيت خديجة، ثم وصف حجرات زوجاته في المدينة المنورة، وصفاً حسيّاً، كا وصف معاملة الرسول لزوجاته، ثم توقف عند بيوت أولاده ﷺ وكيف كان يعاملهم. ثم تحدث عن بيوت أجلة الصحابة، وكذا بيوت جيرانه ﷺ وكيف كان يتعامل معهم، كما أفرد فصلاً خاصاً لموالي الرسول ﷺ وخدمه، وأشار إلى صلتهم ببيت النبوة. كما عقد فصلاً عدد فيه صفات بيت النبوة وأخلاق ساكنيه، وختم بما جرى من حياته ﷺ حين كان على فراش مرضه حتى لحق بالرفيق الأعلى.

وقد جاء بحثي موافقاً لبعض ما كتبه الباحثان وزاد عليه البحث في صفة عيشه ﷺ، وصفه غسله، وطهارته، وصلاته، وأحواله في الزكاة، الصيام، وبعض التفصيل في حسن عشرته ﷺ لنسائه، وأولاده، وحفدته، وأقربائه وخدمه، وزواره، والوافدين عليه، وحاله في مرضه حتى وفاته ﷺ.

الباب الأول
أهميـة التعـرف على حيـاتـه ﷺ في بيتـه ثم بيـان حيـاتـه ﷺ في مكـة من البعثـة إلى الهجـرة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في أهمية التعرّف على حياة الرسول ﷺ في بيته

الفصل الثاني: في حياته ﷺ من نزول الوحي عليه حتى هجرته

الفصل الأول:
في أهمية التعرّف على حياة الرسول ﷺ في بيته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:
في أنّ المسلم مطالبٌ بالإيمان به ﷺ

إنّ الله تعالى أمر العباد أن يُؤْمنوا بهذا النبي الكريم ﷺ فقال ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾[1].

والإيمانُ به ﷺ يَتَطّلبُ من العباد أن يعرفوا فضل هذا النبيّ الكريم، رفْعَةَ مستواه على غيره، وما أسبغَ عليه مولاه تعالى من الكمالات النفسيّة، وما أدّبَهُ من الآداب المرضيّة، وما وهبه من الخُلُقِ العظيم، وجمع فيه مجامع الكمالات، فجعل جوهره الكريم عالياً على سائر الأفراد والأجناس، بحيثُ لا يُقاسُ ﷺ بغيره من الناس وكيفُ يقاسُ بغيرِهِ؟ وقدْ مَيّزهُ الله تعالى بمميزات الكمال، وخصَّهُ بأكرم الخصال، وأعلاه ذروة الخُلُقِ العظيم، وربّاه بعنايته، ورعاه برعايته، وتولّى سبحانه وتعالى إقراءه وتعليمه، وأعدّه وأمدّه في روحه وجسمه، وعقله وفهمه، وسمعه وبصره، وسائر مداركه وجوارحه، حتى أصبح ﷺ المثَلَ الأعلى لكُلِّ من أراد القدوة الفضلى، فهو بشرٌ لا كالبشر، كما أنّ الياقوت حجرٌ لا كالحجر.

ولو أنّ باحثاً عن الفضائل، أراد معرفتها مجتمعة ومتمثلةً بشخصٍ، لوجدها جميعاً تُردُّ إلى سيدنا رسول الله محمد ﷺ.

قال البيهقي[2] في شعب الإيمان «والإيمان بالله ورسوله ﷺ أصلٌ، وهو الذي ينقُلُ من الكفر، والإيمانُ بالله ورسوله ﷺ هو الذي يكمل بكماله الإيمان» ا هـ[3].

---

(١) آية ٨ سورة التغابن.

(٢) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ولد سنه أربع وثمانين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مائة ودفن ببيهق. سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣.

(٣) شعب الإيمان: ٣٦/١ للإمام البيهقي ط دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ بيروت.

وخلاصة القول إن الاطلاع على أحواله ﷺ من إحدى الدلائل التي يُستدَلُّ بها على نبوّته ﷺ. وقدْ صنّفَ علماء الأمة في ذلك كتباً تشرح أحواله ﷺ.

ولقد ذهب الإمام الغزالي[١] «إلى أنّ طريق اليقين حين يعتري الإنسان شكٌّ في نبوة شخص معين، لا يحصل إلا بمعرفة أحواله: إما بالمشاهدة، أو بالتواتر، والتسامع»[٢] اهـ.

روى الإمام أحمد بن حنبل[٣] في المسند[٤] قال: "سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقُه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾"[٥][٦].

قال القسطلاني[٧] رحمه الله تعالى «**وإنما كان خُلُقهُ عظيماً لأنّه لم يكُنْ له همةٌ سوى الله تعالى... فجميع الأخلاق الحميدة كلها كانت فيه ﷺ فإنّهُ أُدِّب بالقرآن.... وكما أنّ معاني القرآن لا تتناهي، فكذلك أوصافُهُ الجميلة الدّالةِ على خلقه العظيم لا تتناهى، إذ في كُلِّ حال من أحواله ﷺ يتجدد له من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم وما يُفيضُهُ الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه إلا الله تعالى. والتعرض لحصر جزئيات أخلاقِهِ الحميدة، تعرض لما ليس من مقدور الإنسان، ولا من ممكنات**

---

(١) نظم المواهب اللدنية للقسطلاني وسبل الهدى والرشاد للشامي. والشمائل للترمذي، وغير ذلك.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ هو الإمام البحر، حجة الإسلام أعجوبة الزمان، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغُزلي ولد سنة أربعين وأربع مائة وتوفي سنة خمس وخمس مئة. اهـ.

(٣) المنقذ من الضلال ص ٤٥. م/د دارالكتب العلمية بيروت.

(٤) قال الذهبي في السير١١/١٧٧ " هو الإمام حقاً، أبو عبدالله، أحمد بن حنبل الشيباني أحدُ أهم الأئمة الأعلام من مصنفاته المسند، وفضائل الصحابة ومعرفة العلل وغيرها ولد سنة أربع وستين ومئة وتوفي سنة إحدى وأربعين ومئتين ". اهـ.

(٥) ٦/٩١ في الموسوعة ٤١ /١٤٩ صحيح. ورواه أبو عبيد في الفضائل ص ٥٢ والطبري في تفسيره ٢١٩/٢٩ والطحاوي في مشكل الآثار ٤٤٣٥ والبيهقي في الشعب ١٤٢٦.

(٦) آية ٤ سورة القلم.

(٧) هو الإمام الحافظ شهار الدين أحمد بن محمد بن علي القسطلاني مولده إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر وتوفي سنة وثلاث وعشرين وتسعمائة بالقاهرة ودفن بالمدرسة العينية. انظر الضوء اللامع: ١٠٣/٢، والكواكب السائرة: ١٢٦/١ والبدر الطالع: ١٠٢/١.

عاداته..»[١] اهـ.

مطلب في ذكر ما قيل في خصائصه ﷺ

قال الآلوسي[٢] رحمه الله تعالى «.. **فإنه ﷺ قد خُصّ بمزايا، تقفُ دونها الأماني حسرى، وامتاز بخواص علمية وعملية لا يستطيعُ لسانُ الدهر لها حصرا، ورقي أعلام فضل رفعت له على كواهله الأعلام، وطأطأت له رؤوس شرفات الشرف فقبلت منه الأقدام، فهو المبعوث رحمة للعالمين، والمنعوت بالخلق العظيم بين المرسلين، والمنزل عليه قرآن مجيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، والمؤيد دينه، المؤيد بالمعجزات المستمرات الباهرة، الفائز بالمقام المحمود، والشفاعة العظمى في الآخرة..»**[٣] اهـ.

وقال النبهاني[٤] في مقدمة جواهر البحار «.. هو ﷺ أعلى الخلق رتبة في العبودية.. ومعرفة بالله تعالى.. ولقد ساد الخلق على الاطلاق بعد الملك الخلاق بعلو درجته، وارتفاع منزلته، وسموِ مرتبته في العبودية لله تعالى، فهو العبدُ الخالص.. وقد أعطي من المعجزات، والفضائل وخوارق العادات، ما لم يشاركه فيه أحد... جمعَتْ فيه من الفضائل ما يُزري بعقود الجُمان[٥].. وحوى بحور العلم الزاخرة بالحقائق والعرفان... وحقيقة فضله لا يُدركها إنسان، وحسبك أنه ﷺ حبيبُ الرحمن، ونتيجة جميع الأكوان، فقُلْ في حقه هو عبدالله ورسوله، لا بل ارتقى إلى أعلى درجات

---

(١) شرح المواهب ٨/٦ وما بعدها.

(٢) العلامة أبو الفضل شهاب الدين السّيد محمود الألوسي الحسيني البغدادي ولد سنة ١٢١٧ هـ بمصر، محدث، فقيه من أهم مؤلفاته "روح المعاني" توفي سنة ١٢٧٠هـ ببغداد ودفن فيها: الأعلام ١٧٦/٧.

(٣) تفسير الألوسي ٢/٣. ط/٤ دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ – ١٩٨٥ بيروت.

(٤) قال في الأعلام ٢١٨/٨ هو يوسف بن إسماعيل النبهاني شاعر وأديب ولد سنة ١٢٦٥ هـ في حيفا فلسطين له مؤلفات عديدة من أهمها جامع كرامات الأولياء، وجواهر البحار، توفي سنة ١٣٥٠ هـ. في حلب " اهـ.

(٥) قال في النهاية " الجمان: هو اللؤلؤ الصغار، وقيل حبّ يتخذ من الفضة، أمثال اللؤلؤ. " مادة جمن.

العبودية لله حتى قال مولاه: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ.. ﴾[١].

فحقيقتُه أصل الحقائق، وروحه أم الأرواح، فهو أبو آدم عليه السلام من حيث الروح، وآدَمُ أبوهُ من حيث الجسم، وهو أول النبيين في البطون، وخاتمهم في الظهور، وهو سلطانهُم الأعظم، وهم نوابُهُ فيمن بعثُوا إليهم من الأمم.. وهو فَردُ العالم، وفخر آدم، سيد عبيد الله وأحبّهم إلى الله تعالى ليس فوقه في الكمال إلا الله... وهو النور الأعظم الساري في جميع الموجودات، والأصل المقدم الذي تفرعتْ عنه جميع الكائنات...»[٢] .

المبحث الثاني:
في كون حُبّه ﷺ واجباً على كل مسلم ومسلمة.

إنّ الله تعالى أوجب على الأمّةِ محبة النبي الكريم ﷺ فوق محبة الآباء، والأبناء، والأزواج، والعشيرة، بل حتى فوق محبة النفس. فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ... ﴾[٣]. ولقد أوضح هذه الحقيقة رسول الله ﷺ حينما قال: وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: - أي عمر - والله لأنت أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيء! إلا نفسي. فقال النبيُّ ﷺ: لا يؤمن أحدكُم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ". فقال عمر ﷺ، فلأنْتَ الآن والله أحبُّ إلي من نفسي. فقال رسول الله ﷺ الآن يا عمر "[٤].

قال الخطابي[٥]: «حُبُّ الإنسان نفسه طبعٌ، وحُبُّ غيره اختيار بتوسط الأسباب،

---

(١) سورة الإسراء آية ١.

(٢) جواهر البحار ٩/١ وما بعدها. باختصار. ط/١ دارالكتب العلمية ١٤١٩ - ١٩٩٨بيروت.

(٣) سورة التوبة: آية ٢٤.

(٤) الحديث بهذا اللفظ رواه أحمد في المسند ٢٣٣/٤ وأصلُهُ في صحيح البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر.

(٥) في الأعلام ٢٧٣/٢: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب العبسي أبو سليمان ولد سنة ٣١٩ هـ. فقيه محدث، من نسل زيد بن الخطاب له معالم السنن. وغيره توفي سنة ٣٨٨ هـ.

وإنما أراد ﷺ بقوله لعمر، حُبَّ الاختيار»[١] اهـ.

قال ابن حجر[٢] العسقلاني رحمه الله تعالى: في الفتح: «فعلى هذا جواب عمر ﷺ أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبيَّ ﷺ أحَبَّ إليه من نفسه لكونِهِ السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله: ﷺ الآن يا عمر، أي الآن عرفت فنطقْتَ بما يجب»[٣].

فمحبتُه ﷺ لازمة، والآية الكريمة بوجوبها وعظم خطرها جازمة، فإذا كان المرءُ يُحَبُّ لكرمه، أو لشجاعته، أو لحلمه، أو لتواضعه، أو لتعبده وتقواه، أو لكمال عقله، أو جمال أدبه، أو حُسنِ خلقه، أو نحو ذلك من صفات الجمال والكمال... فكيف إذا تأصلت واجتمعتْ هذه الصفات وغيرها من الكمالات في رجل واحدٍ وهو السيد الأكرم، والنبيُّ الأفخم، والرسول الأعظم، سيدنا محمد ﷺ، والذي هو وحده مجمع صفات الكمال والجمال، قد أبْدَعَ الله صورته العظيمة، وهيئته الكريمة. بحيثُ يقول ناعتُه: «لم أر قبله ولا بعده مثله»[٤].

فمن أحبّه وجد حلاوة الإيمان، ودخل في زمرته إلى محلِّ الروح والريحان، وفاز بمرافقة الذين أنعم عليهم الربُّ، وكان معه يوم القيامة لأن المرء مع من أحب.

ففي المواهب اللدنية «.. وإذا كان المحب يُحبُّ غيرهُ على ما فيه من صورة جميلة، وسيرة حميدة، فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم، المانحِ لنا جوامع المكارم والفضل العميم، فقد أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان فاستحق ﷺ أن يكون حظه من محبتنا له

---

(١) أعلام الحديث ٢٢٨٢/٤. م/د مطبعة السعادة مصر.

(٢) في الأعلام ١٧٨/١ قال «هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، شهاب الدين، من أئمة العلم والتاريخ والحديث والفقه ولد سنة ٧٧٣ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ بالقاهرة ودفن فيها» اهـ.

(٣) فتح الباري ٧٦/١ بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط١/ص ١٩٨٧/١٤٠٧، دار الريان للتراث القاهرة.

(٤) الشمائل للترمذي: ص: ١٨ وقال حسن صحيح.

أوفى وأذكى من محبتنا لأنفسنا.. فَكُلُّ مسلم في قلبه محبة الله ورسوله ﷺ. ولا يدخل الإسلام إلا بهذه المحبة ولكن الناس متفاوتون بهذه المحبة، بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته، من وجوه النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك، ولا شكَّ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم في هذه المعاني أتمُّ، لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم»[1]. اهـ باختصار [*].

---

(١) شرح المواهب ٧١/٩ وما بعدها.

(*) قلت: وإذا كانت محبته ﷺ واجبة، فإنّ لها دلائل تدل على صدق هذه المحبة وأهمها ما يلي:

١ - نصرة دينه بالقول والعمل، والدفاع عن شريعته، والتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ.

٢ - العطف على أمته، والبِر بهم، والنصح لهم، والسعي في مصالحهم، وليس تبديعهم، أو تضليلهم، أو تكفيرهم كما هو شأن الحشوية والرافضة.

٣ - اتباع شريعته وسنته قدر الاستطاعة، وإيثار ذلك على أهواء النّفوس، أما أصحابُ الأهواء الذين اتبعوا أهواءهم فهم في واد والحب لرسول الله ﷺ في وادٍ آخر.

٤ - تعظيمه وتوقيره ﷺ، ومن لم يعرف ذلك، فما عليه إلا أن يتعلم من سيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم معه ﷺ وكيف كانوا يعظمونه ويوقرونه.

٥ - محبة آله وعترته الأخيار، وسائر المهاجرين والأنصار، وإجلالهم واحترامهم والتأدب معهم والترضي عليهم، والغضّ عن عثراتهم رضي الله عنهم، وحب الصالحين من سلف هذه الأمة من التابعين واتباعهم.

٦ - الاستغفار للصحابة والإمساك عما شجر بينهم من الأقوال والأفعال، متمثلين قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الآية ١٠ من سورة الحشر. هذا ما أمر به ربنا جل جلاله. وأما الرافضة الذين امتلأت قلوبهم غيظاً وحقداً وكراهية لأصحاب النبي ﷺ فهم في ودٍ والجنة في وادٍ آخر!

٧ - الإكثار من ذكره ﷺ والصلاة عليه على الدوام، لأنَّ من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

٨ - إظهار الخشوع والخضوع عند ذكره ﷺ كما هو هدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والمحبين الصادقين.

٩ - حبُّ القرآن الكريم والذي أتى به، وتخلّق به ﷺ. ا هـ بتصرف عن كتاب محمد ﷺ. المثل الكامل ص ٣٤٨ وما بعدها.

المبحث الثالث:

في كون الاطلاع على أوصافه وأعماله في بيتِه تسهل الاقتداء به

إن الاطلاع على أوصافه ﷺ العظيمة، وشمائله الكريمة، وخصاله المجيدة، تُعطي صورة عملية تنطبع في القلوب، وترتسمُ في المخيلة، كأنما قد رأى محبوبة، فتحيا قلوبُ المحبين، وتطرب أرواحهُم وعقولهُمْ، فيزدادُ حبهُم، ويتحرّكُ اشتياقُهم، الأمر الذي يُسهلُ الاقتداء به ﷺ والتخلق بأخلاقه الكريمة. وبهذه المعاني السامية التي رآها الصحابة رضي الله عنهم، استطاعوا بفضل الله تعالى عليهم أن يكونوا أكثر النّاس حبا واتباعاً له ﷺ، الأمر الذي نبّه إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

جاء في شرح المواهب «وإذا تأمّل العاقلُ مواقع الخيرات التي ساقها الله تعالى إلى عباده بالنبي ﷺ في الدنيا، وما هو سائقُه إليهم يوم القيامة من شفاعته ﷺ لهم في الآخرة، علم أنّه لا حق بعد حقوق الله تعالى أوجب على الأمة من حق النبي ﷺ في حُبّهِ واتباعه.. وبحسب هذا الاتباع توجب المحبّة والمحبوبيّة معاً، بل الشأن أن يُحبكَ الله، ولا يحبك إلا إذا اتبعْتَ حبيبه ظاهراً وباطناً، وصدّقته خبرا، وأطعتَه أمراً، وأجبتَه دعوة، وآثرتَهُ طوعاً.... ومن ألزم نفسه السنّة نوّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب المصطفى ﷺ في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه، فاتباع هذا النبي ﷺ الكريم حياةُ القلوب، ونور للبصائر، وشفاءٌ لما في الصدور، ورياض للنفوس، ولذةٌ للأرواح، وأنسٌ للمتوحشين، ودليلٌ للحائرين..»[2] اهـ. باختصار.

وفي شرح الشفا «من لم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع أحواله، ويرى نفسه في ملكه لا يذوقُ حلاوة سننه»[3] اهـ.

---

(١) سورة آل عمران - الآية: ١٥٩.

(٢) شرح المواهب ١١٩/٩ وما بعدها.

(٣) شرح الشفا ٣٥/٢.

وفيها أيضاً: «اعلم أنّه من أحبّ شيئاً آثره وأثر موافقته، وإلا لم يكُنْ صادقاً في حبّه، وكان مدعياً، فالصادقُ من تظهر علامة ذلك عليه، أولها: الاقتداء به، واستعمال سننه، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره[1]»[*].

---

(١) المصدر السابق: ٤٣/٢.

(*) قلت: إن السلف من هذه الأمة رضي الله عنهم لم يرتقُوا مراتب العز والكرامة، لولا اقتدائهم بسنة المصطفى ﷺ، بعد تمسكهم بكتاب ربهم، والذي قال لهم فيه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) سورة الأحزاب وما الأسوة في الآية؛ إلا الاقتداء به ﷺ، واقتفاء آثاره، وترك مخالفته قولاً وعملاً فهو - فداؤه الأنفس والأرواح - ﷺ مثلاً كاملاً للحياة كلها بكل ما فيها من نماذج.

فالعالم، والقائد، والسياسيُ، والمعلم، والمربي، المؤدب، والزوج. لن يجد هؤلاء مثلاً أعلى لهم ولا أكمل وأتم وأروع من سيدنا محمد ﷺ.

أسأل الله العلي القدير بجاه حبيبه المصطفى أن يرزقني وجميع المسلمين محبّةً صادقة، باتباع موفق لخير خلقه سيدنا محمد ﷺ مع المنة والفضل علينا بالإخلاص والقبول، إنه سبحانه تعالى وليُ ذلك والقادر عليه.

الفصل الثاني:
في حياته ﷺ من نزول الوحي عليه حتى هجرته

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول:
في نزول الوحي عليه حتى الجهر بالدعوة

إن من المسلمات البديهية في عقيدتنا، أن حياة النبي ﷺ قبل نزول الوحي عليه، كانت تحوطُها العناية الإلهية بكلِّ ما في هذه اللفظة من معنى، وليس أدلّ على ذلك من قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

في الجامع لأحكام القرآن «أي مقداراً من الزمن وهو أربعون سنة، تعرفوُنني بالصدق والأمانة... ولم أعصِ الله تعالى مدة شبابي، أفتريدون مني الآن.. أن أخالف أمر الله تعالى وأغيّر ما يُنزله عليَّ»[2] اهـ باختصار.

وما يَهمُّنا هنا هو حياتُه ﷺ في بيته بعد نزول الوحي عليه، لأنَّ أفعاله وأقواله ﷺ كان يحكمها الوحي، والعصمة الآلهية، وهي التي تعني المسلم من ناحية والاتباع والاقتداء، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[3].

وفي الجامع لأحكام القرآن «... وقد اتفقَ أهل السنة أن الأنبياء نشأوا على التوحيد والإيمان... بل على إشراق أنوار المعارف، ونفحات ألطاف العناية الإلهية، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حَقَّق ذلك... ولم ينقل أحد من أهل الأخبار

---

(١) سورة يونس - الآية: ١٦.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٥/٨.

(٣) سورة الشورى - آية: ٥٢.

أنَّ أحداً نُبِّئ ممن عُرف بكفرٍ أو إشراك قبل ذلك وقد عيّرت قريش رسول الله ﷺ بكُل ما افْتَرَتْهُ.. ولم نجد في شيء من ذلك تعييراً بشيءٍ من الشرك أو ما شابه...»[١] اهـ. وفي منار السبيل «... والمراد بالآية شرائع الإسلام كالصلاة والصوم والزكاة.. وغير ذلك وهذا هو الحق،.. والأنبياء كلهُم كانوا مؤمنين قبل الوحي إليهم بأدلة عقولِهِمْ، وكان نبينا محمد ﷺ يتعبدُ على دين إبراهيم عليه السلام، ويحجُّ ويعتمر..»[٢] اهـ باختصار. لقد كانت تلك الخلوة في غار حراء، والتي حُبِّبَت إلى قلب النبيّ ﷺ لوناً من الإعداد الخاص، الذي أرادَه الله تعالى لنبيّه ومُجتباه، تصفيةً لنفسه من علائق المادة البشرية، وكان تعبدُه إذْ ذاك تعبداً فكرياً في بديع السموات والأرض. ومن هنا نعلم أنَّ فكرة الخلوة بالنّفْس مع الذكر والعبادة مرحلة من مراحل السلوك، يستعينُ بها المسلم خصوصاً منْهم أهل المهمات، عالماً كان، أو قائداً، أو حاكماً على تنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب. وفي كتاب السيرة النبوية «ويمكن لأهل فقه الدعوة أن يُعطوا لأنفسهم فترةً من الوقت للمراجعة الشاملة، والتأمل في واقع الدعوة وما عليه من قوّةٍ أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله[٣]... [*]

ومع أنّ النبي ﷺ كان من أشجع النّاس، واقواهم قلباً، إلا أن مشهد نزول الوحي عليه ﷺ في غار حراء، ليس بالأمر السهل. واضح ذلك في قوله ﷺ لخديجة رضي الله عنها بعدما أخبرها بالقصة «لقد خشيتُ على نفسي...»[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧/١٦ وما بعدها.

(٢) منار السبيل ٧٣/٣ لمحمد العثماني القاضي ط/١، مطبعة الحلبي ١٣٩٣.

(٣) السيرة النبوية عرض وتحليل ١٠٠/١. لأبي شهبة، ط/١ ١٤١٧ هـ ١٩٩٢ بيروت.

(*) قلت: وليعلم أن هذه الخلوة ينبغي أن تكون مصاحبة لذكر الله تعالى. كما قال الحارث المحاسبي في رسالة المسترشدين ص ١٤١ «والزم الخلوة بالذكر» اهـ وإن في الخلوة شيءٌ من العزلة التي يحتاج إليها، حذراً من مخالطة أهل الشر، وتصفية للقلوب وللنفوس من علائق الدنيا وما أكثرها في هذا الزمان، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه صيد الخاطر ص ٣٦٩ فصل الزم خلوتك. قال «من أراد اجتماع همّه واصلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الأشرار في هذا الزمن - قلت فكيف لو رأى ابن الجوزي زماننا - فالزم خلوتك وراع ما بقيت النفس، وإذا قلقت النفس مشتاقة إلى لقاء الخلق فاعلم أنها بعد كدرة، فرَضْها ليصيرَ لقاؤهم عندها مكروهاً، ولو كان عندها شغل بالخالق عز وجل لما أحبّت الزحمة، كما أن الذي يخلو بحبيبه لا يُؤثر حضور غيرِه، ولو عشقت طريق اليمن لم تَلْتفت إلى الشام».

(٤) البخاري في جامعه رقم ٣/١ وهو بكامله هناك كتاب بدء الوحي ٣/١.

ولقد كان في موقف خديجة رضي الله عنها في ظلّ ما سمعتْهُ من الرسول ﷺ، ما يدلُّ على وفرة عقلها، وقوّةِ قلبها، فهي لم تكتف فقط بطمأنته ﷺ بناءً على ما تعرفه عنه، وما سمعتْه أيضاً من ابن عمها ورقة بن نوفل، من تطمينات، بل بادرت بنفسها لتتأكد من حقيقة ما جرى مع النبي ﷺ هناك في غار حراء. كما روى البيهقي[١] ذلك في دلائل النبوة ".. أنّ خديجة رضي الله عنها قالت: يا ابن عم أتستطيع أن تُخبرني بصاحبك - تعني جبريل عليه السلام - إذا جاءك، قال: نعم، قالت: فإذا جاء فأخبرني به. فجاء جبريل، فقال رسول الله ﷺ يا خديجة هذا جبريل قد جاء، فقالت: يا ابن عم قم فاجلس على فخذي.. إلى أن قالت اثبتْ وأبشر فو الله إنه لملك ما هذا بشيطان»[٢] [*].

المطلب الأول:

في بيان الحكمة من خوفه ﷺ حين نزل عليه الوحي

من المعلوم أنّ الله تعالى بيده قلوب العباد، يقلبها كيف يشاء، إلى الطمأنينة أو الخوف، دليل ذلك أنه ﷺ: «كان كثيراً ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك...»[٣] الحديث. وبناءً عليه فإن الله تعالى قادرٌ على أنْ يربط على قلب النبي الكريم ﷺ، ويُطمئنّ نفسه وأنَّ هذا الذي كلمه جبريل عليه السلام ملك من ملائكة الله تعالى جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس.

والجواب كما في فقه السيرة «لكن الحكمة الإلهية اقتضت إظهار الانفصال التام

---

(١) الحافظ الامام، الفقيه، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخراساني صاحب التصانيف الكثيرة ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مائة في شعبان وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة ودفن ببيهق اهـ. سير أعلام النبلاء ١٦٣/٨ وفيات الأعيان ٧٥/١ - ٧٦ تذكرة الحفاظ ١١٣٢/٢.

(٢) الدلائل: ١٥١/٢.

(*) وفي ص ٢٧٧ أيضاً: " فلو لم يَكُن في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل إلى الآخرة، والسلامة من شرِّ المخالطة كفى، ثم إنه لا عزلة على الحقيقة إلا للعالم والزاهد، فإنهما يعلمان مقصود العزلة، وإن كانا لا في عزلة. وأعوذ بالله.

(٣) رواه أحمد في المسند ١١٢/٣ والضياء في المختارة ٢٢٢٣، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٠٩، والترمذي ٢١٤٠ وحسنه وأبو يعلى في المسند ٣٦٨٧ و٣٦٨٨، وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٥، والحاكم في مستدركه٥٢٦/١ والآجري في الشريعة ص ٣١٧، والبخاري في الأدب المفرد ٦٨٣.

بين شخصيّة محمد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها، وبيان أن شيئاً من أركان العقيدة الإسلامية، أو التشريع الإسلامي لم يُطبَخْ في ذهن الرسول ﷺ سابقاً، ولم يُتصور الدعوة إليها سلفاً ثم إنَّ فيما ألهم الله تعالى خديجة من الذهاب به إلى ورقة بن نوفل، وعرض الأمر عليه تاكيداً من جانبٍ آخر بأنّ هذا الذي فوجئ به ﷺ إنما هو الوحي الإلهي الذي كان قد أنزل على الأنبياء من قبله، وإزالة لغاشية اللبس التي كانت تحوم حول نفسه بالخوف عن تفسير ما رآه وسمعه»[١].

المطلب الثاني:

في سرية الدعوة

لما تيقّن الرسول ﷺ أنه رسول الله إلى الناس، بدأ يستجيب لأمر الله تعالى فأخذ يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده سراً بإلهام من الله تعالى، وإرشاداً إلى الأخذ بالحيطة. فبدأ دعوه أهل بيته فكانت خديجة رضي الله عنها أوّل من آمن به على الاطلاق، وكذلك سارع إلى الإسلام بناتُ النبي ﷺ الأربع.. وبذلك أصبح بيتُ النبي ﷺ أول أسرة مؤمنة بالله تعالى، ولهذا البيت النبوة والمكانة العظمى في تاريخ الدعوة الإسلامية، لما حباهُ الله من مزايا، وخصّهُ بشرف الأسبقية في الإيمان والإسلام ولقد اكتسى هذا البيت بأبهى حلل الإيمان، وأضاء جوانبه قبس التصديق،، وحقّ لمن أراد السعادة في حياتِهِ بكُلِّ معانيها أنْ يجعل هذا البيت مصدراً يستمدُّ منه السعادتين الدنيوية والأخروية[٢].

أما دعوته ﷺ سراً ففيها أنّ الداعي يستعمل الأساليب التي تُمهِّدُ له سبيل الدعوة، من حيث التكتم أو الجهر، أو اللين أو القوة، أو الترغيب والترهيب، يُراعى في ذلك مبدأ سد الذرائع الذي هو أصل من أصول الدعوة إلى الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٣]. كيف لا وواقعنا شبيهٌ بواقع النبي ﷺ في العهد المكي، فالإسلام معطل بأحكامه في قومه، ومحاربٌ عند أعدائِهِ، وينبغي على الداعي إلى الله تعالى المتجرد والمخلص بدعوته، أن يعلم أنه بحاجة إلى الكثير من التأني وفقه الدعوة والمدعويين، والواقع الذي هو فيه، حتى لا يصطدم بما

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٦٥.

(٢) انظر السيرة النبوية عرض وتحليل ١/١١٦ وما بعدها. باختصار.

(٣) سورة الأنعام - الآية: ١٠٨.

يُعطِّلُ دعوته، ويقضي عليها وهي في بدايتها، وفهم الواقع من أفضل العوامل التي تساعد على نجاح الدعوة.

وجاء في سيرة ابن هشام «واستمر النبي ﷺ في دعوته سراً ثلاث سنوات، إلى أن أنزل قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[1]. فجمع قومه ودعاهُم إلى عبادة الله تعالى وكان ما كان مما ذكرته كتب السيرة.....»[2] [*].

المبحث الثاني:

فيمن أتاه ﷺ في بيته في مكة المكرمة

بعــد مــا جهر النبي ﷺ بدعوته، نزل قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٢) انظر سيرة ابن هشام: ٢٦٢/١ ط١٣٨٤ البابي الحلبي مصر.

(*) قال في كتاب: في رحاب البيت الحرام، يتحدث في ص ٢٥٧ عن بيت خديجة رضي الله عنها فيقول: «وفي هذه الدار تزوج النبي ﷺ بالسيدة خديجة، وفيها ولدت السيدة فاطمة، وكذلك جميع أولاده منها، ولم يزل رسول الله ﷺ ساكناً فيها إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة، فأخذها عقيل بن أبي طالب، ولا زالت حتى اشتراها منه معاوية وهو خليفة، فجعلها مسجد يُصلى فيه - قال ابن ظهيره! وكانوا يذكرون الله تعالى فيها كُلّ ليلة ثلاثاء من العشاء حتى الصباح، وهذه الدار أفضل المواضع في مكة المكرمة بعد المسجد الحرام، وذلك لسكنى رسول الله ﷺ فيها، ومولد الزهراء فيها، والموضع هذا كان مشهوراً في هذه الدار، وقت ما كانت تزار ويصلى فيها، وقد كان طوله خمسه أذرع تقريباً، وكان في هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة مدورة واسعة فمها طولاً من داخل البناء المحوط عليه ذراع، وعرضها ذراع وفي وسطها حجر أسود، يُقال إنه مسقط رأسها. وقد عمّر هذه الدار الناصر العباسي في زمن الملك الأشرف، وكان يلاصق هذه الدار موضع يُقال له قبّة الوحي، وموضع ثالث لقبة الوحي يُسمّى المختبى، كان الرسول ﷺ يختبئ فيه من الحجارة التي يرمي بها المشركون، وقد عمّر قبّة الوحي الملك المظفر صاحب اليمن وقد وفق الله تعالى المرحوم الشيخ عباس قطان أمين العاصمة المقدسة، فأعاد بناء هذه الدار بعد أن صارت خراباً وأقام فيها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وذلك للمحافظة على شرف المكان بما يُناسبه» ا هـ.

* الحديث رواه أحمد في المسند ١١١/١ والطبري في تهذيب الآثار ص ٦٠ - ٦١ وهو في تفسير ابن كثير ٥٨٠/٣ قال في الموسوعة ٢٤٤/٢ ضعيف.

قلت: والحديث له روايات أخرى مفادها أن النبي ﷺ دعا أقرباءه، منها عن أبي هريرة رضي الله عنه والمسند ٣٣٣/٢ ومسلم في الصحيح ٢٠٤ - ٣٤٨ والترميذي ٣١٨٥ وصححه، والنسائي ٢٤٨/٦ وابن حبان ٦٤٦ والبيهقي في الدلائل ١٧٧/٢.

" عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت " ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1](*)

---

(١) الشعراء آية ٢١٤.

(*) قال في الفتح ٣٦١/٨، «- في قوله ﷺ - لا أغني عنك من الله شيئاً ". بأن هذا كان قبل أن يعلمه الله تعالى بأنه ﷺ يشفع فيمن أراد وتقبل شفاعته حتى يُدخل قوماً الجنة بغير حساب، ويرفع درجات قوم آخرين، ويخرج من النار من دخلها بذنوبه» اهـ باختصار وانظر حاشية الشنواني ص ٢٥٨.

قلت: كيف لاينفع ﷺ أقرباءه وذريته وقد أنزل الله تعلى ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الضحى الآية ٥ في تفسير ابن كثير ٨٦٩/٤ «قال السدي عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة» اهـ.

وكذا في تفسير القرطبي ٦٤/٢٠، والطبري ١٢٥/٢٥، وتفسير الألوسي ١٦٠/٣٠.

ومن الأدلة على ما سلف حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حينما استغضب رسول الله ﷺ بسبب عمته صفية وأنّ قرابتها لرسول الله ﷺ لا تنفعها، قال أبو سعيد الخدري: وصعد المنير وقال: «ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة» المسند ١٨/٣، والحاكم في المستدرك، ٧٤/٤ - ٧٥، ووافقه على تصحيحه، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١٢٣٨، والطيالسي ٢٢٢١، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد ٣٦٤/١٠، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير عبدالله بن محمد بن عقيل وقد وثّق. قلت: وما إلحاح سيدنا عمر رضي الله عنه بالزواج من أم كلثوم ابنة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وتقبله لهذا الزواج إلا خير دليل على ما مر ذكره.

انظر القصة في مستدرك الحاكم ١٤٢/٣، وابن سعد في الطبقات٤٦٣/٢، وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٢.

أضف إلى ذلك ما أورده الحاكم في المستدرك ١٥٠/٣ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم» وضعفهُ الذهبي، وأورده السخاوي في كتابه استجلاب ارتقاء الغرف ص ٩١.

وشاهده ما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٩ «أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: "إن الله غير معذبك ولا ولدك في النار". وقال ورجاله ثقات.

وفي المستدرك ١٥٠/٣ وما بعدها، ومجمع الزوائد ٢٠٠/٩ وما بعدها وما أورده السخاوي في كتابه استجلاب ارتقاء الغرف ص ٩٥ وما بعدها.

هذه الروايات المتعددة وإن كان في بعضها ضعف لكن كثرتها يقوي بعضها بعضاً بحيث تصبح بمجموعها صحيحة مقبولة.

قلت: ولو أنا سلمنا جدلاً مع من يجادل بضعف هذه الروايات فيبقى الرجاء في شفاعته العظمى ولا يعقل من الرسول ﷺ الرؤوف الرحيم الكريم أن يشفع لأمته ويترك أهل بيته.

ففي المسند ٣٤٧/٥ «قال بريدة في مجلس معاوية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول:
=

ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم"[(١)]
وعن علي رضي الله عنه قال: " لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ جمع النبي ﷺ من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي... فقال علي: أنا"[(٢)].

ولما قدم الطفيل بن عمرو[(٣)] الدوسي مكة، مشى إليه رجالٌ من قريش وقالوا: يا طفيل... إنا نخشى عليك من هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - فلا تكلمه ولا تسمَعَنَّ منه شيئاً. قال: فوالله ما زالو بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً... فعمدتُ إلى المسجد، وإذا رسول الله ﷺ قائم يُصلي عند الكعبة قال: فقلتُ في نفسي، والله إني لرجل لبيبٌ شاعر ما يخفى عليّ الحسنُ من القبيح، فما يمنعني أن اسمع من هذا الرجل ما يقول! قال: فمكثتُ حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعتُه حتى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه، فقلتُ يا محمد: إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا... فأبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتُه قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرك قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعتُ قولاً قطٌ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدتُ شهادة الحق..[(٤)].

في السيرة الشامية «أن النبي ﷺ قرأ على الطفيل سورة الإخلاص،

=

«إني لأرجو أن أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة ثم قال: ترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها علي بن أبي طالب».
الحديث أخرجه أيضاً ابن الأعرابي في معجمه ٢٩١، الخطيب البغدادي في تاريخه ٣٣٠/١٢، الطبراني في الأوسط ٤١١٢، من شواهده حديث أُنيس الأنصاري عند ابن نافع في معجم الصحابة ٦٧/١، الطبراني في الأوسط ٣٥٦، الأصفهاني في معرفه الصحابة ٨٥١ - ٨٥٥، ابن عبدالبر في الاستيعاب ٣/١.
وللحديث روايات بنفس المعنى.

(١) رواه أحمد في المسند: ١٣٦/٦، وابن حبان ٩٤٥، والترمذي، ٢٣١٠.

(٢) رواه أحمد في المسند: ١١١/١ والطبري في تهذيب الآثار ٦٠.

(٣) الطفيل بن عمر الدوسي، صاحب النبي ﷺ سيداً مطاعاً من أشراف العرب، أسلم قبل الهجرة بمكة المكرمة قتل يوم اليمامة، السير ٣٤٤/١ والاستيعاب ٢٢٣/٥ والإصابة ٢٢٣/٥.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣٨٢/١ و٣٨٣. - م/البابي - الحلبي ١٣٨٤ مصر.

والمعوذتين..»[١] .

قلت: في قصة إسلام الطفيل، أن الداعي ينبغي بدعوته إسماع القرآن إلى من له فهم وسعة في لغة العرب وشعرها وأدبها، لأن القرآن جمع البدائع من لغة العرب وبلاغتها.

وفي المسند: «قال عمرو بن عبَسَة[٢]... فأتيت مكة... فدخلتُ على النبي ﷺ، فقلت: ما أنت؟ قال: " أنا نبيّ الله " فقلتُ: وما نبي الله، قال: " رسول الله " قال: قلت الله أرسلك؟ قال: نعم، قلتُ: بأيِّ شيء أرسلك؟ قال: بأنْ يوحّد الله ولا يُشرك به شيء، وكسرِ الأوثان، وصلة الرحم، فقلت له: من معك على هذا؟.. قلتُ: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعتَ بي قد ظهرتُ فالحق بي، قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت..»[٣].

في الحديث «دلالةٌ ظاهرة على وجوب إخلاص العبادة لله تعالى والحث على صلة الأرحام لأن النبي ﷺ قرنها بالتوحيد... وفيه معجزة للنبي ﷺ بإخباره أنه سيظهر في دعوته...»[٤] اهـ.

قلت: وفيه أيضاً: جواز استخفاء المسلم بإسلامه إذا خاف الأذى من الآخرين.

وبينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالسٌ، إذ مرّ به عثمان بن مظْعون[٥]، فقال له رسول الله ﷺ ألا تجلس قال: بلى.. وفيه - قال رسول الله ﷺ: أتاني رسولُ ربي آنفاً وأنت جالسٌ، قلتُ: فما قال، قال ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[٦] قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي، وأحببت محمداً ﷺ[٧] (*). «.. قال عثمان ما

---

(١) سيرة ابن هشام ٤١٧/٢.

(٢) عمرو بن عبسة الصحابي الجليل أحد السابقين إلى الإسلام شهد بدراً، نزل حمص ومات فيها سنة ٦٠ للهجرة. السير ٤٥٦/٢ طبقات ابن سعد ٢١٤/٤ أسد الغابة ٢٥١/٤ - ١١٢/٤.

(٣) أحمد في المسند ١١٢/٤ ومسلم في صحيحة ٨٣٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٥/٦ وفتح الباري ٢٦٨/٤.

(٥) عثمان بن مظعون الجمحي أبو السائب من سادة المهاجرين، كان من أوائل من مات من المهاجرين في المدينة ودفن بالبقيع في السنة الثانية من الهجرة. الاستيعاب ٦٣/٨ والإصابة ٦/ ٣٩٥.

(٦) سورة النحل - الآية: ٩٠.

(٧) رواه أحمد في المسند ٣١٨/١ والبخاري في الأدب المفرد ٨٩٣ والطبراني في الكبير ٣٩/٩، قال =

أسلمت ابتداءً إلا حياءً من رسول الله ﷺ، حتى نزلت الآية، وأنا عنده فاستقر الإيمان حينئذ في قلبي..».

وفي السيرة الحلبية «.. فلما بعث رسول الله ﷺ مرّ صهيب[1] على دار رسول الله ﷺ، فرأى صهيب عمار بن ياسر[2] رضي الله عنهما، فقال له عمّار، أين تريدُ ياصهيب؟ قال: أريدُ أنْ أدخل إلى محمد ﷺ فأسمع كلامه وما يدعو إليه، قال عمّار: وأنا أريد ذلك، فدخلا على رسول الله ﷺ فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الإسلام، وتلا عليهما القرآن، فتشهّدا ثُمَّ مكثا عنده إلى أن حلَّ الليل فخرجا». (*)

=

في مجمع الزوائد ٤٨/٧ فيه ضعفه أحمد وبقية رجاله ثقات وأورده ابن كثير في التفسير ٩٥٠/٢ وقال هذا إسناد لا بأس به.

(*) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٩/١٠.

وفي ظلال القرآن ٢١٩٠/٤ «لقد جاء القرآن لينشئ أمةً وينظّم مجتمعاً، ثم ليقيم نظاماً وينشئ عالماً، ولذا جاء بدعوة عالمية إنسانية، ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والجماعات، للأمم والشعوب، والثقة بالمعاملات والعهود» اهـ.

وقال الشعراوي رحمه الله تعالى في خواطره ٨١٧١/١٣ «إنّ الآية انتظمت مجموعة من الأوامر والنواهي التي تتضمن سلامة المجتمع بما جمعته من مكارم الأخلاق» اهـ

قلت: وكون الآية سبباً لاستقرار الإيمان في قلب عثمان، دليل على أن الإسلام عندما يعرض بما حواه من عدل ومساواة، وتكامل اجتماعي. يكون سبباً أساساً في دخول الناس في هذا الدين. لما فيه من الفطرة في عقيدته والسهولة في أحكامه وتشريعاته، وهذا مشاهد في كل زمان ومكان بأن الدعوة إلى الإسلام بمثل إبراز هذه المبادئ تكون ناجحة أكثر من الدعوة في ظلال القوة.

(١) هو صهيب بن سنان، أبو يحيى الرومي، من كبار السابقين البدريين مات بالمدينة المنورة في شوال سنة ٣٨ هـ وكان ممن اعتزل الفتنة، السير ٦٧/٢ الطبقات الكبرى ٢٢٦/٣ أسد الغابة ٣٦/٣.

(٢) هو عمار بن ياسر من بني مَذْحِج، أحد السابقين الأولين والأعيان البدريين، أمه سميّة مولاة بني مخزوم، أول شهيدة في الإسلام، قتل مع علي رضي الله عنهما يوم صفين سنة ٣٧ هـ، السير ١/ ٤٠٦، والطبقات الكبرى ١٧٦/٣، أسد الغابة ١٢٦/٤، والحلية ١٣٩/١.

(*) ومن السابقين الأولين إلى الإسلام كما في سيرة ابن هشام ٢٤٥/١ إلى ٢٦٢، «أبو ذر الغفاري، وأخوه أنيس، وبلال بن رباح الحبشي، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وعامر بن فهيرة، وخالد بن سعيد بن العاص، وعلي بن أبي طالب» في السيرة النبوية عبر وعظات ١٢٥/١ «كان رصيد الدعوة بعد ثلاث سنوات أربعين رجلاً وامرأة عامتُهم من الفقراء، والمستضعفين، والموالي، والأرقاء» اهـ.

في فقه السيرة للبوطي ص ٧٠، «إن هذه الظاهرة هي الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء في فترتها

=

المبحث الثالث:

فيمن آذاه من أقربائه وجيرانه ﷺ

كان أبو طالب(١) عم النبي ﷺ السند الخارجي الذي كان يدفع عن النبي ﷺ الكثير من الأذى، وكانت خديجة رضي الله عنها السند الداخلي الذي يخفف عن النبي

=

الأولى. والسرُّ في ذلك، أن حقيقة هذا الدين الذي بعث الله به عامة أنبيائه ورسله، إنما هي الخروج عن سلطان الناس إلى سلطان الله وحده، وهي حقيقة أول ما تخدش ألوهية المتألهين وحاكمية المتحكمين وسطوة المتزعمين، وتناسب أول ماتناسب حالة المستضعفين المستذلين والمستعبدين، فيكون ردّ الفعل أمام الدعوة إلى الإسلام لله وحده هو المكابرة والعناد من أولئك المتألهين والمتحكمين، والإذعان والاستجابة من هؤلاء المستضعفين. ولا يعني هذا أنّ المستضعفين الذين أسرعوا قبل غيرهم إلى الإسلام لم يكن دخولهم فيه عن إيمان. وتصديق للنبي ﷺ بل كل ذلك كائن - أي عن إيمان وتصديق - ذلك لأنّ الإيمان بالله، والتصديق بما جاء به محمد ﷺ كان قدراً مشتركاً بين زعماء قريش ومستضعفيها، فما منهم من أحد إلا وهو يعلم صدق النبي ﷺ كيف لا؟ وهو كان في نظرهم الصادق الأمين وإنما منعتهم زعامتَهم عن الانقياد والاتباع لمحمد ﷺ. أما المستضعفون والفقراء فليس هناك شي من ذلك يصدهم عن الاتباع لمحمد ﷺ» اهـ باختصار.

في السيرة النبوية عبر وعظات ١٢٥/١ «إن الذي أسلموا في هذه المرحلة من الدعوة لم يكن إسلامهم دافع دنيوي، وإنما هو الإيمان بالحق والتصديق لمحمد ﷺ الذي شرح الله صدورهم له، ولذلك تساوى في هذه المرحلة في الإيمان والتصديق أبو بكر وبلال وعثمان، وصهيب، وعبدالرحمن بن عوف، وعمّار» وغيرهم اهـ باختصار.

وكانت الدعوة في معظم هذه المرحلة والتي بعدها قائمة على الحوار بالتوجه إلى العقل.

ولذا علّمنا النبي ﷺ من خلال دعوته أنّ للإنسان عقل يُدرك، وقلبٌ يؤمن، وأنّ العقل غذاؤُه الحوار الهادئ بالعلم، اليقيني ولذا كان النبي ﷺ يخاطب العقل بالحوار قبل خطابه بالنقل - كما في قصة الحصين - كون العقل بمبدأ السببية وعدم التناقض في الكون، يتفق مع سنن الكون الثابتة، ودعوة القرآن إلى إعمال العقل في خلق السماوات والأرض كأداة إلى معرفة الله تعالى، وكمناط لتحمل المسؤولية يؤكد هذا التوافق. ومن جهة أخرى فإنّ الفطرة الإنسانية تتفق اتفاقاً تاماً مع الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وطاعة الله تعالى، واللجوء إليه، والسعادة بقربه. قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ﴾ ٣٠ سورة الروم، «ولذا يمكن القول بأنّ كل دعوة لايتقاطع في دائرتها النقل الصحيح، مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة، مع الواقع الموضوعي، هي دعوة غير مقبولة، ولا يمكن أن تحقق نجاحاً.

(١) أبو طالب بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، وعبدالله والد الرسول ﷺ وأبو طالب أخوان لأم وأب، أمهما فاطمة بنت عمرو، وهو الذي كان يذب الأذى عن رسول الله ﷺ. السيرة النبوية، ١٧٩/١.

ﷺ ما كان يلاقيه من أعباء الدعوة ومن تكذيب قومه له، وبموتهما نالت قريش من النبي ﷺ ما لم تستطع نيله في حياة أبي طالب. وابتدأت مرحلة عصيبة في حياته ﷺ واجه فيها الكثير من المصاعب والأثقال التي تنوء عن حملها الجبال، ومع هذا كله فقد مضى ﷺ في دعوته مستعيناً بربه(١).

ونضرب صفحاً عما لاقاه النبي ﷺ خارج بيته من أذى قريش، نقتصر على ذكر ما يتناسب من عنوان المبحث. ففي أنساب الأشراف بالسند المرفوع إلى النبي ﷺ قال: "كنتُ بين شرِّ جارين، بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث(٢) فيطرحانها على بابي"(٣) اهـ.

وفي السيرة الحلبية «لما نزلت سورة المسد، قال: أبو لهب: إن كان ما يقول محمد ﷺ حقاً افتديتُ منه بمالي، وولدي، فنزل ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾»(٤)..(٥).

وفي الجامع لأحكام القرآن «أنَّ أبا لهب أتى النبي ﷺ، فقال: ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد؟ فقال: (كما يعطى المسلمون) قال: ما لي عليهم فضل؟! قال: وأيَّ شيء تبغي؟ قال: تباً لهذا الدين، أن أكون أنا وهؤلاء سواء. فأنزل الله السورة» اهـ(٦).

وفي سيرة ابن هشام: "وكان النفر الذي يؤذون رسول الله ﷺ في بيته: أبا لهب، والحكم بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصْداء الهذلي، فكان أحدهم يطرح عليه ﷺ وهو يُصلي، وكان أحدهم يطرحها في بُرمته(٧) إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حِجْراً يَستترُ به منهم إذا صلى، فكان ﷺ إذا طرحوا عليه الأذى، يخرج به ﷺ على العود، فيقف على بابه، ثم يقول يا بني

---

(١) انظر السيرة النبوية دروس وعبر ١/٣٦٨ باختصار.

(٢) في اللسان "الفرث: السّرجينُ ما دام في الكرش، والجمع فروث اهـ مادة فرث".

(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٤، والسيرة الشامية ٢/٤٦٣، والسيرة الحلبية ١/٥٠٨.

(٤) الآية ٢ من سورة المسد.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٦٤٨، والسيرة الحلبية ١/٤٥٨، والسيرة الشامية ٢ /٤٦٤، وتفسير أبي السعود ٩/٢١٠، والدر المنثور ٦/٤٠٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٦٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠ /١٦٠.

(٧) في النهاية " البُرمة: هي القدرُ مطلقاً، وجمعها: برام، وهي في الأصل: المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن " اهـ مادة برم.

عبد مناف، أي جوار هذا! ثم يلقيه في الطريق" اهـ[١] [*].

(١) سيرة ابن هشام ٤١٥/١ و٤١٦، ودلائل النبوة للبيهقي ٣١٦/٢، وما بعدها والسيرة الحلبية ٤٦٤/١ وما بعدها.

(*) قلت: ومن أراد الاستزادة في هذا الباب فليراجع سيرة ابن هشام ٤١٥/١ وما بعدها، والسيرة الحلبية ٤٦٣/١ وما بعدها، والسيرة الشامية ٤٦٠/٢ وما بعدها تجد ما فيه كفاية من الأخبار في ذلك.

في فقه السيرة لمنير الغضبان ص ١٨٥ «وظاهرة أبي لهب وبنيه وامرأته ظاهرة تستحق الدراسة والعناية، لأنها تتكرر في التاريخ الإسلامي، فقد يجد الدعاة من أقرب حلفائهم من يقلب لهم ظهر المِجَن، ويبالغ في إيذاء الدعاة وحربهم أكثر بكثير من خصومهم الألداء والأشرار» اهـ.

وفي التربية القيادية لمنير الغضبان ٣٧١/١ «كان الرسول ﷺ يواجه ذلك كله بصبر وعتاب لطيف، كما كانت تعليماته ﷺ للصحابة ألا يواجهوا العدو، وأن يضبطوا أعصابَهُم، فلا يُشعلوا فتيل المعركة، أو يكونوا وقودها، وإن أعظم تربيته في هذه المرحلة هي صبر أبطال الأرض على هذا الأذى دون مقاومة.

فتحملوا ومعهم رسول الله ﷺ كل الأذى والظلم. وأثبتوا حسن طاعتهم لله ورسوله، وبعداً عن التصرفات الطائشة، فلم يكن أسهل من اغتيال أبي جهل، وإشعال معركة غير مدروسة ومتكافئة لايعلم إلا الله مداها.

وفي ظل هذا الصبر والتحمل استطاعت الدعوة أن تحقق الانتصار تلو الانتصار، في الحبشة، وفي نجران ووفدهم. وفي دوس وغفار» اهـ باختصار وتصرف.

قلت: ألا ليت المتهورين من المسلمين في هذا الزمن قرؤوا العهد المكي في حياة النبي ﷺ، إذاً لوفروا على الأمة انقسامات فتتت الأمة وأوهنتها، فالحركة الإسلامية؟ أصبحت حركات وجبهات متعددة ومختلفة، والكل يدعي الحرص على الإسلام والمسلمين، والحقيقة المؤلمة والتي لا يعترف بها هؤلاء الحركيون، هي أن انقسامهم وتعدد جبهاتهم ما كان إلا غضباً لأنفسهم ولفقدانهم مناهجهم.؟!

قال الدكتور البوطي في فقه السيرة ص ٧٧: «قد يتساءل المرء فيقول: لم هذا العذاب الذي لقيه النبي ﷺ وأصحابه وهم على الحق، ولماذا لم يعصمهم الله عز وجل من الأذى وهم جنوده وفيهم رسوله ويجاهدون في سبيله؟

فالجواب: أن وجود الأذى الذي لاقاه النبي ﷺ وأصحابه تقتضيه حكم ثلاث:

١ - صفة العبودية الملازمة للإنسان، لله تعالى، وصَدقَ الله عز وجل إذ يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ (٥٦) سورة الذاريات.

٢ - صفة التكليف المتفرعة عن صفة العبودية، فما من رجل أو امرأة بلغ أحدهما سن الرشد، إلا وهو مكلف من قبل الله عز وجل بتحقيق شريعته في نفسه ومجتمعه، على أن يتحمل في =

المبحث الرابع:

متفرقات حتى هجرته ﷺ إلى المدينة

من حكمة الله تعالى أن يفقد رسول ﷺ ناصريه عمه أبا طالب وزوجه السيدة خديجة رضي الله عنها حتى تتجلى حقيقتان:

١ - أن الحماية الحقيقة والعناية والنصر، إنما تأتي من عند الله عز وجل، ولقد تعهد الله عز وجل أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء فسواء كان ثَمَّةَ من يحميه من الناس أو لم يكُنْ، فهو معصوم من الناس وستبلُغُ دعوتُه منتهاها من النصر والتوفيق..

٢ - ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو اضطهاد، وإنما المعنى المقصود من قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] أي العصمة من القتل، أو ما من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية..[2] اهـ.[*]

=

سبيل ذلك الأذى والشدة حتى يتحقق معنى التكليف.

٣ - إظهار صدق الصادق وكذب الكاذب، فلو تُرِكَ النّاس لمجرد الدعوى على الألسنة، لاستوى في ذلك الصادق والكاذب. ولكن الفتة والابتلاء، هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب. وصدق الله تعالى حيث يقول ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ الآية ١ - ٣ العنكبوت وإذا كانت هذه هي سنة الله في عباده فلن تجد لسنّة الله تبديلا حتى مع أنبيائه. من أجل ذلك أوذي رسول الله ﷺ وأصحابه حتى مات من مات منهم تحت العذاب، رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله عز وجل» اهـ.

ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في خواطره ١١٠٦١/١٨ «الحقُّ سبحانه وتعالى يريد أن يحمل أولو العزم من الرسل رسالة الإسلام، لأنّ الإسلام لا يتصدى لحمله إلا الأقوياء الذين يقدرون على حمل مشاق الدعوة وأمانة تبليغها والإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو مسؤولية كبرى، هذه المسؤولية هي التي منعت كفار مكة أي يؤمنوا، إنما هو منهج حياة له متطلبات. ولأن القول قد يكون صدقاً أو كذباً، فلا بُدّ من الاختبار وتمحيص الإيمان فإن صبر على البلاء فهو صادق الإيمان. فما جعل الابتلاء إلا لمعرفة النتائج وتمييز الأصيل للمهمة التي ندب إليها:» اهـ باختصار.

(١) آية: ٦٧ - المائدة.

(٢) انظر فقه السيرة للبوطي ص ٦٨.

(*) ولذلك قال الله تعالى له ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ ﴾ الآية ٩٤ الحجر ثم بقوله له: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ ﴾ الآية ٩٧ الحجر. فلو أنه ﷺ نجح في دعوته دون

=

المطلب الأول:

في استماع بعض زعماء قريش إلى قراءة النبي ﷺ وهو في بيته

في السيرة النبيوية «.. أنّ أبا سفيان بن حرب[1]، وأبا جهل[2] بن هشام،

=

مشقة أو جهد لطمع الصحابة والمسلمون من بعده أن يستريحوا كما استراح النبي ﷺ ولاستثقلوا المصائب والمحن التي يجدونها في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وأما تسميته ﷺ ذلك العام بعام الحزن ليس لمجرد فقده بعض أقاربه فاستوحش لفقدهم، بل سبب ذلك ما أعقب وفاتهما من انغلاق معظم أبواب الدعوة في وجهه واشتداد عليه الأذى. فأينما توجه وجد صداً وعدواناً ووجد السبيل مغلقةً في وجهه. وقصة هجرته إلى الطائف خير دليل على ذلك.
وقد كان حزنه أيضاً على تعنت الناس على كفرهم وعدم الإيمان حتى كان ﷺ يتحسّر عما يلقاهُ من التعنت وعدم الإيمان من الكفار حتى أنزل الله تعالى عليه ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣٣) سورة الأنعام.
وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ فاطر آية ٨، اهـ باختصار انظر فقه السيرة للبوطي ص ٩٩.
قلت: وكانت نتيجة صبره ﷺ وتحمله المشاق في سبيل الدعوة ما أكرمه الله تعالى به عز وجل برحلة الإسراء والمعراج حتى وصل إلى ما لم تطأه قدم بشر ولا جن ولا حتى ملائكة.
والهدف من رحلة الإسراء والمعراج أمور:
أهمها: أن الله عز وجل أراد أن يتيح لرسول الله ﷺ فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلبه ثقة فيه، واستناداً إليه وحتى يزداد قوة في صد سلطان الكفر وأهله، كما حدث لموسى عليه السلام بعد ما أراه ربه ما أراه من المعجزات عند طور سيناء - قال له بعد ذلك ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية ٢٣ طه. اهـ السيرة النبوية عبر وعظات ٣٨٦/١.
ثم إن فيها أن النبي ﷺ إمام القبلتين، والمشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلى الأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانا بعموم رسالته، وخلود إمامته، وإنسانية تعاليمه وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان. اهـ من كتاب الأساس في السنة ٢٩٢/١.

(١) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم يوم فتح مكة، ومات بالمدينة سنة إحدى وثلاثين.
السيرة ١٠٥/٢٠ والاستيعاب: ٧١٤/٢.

(٢) هو عمر بن هشام المخزومي، كان من ألد أعداء رسول الله ﷺ حتى لقب بأبي جهل قتل يوم بدر كافراً. السيرة: ٣١٣/١.

والأخنس بن شريف بن عمرو بن وهب الثقفي[(١)]، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا قراءة النبي ﷺ وهو يُصلِّي من الليل في بيته، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقُوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض لا تعودوا فلو رآكُم بعضُ سفهائكُم لأوقعتُم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، قال بعضهم لبعض مثلَ ما قالوا أول مرّة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كُلُّ رجلٍ منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريف أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها وأعرف ما يُراد بها، وسمعتُ أشياء ما عرفتُ معناها، ولا ما يُراد بها فقال الأخنس وأنا والذي حلفت به كذلك. قال: ثمَّ خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعتُ تنازعنا نحنُ وبنو عبد مناف الشَّرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، كُنّا كفرسي رهان وقالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمن يُدرك هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقُه. قال فقام عنه الأخنس وتركه»[(٢)].

وهذه هي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[(٣)(٤)(*)].

---

(١) هو الأخنس بن شريف بن عمرو حليف بني زهرة، كان يؤذي رسول الله ﷺ، وير عليه. السيرة: ٣٦٠/١.

(٢) ابن هشام ٣١٥/١ - ٣١٦، والسيرة الشامية ٣٥٢/٢، ودلائل النبوة ٢٠٦/٢، والبداية والنهاية ٣/ ٦٤، وتفسير ابن كثير ٧٤/٣.

(٣) الإسراء الآية ٤٧.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٧٤/٣، ٣٦٠١/٦ ". إذن هي مسألة غيرة على مناصب وسلطة زمنية، ولذلك يرد الله عليهم ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ ﴾ ٣٢ - الزخرف.

(*) وهكذا أخذت قريش تدرس دين محمد ﷺ خفية، وتتعرف على مبادئه وأحكامه، وتستمع إليه من =

لقد ظن المشركون النبوّة أمراً ينال بالعز والجاه، أو الثراء والغنى، أو الحسب

=

وراء حجاب وهو يتلو القرآن، فيروعها ماينطوى عليه هذا القرآن من عجيب النظم وسعة الإحاطة، ودقة المعنى، وحلاوة الأسلوب، ويروق لها ما ينطوي عليه هذا الدين من مبادئ العدل والإحسان والخير والرحمة، ولكن كيف يؤمنون بهذا الدين الذي يقضي على سيادتهم وسلطانهم، ويجعلهم تبعاً لمحمد بن عبدالله - ﷺ - وليس هو أكثرهم مالاً، ولا أعلاهم بيتاً؟ أم كيف يؤمنون ويدعون هذا الشرف لبني عبد مناف، يتطاولون به وحدهم على الناس قاطبة اهـ باختصار عن كتاب حياة الرسول ص ١٧٤.

قال سيد قطب رحمه الله تعالى في الظلال ٢٢٣٢/٤:

«فهكذا كان القوم تتأثر قلوبهم بالقرآن، وتتأثر فطرتهم فيصدّنها، وتجاذبهم إليه قلوبهم فيمانعونها، فجعل الله بينهم وبين الرسول ﷺ حجاباً خفيفاً لا يظهر للعيون وكفن تحسّه القلوب، فإذا هم لاينتفعون به، ولا يهتدون بالقرآن الذي يتلوه».

وقال الشعراوي في تفسيره: ٣٦٠١/٦٥ «ولكن إذن هي مسألةُ غَيرةٍ غاضبة على مناصب وسلطة زمنية ولذلك يُردُّ الله عليهم ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ آية (٣٢) الزخرف، وهكذا كانوا يتناجون بما أصابهم في قلوبهم من القرآن، ثم بعد ذلك يتآمرون على عدم الاستماع إليه وثم يغلبهم التأثر به فيعودون، ثم يتناهون من جديد، حتى ليتعاهدون على عدم العودة ليحْجَروا أنفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذي يخلب القلوب والألباب! ذلك أن عقيدة التوحيد التي يدور عليها القرآن كانت تهددهم في مكانتهم واجتيازاتهمْ وفي كبريائهم فينفرون منها ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ سورة الإسراء ٤٦. نفراً من كلمة التوحيد، التي تهدد وضعهم الاجتماعي، القائم على أوهام الوثنية، وتقاليد الجاهلية، وإلا فقد كان كبراء قريش أذكى من أن يخفى عليهم ما في عقائدهم من تهافت، وما في الإسلام من تماسك، وأعرف بالقول من أن يغيب عنهم ما في القرآن من سمو وارتفاع، وهم الذين لم يكونوا يملكون أنفسهم من الاستماع إليه والتأثر به على شدة ما يمانعون قلوبهم ويدافعونها. ثم يعتذرُون مكابرة وعناداً ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ الإسراء ٤٧ وهذه الكلمة تحمل في ذاتها دليل تأثرهم بالقرآن فهم يحسون فيه - أي القرآن - شيئاً غير بشري. ولذا ينسبون قارئه إلى السحر. ولو أنصفوا لقالوا: إنه من عند الله» اهـ باختصار وتصرف.

قال الشعراوي رحمه الله تعالى في خواطره ٨٥٧٩/١٤ «وما دام الحق سبحانه يعلم كل الأحوال، ولا يخفى عليه شيء، فهو أعلم بأحوالهم:

الأولى: يستمعون إليك والثاني: وإذ هم نجوى والثالث: «إذا يقول الظالمون» اهـ.

انظر السيرة النبوية عبر وعظات ٣٨٦/١ - ٤١٢ - ٤٣٤ باختصار وتصرف.

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى في فقه السيرة ص ١٥٠ " وقد قيض الله للإسلام من استنقذه من البيئة التي صادرتْهُ فأنس بعد وحشة، واستوطن بعد غربة. وبدأ هذا التحول على أيدي الوفود القادمة من يثرب إلى موسم الحج " اهـ باختصار.

والنسب، وغفلُوا عن أمر عظيم وخطير، وهو أن حصول النبوةِ لا بُدَّ فيه من قلب سليم، مستعد لتلك الإشراقات الإلهية، ونفوسُ البشر مختلفة بجواهرها وماهيّتها، فمنها نفوس خيّرة طاهرة، صافية نيّرة، وبعضها نفوس خبيثة كدرة، فكيف تنال تلك النفوس المظلمة، أنوار الهداية والرسالة، وشتان شتان ما بين النور والظلام؟ ولذلك ردّ الله تعالى على تمني أبي جهل، بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1][2].

قلت: وهكذا أمضى النبي ﷺ العهد المكي يدعو إلى الله تعالى متحملاً المشاق والأذى والمقاطعة حتى من أقرب الناس إليه أبي لهب ثم زاد الأمر عليه ثقلاً بوفاة عمه أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، وما حصل معه في هجرة الطائف.

وبعد هذه المرحلة التي لاقى فيها رسول الله ﷺ المشقة بالإقامة، أكرمه الله تعالى برحلة الإسراء والمعراج، ثم أخذ بعد ذلك كله يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج طالباً منهم النصرة ليُبلغ رسالة ربه.

حتى قيّض الله الخير لأهل يثرب فبايعوا البيعتين. ولما تأكد النبي ﷺ أن الاستعداد قد بلغ كماله لدى الأنصار، وذلك بطلبهم هجرة الرسول الكريم ﷺ إليهم، كما أكد ذلك المناقشات التي حصلت في بيعة العقبة الثانية... حتى رغبوا في الميل على أهل منى ممن آذى رسول الله ﷺ بأسيافهم، ولو أذن لهم الرسول ﷺ بذلك لكان؟ ولكنه قال لهم: لم نؤمر بذلك. وهكذا تم الإعداد لأهل يثرب، ليكونوا قادرين على استقبال المهاجرين وما يترتب على ذلك من تبعات.

المطلب الثاني:
في آخر أيامه في مكة ثم هِجرته ﷺ

بعد أن مُنيتْ قريش بالفشل في كُل ما وضعته من عوائق في طريق الدعوة الإسلامية، ورأت أنه أصبح للنبي ﷺ ملجأً آمناً يلجأ إليه، وخافوا على مصالحهم

---

(١) سورة الأنعام – آية: ١٢٤.

(٢) عن كتاب قبسات من نور القرآن الكريم ١٦٤/٢ وانظر سبب نزول الآية في البحر المحيط ٤/ ٢١٧.

الاقتصادية، وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب، اجتمعت قيادتها في دار الندوة للتشاور في أمر التخلص من النبي ﷺ[١].

جاء في السيرة النبوية: «فأتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ، وقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على باب النبي ﷺ يرصدونه حتى ينام، فيثبون عليه. فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب[٢] رضي الله عنه نَمْ على فراشي وتسج ببردي[٣] هذا فنم فيه فإنهم لن يخلصوا إليك بشيء تكرهه منهم، فقال أبو جهل وهم على باب النبي ﷺ، إنّ محمداً يزعم إنكُم إن بايعتموه على أمره، كنتُم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكُم، فجعلت لكُم جنات كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبْحٌ، ثم بعثتُم، من بعد موتكُم، ثم جعلت لكُم نار تحرقون فيها. قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ وبيده حفنة من تراب، ثم قال: أنا أقولُ ذلك وأنت أحدهُمْ. وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل يَنْثر التراب على رؤوسهم وهو يتلوا هؤلاء الآيات من يس إلى قوله: ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[٤] حتى فرغ رسول الله ﷺ من الآيات، ولم يبق منهم رجلٌ إلا وضع على رأسه تراب، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمد، قال: خيبكُم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكُم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببردة رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا محمداً نائماً، عليه بُردُهُ فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ رضي الله

(١) السيرة النبوية دروس وعبر ١/٤٦١ باختصار.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ أبو الحسن زوج الزهراء، أول الناس إسلاماً وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ قتله عبدالرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ أسد الغابة ٤/٧٦ والحلية ١/٦١.

(٣) قال في النهاية: البرد نوع من الثياب معروف، والبردة: الشملة المخططة. ا هـ مادة بردى.

(٤) سورة يس - الآية: ٩.

عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد صدقنا الذي حدثنا»[(١)].. «والمانع لهم من اقتحام الدار مع قصر الجدار وقد جاؤوا لقتله، أنهم همّوا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض: إنها لسُبَّةٌ في العرب أن يُتحدَّث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا»[(*)].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤٨٢/١ وما بعدها، والسيرة الحلبية ١٩٢/٢ وما بعدها، والسيرة الشامية ٢٣٢/٣، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٦٨/٣ وما بعدها.

(*) وانظر أيضاً السيرة الشامية ٢٣٤/٣، سيرة ابن هشام ٤٨٤/١. والسيرة الحلبية: ١٩٤/٢.
ففي فقه السيرة للبوطي ص ١٣٨ «إن استعمال الرسول ﷺ كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا المواطن، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتَدَّ بها واستعملها، فترك علياً ينام على فراشه ويتغطّى ببرده، واستعان بأحد المشركين بعد أن أمَنه ليدله على الطريق التي قد لا تخطرُ في بال الأعداء، وأقام في الغار مستخفياً ثلاثة أيام، إلى آخر ما عبأه من الاحتياطات المادية التي قد يفكر فيها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافي في استعمال الأساليب المادية التي أراد الله عز وجل بعظيم حكمته أن يجعلها أسباباً - وليس قيامه ﷺ بكل ذلك خوفاً على نفسه، أو شكًّا في إمكانية وقوعه في أيدي المشركين قبل وصوله إلى المدينة. وإنما فعله ذلك كان وظيفة تشريعية قام بها ليقتدي به المسلمون في أخذهم بالحيطة والحذر والأسباب. ومن أبرز الأدلة على ذلك - خروجه من بيته ووضعه التراب على رؤوسهم وهو ثابت القلب - كما مر معنا سابقاً. وقوله لأبي بكر رضي الله عنه. ما ظنك باثنين الله ثالثهما، ولحوق سراقة بهم واقترابه منهم. ومع ذلك بقي النبي ﷺ ثابت الجنان مطمئن النفس مستغرقاً في قراءته ومناجاته لربِّه لأنه يعلم أن الله تعالى الذي أمره بالهجرة سيعصمه من الناس. وفي تخلف علي رضي الله عنه ليردّ الودائع التي كانت لقريش عند رسول الله ﷺ. يدل على التناقض العجيب الذي كان المشركون واقعين فيه. ففي الوقت الذي كانوا يرونه ساحراً. لم يكونوا يجدون من حولهم من هو خيرٌ منه أمانةً وصدقاً، فكانوا لا يضعون حوائجهم وأموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرهم لم يكن بسبب الشك في صدق النبي ﷺ، وإنما هو بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم من اتباعه» اهـ باختصار.
قلت: والقرآن الكريم أشار إلى هذه الناحية حينما قال: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآية ٣٣ الأنعام.
قال الشعراوي رحمه الله تعالى في خواطره ٣٥٩٩/٦ «أي إنك يا محمد لا بدّ أن تعلم أن أحوالهم هذه ليست متعلقة بك لأنك بإجماع الآراء عندهم أنت الصادق الأمين، بدليل أن الواحد منهم كان لا يأمن أحداً على شيء من أمواله ونفائسه إلا رسول الله ﷺ. والإنسان لا يغش نفسه فيما يخصهُ. ويُريد الحق سبحانه أن يرفع ويدفع هذا الحزن عن رسول الله ﷺ فيبلغه أنهم لا يكذبونك، فأنت تعرف منزلتك عندهم منزلة الصادق الأمين» اهـ باختصار.
=

=

وفي السيرة الشامية ٣/ ٢٣٤، والروض الأنف ١/٢٩٢.

«وفي قراءته ﷺ الآيات من سورة يس من الفقة التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء بالنبي ﷺ» اهـ قلت: ولنراجع في نصه هجرته ﷺ السيرة الحلبية ٢/٢١٥ وما بعدها، والسيرة الشامية ٣/ ٢٣٨ ففيهما تفصيل مفيد عن هجرته ﷺ وما فيها.

ونظرة في حالة أبي بكر رضي الله عنه، والذي وصفت عائشة حاله بقولها: لما رأت والدها يبكي من شدة فرحه بصحبة الرسول ﷺ "والله ما شعرتُ قط قبل ذلك اليوم: أن أحد بكى من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يؤمئذ.

نعم إنها قمة الفرح البشري أن يتحوّل الفرح إلى بكاء، فالصديق رضي الله عنه يعلم: أن معنى الصحبة أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين، بضعة عشر يوماً على الأقل، وهو الذي يقدم حياته لسيده، وقائده وحبيبه المصطفى ﷺ، فأيُّ فوز في هذا الوجود يفوقُ الفوز: أن يتفرّد الصديق وحده دون أهل الأرض، ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق ﷺ وصحبته كل هذه المدة. اهـ.

انظر كتاب التربية القيادية ٢/١١١ - ١٩٢.

وقال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى في فقه السيرة ص ٧١ «وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر، وهو في الغار من أن يراهما المشركون، ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جنديُّ الدعوة الصادق مع قائده الأمين حين يحدق الخطر من خوفٍ، وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعتئذٍ بالذي يخشى على نفسه الموت. ولكنه كان يخشى على حياة الرسول ﷺ، وعلى مستقبل الإسلام» اهـ.

وفي كتاب الهجرة النبوية ص ٢٠٤ «ويظهر الحس الأمنيُّ الرفيع للصديق رضي الله عنه فرح هجرته مع النبي ﷺ في مواقف كثيرة منها:

حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هو هادٍ يهديني السبيل، فظن السائل أن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعاريض فراراً من الكذب، وفي إجابته للسائل توريةٌ، وتنفيذٌ للتربية الأمنية، التي تلقاها من رسول الله ﷺ وقد أقره الرسول ﷺ على ذلك» اهـ.

وفي كتاب الهجرة النبوية لأبي فارس ص ٥٤. «وهذا الحب الرباني من أبي بكر رضي الله عنه كان نابعاً من القلب وبإخلاص، لم يكن حبَّ نقاق، أو نابعاً من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة، أو رهبة لمكروه قد يقع» اهـ.

وأما موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو مثال للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة الدعوة، وفي هلاكه خذلانها. إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف قريش على رأس علي رضي الله عنه، لكنه لم يبال بذلك، فحسبُهُ أن يسلم رسول الله ﷺ، نبي الأمة، وقائدُ الدعوة. السيرة النبوية للسباعي ص ٦٨.

الباب الثاني
في صفة بيوته، وعيشه، وعبادته ﷺ

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في صفة بيوت النبي ﷺ وأثاثها

الفصل الثاني: في صفة عيشه ﷺ في بيوتِه

الفصل الثالث: في طهوره ووضوئه وغسله ﷺ

الفصل الرابع: في عبادته ﷺ في بيتِه

الفصل الأول:
في صفة بيوت النبي ﷺ وأثاثها

لقد وصف الله تعالى نبيّه وحبيبه محمد ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[1]. وإذا كانت جوانب وصفات العظمة فيه ﷺ لاتتناهى، فمن تلك الجوانب والصفات زهده ﷺ العظيم الذي ضرب فيه مثلاً أعلى لكُلِّ مؤمن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

لقد كانت الأكاسرة، والقياصرة من حوله ﷺ تسكُنُ القصور الفاخرة، وما إيوان كسرى[2] فارس: إلا خير شاهد على ذلك، لكن هذا الرسول الأعظم، والنبي الأكرم، والسيِّد الأجل، أبى إلا أن يُظهر عظمته في كُلِّ شيء؟ وكل ذلك بفضل الله تعالى ومنته عليه.

ولا يقولنَّ أحدٌ إنّه لم يكُن في جزيرة العرب قصور أو أبنية ضخمة، فَقَصْركعب[3] بن الأشرف، وحصن عبدالله بن أبي بن سلول[4]، وحصن حسان بن

---

(١) سورة القلم - الآية: ٤.

(٢) وهو يَزْدجرد بن شهريار بن بابرويز المجوسي الفارسي وهو آخر الأكاسرة قتل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه السير ٢/١٠٩ تاريخ الفسوي ٣/٣١٠ شذا الذهب ١/ ٣٧، في اللسان: كسرى: اسم ملك الفرس / معرب وهو بالفارسية خسْرَ أي واسع الملك فقال العرب كِسرى والجمع أكاسرة اهـ مادة كسر.

(٣) قال ابن اسحق في السيرة ١/٥١٤ كعب بن الأشرف، وهو من طيء أحدُ بني نبهان، وأمُّه من يهود بني النَّضير، وفي السيرة الشامية ٦/٢٥ كان كعب بن الأشرف يهوديًّا من بني النضير، وكان شاعراً يؤذي النبي ﷺ قتل في السنة الثانية من الهجرة قتله محمد بن مسلمة الأنصاري، وانظر أيضاً دلائل النبوية ٣/١٨٧ والطبقات الكبرى ٢/٣١ وتاريخ الطبري ٢/٤٨٧.

(٤) قال ابن إسحاق: عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فلما جاءهم رسول الله ﷺ انصرفوا عنه، فلما رأى ذلك حمل العداوة لرسول الله ﷺ ودخل في الإسلام نفاقاً مات في السنة التاسعة من الهجرة، ابن هشام ١/٥٨٤ والسيرة الشامية ٦/٢٥.

ثابت[١] خير شاهد على وجودها في المدينة، وأنّ الرسول ﷺ زهد وأعرض عن بناء مثل هذه الحصون أو القصور لنفسه، ولو أنّه ﷺ أراد ذلك، لسارع الأنصار رضي الله عنهم في بنائها له، وهم الذين قدَّموا الغالي والنّفيس في سبيل الله وسبيل رسوله ﷺ.

وفي زاد المعاد «... لما علم رسول الله ﷺ أنّه على ظهر سفرٍ وأنّ الدنيا مرحلةُ مسافرٍ ينزل فيها مدَّةَ عمره، ثم ينتقل عنها إلى الدار الآخرة، لم يكن من هديه وهدي أصحابه ومن تبعهم الاعتناء بالمساكن وتشييدها، وتعليتها وزخرفتها وتوسيعها..»[٢] اهـ.

المبحث الأول:

في مواقع بيوت النبي ﷺ

كانت حجرات الرسول ﷺ محيطة بالمسجد من الركن الجنوبي الشرقي، ومن الشرق تماماً، ومن الشمال، حتى الركن الشمالي الغربي عند باب الرحمة، حيث كانت حجرة حفصة رضي الله عنها في مكان الشباك الذي عند المواجهة الشريفة الذي يقف عنده الزائرون الآن، والى الشمال منه خوخة[٣] تفصل بين حجرتها وحجرة عائشة،

---

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي من بني النجار. «شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، عاش ٦٠ سنة في الجاهلية و٦٠ سنة في الإسلام توفي سنة ٥٤ هـ زمن معاوية رضي الله عنهما» سير أعلام النبلاء ٥١٢/٢، الاستيعاب ٣٤١/١، وأسد الغابة ٥/٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٧٧/٢، والإصابة ٢٣٧/٢.

(٢) زاد المعاد لابن القيم: ٢٣٨/٤.

«قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم ١٨٥/١٢ قال: إبراهيم بن أدهم: الزهْدُ ثلاثة أصناف:

فزهد - فرض، وزهدٌ فضل، وزهدٌ سلامة، الفضْلُ: الزهْدُ في الحلال، والزهد السلامة: الزهد في الشبهات» وكذا في الحلية: ١٨٨/٦.

قلت: نحن في زمن نرجو من الله تعالى أن يلهم فيه المؤمن الزهد فيما حرَّم الله تعالى عليه، فكم من عابد أو عالم يغتاب، أو يحسد، أو يحقد، أو ينُم، أو... إلخ مما حرّم الله تعالى علينا فعله. أما الحديث عن زهد الفضل والسلامة فأظن أن هذا النوع من الزهد أصبح نادراً في هذا الزمن ولا يكاد يوجد إلا في أخبار الصحابة رضوان الله عليهم والصالحين من صدر هذه الأمة.

(٣) في النهاية: «الخوخة: بابٌ صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين يُنصبُ عليها بابٌ» اهـ مادة خوخ.

ولكُلِّ حجرة منهما عاليها كوةٌ[١] صغيرة تتبادلان فيها الحديث... وكانت أبواب الحجرات شارعة من المسجد... وكانت الخوخة التي كانت تفصل بين حجرة حفصة وعائشة اليوم، هو في مكان الشباك أمام الزائرين اليوم، وتصل إلى المسجد من ركن حجرة عائشة رضي الله عنها، وكانت الفتحة المؤدية إلى المسجد من هذه الخوخة مدخل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ... ولا يزال يحمل اسم باب جبريل حتى الآن... وحجرة عائشة رضي الله عنها أول ما بنى النبي ﷺ من بيوته الشريفة بعد بناء مسجده، ثم بنى بعدها حجرة سودة رضي الله عنها، وتقع هذه الحجرة في الجانب الشرقي للمسجد النبوي، ويفتح بابها على الروضة الشريفة..[٢].

وفي شرح المواهب «... قال أهل السير: ضرب الحجرات ما بين بيت عائشة رضي الله عنها وبين القبلة والشرق إلى المسجد، ولم يضربها في غربيه، وكنت خارجة من المسجد مديرة به إلا من جهة المغرب، وكانت أبوابها شارعة من المسجد. وقال ابن الجوزي[٣] «كانت كُلّها في الشق الأيسر إلى وجه الإمام في وجه المنبر إلى جهة الشام...» اهـ[٤]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان بابنا قبلة المسجد...» الحديث[٥].

---

(١) في اللسان «الكوة والكوّة: الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه، وجمعها كوًى، وكواء، بالمد» اهـ. مادة كون.

(٢) انظر الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ص ٢٨ وما بعدها.

(٣) هو الإمام الحافظ المفسر، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي، يصل نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الحنبلي، البغدادي، الواعظ، صاحب التصانيف ولد سنة تسع وخمسمائة ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد» سير أعلام النبلاء ٢١ /٣٦٥، وابن الأثير في الكامل ٧١/١٢، وابن خلكان في الوفيات ١٤٠/٣، والذهبي في العبر ٢٩٧/٤، والبداية والنهاية ٢٨/١٣ ط/ ١ دار الكتب العلمية ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م بيروت. وفي ذيل تذكرة الحفاظ ٣٩٩/١.

(٤) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني ١٨٥/٢، والسيرة الشامية ٣٤٨/٢.

(٥) الحديث رواه أحمد في المسند ١٨٣/٦، والبيهقي في السنن ٢٦٥/٢، وأبو داود ٩٢٢، والترمذي في السنن ٦٠١ وقال حسن غريب، والطيالسي ١٤٦٨، والنسائي في المجتبى ١١/٣ الكبرى ٥٢٣، وأبو يعلى في مسنده ٤٤٠٦، وابن حبان في صحيحه ٢٣٥٥، والدارقطني في السنن ٢/ ٨١.

قال في الموسوعة ٢٨/٤٠ إسناده حسن، وعلي بن عاصم وإن كان ضعيفاً، لكنه قد تُوبع على هذا الحديث.

المبحث الثاني:
في وصف بيوت النبي ﷺ

في زاد المعاد: «.. كانت بيوت النبي ﷺ من أحسن منازل المسافر، تقي الحر والبرد، وتسترُ عن العيون، وتمنعُ من ولوج الدواب، ولا يُخاف سقوطها لفرْطِ ثقلها، ولا تُعشعشُ فيها الهوام لسعتها، ولا تعتور[١] عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها، وليست تحت الأرض فتُؤذي ساكنيها، ولا في غاية الارتفاع عليها، بل وسط، وتلك أعدل المساكن وأنفعها، وأقَلّها حراً وبرداً، ولا تضيقُ عن ساكنيها فينحصر، ولا تفضُل عنه بغير منفعة، ولا فائدة، فتأوي الهوام في خُلوّها، ولم يكن فيها كنفٌ[٢] تؤذي ساكنيها برائحتها، بل رائحتها من أطيب الروائح، لأنه كان يحب الطيب، وعرقُه ﷺ من أطيب الطيب، ولا ريب أنّ هذه من أعدل المساكن وأنفعها وأوفقها للبدن وحفظ صحته»[٣] اهـ.

قال ابن كثير[٤] رحمه الله تعالى في البداية والنهاية «وبُني لرسول ﷺ حول مسجده حُجَرٌ لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء، قريبة الفناء»[٥]، روى ابن سعد[٦] في الطبقات «بسنده: عبدالله بن يزيد[٧] قال: رأيتُ منازل أزواج

---

(١) في اللسان: العورة: الخلل في الثغر وغيره، وفي التنزيل: إن بيوتنا عورة "أي ليست بجريزة، قال الجوهري: العورية كل خلل من ثغر أو هرب، والمعور: الممكن البيّن الواضح: إذا بدا فيها موضع فلل". مادة عور.

(٢) في اللسان: الكنيف: "الخلاء، وكنفت الدار اتخذت لها كنيفاً، والجمع كنف، والكنيف الساتر" اهـ مادة كنف".

(٣) زاد المعاد ٢٨٧/٤.

(٤) هو الحافظ المؤرخ الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء، القرشي ثم الدمشقي، عماد الدين ولد سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ، الدرر الكامنة ٣٧٣/١، والبدر الطالع ١٥٣/١، والإعلام ١/ ٣٢٠.

(٥) هو محمد سعد بن منيع أبو عبدالله البغدادي، الحافظ العلامة الحجة صاحب الطبقات، ولد سنة ثمان وستين ومائة، وتوفي ببغداد سنة ثلاثين ومائتين. اهـ. السير ١٠/ ٦٦٤، الجرح والتعديل ٢٦٢/٧، تاريخ بغداد ٣٢١/٥، وفيات الأعيان ٤/، تذكرة الحفاظ ٤٢٥/٢.

(٦) البداية والنهاية: ٢٦٧/٣.

(٧) هو عبدالله بن يزيد الهذلي، عداؤه في التابعين قال مالك كنت أحبُ أن اقتدى به. توفي سنة ثمان وأربعين ومائة تاريخ البخاري الكبيرة ٢٢٤/٥، والصغير ٧٥/٢ –، الجرح والتعديل ١٩٩/٥، =

رسول الله ﷺ.. كانت بيوتاً من اللبن... ولها حُجَرٌ مطرو بالطين... عددتُ تسعة أبيات بحُجرها»[1] اهـ.

وروى ابن سعد أيضاً عن عطاء الخراساني[2] قال: «أدركتُ حجر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل، على أبوابها المسوح[3] من شعر أسود»[4] وعن الحسن البصري[5] رضي الله عنه قال: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي..»[6] اهـ.

وجاء في الطبقات أيضاً «.... كانت بيوت أزواج النبي ﷺ أربعة منها باللبن لها حُجر من جريد، وكانت خمسة أبيات منها من جريد مطيّنة لا حُجر لها، على أبوابها مسوح الشعر»[7] اهـ.

وعن داود[8] بن قيس قال: رأيتُ الحجرات من جريد النخل، مُغشّاة من خارج بمسوح الشعر، وأظنُّ عرض البيت ستة أو سبعة أذرع وأحزر البيت الداخل عشرة

=

والسير ٣/ ٣٧٩.

(١) الطبقات الكبرى ١٣٣/٨ والسيرة الشامية ٣٤٨/٣.

(٢) هو عطاء بن أبي سلم المحدث، الواعظ، أرسل عن أبي الدرداء، وابن عباس، وروى عن سعيد بن المسيب، مات سنة خمس وثلاثين ومائة. السير: ١٤٠/٦ والطبقات الكبرى: ٣٧٩/٧. وتاريخ الإسلام: ٢٧٩/٥.

(٣) في اللسان: المسْحُ: الكساء من الشعر، والجمع القليل منه، أقسام، وجمعه الكثير مُسُوح " اهـ مادة مسح.

(٤) الطبقات الكبرى ١٣٤/٨.

(٥) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت سيد التابعين علماً وزهداً، ولد في أول خلافة عمر بن الخطاب، وحضر الجمعة مع عثمان، وشهد يوم الدار، توفي سنة عشر ومائة هـ السير ٥٦٣/٤ وما بعدها والطبقات ٧ /١٥٦ والزهد لأحمد بن حنبل ص: ٢٥٨، تاريخ البخاري الكبير: ٣٢/٢.

(٦) الأدب المفرد للبخاري ص ١٦٠ رقم ٤٥٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٩٧/٧ وانظر السيرة الشامية ٣٤٩/٢.

(٧) الطبقات الكبرى ٣٩٧/٧.

(٨) هو داود بن قيس الفراء، وكان يقال له الدباغ يكنى أبا سليمان، مات بالمدينة المنورة في خلافة أبي جعفر، الطبقات ٤٥١/٧، وتاريخ ابن معين ١٥٣/٢، والتاريخ الكبير للبخاري ٨٢١/٣، والجرح والتعديل ١٩٢٤/٣.

أذرع، وأظن سمكه بين الثمانية والسبعة، أو نحو ذلك، وقفتُ عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب[١].

قال عبدالله بن مسعود[٢] رضي الله عنه: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو في غرفة كأنّها بيتُ حمّام..[٣].

قال في المواهب: «قوله: كأنها بيت حمّام -بتشديد الميم- أي أن فيها من الحر والكرب كما في بيت الحمّام»[٤] وهكذا كانت بيوته ﷺ بيوت من ملكه الله مفاتيح خزائن الأرض، وعرضت عليه الجبال ذهباً وفضةً، لكنه ﷺ ترفّع عن الدنيا، وزخرفها، وابتغى الدار الآخرة.. مع رضاه في هذه الدنيا بيوت تعلوها البساطة، والتواضع.. بينما كانت المدينة المنورة تشتهر بالحصون والقصور التي كان يتخذها علية القوم[٥].

ولم يكن لأبواب حجرات بيوت النبي ﷺ حلق، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا استأذنوا على رسول الله ﷺ: قرعوا بابه بالأظافر، فدل على أنه لم يكُن لأبوابه ﷺ حلق[٦].

قيل السبب في ذلك: تأدباً معه ﷺ، وقيل لأن بابه لم يكُن له حلق... والسبب الأول - أي في كونهم تأدبوا مع النبي ﷺ - أولى..[٧].

---

(١) انظر الأدب المفرد للبخاري ص ١٦٠ رقم ٤٥١ والسيرة الشامية ٣٤٩/٣ وهو في شرح المواهب ١٨٥/٢.

(٢) هو الصحابي الجليل الإمام الحبر، فقيه الأمة عبدالله بن مسعود الهذلي المكي البدري، حليف بني زهرة، من السابقين الأولين للإسلام ومن النجباء العالمين شهد بدراً وهاجر الهجرتين، توفي سنة ثلاث وثلاثين هـ قبل موت عثمان بثلاث سنين. السير ٤٦١/١ الطبقات ١٠٦/٣، الحلية ١/ ١٢٤، الاستيعاب ٢٠/٧، تاريخ بغداد ١/ ١٤٧، أسد الغابة ٣/ ٣٨٤.

(٣) انظر السيرة النبوية لأبي شهبة ٣٦/٢، وانظر صور من حياة الرسول ﷺ ص ٢٦٢ فيه كلام شبيه بهذا.

(٤) شرح المواهب: ٣٦٢/٦.

(٥) انظر السيرة النبوية لأبي شهبة ٣٦/٢، وانظر صور من حيات الرسول ﷺ ص ٢٦٢ فيه كلام شبيه بهذا.

(٦) الأدب المفرد البخاري ص ٥٠٠ رقم ١٠٨٠ والبداية والنهاية ٢٦٨/٣.

(٧) انظر السيرة الشامية ٣٤٩/٣ وجواهر البحار ٢٣٥/٢. وفيض القدير ٢٠٥/٥ وزاد فيها: ويؤخذ منه الأدب مع العالم كما حكي عن أبي عبيد قال: «ما دفعت باب عالم قط حتى يخرج وقت خروجه». اهـ.

ولما أدخلت تلك البيوت في التوسعة الأموية للمسجد النبوي، قال سعيد بن المسيب[١].

«ليتها تُركت ليرى النّاس ما رضي الله تعالى لنبيه ﷺ، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده.. وما رؤي يومًا في المدينة أكثر بكاء، إلا ما كان من بكاء في وقت وفاة رسول الله ﷺ»[٢] [*].

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام العلم القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي عنه توفي سنة أربع وتسعين هـ السير ٢١٧/٤، والطبقات ١٦١/٥، وفيات الأعيان ٣٧٥/٢، والبداية النهاية ٩٩/٩.

(٢) انظر السيرة الشامية ٣٤٩/٣، والبداية والنهاية ٢٦٧/٣، وفي شرح المواهب ١٨٥/٢ وما بعدها.

(*) قلت حبذا لو اطلع المسلمون اليوم على ما كانت عليه بيوت النبي ﷺ، فاكتفوا بالمباح من البناء دون زخرفة وتباه، ولا يظن ظان أنه يستطيع أن يفعل فعل رسول الله ﷺ.
إنما يكفي المسلم اليوم أن يقتصر على الضرورة، دون الوصول إلى حدّ الإسراف والزخرفة، والذي أقل ما يُقال فيها بالكراهة إذا كان ذلك يخلو عن التباهي والاستعلاء، أما إذا صحب ذلك تباه واستعلاء فإنه ذلك يُصبح حراماً.
ويكفي المسلم إذا أسرف وزخرف في البناء وخلا ذلك عن التباهي والاستعلاء أن يضع نفسه في موضع من لا يُحبّه الله تعالى، لأنه تعالى قال ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ آية ٣١ - الأعراف.
في سنن الترمذي ٥٦١/٤، كتاب الرقائق والورع باب ٤٠ - رقم ٢٤٨٢ قال رسول الله ﷺ «النفقة كلها في سبيل الله إلا البناء لا خير فيه» قال الترمذي غريب.
وفيه أيضاً: «يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا التراب أو قال البناء» قال الترمذي حسن صحيح.
وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله بعبده شراً حضَّر له في الطين واللبن حتى يبني» رواه الطبري في الكبير ٢ /١٨٥، والخطيب في تاريخ بغداد ١/ ٣٨٠، قال في مجمع الزوائد ٦٩/٤ صحيح خلا شيخ الطبراني لم أجد من ضعفه.
وقد ذكر ابن حجر الهيتمي الزواجر ٤٩٧/١، جملة من الأحاديث التي فيها الترهيب للزيادة في البناء وعن قدر الحاجة، ثم استدرك قائلاً: «عندي هذا من الكبائر لم أره؟ لكن ماصحَّ من الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم لا يُقال من قبل الرأي إذ لا مجال للاجتهاد فيه» اهـ.
ولعل قائلاً يقول: فما هي السنة في البناء فنقول: قال صاحب الدرر المباحة ص ٤٢ ما نصُّه: «والسنة في البناء مقدارُ الكفاية، وينوي لدفع الجرد والبرد، وإيوائِهِ، وإيواء عياله، ومن سنة البناء: أن يَبْني فيه مرحاضاً للغائط والبول وموضعاً للغُسل والوضوء، وبيتاً للضيافة» اهـ. باختصار.
ويمكن القول بزيادة: غرف للنوم للذكور والإناث، خصوصاً أن السنة في ذلك هي التفريق.
ولعل قائلاً يقول: فما الحكم فيما يفعله الناس اليوم من الأبنية الطوابق المتعددة:
=

المبحث الثالث:

في أثاث بيوته ﷺ

كان رسول الله ﷺ متقللاً من أمتعة الدنيا كُلها. وقد أعطاهُ الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض كُلها، فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها[(١)]. فأما فراشُهُ ﷺ فقد أخذ من ذلك بما تدعو إليه الضرورة، وترك ما سوى ذلك[(٢)].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من الليل من أدم محشواً ليفاً"[(٣)].

في شرح المواهب «.. وفيه أن النوم على الفراش المحشو واتخاذه لا ينافي الزهد من أدم أو غيره، حشوهُ ليف أو غيره، لأنَّ عين الأدم والليف ليست شرطاً، بل لأنها المألوفة عندهم في ذلك العهد، فيلحقُ به كلُّ مألوف مباح، نعم الأولى لمن غلب عليه الكسل وميل نفسه إلى الراحة والترفه أن لا يُبالغ في حشو الفراش، لأنه سبب ظاهر في كثرةِ النوم والغفلة والبطء عن الخيرات والمهمات» اهـ[(٤)].

وعندما أهدي للنبي ﷺ فراش محشو صوف أمر برده. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخلت عليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية[(٥)]،

=

قلت: تتبعت فتاوى الفقهاء والمعاصرين أمثال العلامة مصطفى الزرقا، والشيخ الشعرواي، رحمهما الله تعالى والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فلم أجد أحد أشار بحرمة أو كراهة حتى؟ وبالتالي: يمكن القول: بأن ضرورة العصر اقتضت هذا النمط من البناء فلا بأس به والله أعلم؟ شريطة أن تخلو هذه الشقق من النحوت والزخارف التي يتفنن الناس فيها في بيوتهم في هذا الزمن والله المستعان.

(١) انظر كتاب منتهى السول ٥٢٢/١.

(٢) انظر شرح المواهب ٣٥٦/٦.

(٣) رواه مسلم في اللباس: ٢٠٨٢، وأحمد في المسند: ٤٨/٦، وهذا لفظة، ورواه هناد في الزهد ٧٤١، وابن حميد في المنتخب ١٥٠٦ وأبو داود في السنن ٤٨/٦ وهذه لفظه، وأبو داود في السنن ٤١٤٧ والترمذي في السنن ١٧٦١، والشمائل ٣٢٢، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٥٦، وابن ماجه ٤١٥١، وأبو يعلى في مسنده ٤٩٥٨، وابن حبان ٦٣٦١.

(٤) شرح المواهب: ٣٦١/٦.

(٥) مثنية: أي مطوية، ويمكن الجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن النبي ﷺ كان مرة ينام على فراشه المحشو بالليف ومرة على عباءة تطوى له فيجلس عليها أو ينام عليها.

فانطلقت، فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: قلتُ: يا رسول الله، فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك، فذهبت، فبعثت إليّ بهذا، فقال رديه: فلم أردَّه وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: رديه يا عائشة، فوالله لو شئتُ لأجرى الله تعالى معي جبال الذهب والفضة"[1].

أي وكأن النبي ﷺ أراد أن يقول لعائشة رضي الله عنها، إن اتخاذي لهذا الفراش ليس عجزاً عن غيره، بل اختياراً لعدم الترفه وحظ النفس[2]. ولم تردّه عائشة رضي الله عنها بادئ الأمر، لأنّها لم تفهم تحتمَهُ، بل فهمت أنه أراد إن شئت، ولذلك لما صرّح بتحتُمِهِ ردتْهُ[3] اهـ.

كان ﷺ في كثير من أحيانِهِ يفترش الحصير فيجلس أو ينام عليه، وكما في حديث أن عائشة رضي الله عنها: قالت: كانت لنا حصير نبسطها بالنّهار، ونحتجرها بالليل...[4] الحديث. قلت وكونه ﷺ كان ينام على حصير حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "دخلت على النبي ﷺ:... وهو نائم على حصير..." .

ظاهره المراد حجرة بيته ﷺ فقد كان النبي ﷺ يضع الحصير فوق جدار الحجر ليستتر بها عندما يصلي[5] (*).

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة: ١/٣٤٥، وفي شعب الإيمان: ٢/١٧٣ رقم ١٤٦٨وابن سعد في الطبقات: ١/٣٦٠، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٥٧. قلت: فيه مجالد بن سعيد، قال ابن حجر في التقريب: ٢/١٥٩ ليس بالقوي، وقد تغيّر في آخر عمره وبقية رجاله ثقات.

(٢) شرح المواهب ٦/٣٦١ - ٣٦٢.

(٣) انظر كتاب منتهى السول ١/٥٢٥.

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأذان وباب صلاة الليل، ورواه أحمد في المسند: ٦/ ٢٤١، وأخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٦٤.

(٥) انظر فتح الباري: ٢/٢٥١، وكذا في إرشاد الشار ي: ٢/١٥٣، وعمدة القاري للعيني: ٥/٢٤٠.

قلت: وعليه بوب الإمام البخاري في الجامع الصحيح بقوله: باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سترة.

والمعتمد في مسألة وجودها حائط أو نهر أو ما شابه ذلك:

اشتراط عدم الاشتباه بانتقالات الإمام، فإن وقع الاشتباه في ذلك فلا يصح الاقتداء بالإمام في هذه الحالة لوجود الاشتباه انظر الهدية العلائية ص: ٧٤ - ٧٥.

(*) قلت: وهذا لا يعني أن استعمال فرش الصوف غير جائزٍ وإنما ردّه ﷺ زهداً فيما عند الناس =

وأما صفات سريره ﷺ فيبينها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لرسول الله ﷺ سريرٌ مشّبكٌ بالبَرْديّ[١]، عليه كساء أسود قد حشوناه بالبَرديّ..»[٢][*].

فدخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على النبي ﷺ وهو نائم عليه، فلما رآهما استوى جالساً، فنظرا، فإذا أثر السرير في جنب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - وبكيا -: يا رسول الله ﷺ أما يؤذيك خشونةُ ما يُرى من سريرك وفراشك، وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج؟ فقال: لا تقولا هذا، فإن فراش كسرى وقيصر في النار، وإنّ فراشي وسريري هذا عاقبتُهُ إلى الجنة. حديث عمر رضي الله عنه وفيه:. فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمال حصير.

وحديث أنس رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على سرير مَرْمَل بشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، فدخل عليه نفرٌ من أصحابه، ودخل عمر رضي الله عنه فانحرف رسول الله ﷺ انحرافة، فلم ير عمر بين جنبه وبين الشريط ثوباً، وقد أثر الشريط بجنب النبي ﷺ[٣].

وأمّا المصابيح فقد كانت بيوت رسول الله ﷺ خالية منها، بدليل قول عائشة رضي الله عنها في حديثها: «... وفيه -...: والبيوت ليس فيها يومئذٍ مصابيح»[٤]...[*]

=

والدنيا، وإلا فهو مباح لا غبار عليه.

(١) في اللسان البَردي، بالفتح "نباتُ معروف واحدتُهُ بَرْديّة" مادة برد.

(٢) رواه ابن حبّان في صحيحه ٤٧٩/٢ رقم ٧٠٤.

(*) في هذا درس عملي للأمة للاكتفاء بما يحتاجه المرء دون إسراف وزيادة. ففي صحيح مسلم، كتاب اللباس باب كراهة ما زاد عن الحاجة رقم ٢٠٨٤ «قال: فراش للرجل، وفراش. لامرأته، والثالث للضيف والرابع للشيطان» «قال العلماء: معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بالزينة، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يُضاف إلى الشيطان لأنه يرتضيه ويوسوس به ويُحسنُه. وقيل: إنه على ظاهره: أي إن الشيطان يبيت عليه، كما يحصل له المبيت بالبيت الذي لا يُذكر الله فيه وأكله من الطعام.

(٣) رواه أحمد في المسند: ١٤٠/٣ وهذا لفظه وأبو يعلى: ٢٧٨٢، وفي الدلائل: ٣٣٧/١.

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الصلاة،: ٣٨٢ - ٥١٢ باب الصلاة على الفراش، ومسلم في الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي ٥١٣.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٣٠/٤: «أرادت عائشة رضي الله عنها الاعتذار بقولها: لو كان مصابيح لقبضتُ رجلي عند إرادته ﷺ السجود» اهـ.

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣١٠/١

=

وفي رواية: فقال لها رجل يا أم المؤمنين أما كان عندكم مصابيح حينئذٍ؟ قالت: لو أنّ عندنا مصباحاً لأكلناه[1] وفيها أيضاً قالت عائشة رضي الله عنها إني لجالسة مع رسول الله ﷺ في البيت، فأهدى لنا أبو بكر رجل شاة، فإني لأقطعها في ظلمة البيت، فقال لها قائل: أما لكم سراجٌ؟ فقالت: لو كان لنا ما يسرج به لأكلناه[2].

والظاهر أن بيوته ﷺ ليس فيها مصابيح في هذه المرحلة، وهذا لا يعني وجودها بعد ذلك.

=

قلت: ذلك لأن المصابيح كانت في ذلك الزمان من الزيت، والمعنى لأكلوا الزيت لحاجتهم إلى الطعام. وبالطبع فإن اتخاذ المصابيح من الأمور المباحة شرعاً، وهي من نعم الله على عباده بل قد تكون من المندوبات إذا احتيج إليها، كتنوير المساجد والطرقات العامة، والمكتبات العامة للمطالعة، وإن من نعم الله تعالى علينا في هذا الزمان نعمة الكهرباء فلله الحمد على ما أنعم به علينا وتفضل.

وهناك بعض الأواني ذكرها أهل الشمائل في كتبهم - كشمائل الترمذي ص ١٧٨ وما بعدها، والطبقات الكبرى: ٣٥٩/١ وما بعدها، وشرح المواهب: ٣٦٣/٦ وما بعدها والسيرة الشامية: ٧/ ٣٥٤ وما بعدها، وكتاب منتهى السول: ٥٢٢/١، وما بعدها. وجواهر البحار: ٣١٣/١ - كقدحه ﷺ للوضوء، وإناء للغسل، وجفنةٍ لطعامه وأشباه ذلك.

(١) الطبقات الكبرى: ٣١٠/١.

(٢) المصدر السابق.

الفصل الثاني:
في صفة عيشه ﷺ في بيوته

لقد كان سيدنا ومولانا رسول الله محمد ﷺ، «معرضاً عن الدنيا، متقللاً منها، غير ناظرٍ إلى زهرتها، يستشعر العفاف والكفاف، مقتصراً في عيشِهِ على ما تدعو إليه الضرورة، يلبس البرد الغليظة، بينما يَقْسِمُ حلل الديباج على أصحابه، عيشه ظليف[١]، ومأكله طفيف، فراشه من أدم حشوه ليف، أو حصيرٌ تؤثر في جنبه، يبيتُ جائعاً طاوياً، ويُصبح صائماً خاوياً، ما أكل على خوانٍ[٢] قطُّ، ولا شبع من خبز شعير يومين متتالين، ما خلّف ديناراً ولا درهماً، ولم يترك إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقةً، على أنه قد جاءته الهدايا فآثر بها أهله وأصحابه، وحملت إليه الجزية والصدقات، وانهالت عليه الأموال، فما استأثر منها بدينار ولا درهم، بل أنفق كلّ ما وصل إليه في الخير، وردَّ به فاقة من مَسّهُمُ الضّرُّ، وفرقَهُ في مصالح المسلمين، وكفَّ به أذى المشركين»[٣].

ولما كان الرسول الأعظم، والنبي الأكرم، والسيد الأجل، سيدنا محمد ﷺ أعلم بني آدم بربه تعالى وما أعدّه الله تعالى لعباده الأبرار في الآخرة، وأنّ هذه الدنيا حقيرة دنيئة فانية لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، آثر اختيار الله تعالى له في صفة عيشه في هذه الدنيا بعدما خيَّره ربه سبحانه وتعالى. روت لنا ذلك عنه السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما قال لها: يا عائشة جاءني ملك فقال: يا محمد إنّ ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك إن شئت نبيّاً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، قال: فنظرتُ إلى جبريل عليه السلام - أي كأنما يستشيره - قال: فأشار إليَّ أن تواضع، قال: فقلت نبيّاً

---

(١) في اللسان: والظلف: الشدة والغلظ في العيشة وظلف العيش أي بؤسه وشدّتُهُ وحشوته من ظلف الأرض، ومكان ظليف: «أي خشنٌ فيه رمل كثير، وظلف نفسه عن الشيء: منعها هواها، ومنه، رجل ظلف النفس وظليفها» اهـ وكذا في النهاية مادة ظلف.

(٢) في النهاية: خوان بالكسر، هو: «ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. وجمعه أخاوين» اهـ مادة خون.

(٣) انظر كتاب محمد ﷺ المثل الكامل ص ٢١ وكذا في جواهر البحار: ١٣٥/٣ كلام قريبٌ جداً من هذا.

عبداً. قالت: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكُلُ متكئاً، يقول: آكُل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد[١].

وهكذا خيّره ربّه سبحانه وتعالى، فاختار ﷺ العبودية على الملك، لأنه ﷺ علم أنه ما من رتبة أحب إلى الله تعالى في خلقه، من رتبة العبودية لله تعالى. ولما اختار ﷺ ذلك رفعه الله تعالى فجعله الحبيب المقرب، والشافع المشفَّع، وصاحب لواء الحمد يوم القيامة، وأعلى مرتبته فوق مراتب الخلق كُلهم...

قلت: ومع أن النبي ﷺ قد خيره ربّه بين أن يكون نبياً ملكاً كما كان سليمان عليه السلام ومع ما يقتضيه من لوازم الملك من التنعم والرفاهية... وبين أن يكون نبيّاً عبداً يعيشُ عيش الفقراء، وهكذا كان عيشهُ ﷺ.

ومع ذلك كله لا يجوز وصفه ﷺ بالفقر[٢] «ومن تعظيم النبي ﷺ أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة، فلا يجوز أن يُقال كان فقيراً. حتى أنكر بعضهم إطلاق الزهد في حقه ﷺ... وقد قيل لمحمد بن واسع، فلان زاهد، فقال: وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها... فإذا قيل هذا في حق غير النبي ﷺ فما بالك بالنبي ﷺ... ولم يكن النبي ﷺ فقيراً من المال قط، ولا حاله كحال الفقراء، بل كان من أغنى الناس، فقد كفى أمر دنياه في نفسه وعياله»... قلت: وواقع حاله ﷺ أنه لم يكن بالفقير الذي يتبادر إلى الذهن فهمُه؟ كيف يكون فقيراً والله تعالى أعطاه من أموال الغنائم والفيء مايكفيه وأهله كما في قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٣] ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٤].

لكن قد يعترض معترض فيقول إن صفة عيشه ﷺ كانت أشبه بحياة الفقراء.

والجواب: بأن كرم النبي ﷺ وجوده المنقطع النظير جعلا عيشه أشبه بعيش الفقراء، فقد كان ﷺ يوزع خمسه على الفقراء وأهل الحاجة من أصحابه. دليل ذلك

---

(١) رواه بن سعد في الطبقات: ٣٨١/١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٩/٩. ثم ذكر الهيثمي شواهده عن ابن عمر، وابن عباس وأسانيده حسنة كما قال الهيثمي.

(٢) شرح المواهب: ١٧٥/٦.

(٣) الأنفال آية: ٤١.

(٤) الحشر آية ٧.

حديث العرباض ابن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الوبرة من فيء الله تعالى، فيقول: ما لي من هذا إلا مثل ما لأحدكم إلا الخمس، وهو مردودٌ فيكُم..[١].

المبحث الأول:

فيما يتعلق بطعامه ﷺ

من المعلوم أن تناول الطعام أصل كبير يحتاجه الإنسان، وبه قوام البدن بإجراء سنة الله في ذلك، والقالب مركب القلب، وبهما عمارة الدنيا والآخرة، والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يُستعانُ به على عمارة الدنيا، والروح على طبيعة الملائكة يستعانُ بها على عمارة الآخرة، وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدنيا والآخرة»[٢].

«وإن من مقصود ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله تعالى، إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرير الأوقات، فمن هذا الوجه قالوا: الأكل من الدين، وعليه نبّه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ ﴾»[٣] اهـ[٤].

ولما كانت روحه ﷺ وقلبُه الشريف متعلقان بالعالم العلوي، كان في طعامه وشرابه مثالاً يحتذي به الصالحون، وكان آخر همه ﷺ في هذه الدنيا أن يُدخل بطنه لقيمات يتقوى بها على أعباء الدعوة إلى الله تعالى وعلى عبادته سبحانه وتعالى، كما أمره تعالى بقوله ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾[٥].

فقد كان ﷺ يأكل مرة واحدة في اليوم، كما حدثتنا عائشة رضي الله عنها بقولها:

---

(١) رواه أحمد في المسند: ١٢٨/٤ وغيره.

(٢) شرح المواهب: ١٣٠/٦ - ١٣١.

(٣) المؤمنون آية: ٥١.

(٤) إحياء علوم الدين: ٢/٢ كتاب آداب الأكل.

(٥) سورة الحجر الآية: ٩٩.

"لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خُبزٍ وزيت في يوم واحدٍ مرتين[(١)]"....[(*)]

---

(١) الحديث رواه مسلم في الصحيح في الزهد ٢٩٧٤، وابن حبان ٦٣٥٨، وابن سعد في الطبقات: ٤٠٥/١.

(*) قلت: وظاهر الحديث أنه ﷺ كان يكتفي بأكلة واحدة في اليوم.

لكن يُعَكِّر عليه ما في صحيح البخاري كتاب الرقاق رقم ٦٤٥٥ قول عائشة رضي الله عنها: «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا كانت إحداهما تمر» الحديث.

«في الحديث إشارة إلى أن التمر كان غالب طعام النبي ﷺ وآل بيته، وفيه أيضاً إشارة إلى أنهم ربما لم يجدوا في اليوم إلا أكله واحدة، فإن وجدوا أكلتين فإن إحداهما تكون تمر» الفتح: ١١/ ٢٩٨.

وفي شرح المواهب: ١٤١/٦، قريب من هذا الكلام، وكذا في التكملة: ٢٣٢/٦، وفي شرح المواهب: ١٣٩/٦، أحمد في المسند: ٢٥٥/١، واللفظ له، ورواه الترمذي في السنن ٢٣٦٠ وقال حديث حسن صحيح، وفي الشمائل١٤٧ وابن سعد في الطبقات: ٤٠٠/١، وابن حميد ٥٩٢، وابن ماجه في سننه ٣٣٤٧، والطبراني في الكبير ١١٩٠٠.

قال في شرح المواهب: ١٤١/٦ «الليالي المتتابعة: أي المتواصلة - طاوياً خالي البطن نظراً لعدم وجدانه ما يأكله» اهـ باختصار رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق رقم ٢٩٧٨.

قلت: والذي يراجع في الطبقات الكبرى: ٢٠٦/١ وما بعدها والسيرة الشامية: ٩٢/٧، يجد الروايات الكثيرة في هذا المعنى، فأضربتُ عنها صفحاً اكتفاء بما أوردتُه من الأحاديث.

والمهم هنا: إذا كان هذا عيش رسول الله ﷺ ؟ وهو من هو، سيد الخلق، وحبيب الحق، كل الخلائق تحت لوائه يوم القيامة؟ وكلها صامتة، وهو الوحيد المتكلم الشافع المشفع، رضي عن ربّه ورضي ربه عنه؟ أفلا يكون حاله ﷺ درساً للأمة خصوصاً الفقراء منها. لا أظن اليوم مسلماً يعيش كما عاش رسول الله ﷺ؟ بل الفقراء والأغنياء اليوم أسرفوا في كل شيء، ولا تجد غنياً شاكراً، ولا فقيراً يتأسى بسيد الخلق ﷺ، علماً أن أفقر بيت من المسلمين عنده قوت أكثر من سنة هذا في بلادنا طبعاً، ولم نر أحداً جاع كجوعه ﷺ بل إنك لترى أن الكثير من الأمراض سببها التخمة والإسراف في الطعام والشراب.

ولولا عزاؤنا ورجاؤنا في قوله ﷺ: «وسيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أمر نجا» في الحديث المسند: ١٥٥/٥، والبخاري في التاريخ الكبير: ٣٧٤/٢، والترمذي في السنن: ٤/ ٤٥٩، وقال حديث غريب لا نعرفه، إلا من حديث نعيم بن حمّاد عن سفيان بن عيينة، قال الترمذي وفي الباب عن أبي ذر، وفي المواهب: ١٣٩/٦ «وكونه ﷺ لم يشبع قط». محمول على الشبع الذي يُثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة، ويفضي إلى الأشر والبطر، النوم والكسل. «وليس المراد بالشبع المعتاد في الجملة» اهـ باختصار.

قلت: كيف يشبع ﷺ وهو القائل: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، حسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» الحديث رواه أحمد =

وأحاديث هذا الباب وإن اختلفت ألفاظها فإنها تدل على: أن النبي ﷺ لم يكن يديم الشبع، ولا الترفُّه في العيش، لا هو ولا من حوله أهل بيوته، ولا آله، بل كانوا يأكلون ما خشن من المأكل العلق، ويقتصرون منه على ما يسُدُّ الرّمق، معرضين عن متاع الدنيا مؤثرين ما يبقى على مايفنى، ثم لم يزل حالهم كذلك مع إقبال الدنيا عليهم، واجتماعها بحذافيرها لديهم إلى أن وصلوا إلى ما طلبوا، وظفروا بما فيه رغبوا ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ "... كان ﷺ إذا تغدى لم يتعشَ، وإذا تعشى لم يتغد"[1] قلت: وهذا يؤكد أنه ﷺ في كثير من أحيانه لا يأكل إلا مرة واحدة.

كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهلة لا يجدون عشاءً، قال وكان عامةُ خبزهم خبز الشعير[2]. وكذا حديث ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لقد رأيتُ

=

في المسند ١٣٢/٤، وصححه الذهبي. وابن المبارك في الزهد ٦٠٣، والترمذي في السنن ٢٣٨٠، وقال حديث حسن صحيح.

قال ابن القيم في الطب النبوي ص ١٣ «: ومراتب الغذاء ثلاثة:

١ - مرتبة الحاجة، ٢ - مرتبة الكفاية، ٣ - مرتبة الفضلة»، فأخبر ﷺ أنه يكفي ابن آدم لقيمات يقمنَ صلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها: فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنّفس وهذا أنفع للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا أورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، وصار محمله بمنزلة الحمل الثقيل. هذا إلى ما يلزم ذلك: من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع. هذا إذا كان دائماً أو أكثر الأوقات، وأما إذاكان في بعض الأحيان فلابأس به، فقد شبع أبو هريرة بحضرة النبي ﷺ حتى قال: «لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً» (٣) اهـ وانظر أيضاً الآداب الشرعية ٣٣٣/٣ وما بعدها ومنتهى السول: ٧٧/٢.

قال في الزرقاني في شرح المواهب: ١٣٣/٦ «وقال بعضهم الشبع نهر في النفس يرده الشيطان، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة» اهـ.

وفي الدرر المباحة ص ١١ - «قسم الفقهاء الأكل إلى خمسة أقسام: ١ - فرض: بقدر ما يندفع به الهلاك، ٢ - مندوب: ما يعنيه على تحصيل النوافل، والعلم، ٣ - مباح: إلى الشبع، ٤ - مكروه: ما زاد على الشبع قليلاً، ٥ - حرام: ما زاد على الشبع وتضرر به إلا بقصد الصوم، أو لأجل أن لا يستحي الضيف» اهـ.

وكذا في الهدية العلائية ص ٢٥٢.

(١) رواه الطبري في الأوسط: ٨٩٢٩.

(٢) رواه في المسند: ٢٥٥/١ والترمذي ٢٣٦٠ وقال حسن صحيح.

رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد دقلاً يملأ به بطنهُ»[١] «أي يستمر جميع نهاره، يقلب جسمه الشريف من الجوع، ويظهر عليه أثر ذلك... وذلك تضعيفاً لأجره ﷺ، فقد كان نضير الجسم، محفوظ القوة، حتى إن رأيتَه لا تقول به جوع»[٢].

وهذه السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تحدثنا فتقول: جاءت بكسرة خبزٍ إلى النبي ﷺ، فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قُرصٌ خبزتُه فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة، فقال: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث»[٣].

"وكان ﷺ لشرف نفسه، وفخامة منصبه يخفي ذلك عن أصحابه، وإلا فكيف يظن عاقل أنهم يبلغهم أنه يبيتُ طاوياً..." مع أنّ طائفة منهم أغنياء، بل لو علم فقراء الصحابة ذلك لبذلوا الجهد في تقديم ذلك؟ علماً أن الأنصار كانت كثيراً تهدي النبي ﷺ[٤].

وعن أنس[٥] رضي الله عنه قال:.... ولقد سمعتهُ يقول ذات يوم: «ما أمسى عند آل محمد صاعُ حبٍّ، ولا صاع حبّ وإن عنده تسع نسوة حينئذٍ»[٦].

«... لا والله ما قالها رسول الله ﷺ استقلالاً لرزق الله تعالى، ولكنّه أراد أن تتأسى به أمته - قال الزرقاني -: لأنَّ اعتقاد أنه ﷺ قالها استقلالاً لرزق الله يؤدي إلى الهلاك...».

قلت: ولعل سبب جوعه وخلاء بيته ﷺ: هو كثرة من يأكل معه ﷺ من الفقراء والضيفان. دليل ذلك ما جاء في الطبقات: «... قيل لأبي هريرة: وكيف ذلك الجوع! قال: لكثرة من يغشاهُ وأضيافه، وقومَ يلزمونَهُ لذلك، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه

---

(١) رواه مسلم: ٢٩٧٨.

(٢) شرح المواهب: ١٤٣/٦.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات: ٣٠٦/١.

(٤) انظر منهل السول: ٥١/١.

(٥) هو الصحابي الجليل خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك الأنصاري خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، ودعا له بالرزق وطول العمر فعاش قيل مائة سنة وقيل أكثر وقيل أقل من ذلك مات سنة ثلاث وتسعين السير ٣٩٥/٣، والطبقات الكبرى: ١٧/٧، والتاريخ الكبير: ٢٧/٢ والصغير: ١/ ٢٠٩، والجرح والتعديل: ٢٨٦/٢، وأسد الغابة: ٢٥١/١.

(٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب الرهن، باب الرهن في الحضر وغيره، رقم ٢٥٠٨.

أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد[١] وهذا هو حقيقة الزهد أن يملك الإنسان وينفق على عباد الله تعالى ولا يبخل به.

وكان أكثر طعام النبي ﷺ في بيوته الشعير والتمر مع الماء. دليله قول عائشة رضي الله عنها «إن كنّا لننظرُ إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقيل لها: ما كان يعيشكُمْ؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنّه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح[٢]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا[٣] [*]».

ولم يحبس النبي ﷺ نفسه على نوع واحد من الطعام بل قد أكل اللحم - بأنواعه - والعسل بالماء. وشرب اللبن خالصاً ومشوباً بالماء، واللبن بالدقيق، والقثاء بالرطب، والأقط - وهو مشتقات - الحليب - أي اللبن - والتمر بالخبز، والخبز بالخل، والثريد والدبّاء، والبطيخ بالرطب، وكان معظم مطعمه يوضع على الأرض في سفرة، وهي كانت مائدته، يأكل بأصابعه الثلاث، ولا يأكل متكئاً ،يسمي الله تعالى في أول طعامه، ويحمده في آخره، وكان أكثر شربه قاعداً، وشرب مرة قائماً وكان إذا شرب ناول من على يمينه، وإن كان من على يساره أكبر منه ...[٤].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات: ٣٠٣/١.

(٢) في اللسان: قال الجوهري: «المنيحة مِنَحةُ اللّبن كالناقة والشاة تعطيها غيرك فيحلبها ثم يردها عليك والجمع منائح» اهـ والمعنى هنا: أن الأنصار كانوا يهدون النبي ﷺ اللبن مما عندهم من الإبل والغنم.

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند: ٥٠/٦ و١٨٢، والبخاري ٦٤٥٨، ومسلم ٢٩٧٢، وابن حميد في المنتخب ١٤٩١، وابن راهويه ٨٥١، وهناد في الزهد ٧٣٠، والترمذي ٢٤٧١، وابن حبان ٦٣٦١.

(*) في النهاية: «الأسودان: التمر والماء، أما التمر فأسود وهو الغالب على تمر المدينة، فأضيف الماءُ إليه، نُعت به اتباعاً، والعرب تفعل ذلك في الشيئين» اهـ مادة سود، وانظر شرح المواهب: ٦/ ١٤٥، والفتح: ٢١٩/١١، وشرح السنة: ٣٠٨/٧.

قلت وللوقوف على تفاصيل ما سبق يراجع شرح المواهب: ١٣٠/٦ وما بعدها إلى ص ٢٥١، والسيرة الشامية: ١٨٤/٧، وما بعدها إلى ص ٢٤٨، وكتاب منتهى السول: ٥/٢ إلى ص ٢٨٢، وكتاب الآداب الشرعية للمقدسي: ٣٣٦/٣ وما بعدها.

(٤) انظر زاد المعاد: ٣٠٨/٧.

المطلب الأول:
في أنه ﷺ كان لا يعيب طعاماً

وكان من خلقه ﷺ الكريم أنه لا يعيب طعاماً، فعن أبي هريرة[١] رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإذا لم يشتهه تركه»[٢] [*] ولا يعيب طعاماً مباحاً، أما الحرام بعينه فكان يذمّه وينهي عنه. كما أنه ﷺ كان إذا وجد شيئاً من الطعام على الأرض تناوله.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى في بيتي كسرة خبز ملقاة فمشى إليها فشمها ثم أكلها، ثم قال: «يا عائشة أحسني جوار نعم الله تعالى فإنها ما نفرتْ من أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم»[٣] [*].

---

(١) في أرجح الأقوال اسمه عبدالرحمن بن صخر الدوسي، سيد الحفاظ، وكنيته أبو هريرة، وجده رسول الله ﷺ يحمل هرة فكنّاه بها، كان من أهل الصفة، مات سنة تسع وخمسين وقيل سبع وخمسين، ودفن بالبقيع.
السيرة: ٥٧١/٢ والحلية: ٣٧٦/١ وأسد الغابة: ٣١٨/٦.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٤٧٤/٢، والبخاري رقم ٥٤٠٩، رقم: ٢٠٦٤، وأبو داود في السنن ٣٧٦٣، والترمذي في سننه ٢٠٣١، وابن حبان ٦٤٣٧، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٨٩، والبيهقي في السنن: ٢٧٩/٧، وأبو يعلى في مسنده: ٦٢١٤.

(*) انظر فتح الباري: ٤٥٨/٩ وعون المعبود: ١٧٠/١٠، والتكملة: ٥١/٤.
قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٠٦/١٤ «من آداب الطعام المتأكدة أن لا يعيب الطعام كقوله مالح أو قليل الملح، حامض رقيق غليظ غير ناضج ونحو ذلك» وانظر أيضاً عون المعبود: ١٧٠/١٠.
وفي التكملة: ٥١/٤ «إن كان عابه من جهة الخِلقة كره له ذلك، وإن كان من جهة الصنعة لا يكره. ثم قال والذي أراه: إن كان المقصود تحقير الطعام، أو كفر النعمة، أو تحقير الطباخ فمكروه. وأما إذا كان القصد التنبيه لإصلاح الطعام فقط لا غير فجائز» اهـ باختصار وتصرف.
وانظر بذل المجهود: ٩٢/١٦/١٦ وعون المعبود: ١٧٠/١٠ وانظر أشرف الوسائل: ١٣/٢.
قال القرطبي في المفهم: ٣٤٤/٥ «وهذا من أحسن آداب الطعام وأهمها، وذلك أن الأطعمة كلها نعم الله تعالى، وعيبُ شيء من نعم الله تعالى مخالف للشكر الذي أمر الله تعالى به عليها، وعلى هذا فمن استطاب طعاماً فليأكل، ويشكر الله تعالى، إذْ مكّنه منه، وأعانه عليه، ثم قد يستطيبُهُ، أو قد يحتاج إليه في وقت آخر فيأكله، فتتم النعمة عليه، ويسلم مما يناقض الشكر» اهـ..

(٣) رواه البيهقي في الشعب: ٤٥٥٧.

(*) قلت: وفيه درس عملي للحفظ على النعم بشكر المنعم بالبعد عن المعاصي وقديماً قال القاضي =

المطلب الثاني:
في دعائة ﷺ أول الطعام وآخره

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[١]... «أن النبي ﷺ كان يقول في الطعام إذا قُرِّبَ إليه: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار»[٢]... [*]

وعن أبي أمامة[٣] رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا رفعت مائدته ﷺ قال: الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفيّ ولا مُودّعٍ ولا مُستَغنىً عنه ربّنا..»[٤] [*]

=

أبو الحسن الكندي: إذا كنت في نعمة فارعها: فإن المعاصي تزيل النعم.

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي رضي الله عنهما، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه من أكثر أصحاب رسول الله ﷺ رواية للحديث. السيرة: ٧٩/٣ والطبقات: ١٩٢/٤، والتاريخ الكبير: ٥/٥.

(٢) انظر ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٤٥٧.

(*) قلت: وفيه استحباب ذكر هذا الدعاء في بداية الطعام رجاء حصول البركة.
قال النووي في الأذكار ص ١٩٧ «أجمع العلماء على استحباب التسمية على الطعام في أوله، فإن تركه أو نسيه في أوله. ثم تمكن في أثناء أكله، استحب له أن يسمى ولو في آخر لقمة، ويجهر بها. واعْلم أنّ الأفضل أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم» اهـ باختصار وتصرف.
وانظر أيضاً المفهم في شرح صحيح مسلم: ٢٩٧/٥ وفتح الباري: ٤٦٠/٩ وشرح المواهب: ٦/ ٢١٦. ومنتهى السول ٢٠٠/٢.

(٣) هو أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله ﷺ روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ نزل حمص مات سنة ست وثمانين وقيل إحدى وثمانين هـ، السير ٣٥٩/٣ الطبقات ٤١١/٧، والجرح والتعديل ٤/ ٤٥٤.

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند ٢٥٦/٥ واللفظ له، ورواه أبو داود ٣٨٤٩، والترمذي في السنن ٣٤٥٦ وقال حسن صحيح والحاكم ١٣٦/٤، والبغوي في شرح السنة ٨٢٢٨، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٢٠.

(*) غير مكفي، بفتح الميم، وإسكان الكاف، وتشديد التحتانية - أي الياء - من الكفاية، يعني «أن الله تعالى غيرُ مُطْعَمٍ ولا مكفيّ ولا محتاج إلى أحد، بل هو المطعم الكافي الذي يطعم عبادهُ ويكفيهم» النهاية مادة كفى.
وانظر في الفتح: ٩٨٠/٥، وشرح السنة للبغوي: ٦٣/٦، وحاشية الترمذي لأحمد شاكر: ٤٧٣/٥ وعون العبود: ٢٣٥/١٠ وشرح المواهب: ٢١٧/٦، ومنتهى السول: ٢٠٢/٢.
قال الزرقاني في شرح المواهب: ٢١٧/٦ «أما إنه لا استغناء لأحد عن الحمد إذ لا فيض إلا منه تعالى، فيجب على كُلِّ مكلف، إذ لا يخلو أحد عن نعمة، بل نعمه تعالى على عباده لا تحصى.

=

المبحث الثاني:

فيما يتعلق بشرابه ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ: كان يُستَعْذِبُ له الماء من بيوت السقيا»[١].. [*]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلوَ البارد»[٢]... [*]

=

فوجب على كل مكلف شرعاً أن يلزم الحمد ويأثم بتركه إجماعاً» اهـ.

قال في عون المعبود: ٢٤٣/١٠ «والتحقيق في المائدة هي ما يبسط للطعام سواء كان من ثوب أو جلد، أو حصير أو خشب أو غير ذلك، فالمائدة لها أنواع منها السفرة على الأرض ومنها ما له قوائم» اهـ باختصار وأما إن سألت عن حكم الأكل على المائدة ذات القوائم. فهو من المباحات، وإن كان النبي ﷺ لم يأكل عليها وإنما كانت مائدته الأرض، وإن كان للأولى والأفضل أن يأكل المسلم على الهيئة التي أكل عليها النبي ﷺ.

(١) رواه أحمد في المسند: ١٠٠/٦ وفي الطبقات الكبرى: ٥٠٦/١، وابن راهويه ٨٤١ وابن شبة في تاريخ المدينة: ١٥٨/١ وأبو داود في سننه ٣٧٣٥ وابن حبان ٥٣٣٢، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٢٧، والحاكم: ٤١٣٨، وأبو نعيم في أخبار أصفهان: ١٢٥/٢، والبيهقي في الشعب ٦٠٣٢، وفي تاريخ بغداد: ١٣٠/٣، والبغوي في شرح السنة: ٣٠٤٩ «قال ابن حجر في الفتح ٧٤/١٠: إسناده جيد وفيه عبدالعزيز بن محمد الدراوردي روى له البخاري مقروناً واحتج به مسلم وفيه كلام يحطه عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات».

(*) قال البغوي في شرح السنة: ١٣٧/٦ «والسقيا من طرق الحرة» وقال أبو داود في السنن: ٣٤٠/٣ «قال قتيبة: هي عين بينها وبين المدينة يومان» اهـ وانظر عون المعبود: ١٤٤/١٠.

في شرح المواهب: ٢٣٤/٦ «رجح كون بيوت السقيا من أطراف الحرة. وسميت بالسقيا كون النبي ﷺ بحث فيها عن الماء فنديت، فانبعث الماء، فسقى وأسقى من كان معه، وقال هذه سقيا سقاكموها الله تعالى فسميت السقيا. وأما ما قاله أبو داود فمحمول على أنه ﷺ كان يستعذب الماء إذا نزل من تلك القرية. وطلب العذب من الماء لا ينافي الزهد بل فيه شهود وعظائم نعم الحق، وإخلاص من الشكر له من غير تكلف» اهـ باختصار وتصرف.

وانظر أيضاً منتهى السول: ٢٤٣/٢ و٢٦٩، والتمهيد لابن عبدالبر: ٢٠٣/١، وفي صحيح البخاري كتاب الأشربة ٥٦١١ «إن رسول الله ﷺ كان يأتي بيرحاء، ويشرب من ماء فيه طيب فوصفه بالطيب» في النهاية «بيرُحاء: موضع في المدينة المنورة» اهـ مادة برح.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٣٨/٦، والترمذي في سننه ١٨٩٥، وفي الشمائل ٢٠٦، والحاكم: ١٣٧/٤ ووافقه الذهبي على تصحيحه، والنسائي في الكبرى ٦٨٤٤، وأبو يعلى في مسنده ٤٥١٦، وأبو

=

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحبُّ الحلواءَ والعسل...»[1]... [*]

الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، والبغوي في شرح السنة ٣٠٢٦، وعبدالرزاق في المصنف: ١٩٥٨٣.

(*) قال في شرح المواهب: ٢٣٦/٦ «يحتمل أن عائشة رضي الله عنها أرادت بالماء الحلو، للحديث السابق، كان ﷺ يستعذب له الماء، ويحتمل أنها أرادت به الماء الممزوج بالعسل، أو الذي نقع فيه التمر والزبيب. والظاهر أن الثلاثة مقصودة بذلك» اهـ باختصار.

قال في زاد المعاد: ٢٢٥/٤، «والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن، وجمعه مع العسل غاية في التعديل. بينما الماء المالح أو الساخن يفعل ضد هذه الأشياء» اهـ باختصار وتصرف، وانظر منتهى السول: ٢٤٧/٢.

(١) «الحديث رواه أحمد في المسند: ٥٩/٦ وهذا لفظه، وأخرجه ابن أبي شيبة: ٣٩١/٨، وابن راهويه: ١٧٥٩، والبخاري في تاريخه الكبير: ٧٧/٩ الكنى»، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٢٣/٥ وقال رجاله ثقات.

قال في الموسوعة: ٣٦٦/٤٠، والحديث صحيح لغيره.

(*) قال ابن القيم في زاد المعاد: ٢٢٤/٤ «وأما هديه ﷺ في الشراب، فمن أكمل هدي يحفظ الصحة، فإنما كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد، وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء، فإن شربه ولعقه على الريق يُذيب البلغم، ويغسل المعدة، ويجلوها، ويدفع عنها الفضلات، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وشربه أنفع من كثير من الأشربة. والشراب إذا ماجمع وصفيْ: الحلاوة والبرودة، كان من أنفع شيء للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة» اهـ باختصار. وانظر منتهى السول: ٢٤٣/٢ وشرح المواهب: ٢٣٥/٦.

وانظر أيضاً في حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة ص ٣٨٤.

قال في المنّاوي في فيض القدير: ٢٥٣/٥، «وفيه أن اتخاذ الحلوى والطيبات لاينافي الزهد» اهـ باختصار.

وانظر الطب النبوي لابن القيم ص ٢٩٩ باختصار، وشرح المواهب: ٢٣٩/٦ ودليل ذلك قوله ﷺ: من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه لبناً، اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، وقال: ليس شيء يجزي عن الطعام والشراب غير اللبن الحديث رواه الترمذي وقال حديث حسن رقم ٣٤٥٥، وأبو داود ٣٧٣٠ وأحمد في المسند: ٢٢٥/١، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٥٦، والبغوي في شرح السنة: ٣٠٥٥، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص: ٢٠٨، وابن ماجه ٣٣٢٢.

قال في شرح المواهب: ٢٣٦/٦، «ولا شيء يكفي في دفع الجوع والعطش معاً: إلا اللبن». ومن هديه ﷺ كان يشرب اللبن بالماء قال أنس: «فحلبتُ شاة، فشبتُ لرسول الله ﷺ من البئر، =

المطلب الأول في حبه ﷺ للبن

كان النبي ﷺ يحبُّ اللبن، ودليل ذلك اختياره ﷺ اللبن في رحلة الإسراء والمعراج[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «شرب رسول الله ﷺ لبناً فمضمض، وقال: إن له دسماً»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أُتي باللبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين»[3]... [*]

المطلب الثاني:
في حبه ﷺ التيامن في أمره كله

وأما كيفية شربه ﷺ: عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان يتنفس في

=

فشرب وعن يساره أبو بكر وعن يمينه أعرابي، فأعطى الأعرابي فضله، ثم قال: الأيمن فالأيمن» الحديث في البخاري في الأشربة، باب شرب اللبن بالماء رقم: ٥٦١٢، ومسلم في الأطعمة باب استحباب إدارة اللبن بالماء رقم: ٢٠٢٩، ومالك في الموطأ في كتاب صفة النبي ﷺ باب صفة في الشرب ومناولته.

في شرح المواهب: ٢٣٦/٦، «كان ﷺ يشرب اللبن خالصاً وتارة مخلوطاً بالماء البارد. لأنّ اللبن عند الحلب يكون حاراً وبخاصة في تلك البلاد، فكان ﷺ يُعدّلُ حره بالماء، على عادته ﷺ في تعديل الأشياء» اهـ باختصار.

وانظر شرح النووي: ٢٠١/١٣، وفتح الباري ٧٨/١٠.

وانظر أيضاً الآداب الشرعية للمقدسي ٣٦٣/٣.

وفي كتاب نظرات في الإسلام ص ٣٥٢ «كأس الحليب الذي نشربه، واللبن الذي نحتسيه، وما اشتُقَّ منهما من خيرات حسان، آيات بينات دالة على عظمة الخالق جل جلاله، وتربيته ورعايته وفضله وإنعامه. قال ﴿ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يس الآيتان ٧٢ - ٧٣. اهـ باختصار.

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري رقم ٥٦١٠.

(٢) انظر صحيح البخاري رقم ٥٦٠٩.

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند: ١٤٥/٦، وابن ماجه في سننه ٣٣٢١ قال في الموسوعة: ٥٩/٤٢، إسناده ضعيف.

(*) قال في كتاب الآداب الشرعية: ٣٦٣/٣، «اللبن مركبٌ من مائية وجبنية ودسومة، ولذا كان من أفضل الأغذية والأشربة حتى فضله بعضهم على العسل» اهـ.

الإناء ثلاث ويقول: «هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ»(١)... (*)

---

(١) رواه أحمد في المسند: ١٨٥/٣، واللفظ له، وابن ماجه في سننه ٣٤١٦، والترمذي في السنن ١٨٨٤ وقال حسن صحيح.

(*) قال القسطلاني: «ومعنى تنفسه: أي إبانة القدح عن فيه، وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب. وفي هذا الشراب حكم جمة وفوائد مهمة، نبه عليها ﷺ بقوله: «أهنأ، وأمرأ، وأبرأ» أي الهناء في الشراب فيروى، أي تكون هذه الحالة أكثر ريًّا، وأبرأ: أفعل من البرء، وهو الشفاء، أي يبرئ من شدة العطش وذلك لتردده على المعدة الملتهبة على دفعات، فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه وهكذا الثالثة، وإنه أيضا أسلم لحرارة المعدة، وأحفظ لها من أن يهجم البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة، فإنه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول الماء دفعة واحدة» اهـ باختصار.

شرح المواهب: ٢٤٦/٦، وانظر بعضه في فتح الباري: ٩٦/١٠.

«وزاد: والنهي عن التنفس في الشرب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه ويتقذره، وهذا إذا أكل مع غيره، ولو كان وحده فلا بأس بذلك. وقيل يكره مطلقاً لكونه من فعل الشيطان» اهـ باختصار.

وفي زاد المعاد أيضاً: ٢٢٤/٤ «ولم يكن من هديه ﷺ شربُه على طعامه فيفسده ولا سيما إذاكان الماء حاراً أو بارداً فإنه ردئ جداً» اهـ باختصار وانظر شرح المواهب: ٢٤٠/٦.

وشرح النووي: ١٩٩/١٣ وفي التكملة: ١٣/٤ وزاد المعاد: ٢٣٠/٤ والآداب الشرعية: ٣١٢/٣.

«وكان عليه الصلاة والسلام يشرب قائماً وقاعداً». رواه أحمد في المسند: ١٧٤/٢، والترمذي في السنن: ١٨٨٣. وقال حسن صحيح.

قلت: وقد رجح أهل العلم أن الشرب قاعداً أفضل وأهنأ من الشرب قائماً، مع قولهم بجواز الوجهين.

انظر التفصيل في ذلك في شرح المواهب: ٢٤١/٦، وما بعدها وزاد المعاد: ٢٣٣/٤، ومنتهى السول: ٢٥٥/٢، وعون المعبود: ١٣٠/١٠ والتكملة: ١٢/٤ - ١٣، وشرح النووي لصحيح مسلم: ١٩٤/١٣ - ١٩٥، وفتح الباري: ٨٥/١٠. وما بعدها.

وفي الشمائل للترمذي رقم: ١٩٧ «عن ثابت قال: أخرج إلينا أنس بن مالك قدح خشب غليظاً مضبباً - في النهاية: إناءٌ مضبب أي مشدود بحديده تسمى ضباب. مادة ضبب - بحديد، فقال: يا ثابت، هذا قدح النبي ﷺ، ولقد سقيت رسول الله ﷺ بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل واللبن» وقال حديث صحيح ورواه أحمد في المسند: ٢٤٧/٣ وغيرهما.

قال القسطلاني في المواهب «ذكر القرطبي في مختصر البخاري أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيحه أنه قال: رأيتُ هذا القدح بالبصرة وشربتُ منه، وكان اشترى من ميراث النضر بن أنس بن مالك بثمانمائة ألف - قال الزرقاني - في الشرح: قيل درهم، وقيل دينار» اهـ باختصار شرح المواهب: ٢٣١/٦.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحبُّ التيامن في شأنه كلّهِ ما استطاع في طهوره وترجُّلِه وتنعُّلِه..»[1]... [*]

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٩٤/٦، والبخاري. ١٦٨ - ٤٢٦ و٥٣٨٠، ومسلم ٢٨٦، والبخاري: ١٦٨ - ٤٢٦ و٥٣٨٠ ومسلم ٢٦٨، وأبو داود ٤١٤٠، والنسائي في المجتبى: ٧٨/١ ٢٠٥، وفي الكبرى ١١٦ - ٩٣٢، وابن خزيمة ١٧٩، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ٢٦١، والبيهقي في معرفة السنن ٧٥٦، والخطيب في جامع أخلاق الراوي ٩٢٤، والبغوي في شرح السنة: ٢١٦.

(*) وعن أنس رضي الله عنه قال «أتي النبي ﷺ بلبن قد شبب بماء، وعن يمينه أعرابي وعن شماله أبو بكر، فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال: الأيمن قال الأيمن» رواه البخاري في كتاب الأشربة باب الأيمن فالأيمن في الشرب رقم ٥٦١٩، ومسلم في الأشربة ٢٠٢٩.
«في هذه الأحاديث بيان هذه السنة الواضحة وهو موقف لما تظاهرت عليه دلائل الشرع من استحباب التيامن في كل من أنواع الإكرام، وفيه أن الأيمن في الشراب ونحوه يقدم وإن كان صغيراً أو مفضولاً وأما تقديم الأكابر والأفاضل فهو عند التساوي في ما في الأوصاف» شرح النووي: ٢٠٠/١٣، وفتح الباري: ٨٩/١٠، والتكملة: ١٤/٤، ومنتهى السول: ٢٥١/٢، وفيض القدير: ٢٥١/٥، وزاد المسلم: ١٠٥/٥ - ١٠٦.
وقال في منتهى السول: ٢٥١/٢، أيضاً: «والسرُّ في تقديم من على اليمين من على اليسار! أنّ من على اليمين مجاور لملك اليمين الذي هوحاكم على ملك الشمال، وتجري هذه السنة - أي تقديم من على اليمين - في غير الشراب كالمأكول والملبوس وغيرها» اهـ.
وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة رقم: ٢٣٠ «أنه ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام - هو ابن عباس - وعن يساره الأشياخ - هم أبو بكر وعمر - فقال ﷺ للغلام: يا غلام أتأذنُ لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً يا رسول الله قال فتَلَّهُ الرسول ﷺ».
قال النووي رحمه الله تعالى في الشرح: ٢٠١/١٣ «وإنما أستأذن النبي ﷺ ابن عباس دون الأعرابي إدلالاً على الغلام، وثقة بطيب نفسه بالاستئذان. لا سيما والأشياخ أقاربه. وأما الأعرابي فلم يستأذنه مخافة من إيحاشه. إذ ربما سبق إلى قلب الأعرابي شيء فيهلك لقرب عهده بالجاهلية. وقد تظاهرت النصوص على تألفه ﷺ قلب من يخاف عليه» اهـ باختصار.
وقريب من هذا في فتح الباري: ٨٩/١٠، وكذا في منتهى السول: ٢٥٢/٢، وفي التكملة أيضاً: ٤ /١٥، وفيه «أن من سبق إلى مجلس علم. لا يُنحّى عنه لمجيء من هو أولى منه بالجلوس. إلا إن آثره السابق بطيب نفسه جاز ذلك» اهـ باختصار، وانظر أيضاً الفتح: ٨٩/١٠، وشرح النووي: ٢٠٢/١٣، ومنتهى السول: ٢٥٣/٢.
وفي فيض القدير: ٣٨٤/١ «اليمين محبوب الله ومختاره من الأشياء فأهل الجنة عن يمين العرش يوم القيامة، وأهل السعادة يعطون كتبهم بأيمانهم وكاتب الحسنات عن اليمين إلى غير
=

المبحث الثالث:

فيما يتعلق بلباسه ﷺ

لقد أمتنّ الله على عباده بنعمة اللباس فقال جل جلاله ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

«والإنزال في الآية يقتضي جهة علوٍ لنفهم أن كل خير في الأرض يهبط مدده من السماء، وهو سبحانه وتعالى من أنزل اللباس لأنهُ هو الذي أنزل المطر، والمطر روى بذور النبات فخرجت النباتات التي غزلناها فصارت ملابس، وكأنك لو لبست كل خير لوجدته هابطاً من السماء... وإذا كنا قد أنزلنا اللباس الذي يواري السّوءات المادية، فكذلك أنزلنا اللباس الذي يواري سوءات القيم..... ولذا نبه القرآن على لباس التقوى، وهو خيرٌ من اللباس المادي...»[2] اهـ باختصار.

وكان هديه ﷺ في الملبس من أتم الهدي، وأنفعه للبدن، وأخفّه عليه، وأيسره لبساً وخلعاً»[3].

«وكان عليه الصلاة والسلام قد اقتصر في لباسه على ما تدعو إليه الضرورة وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجده حاضراً عنده بلا تكلف في ذلك»[4].

وإذا تأملنا قوله تعالى ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[5] والزينة إذا سمعتها تنصرف إلى تجميل فوق قوام الشيء، إذا علمنا أن النبي ﷺ كان ألزم الناس للمسجد فهمنا كيف أن النبي ﷺ كان من أكثر الناس تزيناً وتجملاً، كيف لا

=

ذلك، فابتدئ باليمين في كل خير وفاء بحقه لأن الله تعالى اختار اليمين وفضله» اهـ.

(١) سورة الأعراف الآية: ٢٦.

(٢) انظر تفسير الشعراوي: ٤٠٩٥/٧.

(٣) انظر زاد المعاد /٢٣٧/٤، وشرح المواهب: ٢٥٦/٦.

(٤) انظر شرح الشفا: ٣٥٦/١، وشرح المواهب: ٢٠٤/٦، ومنتهى السول: ٤٤٠/١.

(٥) سورة الأعراف: آية ٣١.

وهو الذي كان خلقه القرآن..»[١] اهـ باختصار وتصرف.

وكان ﷺ يتوسع في اللباس فلا يُضيِّقُ بالاقتصار على صنف واحدٍ، أو بطلب النفيس من ذلك بل ما تيسر له..[٢].

مطلب: في أحبّ الثياب إليه ﷺ

لقد كان أحبُّ الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص[٣]»[٤]... [*]

---

(١) تفسر الشعراوي: ٤١١٤/٧. باختصار وتصرف.

(٢) انظر الفتح: ٣١٥/١٠.

(٣) في اللسان: القميص. مفرد، الجمع أقمصة، قُمُص وقُمصان، وقمص الثوب: قطع مه قميصاً، وتقمص قميصه: «أي لبسه» اهـ مادة قمص.

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣١٧/٦. والترمذي في السنن: ١٧٦٣ وهذا لفظة: وقال حسن غريب، والبيهقي في السنن: ١٣٩/٢، وأبو داود ٤٠٢٦، والطبراني في الكبير: ١٠١٨/٢٣، والأوسط ١٠٩٢وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٠٠، والحاكم في المنذري: ١٩٢/٤، ووافقه الذهبي على تصحيحه، والبيهقي في الشعب ٦٢٤١، وفي الآداب ٦٠٥، والبغوي في شرح السنة: ٣٠٦٩.

(*) وفي منتهى السول: ٤٤٨/١ «والقميص: اسم لما يُلبس من المخيط الذي له كُمّان وجيب غير مفرج يحيط بالبدن كله» اهـ باختصار وتصرف. وهو ما يسمى اليوم بالجلابية.

قال في فيض القدير: ١٠٠/٥ «وحبه للقميص. لأنه أستر وأيسر. لاحتياج غير القميص إلى حل وعقد بخلاف القميص ويلوح من الحديث أن لبسه ﷺ للقميص كان كثيراً» اهـ باختصار.

وكذا في عون المعبود: ٤٨/١١ لكنه زاد فقال «ولأنه أقل مؤونة وأخف على البدن ولابسه أكثر تواضعاً» اهـ وكذا في منتهى السول: ٣١٧/١. والترمذي في السنن: ٢٣٩/٢ وأبو داود ٤٠٢٦، والطبراني في الكبير: ١٠١٨/٢٣ والأوسط: ١٠٩٦، وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى النبي ﷺ ص ١٠٠ والحاكم في المنذري: ١٩٢/٤، ووافقه الذهبي على تصحيحه، والبيهقي في الشعب: ٦٢٤١، وفي الآداب ٦٠٥، والبغوي وشرح السنة ٣٠٦٩.

وفي التكملة: ٦٩/٤ قال: «الحبرة هي من برود اليمن، موشية مخططة، لونها أخضر وكانت من أشرف الثياب عندالعرب» اهـ باختصار.

زاد النووي في الشرح: ٥٦/١٤: «من ثياب من كتان، أو قطن محبَّرة أي مزينة، والتحبير التزيين والتحسين» اهـ باختصار.

وفي المواهب أيضا: ٢٨٠/٦ «ومن وجوه الجمع أيضاً، بأنّ حبه ﷺ للقميص حين يكون عند نسائِهِ، وللحبرة حين يكون عند أصحابه».

ولا يعارضه حديث أنس بأن أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ الخبرة[١][٢] وهذا لا يعارض من حبه ﷺ للقميص... وإنما أحب الخبرة من الثياب للينها، وحسن انسجام نسْجها، وإحكام صنعتها، وموافقتها لجسده ﷺ الشريف، فإنه على غاية من النعومة واللين، والشيءُ الخشن يؤذيه ﷺ، أو أحبها لأنها خضراء، وثياب أهل الجنة خضراء.. أو لأنها من أجمل الثياب عند العرب، فأحبها إظهاراً للنعمة عليه، ودفعاً لوهم قلوبُ الوافدين عليه، الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم، فيكون حبها لأمر أخروي لا دنيوي، والأشرف إنما يذم إظهاره، إذا كان لغرض دنيوي...»[٣].

«فقد لبس رسول الله ﷺ الحلة الحمراء: وهي إزار ورداء ولبس القميص، والقباء[٤] ولبس مرة جبة ومرة بردة: حبرة يمانية، ومرة قميص.

قلت: والذي يمعن النظر فيما ورد في لباسه ﷺ، يجد أن النبي ﷺ كان مرة يلبس الثياب النفيسة خصوصاً عند استقبال الوفود وللعيدين والجمعة، ومرة يلبس الصوف وما شابه ذلك وحتى المرقع من الثياب ليقتدي به الفقير من أصحابه وأمته ويجد فيه السلوى والعزاء[٥].

.... ومن جمله ما كان يحبه ﷺ من الثياب ما كان لونه أبيض.. [*] وبالملخص

---

(١) قال في النهاية: «الحبرة البردة، والحبير من البرد، ما كان موشياً مخططاً، يُقال: برد حبير وبُرد حبيرة بوزن عنبة! على الوصف والإضافة» مادة حبر.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٢٩١/٣، والبخاري: ٥٨١٣ ومسلم: ٢٠٧٩.

(٣) انظر شرح المواهب: ٢٨٠/٦.

(٤) في منتهى السول: ٤٦٢/١، «القباء: بفتح القاف والموحدة: هو الثوبُ المشقوق من أمام كالجبة المعهودة» اهـ.

(٥) شرح المواهب: ٢٧٩/٦.

(*) عن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه، قال: «أتيتُ النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائمٌ» الحديث. رواه أحمد في المسند: ١٦٦/٥، واللفظ له، والبخاري في كتاب اللباس، باب الثياب البيض، ومسلم. رقم ١٥٤ والبغوي شرح السنة رقم: ٥١.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بهذا البياض فيلبسه أحياؤكم، وكفنوا بها موتاكم، فإنه من خير ثيابكم». رواه أحمد في المسند: ٢١/٥ وعبدالرزاق في المصنف: ٦١٩٨ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: ٦١٩٨، ١٣١٥، والنسائي في الكبرى: ٣٤/٤ و٢٠٥/٨، والحاكم: ١٨٥/٤، ووافقه الذهبي على التصحيح، والبيهقي في السنن: ٤٠٣/٣ قال في الموسوعة: ٣٨٢/٣٧، إسناده صحيح.

=

فقد كان من هديه ﷺ في اللباس من أتمِّ الهدى وأنفعه للبدن، وأخفه عليه، وأيسره لبساً وخلعاً..

... «وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان لرسول الله ﷺ ثوبان يلبسهما يوم الجمعة فإذا انصرف طويناهما إلى مثله»[1].. [*] كان لرسول الله ﷺ بردة يلبسها يوم

=

قلت: في هذه الأحاديث دلالة ظاهر على فضل لبس الثياب البيضاء. للأحياء وتكفين الأموات بها وحكمته للأموات لكونهم سيواجهون الملائكة. وانظر منتهى السول: ١/٥٠٣.

قال في عون المعبود: ١١/٧٥ «وحكمة ذلك لدلالته غالباً على التواضع وعدم الكبر والخيلاء والعجب وسائر الأخلاق الطيبة» اهـ وفيض القدير: ١/١٩٣.

وعن عمر رضي الله عنه قال: «إني لأحبّ أن انظر إلى القارئ أبيض الثياب». رواه أحمد في المسند: ١/٢٤٧ و٢٧٤، قال في الموسوعة: ٤/٩٤ صحيح.

وبناءً عليه فإنه يحسن بالمسلم لبس الثياب الحسنة الجميلة، قصده في ذلك إظهار نعمة الله عليه مستحضراً لها شاكراً عليه غير متكبر ولا معجب.

وقد صح أن النبي ﷺ أنكر على رجل رأى عليه ثياباً بالية بقوله له: «فلتُرَ نعم الله وكرامته عليك» الحديث في المسند: ٣/٤٧٣، وعند أبي داود في اللباس ٤٠٦٣، والحاكم: ٤/١٣٥. ووافقه الذهبي على تصحيحه، والطبراني في الكبير: ١٩/٦١٧، وابن أبي الدنيا في الشكر رقم ٥١، قال في الموسوعة ١/٣١٢. إسناده حسن.

وفي فتح الملهم: ١/٥٦٠، «وكان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يتردى برداء قيمته أربعمائة دينار، وكان يأمر أصحابه بذلك، وكان محمد بن الحسن رحمه الله تعالى يلبس الثياب النفيسة ويقول: إنّ لي نساءً وجواري، فأزين نفسي كيلا ينظرن إلى غيري»، وقد نص الفقهاء على أنه يستحبُّ التجمل، بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى إذا أنعم على عبد يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده قال في كشف الخفاء: ١/٢٨٧ رواه البيهقي والترمذي وحسنه».

(١) رواه البيهقي في السنن: ٣/٣٥، وأورده في مجمع الزوائد: ٢/٣٥. وأورده في مجمع الزوائد: ٢/ ١٧٦. وقال في سنده كلام.

(*) وقال في شرح المواهب ٦/٢٨٥. «لما أنكر أحدهم على الأستاذ أبي الحسن الشاذلي الصوفي الزاهد قدس الله سره جمال هيئة ثيابه فقال: يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد لله، وهيئتك هذه تقول: أعطوني شيئاً من دنياكُم» اهـ.

أقول: وفي هذا الزمن ينبغي على المؤمن أن يجمّل منظره، ويترك التواضع في الثياب في هذه الأيام، ولقد قال الإمام مالك:

=

العيد[١].

وهذا عبادةٌ منه ﷺ، لأنه مأمور بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم، ولو سقط عن أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان ﷺ يُظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم، فإن أعين الأقوامُ تمتدُّ إلى الظاهر دون السرائر[٢].

وقد ثبت أيضاً أنّ النبي ﷺ قد لبس الثوب المرقع تواضعاً منه وقدوة للفقراء من أمته ﷺ، ففي حديث عائشة رضي الله عنها:.. «كان ﷺ يخصف نعله[٣]، ويُرقِّع ثوبه»[٤]... [*]... «وإنما يفعل ذلك ﷺ ليُقتدى به في التواضع وامتهان النفس، وكان

=

حسن ثيابك ما استطعت فإنها	زين الرجال بها تعزُّ وتُكرم
ودع التواضع في الثياب تجملا	فالله يعلم ما تُسرّ وتعلنُ
فرثاث ثوبك لا يزيدُك رفعةً	عند الإله وأنت عبد مجرمُ
وجمال ثوبك لا يضرّك بعد أن	تخشى الإله وتتقي ما يحرم

عن كتاب الوعظ والإرشاد: ١١٨/٢.

وهنا لطيفة أذكرها لأهميتها كما في شرح المواهب: ٣٠٥/٦ «ولما كان ﷺ لا يبدو منه إلا طيب، وذلك بما خصه الله تعالى فجعل عرقه من أطيب الطيب وكان يُتداوى ويُتطيبُ به، كان آية ذلك في بدنه الشريف أنه لا يتسخ له ثوبٌ، فما اتسخ له ثوبٌ قطّ» اهـ.

«وقيل لبعضهم أليس عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يلبس قميصاً مرقعاً؟ فقال: فعل عمر ذلك لحكمة، هي أنه كان أمير المؤمنين، وأحب أن يكون قدوة لعماله أولاً وللفقراء أيضاً» اهـ.

قلت ما أحوجنا في هذا الزمان إلى إحياء هذه السنة وخصوصاً الدعاة منهم، ثم إنه لولا تأثير حسن الهيئة في الناظرين لما اختار الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من أحسن الناس وجوهاً وخلقاً، وهذا جبريل عليه السلام عندما كان يأتي الرسول ﷺ يأتيه بصورة دحية الكلبي صاحب الصورة الجميلة، وبثياب بيضاء كما هو المعروف من حديث عمر رضي الله عنه في حديث بيان أركان الإسلام والإيمان والإحسان. والحديث في المسند عند أحمد: ٢٧/١ و٥١ و٥٢ و٥٣ ومسلم في الإيمان: ٨.

(١) وقال رواه الطبراني في الأوسط: ٧٨٢٤، ورجاله ثقات. وانظر مجمع الزوائد ١٦٨/٢.

(٢) انظر شرح المواهب: ٣٠٠/٦ وانظر منتهى السول.

(٣) قال في النهاية: «يخصف نعله: أي كان يخرِزُها، من الخصف: وهو الضمُّ والجمع» مادة خصف وانظر غريب الحديث للخطابي: ١٣٧/١.

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند: ١٠٦/٦، وأبو يعلى في مسنده، ٤٦٥٣٥، وفي الطبقات الكبرى: ٣٦٦/١، وأبو يعلى في مسنده ٤٦٥٣ ص: ٢٠ - ٢١، والبخاري في الأدب المفرد. ٥٤٠، قال في الموسوعة الحديثية: ٤١ /٢٦٩ حديث صحيح.

(*) قال الشنواني على مختصر بن أبي جمرة ص ٢٦٣ «.» اهـ باختصار. وانظر بعضه في فيض القدير: ٢٥٧/٥.

أكثر عمله ﷺ في بيته الخياطة وخصف نعله، وترقيع قميصه، يلبس الصوف، ويركب الحمار عرياناً، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك»[1] وكان من هديه ﷺ إذا لبس ثوباً جديداً قال: «اللهم لك الحمد أنت كسوْتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»[2]... [*]...

المبحث الرابع:

فيما يتعلق بتجمّله ﷺ وما يتعلق بذلك

أجمع الواصفون لسيدنا محمد رسول الله ﷺ في أنّ الله سبحانه وتعالى خلقهُ في أجمل صورة بشرية، وأكمل خلقه آدمية، ومع هذا فقد كان رسول الله ﷺ يتجمل ويأمر

---

(١) انظر حاشية الشنواني ص ٢٦٣. وفيض القدير: ٢٥٧/٥.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٠/٣، واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه ١٧٦٧، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وفي الشمائل ٥٩، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ١٠٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣٠٩، وفي السنن الكبرى ١٠١٤١، وابن حبان في صحيحه: ٥٤٢١، والطبراني في الدعاء ٣٩٨، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٧١ وأبو داود: قال أبو نضرة: «وكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً قيل له تُبلي ويخلفُ الله عليك» اهـ.

(*) قال في عون المعبود: ٤٣/١١ «ومعنى خير ما صنع له: هو استعماله في طاعة الله تعالى وعبادته ليكون عوناً له عليها، وشرّ ما صنع له: هو استعمال له في معصية الله ومخالفة أمره. وقيل: خيرُه: بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوساً للضرورة والحاجة، التي من أجلها يصنع اللباس، والمراد سؤال الخير في هذه الأمور وأن يكون فيه مبلغاً إلى المطلوب وهو العون على العبادة، وفي الشر عكس ما ذكر ككونه سبباً للمعاصي والشرور كالافتخار والعجب والغرور وعدم القناعة. والحديث يدل على استحباب الحمد عند لبس الثوب الجديد» اهـ باختصار. بظاهره، ومنهم من منع كالجويني» اهـ باختصار وبعض التصرف.

وفي فتح الملهم: ٥٦/٢ كلام قريب من هذا، وانظر بعضه أيضاً في حاشية الموسوعة الحديثية: ٣٣٩/٦.

وقال في فيض القدير: ٢٨٠/٢ «أي إن الله تعالى يُحبّ أن يرى أثر نعمه على عبده زياً في الثياب، وإنفاقاً وشكراً لله تعالى، فهو تارة يكون بالقول وتارة بالحال، وتارة بالفعل، ومن آثاره جمال أفعاله تعالى: الرضي عن عباده باليسير من الشكر، وإثابة الكثير من الأجر على قليل العمل، ويجعل الحسنة بعشرة أمثالها ويزيد من شاء ما شاء، ويعفو السيئات ويستر الزلات، فعلى عباده أن يتجملوا معه تعالى في إظهار نعمته عليهم المؤذن بقلة إظهار السؤال لغيره، والطلب ممن سواه وتجنب أضداد ذلك من إظهار البؤس» والتباؤس اهـ.

أصحابه بذلك. وعن أبي سعيد الخدري[١] رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إنّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس»[٢].....

المطلب الأول:

في هدْيه ﷺ في الفطرة وتوابعها

سبق القول في أنه ﷺ يحب التيامن في أموره كلها، في تنعله وترجله[٣][٤] وكانت يمينه ﷺ لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لخلائه ونحوه من إزالة الأذى»[٥].... [*]

وكان هديه ﷺ في حلق الرأس تركه كله، أو أخذه كله، ولم يكُن يحلق بعضه،

---

(١) هو أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري حدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر، وطائفة.

(٢) الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦٢٠١ بهذا اللفظ والشطر الأول من الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٩٩/١، والحاكم في المستدرك: ٢٦/١ قال الذهبي: واحتج البخاري ومسلم برواته، ورواه الطبري في الكبير ١٠٥٣٣، وهو عند مسلم في صحيحه اهـ ١٤٧.
والشطر الثاني: قوله: يحب أن يرى أثر. رواه أيضاً أحمد في المسند: ٤٧٤/٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ٢٨/٦، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣١٣٨، وابن حبان في صحيحه ٥٤١٧، والطبراني في الكبير: ٦٢٣/١٩ و٦٢٤.
قال في الموسوعة: ٢٢٧/٢٥ إسناده صحيح على شرط مسلم.
وقال أيضاً في فيض القدير: ٣٦٦/٢ «وأحسن كما أحسن الله إليك، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. فيرى في أثر الجدة عليه زيّاً وإنفاقاً وشكراً، هذا في نعمة الله عليه، أما في النعمة الدينية فأن يرى على العبد نحو استعماله للعلم فيما أمر به، وتهذيب الأخلاق ولين الجانب، الحلم على السفيه، وتعلم الجاهل، ونشر العلم في أهله ووضعه محله بتواضع ولين جانب في أبهة واحتشام. وفي معاملة الناس بالإنصاف وترك الاعتساف إلى غير ذلك، ويطرد ذلك في كل نعمة من نعم الله تعالى التي لا تحصى» اهـ باختصار.

(٣) في النهاية: «الترجّلُ والترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينُه» مادة رجل.

(٤) الحديث رواه البخاري: ١٦٨ ومسلم ٢٨٦.

(٥) زاد المعاد: ١٧٤/١.

(*) قال القرطبي في المنهج: ٢٩٦/٥. «وبالجملة فاليمين وما نسب إليها، وما اشتق عنها فمحمود ديناً وشرعاً، ودنيا وآخرة، والشمال على النقيض من ذلك، وإذا كان ذلك كذلك فمن الأدب المناسبة لمكارم الأخلاق، والسيرة الحسنة عند الوضوء اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة، والأحوال النظيفة، وإن احتيج إليها في شي منها إلى الاستعانة بالشمال فبحكم التبعية، وأما إزالة الأقذار، والأمور الخسيسة فبالشمال لما يناسبها من الحقارة والاسترذال» اهـ.

ويدع بعضه، ولم يحفظ عنه حلقه كله إلا في نسك»[١].

المطلب الثاني:

في ترجله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبيّ ﷺ يُصغي إليّ رأسه وهو مجاور - أي معتكف - في المسجد فأرجله وأنا حائض»[٢].... [*] وعن أم المؤمنين زينب بنت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتكاف، باب الحائض ترجّل شعر المعتكف رقم ٢٩٥ ورقم ٥٩٢٥، ومسلم ٢٩٧، وأبو داود في السنن ٢٤٦٩.

(*) قال في المنهل العذب المورود: ٢٤٢/١٠ - ٢٤٣ «في الحديث دلالةٌ على أنه يجوز للمعتكف أن يغسل رأسه ويُسرحه ويجمله، ويلحق بذلك حلق الرأس، ونتف الإبط وتقليم الأظافر وتنظيف البدن» اهـ باختصار.

وكذا في عون المعبود: ١٠٢/٧، وكذا في فتح الملهم: ٥٥/٣ وزاد «وفيه جواز استخدام الزوجة برضاها، ثم إن ترجيله ﷺ لشعره، وسواكه، وأخذه من شاربه، ونحو ذلك أن النظافة وحسن الهيئة من السنن التي ينبغي على المسلم المحافظة عليها، وأن خلاف ذلك ليس من الشريعة» اهـ باختصار.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٠٨/٣، «وفيه جواز استخدام الزوجة في الغسل والطبخ والخبز وغير ذلك برضاها وعلى هذا تظاهرت دلائل السنة النبوية» اهـ.

وكذا في فتح الباري: ٣٢٠/٤، قريب مما ذكر.

قال في فيض القدير: ٢٩٢/٥ «والمراد هنا بالقناع خرقة تلقى على الرأس لتقي العمامة من نحو دهن» اهـ باختصار.

وفي منتهى السول: ٢١٨/١ وزاد «والدهن: ما يُدهن به من زيت وغيره وجمعه دهان، وإكثاره ذلك إنما كان في وقت دون وقت، وفي زمن دون آخر، بدليل أنه ﷺ نهى عن الادهان والترجل إلا غبا، ثم قال:

والدهن يسدّ مسام البدن، وهو في البلاد الحارة كالحجاز من أسباب حفظ الصحة، وإصلاح البدن» وانظر في زاد المعاد: ١٧٦/١.

قال في عون المعبود: ١٤٤/١١ - ١٤٥، في تعليقه عن نهي النبي ﷺ عن الترجل إلاغبا «ويحمل الحديث على كراهة الاشتغال بالترجل في كل حين، لأنه نوع من الترفّه وقوله إلا غبا يعني يوماً بعد يوم فلا يكره في هذه الحالة بل يسن، فالمراد بالحديث المواظبة على ذلك بحيث إنه لا يكون له شغل إلا رأسه أو يزين نفسه، وإنما يكون ذلك عند الحاجة وهو لا يحتاج إليه في اليوم أكثر من مرة» اهـ باختصار وتصرف.

جحش رضي الله عنها قالت: «كنت أُرَجِّل رأس رسول الله ﷺ في مخضب من[1] صُفرٍ»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ دَهنَ رأسه، وتسريح لحيته، ويكثر القناع، حتى كأن ثوبه ثوب زيّات»[3].

المطلب الثالث:

في حبّه ﷺ للطيب

لقد كان من الصفات الملازمة لرسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً، أنه طيبّ الرائحة وذلك لخاصيّةِ عرقه الشريف ﷺ، والذي جعله الله تعالى من أطيب الطيب، ومن تتبع كتب الشمائل والحديث أدرك ذلك[4]. ومع ذلك كله فقد كان ﷺ كما تخبر الصديقة عائشة رضي الله عنها فتقول: كان رسول الله ﷺ يعجبُه من الدنيا ثلاث:... وذكرت منها:... الطيب...»[5] الحديث وحبه ﷺ للطيب إنما كان لأجل أن

---

(١) قال في النهاية: «المخضب بالكسر: شبه المِزكن، وهي إجانةٌ تُغسلُ فيها الثياب» اهـ مادة خضب.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٢٤/٦، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٠٩٤، وأبو يعلى في مسنده، ٧١٥٧، والطبراني في مسند الشاميين ٢٠٨٣، قال في الموسوعة الحديثية: ٣٣٣/٤٤، إسناده ضعيف لضعف عبدالله بن عمر العمري.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل رقم ٣٢، والبغوي في شرح السنة. ٣١٦٤ والبيهقي في الشعب: ٦٤٦٣ قال ابن حجر في التقريب: ٢٩٥/١ فيه الربيع بن صبيح وهو ضعيف. المسند ٨٦/٤ في الشمائل ٣٤، قال حسن صحيح، وأبو داود في السنن ٤١٥٩ وابن حبان ٥٤٨٤.

(٤) راجع إن شئت الشمائل للترمذي ٣٣٨ ومسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك: ١٠٧/٣، و٢٠٠ و٢٢٢ حتى قال أنس رضي الله عنه: «ما شممتُ شيئاً عنبراً قط ولا مسكاً، ولا شيئاً قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ».

ثم راجع إن شئت البخاري في صحيحه ١٩٧٣، ومسلم في صحيحه رقم ٢٣٣٠ والبيهقي في الدلائل: ٢٥٥/١، ومسند عبد بن حميد /١٢٦٨، والبيهقي أيضاً في شعب الإيمان ١٤٢٩، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ٤١٣/١ - ٤١٤، وابن أبي شيبة في مسنده: ٤٧٢/١١ وفي مسند أبي يعلى ٣٨٦٦، وشرح السنة للبغوي: ٣٦٥٨.

وإذا ما أردت الوقوف على خصائص عرقه ﷺ الذي هو أطيب من الطيب فما عليك إلا الرجوع إلى كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ خصاله وشمائله الحميده ص ٢٤ وما بعدها وكتاب منتهى السول: ٣٤٣/١ وما بعدها.

(٥) الحديث رواه أحمد في المسند: ٧٢/٦، وابن سعد في الطبقات: ٣٩٨/١.

قال في الموسوعة: ٤٩٩/٤٠، ضعيف لإبهام الراوي عن عائشة، وبقية رجاله ثقات والحديث

=

يُقتدى به ولأنه حظ الروحانيين من الملائكة ولا غرض لهم في الدينا سواه. فكأنه ﷺ يقول حتى لهذه الخصلة إنما هو لأجل غيري كما هو واضحٌ حيث جاء الفِعْل مجهولاً بلفظ حُبّبَ فهي صفة جُبل عليها[١]. فقد كان ﷺ مأموراً بالدعوة، وكان من وظائفه أن يسعى في تحسين صورته في أعينهم، لئلا تزدريه نفوس الناس، فينفرهُم ذلك عنه، ويتعلق المنافقون بذلك من أجل تنفير الناس عنه ﷺ، وهذا الفعل واجبٌ على كل عالم تصدى لدعوة الخلق[٢].

المطلب الرابع:
في بعض الأمور الأخرى والتي هي من الفطرة

ولما كانت اللحية زينة الرجال فقد سنها النبي ﷺ، وكذا كان رسول الله ﷺ يقصُّ شاربه..»[٣]... [*]

=

وإن كان ضعيفاً لكن له شاهد من حديث أنس وهو عند أحمد في المسند: ١٢٨/٣ وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٩٨و٢٢٩، والضياء في المختاره ٢٧٣٧، والنسائي في الكبرى: ٦١/٧ والحاكم: ١٦٠/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه، في التلخيص الحبير لابن حجر: ١١٦/٣. قال حديث حسن.

(١) انظر منتهى السول: ٣١٥/١. وانظر فيض القدير ٤٥١/٣.

(٢) انظر منتهى السول: ٣٥٦/١.

(٣) الحديث في المسند: ٣٠١/١. واللفظ له ورواه وأبو يعلى في مسنده ٢٧١٥، والطحاوي في شرح معاني، الآثار: ٢٣٠/٤. والطبراني في الكبير ١١٧٢٥، والترمذي في سننه رقم: ٢٧٦٠. وقال حسن غريب.

(*) ولقد وقَّت النبي ﷺ وقتاً للقيام بهذه الأمور الفطرية حيث لا يجوز تركها بعد ذلك كما روى ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «وقتَ لنا رسول الله ﷺ: في قص الشارب وحلق العانة، وتقليم الأظفار، في كل أربعين يوماً مرة» الحديث رواه أحمد في المسند ٣: ١٢٢ و٢٠٣، واللفظ له وهو عند أبي يعلى في مسنده ٤١٨٥، والبغوي في الجعديات: ٣٤١٥، وابن الأعرابي في معجمه ٢٤، وأبو داود في سننه ٤٢٠٠، والترمذي في سننه ٢٧٥٨، ومسلم في صحيحه: ٢٥٨، وأبو داود الطيالسي في مسنده ٢١٤١، والنسائي في الكبرى ٨٨/١ وأبو عوانة في مسنده: ٦٠/١.

«وقد تعرض الفقهاء، لهذه الأمور فاستحبوا فعلها في كل أسبوع مرة، وجوزوه في خمسة عشر يوماً، وكره تحريماً ترك ذلك وراء الأربعين».

انظر الهدية العلائية: ٢٥٣/١ - ٢٥٤. ص ٢٩١ وزاد في فيض القدير: «وفي هذه الأشياء

=

المبحث الخامس:

فيما يتعلق بخاتمه ﷺ

لما أراد النبي ﷺ أن يكتب الكتب إلى الملوك ليدعوهم فيها إلى الإسلام، قالت الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ: إنهم لا يقرؤون كتاب إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة، نقشُهُ محمد رسول الله»[1]..... (*) وأما اليد التي لبس فيها

=

تحسين الهيئة - خاصة في اللحية وقص الشارب وتنظيف الأعضاء مما قد يعلق بهما وهو أمر ليس لحسن الهيئة فقط بل لأمر ديني، لذا كره تركه بعد الأربعين» اهـ باختصار.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، رقم: ٧١٦٢ ومسلم في صحيحه: ٢٠٩٢.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٦٨/١٤ «وفيه جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه وجواز نقش اسم الله تعالى، وهذا مذهبنا وابن المسيب ومالك والجمهور، وبعضهم كره نقش اسم الله تعالى عليه» اهـ وانظر الفتح ٣٤٠/١٠ وزاد: «فذكر جمعاً من الأئمة نقشوا أختامهم كالإمام الباقر رضي الله عنه فقد كان نقش خاتمه العزةُ لله».

وناقش أيضاً في الفتح مسألة اتخاذ الخاتم لغير السلطان وكذا فعل صاحب كتاب التكملة: ٤/ ٧٩. وزاد: وتوارث الخاتم بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان وفقده عثمان اهـ بتصرف.

زاد في عون المعبود: ١٨٣/١١ «قال بعض العلماء كان في خاتم رسول الله ﷺ من السر شيء مما كان في خاتم سليمان عليه السلام، لأن سليمان لما فقد خاتمه فقد ملكه، وعثمان لما فقد خاتم النبي ﷺ انتقض عليه الأمر وخرج عليه الخارجون، وكان ذلك مبدأ الفتنة» وكذا في فتح الباري: ٣٤٢/١٠.

وأفاض الزرقاني في ذكر خاتمه ﷺ والأحكام التي تتعلق بذلك في شرح المواهب: ٣١٢/٦، وما بعدها فانظره تجد به حاجتك ومبتغاك.

قال في فيض القدير: ١٤٩/١، «وتحصل السنة بلبس الخاتم مطلقاً مستعاراً أو ملكاً، ولكن الأفضل لبسه بالملك واستدامة لبسه» اهـ.

ومسلم رواه عن ابن عمر ٢٠٩١، وابن حبان، وكذا عن علي، عند ابن حبان٥٥، ١٥ وعند الترمذي عن ابن عباس ١٧٤٢.

«وقد رجح الشافعية رواية اليمين. وذهب المالكية إلى استحبابه باليسار وكرهوا التختم باليمين. وذهب الحنفية إلى أن لبس الخاتم في الخنصر اليسرى ولا يلبسه في اليمين ولا في غير الخنصر اليسرى من أصابعه، ومن الفقهاء من سووا بين اليمين واليسار منهم أبو الليث ورجحه بعضهم، وذهب بعض أهل العلم أن ذلك يختلف باختلاف القصد فإن كان القصد التزيُّن به فاليمين أفضل، وإن كان للختم به فاليسار أفضل، وذهب بعض أهل العلم إلى أن النبي ﷺ تختمَ

=

رسول الله ﷺ الخاتم فهي اليمنى كما قال عبدالله بن جعفر رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يختتم في يمينه[١].

.... وكان ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتمه[٢] [*]....

المبحث السادس:

فيما يتعلق بنعله وخفّه ﷺ

عن ثابت البناني[٣] قال: أخرج إلينا أنس بن مالك رضي الله عنه نعلين جرداويْن[٤]

=

أولاً باليمين ثم تختم في يساره، وكان ذلك آخر الأمرين» اهـ باختصار.

عمدة القاري. ١٥: ٧٨ وانظر أيضاً فتح الباري: ٣٣٨/١٠ - ٣٣٩، وكذا بعضها في التكملة: ٤/ ٨٣، وشرح النووي: ٧٣/١٤. وعون المعبود: ١٩٣/١١. وشرح المواهب: ٣٣٥/١١، وبعدها وكذا في المفهم: ٤١٠/٥ - ٤١١.

وانظر فيض القدير: ٢٤٣/٥و٢٤٤، وانظر أيضاً منتهى السول: ٥٤٤/١، وانظر شرح ابن بطال لصحيح البخاري: ١٤٤/٩.

(١) رواه أحمد: ٦٠/٢، والترمذي: ١٧٤٧ وقال حسن صحيح.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب الطهارة رقم ١٩، والنسائي في الكبرى: ١٧٨/٨، وابن ماجه في السنن٣٠٢والبيهقي في السنن: ٩٥/١ والترمذي في السنن رقم ١٧٤٦ وقال حسن غريب.

(*) «وهذا أصل عظيم ففيه وضع كل ما فيه اسم معظم عند دخول الخلاء، وفيه ندب تنحية كل ما عليه اسم معظم عند قضاء الحاجة» اهـ باختصار.

وفي بذل المجهود: ٤٩/١ «وهذا يدل على استحباب، تعظيم اسم الله تعالى، ويدخل فيه كل ما كان فيه اسم لله تعالى من القرطاس والدراهم إذا كان فيه اسم لله تعالى عز وجل، بل إذا كان منقوشاً فيها الحروف ينبغي لمن دخل الخلاء أن يضعه قبل دخول الخلاء، لأن الحروف العربية هي مادة القرآن الكريم وأسماء الله تعالى فلها أيضاً شرف وعظمة، وكذلك عند الجماع والاستنجاء وغير ذلك من الحالات» اهـ باختصار وتصرف.

قال الشوكاني في نيل الأوطار: ٧٤/١ «والقرآن بالأولى حتى قال بعضهم يحرم إدخال المصحف الخلاء لغير ضرورة» اهـ.

(٣) هو الإمام القدوة ثابت بن أسلم البناني البصري، ولد في خلافة معاوية رضي الله عنه، أدرك من الصحابة أنس، وابن عمر، وعبدالله بن مغفل، وابن الزبير رضي الله عنهم، كان من أئمة العلم توفي سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن ست وثمانين سنة. السير: ٢٢٠/٥، والطبقات الكبرى: ٢٣٢/٧، والتاريخ الكبير للبخاري: ١٥٩/٢، والصغير: ٣١٨/١، والجرح التعديل: ٤٤٩/٢، والحلية: ١٨٠/٣، وتذكرة الحفاظ: ١٢٥/١.

(٤) في النهاية: «ذكر الحديث وقال: أي لا شعر عليهما» اهـ مادة جَرد.

لهما قبالان[١]، وقال: إنهما نعلا النبي ﷺ»[٢].. [*]

وكان ﷺ إذا انتعل ابتدأ باليمين وإذا نزع ابتدأ بالشمال»[٣]... [*] كان لنعله ﷺ سيران يضع أحدهما بين إبهام رجله والتي تليها، ويضع الآخر بين الوسطى والتي تليها،

---

(١) في النهاية: «ذكر الحديث وقال: القبال زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين، ومنه حديث: قابلوا النعال: أي اعملوا لها قبالاً، ونعل مقبلة إذا جعلت لها قبالاً، ومقبولة إذا شددت لها قبالها» اهـ مادة قبل.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٥٥١٩.

(*) «قال في عون المعبود: ١١/١٣٠» اهـ باختصار وكذا في الفتح: ١٠/٣٢٥.

وفيض القدير: ٥/٢١٨، وشرح المواهب: ٦/٣٤٦، ومنتهى السول: ١/٥٦٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم ٥٥٢٠.

(*) وكذا كان ﷺ كان يأمر أصحابه بذلك كما في حديث: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى أولها تنعل وآخرهما نزع» رواه البخاري، رقم ٥٥٢١ ومسلم رقم ٢٠٩٧.

وفي فيض القدير: ١/٣٨٤ «لأن اللبس كرامة للبدن إذ هو وقايةٌ من الآفات، واليمين أحق بالإكرام فبدئ بها في اللبس وأخرت في النزع ليكون الإكرام بها أدوم وصيانتها وحفظها أكثر» اهـ.

قال في فيض القدير: ٥/٢٥٧، «وهذا منه ﷺ إرشاداً لأصحابه وأمته للتواضع وترك الكبر، وهو الذي شرفه الله تعالى بالوحي والنبوة والرسالة، وأكرمه بالمعجزات، وفيه أن ذلك من دأب الصالحين» اهـ باختصار.

قلت: وهذا الحديثان أوردتهما هنا لبيان أن من سننه ﷺ كان لا يطأ الحصير أو ما شابه بنعليه حبذا لو اقتدى المسلمون بالنبي الكريم ﷺ بهذا؟ إذاً لوفروا على أنفسهم نظافة بيوتهم وبسطهُم؟

في وقت نرى الناس اليوم يطؤون بنعالهم البسط والسجاد وهذا مما يخالف هديه ﷺ.

ومما يذكر من بركة نعله ﷺ ما أورده صاحب كتاب منتهى السول: ١/٥٨٢ «قال الشيخ أبو جعفر: أصاب زوجتي وجع شديد كاد يُهلكها فجعلت نعل النبي ﷺ على موضع الوجع، وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفاها الله تعالى للحين. وقال إبراهيم بن محمد: ومما جُرّب من بركته: أن من أمسك نعله ﷺ عنده متبركاً به كان له أماناً من بغي البغاة، وغلبة الأعداء، وحرزاً من الشيطان، وعين الحاسد، وإن أمسكته الحامل بيمينها وقد اشتد عليه الطلق يسر أمرها بحول الله تعالى وقوته» اهـ باختصار وتصرف.

قلت: «إذا كان هذا هو شأن نعله ﷺ فما بالك بجاهه العظيم عند خالقه تعالى؟

ألا فليتقِ الله المنكرون التوسل بجاهه ﷺ ولينتهوا عن ذلك فما عهدناهم إلا أعشار أعشار المتعلمين؟ قال الذهبي في السير: ١/٤٦٩».

ويجمع السيرين إلى السير الذي وجه قدمه وهو الشراك[1].

وكان ﷺ يخصف نعليه[2]. وقالت عائشة رضي الله عنها لما كانت ليلتي التي كان فيها النبي ﷺ عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع[3]، وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدّث يخلع نعليه[4]. وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يُلبس رسول ﷺ نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه، نزع نعليه، فأدخلهما في ذراعه، وأعطاه العصا، وكان يدخل الحجرة أمامه بالعصا[5].

مطلب: في خفّه ﷺ

الثابت المتواتر[6] أنّ النبي ﷺ ملك الخف ومسح عليه.... (*)

المبحث السابع:

فيما يتعلق بنومه ﷺ

قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[7].....

ومن تدبّر أمر نومه ويقظته ﷺ وجده أعدل نوم، وأنفعه للبدن والأعضاء

---

(١) انظر في عون المعبود: ١٣/١١. وكذا في الفتح: ٣٢٥/١٠.

(٢) انظر فتح الباري: ٣٢٤/١٠، وشرح المواهب: ٣٥٠/٦، ومنتهى السول: ٥٧٢/١.

(٣) انظر المسند: ٢٢١/٦. وهذا لفظ مسلم: ٩٧٤ وغيرهما.

(٤) رواه البيهقي في الشعب: ١٥٣٧ قال في فيض القدير: ١٤٦/٥: ضعفه الذهبي.

(٥) انظر الطبقات: ١٠٨/٣.

(٦) المتواتر: "هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب" شرح البيقونية. ص ١٠٢.

(*) الثابت أنّه أهدى للنبي ﷺ خفّان أسودان رواه الترمذي في السنن ١٧٦٩، وفي الشمائل رقم ٦٩ وقال حسن. ونصه: عن المغيرة بن شعبة، أهدى دحية الكلبي لرسول الله ﷺ خفين فلبسهما.
رواه أيضاً في الشمائل رقم: ٧٠، وقال صحيح.
قال في شرح المواهب: ٣٤٤/٦. «روى المسح على الخفين عن النبي ﷺ ثمانون صحابياً، وهو متواتر، ودل الحديث على جواز قبول الهدية من أهل الكتاب، فإن النجاشي أهداه للنبي ﷺ قبل إسلامه، كما قاله ابن العربي، وأقرّه الزين العراقي» وكذا في فتح الباري: ٣٦٥/١ ومنتهى السول: ٥٨٦/١.

(٧) الآية (٢٣) سورة الروم.

والقوى، ويستيقظُ أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضأ ويُصلي ما كتب له...»[١].

المطلب الأول:
في أنه ﷺ كان ينام أول الليل

عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله ﷺ ينام أول الليل...»[٢]... [*] أي بعد صلاة العشاء إلى تمام نصفه الأول لأنه ﷺ كره النوم قبلها... وذلك أعدل النوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوة، فإنه ينام أوله ليعطي القوّة حظها من الراحة ويستيقظ آخره ليعطيها حظها من الرياضة والعبادة وذلك غاية صلاح القلب والبدن والدين[٣].

وعن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما قال: أتيت بيت خالتي ميمونة زوج النبي ﷺ،

---

(١) انظر زاد المعاد: ٢٣٩/٤، وفي أشرف الوسائل ص ٣٦٥.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ١٧٦/٦، والنسائي في المجتبى: ٢٣٠/٣، والبخاري ١١٤٦، وابن حبان ٢٥٦٣، والترمذي في الشمائل: ٢٦٢، وفي شرح المواهب: ٣٩٠/٦، وقريب منه في منتهى السول: ٢٨٣/٢، وزاد «ما نام ﷺ قبل صلاة العشاء ولا سمر أي سهر بعدها» اهـ، وانظر الآداب الشرعية للمقدسي: ٤٠٧/٣، وعن ابن حبان رقم: ٥٥٤٧ أنها قالت لعروة بن الزبير: «فإن رسول الله ﷺ لم يكن ينام قبل العشاء، ولا يتحدث بعدها».

(*) قال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في تفسيره: ١١٣٦٩/١٨. «ومن الآيات العجيبة الدالة على قدرة الله تعالى «منامكُم» فحتّى الآن لم يستطع علماء وظائف الأعضاء والتشريح الكشف عن سر النوم، ولم يعرفوا - رغم ما قاموا به من تجارب - ما هو النوم، لكن هو ظاهرة موجودة وغالبة لا يقاومها أحد مهما أوتي من القوة، ومهما حاول السهر دون أن ينام، لا بُدّ أن يغلبه النوم فينام ولو على الحصى والقتاد: في اللسان القتاد شجر له شوك أمثال الإبر»، ينام وهو واقف وهو يحمل شيئاً، لا بُدّ أن ينام على أيّة حالة وفلسفة النوم، لا أن نعرف كيف ننام، إنّما نعرف لماذا ننام؟ قالوا: «إن الإنسان مكون من طاقات وأجهزة لكُلّ منها مهمة، فساعة تجهد هذه الأجهزة تصل بك إلى مرحلة ليست قادر عندها على العمل فتحتاج بدون شعور وبأمر غريزي إلى أن ترتاح، كأنها تقول لك كفى لم تعد صالحاً للعمل والحركة فنم».

(٣) انظر فيض القدير: ٣٠٢/٥.

(٤) هو حبر الأمة وبحرها، فقيه العصر، إمام التفسير، أبو العباس، عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عم الرسول ﷺ، ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، توفي سنة ثمانٍ أو سبع وستين هـ : السير: ٣٣١/٣ والطبقات الكبرى: ٣٦٥/٢. التاريخ الكبير: ٣/٥ الجرح والتعديل: ٥ /١١٦ والحلية: ٣١٤/١.

فبتُّ عندها، فوجدْتُ ليلتها تلك من رسول الله ﷺ قال: فصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم دخل بيته، فوضع رأسه على وسادة من أدم حشوها ليف.. الحديث[1]... (*)

المطلب الثاني:

في هديه ﷺ في وضوئه وقراءته قبل النوم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول: فيها آية خير من ألف آية»[2].. (*)

... وعنها أيضاً قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام توضأ وضوءه للصلاة»[3] وعن عائشة رضي الله قالت: «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل»[4]... (*) ومما جاء في قراءته ﷺ عند النوم أنه ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل،

---

(١) رواه أحمد: ٣٦٩/١ وهذا لفظه، في الموسوعة: ٤٤٦/٥ قال حديث حسن وإسناده ضعيف وأبو داود ١٣٣ وابن خزيمة ١٠٩٤ والطبراني ١٢٥٠٤.

(*) «في الحديث استحباب النوم أول الليل، وملاطفة الصغير والقريب والضيف، ومبيت الصغير عند محرمه وإن كان زوجها عندها. وترك الاحتشام بحضرة الصغير» فتح الباري: ٥٦٢/٢ باختصار وتصرف. وكذا النووي في شرح صحيح مسلم: ٤٦/٦ وفتح الملهم: ١٨٤/٤.

قلت: حبذا لو طبق المسلمون هذه السنّة بنيامهم أول الليل، إذاً لحافظوا على سنة نبيهم ﷺ ولحققوا المنفعة لأبدانهم، ولوفروا على أنفسهم مصروف الكهرباء، ومقتضيات السهر، ولاستيقظوا باكراً لتحصيل أرزاقهم ولتحققت لهم البركة في أعمارهم وأرزاقهم.

(٢) رواه الترمذي في السنن رقم: ٢٩٢١ و٣٤٠٦، وقال حسن غريب، وفي عمل اليوم والليلة ص ٢١٦، وأبو داود رقم ٥٠٥٧.

(*) قال في عون المعبود: ٢٦٩/١٣. «والمسبحات أي السور التي في صدرها لفظ التسبيح، قبل أن ينام» اهـ.

وفي منتهى السول: ٢٩٣/٢ «والمسبحات هي ست: الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، الأعلى، والآية التي هي خير من ألف آية هي قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ اهـ سورة الحديد آية (٣) وقال ابن كثير في تفسير: ٥٦٠/٤. هي آخر سورة الحشر» قلت: وفيه فضل هذه السورة، واستحباب قراءتها قبل النوم.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٨٥/٦ و١٢١، والنسائي في الكبرى: ٩٠٤١، والبيهقي في السنن: ٢٠٠/١، وفي تاريخ بغداد: ١٤١/٥، ومالك في الموطأ: ٤٧/١ - ٤٨، وابن أبي شيبة: ٦٠/١، قال في الموسوعة: ٣٩٨/٤١ رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤) رواه الترمذي رقم ٣٤٠٥. قال هذا حديث حسن غريب.

(*) وفي منتهى السول: ٢٩٢/٢. «بني إسرائيل هي سورة الإسراء».

=

وتبارك الذي بيده الملك[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان، إذا أخذ مضجعَهُ نفث[(٢)] في يده، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده»[(٣)]... وفي رواية أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما «قل هو الله أحد» «وقل أعوذ برب الفلق» «وقل أعوذ برب الناس» ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وجسده ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات[(٤)] [(*)].

=

وقال في فيض القدير: ٢٣١/٥ «قال الطيبي "حتى" في الحديث للغاية أي لا ينام، ويحتمل المعنى إذا دخل وقت النوم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل، يعني لم يكن من عادته النوم قبل قراءتها فتقع القراءة قبل النوم» اهـ باختصار وتصرف.

وانظر أيضاً منتهى السول: ٢٩٢/٢. «ألم تنزيل هي السورة التي فيها السجدة، وسورة الملك».

ومما جاء في سورة الملك قوله ﷺ: إن سورة من القرآن، ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي «تبارك الذي بيده الملك» رواه أحمد في المسند: ٢٩٩/٢، والحاكم: ٥٦٥/١، وصححه الذهبي والترمذي ٢٨٩١ وحسنه، وأبو عبيد، في فضائل القرآن ص ٢٦٠، وأبو داود ١٤٠٠، وابن ماجه ٣٧٨٦، وابن الضريس في فضائل القرآن: ٢٣٧، الفريابي في فضائل القرآن: ٣٣، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٧٢٠ والحديث له شواهد يراجع الموسوعة: ٣٥٣/١٣.

قال في عون المعبود: ١٩٤/٤ «تشفع لصاحبها أي لمن يقرؤها في القبر أو يوم القيامة» وفي فيض القدير: ٥٦٣/٢. «وكان قد لازم على قراءتها فما زالت تسأل الله تعالى حتى شفعها فيه» اهـ.

وقد عدّ الشيخ عبدالله سراج الدين رحمه الله تعالى، في كتابه الإيمان بعوالم الآخرة ص ٧٦، «قراءة سورة الملك بأنها منجية من عذاب القبر».

(١) رواه الترمذي:٢٨٩٢ و٣٤٠٤، فقال حسن غريب، وأحمد في المسند: ٣٤٠/٣.

(٢) في النهاية: النفث بالفم، وهو شبيه بالنفخ، وهو أقلّ من التفل» اهـ مادة نفث.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات باب التعوذ عند القراءة رقم: ٣٦١٩.

(٤) رواه الترمذي، ٢٨٩٢ حسن غريب.

(*) في شرح المواهب: ٣٩٦/٦. «أي يقرأ السور الثلاث بكاملها. والنفث هو أن ينفخ نفخاً لطيفاً بلا ريق على ما يلوح من ظواهر الأحاديث، وإن اختلف أهل اللغة في النفث بريق أو بدونه، وذلك مخالفة لليهود، لأنهم يقرؤون - أي توراتهم - ولا ينفثون» اهـ.

المطلب الثالث:

في أدعيته ﷺ عند النوم ونومه على شقه الأيمن

اعلم أن الدعاء أمره عند الله كبير، ولذا أمرنا بقوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

وأجره عظيم، ولذا كان رسول الله ﷺ يكثر ويأمر أمته به حيث قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم، إلا أعطاهُ الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعَجَّلَ دعوتُهُ، وإما أن يدخرها الله له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذاً نكثر يا رسول الله قال: الله أكثر»[2] وله ارتباط وثيق بإيمان المؤمن وبعبادته لله تعالى.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «الدّعاء مُخّ العبادة»[3].

وقال أيضاً: «ليس شيءٌ أكرم على الله تعالى من الدعاء»[4]... (*)

عن أم المؤمنين حفصة زوج النبي ﷺ، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه، وضع يده اليمنى تحت خدِّه الأيمن، وقال: ربي قني عذابك يوم تُبعَثُ عبادك ثلاثاً»[5]... (*) ودُعاؤه ﷺ هذا مع عصمته وعلمه أنّه من أهل الجنة، ومعصوم من النار،

---

(1) سورة غافر آية: ٦٠.

(2) الحديث رواه أحمد في المسند: ١٨/٣، وهذا لفظه، ورواه، ابن أبي شيبة: ٢٠١/١٠. وعبد بن حميد في المنتخب: ٩٣٧، وأبو يعلى في مسنده: ١٠١٩، وأبو نعيم في الحلية: ٣١١/٦ والمزي في تهذيب الكمال: ٣١٢/٦، والحاكم في المستدرك: ٤٩٣/١، وصححه الذهبي.

(3) رواه الترمذي في السنن رقم ٣٣٧١، وقال حسن غريب.

(4) المصدر السابق رقم: ٣٣٧٠ كتاب الدعوات والحاكم: ٤٩٠/١ وصححه الذهبي.

(*) «قال في فيض القدير: ٦٦٣/٣ - الدعاء مخ العبادة - أي خالصها لأن الداعي إنما يدعو الله تعالى عند انقطاع أمله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص، ولا عبادة فوقها فكان منَّحها بهذا الاعتبار، وأيضاً لما فيه من إظهار الافتقار والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمت العبودية واستشعار ذلة البشرية، ومتضمن للثناء على الله تعالى وإضافة الكرم والجود إليه. والعبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الأفعال. وما شرعت العبادة إلا للخضوع للباري عز وجل والافتقار إليه» اهـ باختصار.

(5) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٨٧/٦، وابن أبي شيبة: ٧٤/٩، والنسائي في الكبرى ١٠٥٩٧، وفي عمل اليوم والليلة ٧٦١، وأبو يعلى في مسنده ٧٠٥٨، وابن السني في عمل اليوم والليلة =

تواضعاً منه ﷺ، وإجلالاً لله، وتعليماً لأمته أن يقولوا ذلك عند النوم، لاحتماله أنه آخر العمر، فيكون خاتمة عملهم ذكر الله تعالى مع الاعتراف بالتقصير الموجب للفوز والرضا.

ومن الأدعية التي كان يقولها ﷺ إذا أخذ مضجعة هي قوله ﷺ: «باسمك اللهم أموت وأحيا...»[١]... [*]..

ومنها أيضاً: ما أوصى به «رسول الله ﷺ رجلاً فقال له: إذا أخذت مضجعك فقل: اللهمّ أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوضْتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإن مُتَّ، مُتَّ على الفطرة...»[٢].. [*]

=

٧٢٩، وللحديث شواهد عن ابن مسعود عند أحمد: ١/٣٩٤، والترمذي في الشمائل وقال حديث صحيح.

(*) زاد في فيض القدير ٥/١١٠ «ويندب ذلك الهيئة والذكر لكل من أراد النوم ليلاً أو نهاراً» اهـ مختصراً، وكذا في منتهى السول: ٢/٢٨٧ - ٢٨٨.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحة ٦٣١٤ و٧٣٩٤، وفي الأدب المفرد ١٢٠٥.

(*) قال في فيض القدير: ٥/١١١ «أي وعلى اسمك الحياة والممات» اهـ.

وفي عون المعبود: ١٣/٢٦٦ «أي بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، والمعنى اللهم بك نحيا وبك نموت للإشارة في ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية ١٦٢»، اهـ باختصار وتصرف.

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في تفسيره: ٧/٤٠٢٤. «وإذا كانت الحياة موهبة وهبك الله فإياك أن تصرف قدرة الحياة ومظاهرها في غير ما يُرضي الله تعالى فينبغي أن تكون حياتك لله لا لشهوتك، ومماتك لله لا لورثتك، وتذكر ذلك جيداً. لأنّ الحق يقول بعد ذلك ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾» الأنعام آية ١٦٣.

(٢) رواه البخاري: ٦٣١٣ وهذا لفظه و٧٤٨٨، ومسلم ٢٧١٠.

(*) في الفتح: ١١/١١٧. «إذا أوى إلى فراشه أي دخل فيه، وفي الطريق الثاني إذا أخذ مضجعه» اهـ.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: ١٧/٣٢ - ٣٣ تعليقاً على الرواية الأخرى: «الحديث فيه ثلاث سنن مستحبة، أولها الوضوء، والقصد منه إن مات المرء في ليلته أن يموت على طهارة، وليكون أصدق لرؤياه وأبعد عن تلاعب الشيطان به في منامه وترويعه إياه، ثانيها: النوم على الشق الأيمن. الثالثة: ذكر الله تعالى ليكون خاتمة عمله. ومعنى أسلمت نفسي إليك أي استسلمتُ وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك، والوجه والنفس هنا بمعنى واحد،

=

... «وكان ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[١].... (*)

المطلب الرابع:

في أرقه[٢] ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرقَ النبي ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً يجيء فيحرسني..» الحديث[٣]... (*)

=

ومعنى الجأت ظهري إليك: أي توكلت عليك واعتمدت في أمري كله عليك، كما يعتمد الإنسان بظهره إلى ما يستند إليه، ومعنى رغبه ورهبة: أي طمعاً في ثوابك وخوفاً من عذابك» اهـ باختصار وتصرف.

وانظر أيضاً التكملة: ٢٩٢/٥ وعون المعبود. ٢٦٥/١٣، ومنتهى السول: ٢٩٧/٢، وشرح المواهب: ٣٩٢/٦.

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٧١٥، والبخاري في الأدب المفرد: ١٢٠٦.

(*) والمعنى: «فمن الخلق لا كافي لهم ولا مؤوي لهم على الوجه الأكمل عادة، فالله تعالى كافٍ لجميع خلقه ومؤوٍ لهم، ولو في بعض الوجوه، وإن كان لا يكفيهم ولا يؤويهم من بعض آخر، فلا يكفهم شر أعدائهم، بل يسلطهم عليهم، ولا يأويهم إلى مأوى بل يتركهم يتأذون ببرد الصحاري وحرها، وفي الحديث إشارة إلى عموم الأكل والشرب لتحول الرزق. وأما الكفاية من شر الأعداء والمأوى، فالله تعالى يخص بهما من يشاء من عباده، فإن كثير منهم من يتسلط عليه أعداؤه، وكثير منهم ليس له مأوى إما مطلقاً أو مأوى صالحاً» منتهى السول: ٢٩٤/٢ اهـ باختصار، وقريب منه في عون المعبود: ٢٦٨/١٣، والتكملة: ٢٩٦/٥. وفيض القدير: ١٣٦/٥، ومن أراد الاستزادة من أذكار النوم فما عليه إلا العودة إلى كتاب الإمام النووي.

(٢) في النهاية: الأرق السهر، رجل أرقٌ: إذا سهر لعلةٍ، فإن السهر من عادته، قيل أرُق بضم الهمزة والراء» اهـ مادة أرق.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢٨٨٥ ومسلم ٢٤١٠.

(*) قال في الفتح: ٩٦/٦. (وظاهره أن سهره ﷺ كان قبل قدوم المدينة، وهناك قول إنه كان ذلك بعد قدومه المدينة، كما هي رواية مسلم في صحيحه رقم ٢٤١٠) ولفظه: «سهر رسول الله ﷺ مقدمة المدينة ليلة فأطال» الحديث - وظاهر رواية مسلم أن السهر، والقول كان بعد مقدمه المدينة. وفي الحديث الأخذ بالحذر والحيطة، والاحتراس من العدو، وأن على الناس حراسة من خشي عليه القتل. وإنما كان ذلك قبل نزول قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الآية ٦٧، سورة المائدة.

وزاد القرطبي في المفهم: ٢٨/٦. «وليس في ذلك تناقض مع آية العصمة من الناس، كما أن

=

أتى النبي ﷺ ليلة لينام فوجد تمرة تحت جنبه، فأخذها فأكلها، ثم جعل يتضور[١] من آخر الليل، ونزع لذلك بعضُ أزواجه، فقال: «إني وجدتُ تمرةً تحت جنبي فأكلتُها فخشيتُ أن تكون من تمرة الصدقة».

وفي رواية أخرى: «فلم ينم تلك الليلة، فقال بعض نسائه: يا رسول الله ﷺ أرقت البارحة. فقال: إني وجدتُ تمرة.... وكان عندنا تمْر الصدقة، فخشيتُ أن تكون منه»[٢].. [*]

وكان في مثل هذه الحالة. أي إذا تضور وأرق ﷺ يقول كما تحدثنا عائشة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ: «إذا تضوّر من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»[٣]... [*]

=

إخباره تعالى عن نصره وإظهاره ليس فيه ما يمنع الأمر من القتال، وإعداد العدد والعُدد، والأخذ بالجد والحزم، والحذر، وسر ذلك أن هذه أخبار عن عاقبة الحال، ومآله، ولكن هل تحصل تلك العاقبة عن سبب معتاد أو غير سبب لم تتعرض الأخبار له، بل الشريعة طافحة بالأخذ بالأسباب في كل شي» اهـ باختصار.

(١) قال في النهاية: (يتضور: أي يتلوى يتقلب ظهراً على بطن، وقيل: يتضور: يُظهر الضوَّر بمعنى الضر، يقال ضاره يضوره ويضره) ٩ اهـ مادة صور.

(٢) الروايتان عند أحمد في المسند الأولى: ١٨٣/٢، والثانية: ١٨٣/٢: ١٩٣/٢. وأوردها الهيتمي في مجمع الزوائد: ٨٨/٣، وقال رجاله موقوفون، وحسن إسنادهما العراقي في تخريج الإحياء: ٢/ ٩٩.

(*) قال في فيض القدير: ١٣٧/٥، «كان إذا تضوّر من الليل بالتشديد أي تلوَّى وتقلب ظهراً لبطن» اهـ باختصار.

وانظر منتهى السول: ٢٦٥/٢ و٢٩٦.

الحديث أورده الحافظ في الفتح: ٢٩٤/٤، وجمع بينه وبين حديث أنس عند البخاري في أنه ﷺ: «مر بتمرة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها» قال: «هو محمول على التعدد، وأنه لما اتفق له أكل التمرة. أقلقه ذلك وصار بعد ذلك إذا وجد تمرة خشي أن تكون من الصدقة تركها، ذلك لأن الله تعالى حرم عليه الصدقة تشريفاً وتعظيماً لقدره ﷺ وأهل بيته» اهـ باختصار.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك: ٥٤٠/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(*) قلت: وكان هذا من باب إدامته ﷺ واشتغاله بذكر الله تعالى. وهذا يدل على استحباب الدعاء عندما يُصيب الإنسان أرق في نومه.

المطلب الخامس:

في أنّه ﷺ كان ينام مع زوجه الحائض

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد كان رسول الله ﷺ ينام مع المرأة من نسائه الحائض وما بينهما إلا ثوبٌ ما يجاوز الركبتين»[1]... (*)

المطلب السادس:

في أحوال ووقت استيقاظه ﷺ من نومه

المتتبع للأحاديث النبوية الواردة في وقت قيامه واستيقاظه ﷺ من النوم يجدها تكاد تجمع أنه ﷺ كان يستيقظ نصف الليل، دليل ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عندما نام في بيت خالته أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها، وقوله فيه: «... حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل، أو بعده بقليل...»[2] الحديث.

ولما سألت عائشة رضي الله عنها عن وقت قيامه ﷺ بالليل قالت: «كان يقوم إذا سمع الصارخ»[3]..... (*)...

وكان ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٦/٣٣٢، وهذا لفظه، والنسائي في المجتبى: ١/١٥١، وفي الكبرى: ٢٨٠، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٣/٣٦، والطبراني في الكبير: ٢٤/٢٠، وعند مسلم بعضه رقم ٢٩٥، ولفظه عند مسلم: كان ﷺ يضطجع معي وأنا حائض وبيني وبينه ثوبٌ.

(*) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح مسلم: ٣/٢٠٧، «وفيه جواز النوم مع الحائض والاضطجاع معها في فراش واحد إذا كان هناك حائل يمنع الوقوع في المحظور، قال العلماء تجوز مضاجعة الحائض وقبلتها وإنما المحرم فقط هو الجماع» اهـ باختصار.

(٢) في صحيح البخاري /١٣٨ ومسلم ٧٦٣.

(٣) الحديث في صحيح البخاري رقم ١١٣٢. ومسلم رقم ٧٤١. وانظر بعضه في فتح الملهم: ٣/ ٥٤. وانظر فتح الباري: ١/٥٠١ ففيه كلام مشابه.

(*) قال في الفتح: ٣/٢٢. «الصارخ الديك. وجرت العادة بأن الديك يصيح عند نصف الليل غالباً. وهو موافق لقول ابن عباس في الحديث السابق» اهـ باختصار.

وانظر منتهى السول: ٣/١٨، وشرح صحيح مسلم: ٥/٤٨ وشرح الموطأ للزرقاني: ١/٣٤٩، وشرح المواهب: ١/٥٣٧. وفتح الملهم: ٤/١٢٠، وعون المعبود: ٤/١٤٠، وانظر المنهل العذب المورود: ٧/٢٤٦، زاد في فيض القدير: ٥/٢٠٩ - ٢٩٠ «وخص هذا الوقت لقيامه ﷺ لأنه وقت هدوء الأصوات ونزول الرحمة» وكذا في كتاب أشرف الوسائل ص ٣٦٥.

النشور»[١]... [*]..

وكذا كان ﷺ إذا استيقظ من نومه قرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران...

وفيها «أنه ﷺ قام فجعل يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم السورة...» الحديث[٢]... [*] «قالت عائشة رضي الله عنها: وكان ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: لا إله إلاّ أنت سبحانك، اللهم إني استغفرك لذنبي وأسألك برحمتك، اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»[٣].

المطلب السابع:

في سهره ﷺ

لقد كان من هديه ﷺ وسنته أنه كان ينام مبكراً أول الليل كما مرَّ سابقاً، وهذه هي السنة، الدليل على ذلك زيادة عما سبق قول عائشة رضي الله عنها: «ما نام رسول الله ﷺ قبل العشاء ولا سَمَر بعدها»[٤].

ولذا كانت عائشة رضي الله عنها تستغرب إذا ما رأت رسول الله ﷺ سهر مرة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦٣١٢ و٦٣٢٤ و٧٣٦٤ وفي الأدب المفرد ١٢٠٥ وغيرهما.

(*) قال في فيض القدير: ١١١/٥. «أي أيقظنا بعدما أنامنا، أطلق الموت على النوم لأنه يزول معه العقل والحركة، ومن ثم قالوا: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، والنوم أخو الموت. وحكمة الدعاء عند الانتباه من النوم أن يكون المرء أول ما يستيقظ يعبُدُ الله بدعائِهِ وذكره وتوحيده» اهـ باختصار.

زاد في فتح الباري: ١١٨/١١، ومنتهى السول: ٢٨٨/٢ و٢٨٩، وكذا في المفهم: ١٢٠/٣، وكذا في عون المعبود: ٢٦٦/١٣.

قلت: وفيه استحباب هذه الأدعية عند الاستيقاظ من النوم.

(٢) رواه الإمام البخاري قم ٤٥٧٠. واللفظ له ومسلم ٧٦٣.

(*) قلت: ومن أراد الوقوف على الأذكار الواردة في المساء والصباح، وعند النوم وعند اليقظة فما عليه إلا الرجوع إلى كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى فلم يترك زيادة لمستزيد. وقديماً كنا نسمع من مشايخنا رحمهم الله تعالى مقولة هي «بعِ الدار واشترِ الأذكار» وما ذلك: إلا نظراً لأهمية هذا الكتاب وما حواه من كل الأذكار في كلِ الأحوال. وكذا فليُراجع السيرة الشامية: ٢٤٩/٧ وما بعدها فقد أجاد وأفاد.

(٣) رواه، أبو داود رقم: ٥٠٥١ والحاكم: ٥٤٠/١ وصححه الذهبي.

(٤) رواه أحمد في المسند: ٢٦٤/٦، واللفظ له والطيالسي ١٤١٤، وابن حبان في صحيحه ٥٥٤٧.

وهي تحدثنا عن ذلك فتقول: «سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة وأنا إلى جنبه، قالت: فقلتُ ما شأنُك يا رسول الله؟.»[1] إنما استغربت عائشة رضي الله عنها ذلك لأنها إنما تعلم أن هديه ﷺ أن ينام أول الليل «ولربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين الحديث[2]».. [*]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢٨٨٥ ومسلم ٢٤١٠، وهذا لفظ ابن حبان ٦٩٨٦، والحاكم: ٣/٥٠١ ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٢) رواه في زاد المعاد: ١/١٠٨.

(*) «أن ينام أول الليل. ولربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين» اهـ باختصار. ومن الأدلة أيضاً على كراهة السهر وأنه ﷺ كان لا يسهر. حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ: يجدُبُ: (وفي النهاية: أي ذمّه وعابه، وكُلّ عائب جادب اهـ مادة جدب) لنا السّمر بعد العشاء" رواه أحمد في المسند: ١/٣٨٩، وابن خزيمة في صحيحه ١٣٤٠، وابن حبان ٢٠٣١، وابن ماجه رقم ٧٠٣، وفي سنن البيهقي: ١/٤٥٢، وله شواهد عن أبي برزة عند عبدالرزاق في المصنف ٢١٣١، وأحمد في المسند: ١/٤٥٢، ٤/٤٢٠، وعن عائشة عن أبي يعلى في مسنده ٤٧٨٤، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند عبدالرزاق في المصنف ٢١٣٢، وعن أنس عند أبي يعلى رقم ٤٠٣٩.

الفصل الثالث:
في طهوره ووضوئه وغسله ﷺ

لما كان خلقه ﷺ القرآن وهو الذي يقول ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1]. كان من البديهي أن يكون ﷺ أحرص الخلق على الطهارة المادية والمعنوية... [*]..

المبحث الأول:
في تطهره ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا برز لحاجته، أتيتُهُ بماء فيغسلُ به»[2].

وكان أنس أو بعض خدمه ﷺ يضعون له الماء ويتنحون عنه فيخرج عليهم ﷺ وقد قضى حاجته واستنجى بالماء[3].. [*] «دخل رسول الله ﷺ حائطاً، وتبعه غلامٌ هو

---

(١) الآية: ٢٢٢ من سورة البقرة.

(*) قال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في تفسيره: ٩٨١/٢٥، «والتّطهُّر بالفعل هو الوضوء أو الاغتسال، بتشريع الله تعالى، فكما أنّ الله تعالى طهّر الملائكة أصلاً فقد طهرنا معشر الإنس تشريعاً، فإذا ما التزمنا الطهارتين التزاماً تاماً رفعنا الله إلى مستوى الملائكة» اهـ باختصار.

(٢) رواه البخاري ٢١٧، ومسلم ٢١٧.

(٣) وهذا ما توضحه رواية الحديث في مسند أبي عوانة: ١٩٥/١.

(*) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم ١٦٣/٣ «وأما فقه الحديث ففيه استحباب التباعد عند قضاء الحاجة في البرية، والاستتار عن أعين الناس، وخدمة العلماء والصالحين، وأهل الفضل، واستحباب الاستنجاء بالماء ورجحان هذا على غيره، وعليه الجماهير من أهل العلم» اهـ باختصار.

وكذا في الفتح: ٣٨٤/١، وفتح الملهم: ٣٤٩/٢ وعون المعبود: ٤٢/١ ويقصه في سبيل السلام: ٨٤/١، وكذا في نيل الأوطار: ٩٩/١.

قال في إعلاء السنن: ٤١٨/١. «دلت الأحاديث على استنجائه ﷺ بالماء وغيره. فدل مجموعها على ثبوت التفصيل الذي ذهب إليه الحنفية، وبأنه إذا تجاوزت النجاسة مَخْرجها فلا يصح الاستنجاء حينئذٍ إلا بالماء، وإن لم يتجاوز صح بغيره شريطة إزالة النجاسة تماماً، وفي كل الأحوال الجمع بين الماء وغيره أفضل حالات الاستنجاء عند جميع أهل العلم» اهـ باختصار.

أصغرنا فوضع له الماء، فقضى رسول الله ﷺ حاجته، فخرج علينا وقد استنجى بالماء»[١].

المبحث الثاني:

في وضوئه ﷺ[٢]

المطلب الأول:

في صفة وضوئه ﷺ

لقد بين النبي ﷺ الوضوء بفعله إياه مرة[٣]، ومرتين[٤]، وثلاثاً[٥].. [*]

---

(١) رواه أبو عوانة في المسند ١/١٩٥.

(٢) الوضوء، بالضم: هو الفعل، وبالفتح: الماء الذي يتوضأ به وهو مشتق من الوضاءة، أي الحسن والبهجة، وسمي به لأنّ المصلي يتنظف بالماء فيصير وضيئاً، في النهاية مادة وضأ وشرح المواهب: ١٠/١٩٦.

(٣) رواه في البخاري ١٥٧، وأبو داود ١٣٨ والترمذي ٤٢، وابن حميد ٧٠٢، وابن حبان ١٠٩٥.

(٤) رواه والبخاري ١٥٨، وابن خزيمة ١٧٠، وابن حبان ١٠٨٤. وغيرهم.

(٥) المسند: ١/١٤٩، عن علي رضي الله عنه وأبي يعلى ٣١١، والنسائي في الكبرى: ١/٩٧.

(*) ويحسن هنا بيان صفة وضوئه ﷺ كما روي ذلك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنه دعا بماء، فسكب على يمينه، فغسل كفيه ثلاثاً، ثمَّ غسل وجهه ثلاث مرار، ومضمض واستنثر، وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرار، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرار، ثم قال: «توضأ رسول الله ﷺ نحو وضوئي هذا، ثم قال: من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يُحدثُ نفسه فيهما، غفر الله له ما تقدم من ذنبه» الحديث رواه البخاري في الجامع الصحيح ١٥٩، ومسلم ٢٢٦، وأحمد في المسند، ٥٩ والنسائي في الكبرى: ١/٦٥ - ٨٠، وابن خزيمة ١٥٨، وابن حبان ١٠٥٨ و١٠٦٠، والبزار في مسنده ٤٣١، والبيهقي في المسند: ١/ ٤٨ و٤٩، وفي معرفة السنن والآثار: ١/٢٢٨ و٢٢٧.

قال التهانوي رحمه الله تعالى في إعلاء السنن بعد ذكره للأحاديث السابقة: ١/٩٩ «وهذه الأحاديث وإن دلت بظاهرها على جواز الوضوء بمرة أو مرتين؟ لكن الاحتمال الوارد أيضاً أن يكون فعلها ﷺ لعذر، فتقيّد هذه الأحاديث بجواز العمل بها عند وجود العذر مع شرط التعميم على كافة العضو، ثم إن دلالة الأحاديث الواردة في التثليث في الوضوء هي الأصل وهي التي واظب عليها النبي ﷺ ولم يفعل خلافها إلا نادراً أو لعذر، والتثليث في الوضوء كما هو دلالة بعض الأحاديث، هو سنة الأنبياء، والتثنية وسط، والتوحيد أدنى، وأنّ الصلاة لا تصح إلا به ظاهرة، ولما كان التثليث سنته ﷺ وسنة الأنبياء ظهر أنه كان ﷺ يواظب على التثليث في الوضوء وبهذا خرج الجواب عن تلك الأحاديث» اهـ.

=

المطلب الثاني:

في مقدار وضوئه ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يتوضأ بنحو المُد.. (*)..»(١)... (*)..

=

ومما يدل على أن الوضوء ثلاثاً واستقر الأمر على هذا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفيه أنه توضأ ثلاثاً ثم قال: «فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء أو ظلم وأساء» رواه أبو داود رقم ١٣٥، وهو حسن.

(*) قال العلامة الشيخ عبدالعزيز عيون السود رحمه الله تعالى في رسالته المقادير الشرعية: ص ٣٢. «المد عند الحنفية ٩١٠، وعند الشافعية: ٤٣٢، وعند المالكية: ٤٣٠/٨، وعند الحنابلة: ٨/٤٣٢٧» اهـ.

(١) رواه أحمد في المسند: ٦: ١٢١، وأبو داود ٩٢، والنسوي في الأربعين ١٤، وأبو يعلى ٤٨٥٨، وابن المنذر في الأوسط، ٦٤٣ والطحاوي، في شرح معاني الآثار: ٤٩/٢، والدارقطني: ٩٤/١ وابن أبي شيبة: ٦٦/١، وابن راهويه ١٦٨٨.

(*) قلت: وضوءه ﷺ بنحو المدّ يدل على كراهة الإسراف في استعمال الماء في الوضوء أو حتّى في غيره. «ولقد مرّ النبي ﷺ على سعد يتوضأ، فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرفٌ يا رسول الله قال: نعم ولو كنت على نهر جارٍ» رواه أحمد في المسند: ٢٢٢/٢ وابن ماجه ٤٢٥، قال في الموسوعة ٦٣٧/١١ إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

وفي فيض القدير: ١٦٥/٤ «والإسراف في الوضوء والطهارة مكروه بإجماع العلماء ولو كان المرء على شاطئ نهر أو البحر» وكذا في عون المعبود: ١١٨/٤، وحاشية الطحطاوي والهدية العلائية ص ٢٦.

ومن الأدلة على كراهية الإسراف في الوضوء، وأن التمادي به قد يؤدي إلى الوسواس، أن النبي ﷺ قال «إن للوضوء شيطاناً يُقال له الولهان، فاتقوا وسواس الماء» رواه الترمذي: ٤٢١ وقال: حديث غريب.

قال الزرقاني في شرح المواهب: ٢١٧/١٠، «الوسوسة من آفات الطهارة، وأصلها جهل بالسنة - بإسراف أو إقتار في الوضوء - أو خبال في العقل، ومتبعها متكبّر في نفسه سيّئ الظن بعبادة الله تعالى، معتمد على عمله، مُتعجب به وبقوته، وعلاجها - أي الوسوسة - بالتلهي عنها والإكثار من قوله سبحان الملك الخالق، إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز» اهـ.

المطلب الثالث:

في وضوئه ﷺ لكل صلاة

لقد كان من سنته ﷺ أن يتوضأ لكل صلاة..[١]... (*)

وكان من هديه وسنته ﷺ المحافظة على الوضوء، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما خرج رسول الله ﷺ من الخلاء إلا توضأ»[٢].. (*)

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٢١٤، وفي التاريخ الكبير: ٣٥٦/٦.

(*) في الفتح: ٣٧٨/١، «وظاهره أن ذلك من عادته ﷺ، ويحتمل أن ذلك كان واجباً عليه خاصة ثم نسخ يوم الفتح. ويحتمل أنه ﷺ كان يفعله استحباباً ثم خشي أن يظن وجوبه فتركه لبيان الجواز وهذا هو الراجح في هذه المسألة» اهـ باختصار.

وكذا بعضه في فيض القدير: ٢٤٧/٥. وشرح المواهب: ٢٠٧/١٠، وعون المعبود: ٢٠١/١، وشرح النووي: ١٧٧/٣ - ١٧٨.

قلت: ومما يدل على أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك استحباباً «أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح الصلوات بوضوء واحد، فقال عمر رضي الله عنه: إنك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه! قال: عمداً صنعته» رواه مسلم في صحيحه ٢٧٧، وأبو داود ١٧٢، والنسائي في الكبرى: ٨٦/١، وابن خزيمة ١٢، والحازمي في الاعتبار ص ٥٤.

وفي عون المعبود: ٢٠٢/١، «وقول عمر: دليل على أنه ﷺ كان يفعل ذلك عملاً بالأفضل» اهـ وكذا في شرح النووي: ١٧٨/٣.

وشرح المواهب: ٢٠٨/١٠. وإعلاء السنن: ١٣٤/١.

(٢) رواه أحمد في المسند: ١٨٩/٦، وابن حبان: ٢٨٨/٤ رقم ١٤٤١، وابن ماجه في سننه ٣٥٤، وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٠٥/١، في الموسوعة: ٣١٢/٤٢، قال حديث صحيح، وإسناد أحمد ضعيف.

(*) «والحديث يدل على استحباب المحافظة على الوضوء إذ هو السلاح الأمثل للدخول على الله تعالى في الصلاة وفي قراءة القرآن» قاله في بذل المجهود: ١٠٩/١

ومن منافع السواك:

١ - يُطيبُ الفم، ويُصحُ المعدة، ويشُدُّ اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويُصفى الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويُسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة، والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويُعجب الملائكة، ويكثر الحسنات، ثم بعد ذلك كله يرضي الرب سبحانه وتعالى» اهـ بتصرف.

قال القسطلاني «واتفق أهل العلم على أن السواك يستحب مطلقاً ويتأكد استعماله في أحوال:

١ - عند الوضوء وإرادة الصلاة.

٢ - عند القيام من النوم.

٣ - عند قراءة القرآن.

=

.. وكان ﷺ يحافظ على استعمال السواك عند وضوئه، ودليل ذلك قوله ﷺ: «أمرت بالسواك حتى ظننتُ - أو حسبتُ - أن سيُنزّل عليّ فيه قرآن»[(١)].

المبحث الثالث:

في غسله[(٢)] ﷺ

المطلب الأول:

في مقدار غسله ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها «... وكان ﷺ يغتسل بالصاع..»[(٣)]... [(*)].. وفي رواية:

=

٤ - عند تغير رائحة الفم.

٥ - عند دخول المنزل.

٦ - عند إرادة النوم.

٧ - وعند الانصراف من صلاة الليل.

قلت وكل ذلك ورد به أحاديث».

وقال الزرقاني في الشرح: «لا ينبغي فعله بحضرة الناس» اهـ باختصار. انظر شح المواهب: ١٠/ ٢١٠ و٢١١، وانظر أيضاً فيض القدير: ١٨٩/٤ ففيه بعض ما مر ذكره.

وزاد «ويسهل نزع الروح، ويذكر الشهادة عند الموت، ويرهب العدو، ويبطئ الشيب، ويغذي الجائع، ويرغم الشيطان، ويسكن صداع الرأس. ويبيض الوجه، ويوسع الرزق ويسهله، ويقوي البدن، وينبغي أن لا يؤخذ السواك من شجرة مجهولة فلربما كان سمًّا، بل شجر الأراك أفضله» اهـ باختصار وتصرف. فهل بعقل: بعد هذا كله أن يترك السواك مسلم؟ وفي عون المعبود: ٤٥/١.

(١) رواه أحمد في المسند: ١/ ٢٣٧، وأبو يعلى، ٢٣٣٠، وابن أبي شيبة ١٧١/١، في الموسوعة: ٤/ ٢٩، قال: حسن لغيره.

(٢) الغُسْلُ بضم الغين اسم للاغتسال. والغَسْلُ بالفتح فعل المغتسل، وفي عكس ذلك. وحقيقة الغسل: جريان الماء على جميع أعضاء البدن، مع تميز غسل العبادة عن العادة بالنية، شرح المواهب ٢٦٠/١٠ - ٢٦١.

(٣) سبق تخريجه في مبحث وضوئه ﷺ.

(*) قال العلامة الشيخ عبدالعزيز عيون السود رحمه الله تعالى في رسالته المقادير الشرعية: ص ٣٢: «والصاع عند الحنفية: ٣٦٤٠. وعند الشافعية، والحنابلة ١٧٢٨، وعند المالكية: ٣٢و٧٢٠، قلت: واختلاف في الصاع إنما هو بحسب ما كان متعارف عليه في بلد كُل من الأئمة الأربعة».

وانظر عون المعبود: ١١٤/١، في تحرير الصاع، وكذا في زاد المسلم: ١١٢/٥، وفتح الباري: ١/ ٤٣٤، وفتح الملهم: ٧٨/٣.

=

فأخرجت إناءً قريب من الصاع[١].

المطلب الثاني:

في غسله ﷺ مع نسائِهِ وصفة ذلك

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من الجنابة من إناء واحد، نغترفُ منه جميعاً»[٢].. [*]..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل فرجه، وما أصابه من الأذى، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيخُلل بها أصول شعره، ثم يصبُّ على رأسه ثلاث غُرفٍ بيده، ثم يفيض الماء على جسده كله، ثم نحّى رجليه فغسلهما، فهذا غسله من الجنابة»[٣]... [*]..

=

ولما قيل لجابر بن عبدالله رضي الله عنه إن الصاع لا يكفي، قال: كان يكفي من هو أوفى منك شعراً، وخير منك» الحديث في صحيح البخاري: رقم ٢٥٢.

قلت: الأحاديث تدل على استحباب الاعتدال في الغسل وكراهية الإسراف فيه كما سبق في مبحث الوضوء.

قال في زاد المسلم: ١١٢/٥ «فالسنة أن لا يُنقص في ماء الوضوء عن قدر المد، وماء الغسل عن قدر الصاع» ثم قال: لكن الموافق ليسر الدين والبعد عن الحرج أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص. والمهم في أحوال الوضوء والغسل أن لا يسرف الإنسان ولا يعتدي.

قال في فتح الملهم: ٧٩/٣ «ولعل كفايته ﷺ ذلك في وضوئه وغسله، ببركه دعوته ﷺ بمد المدينة وصاعه. حتى جعل الله تعالى مع البركة بركتين وصار الصاع مقدار ثلاثة آصع» اهـ باختصار.

(١) انظر صحيح البخاري ٢٥١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٢٧٣ و٥٩٥٦.

(*) «فيه دليل أن المحدث أو الجنب أو الحائض لو أدخلوا أيديهم في الماء وهي طاهرة من نجس، فإن الماء لا يصير مستعملاً، واستدل بهذا الحديث على جواز اغتسال الرجل مع زوجته مع استحباب ستر العورة» انظر فتح الملهم ٨١/٣، ومجمع الأنهر: ٢٤/١ والبحر الرائق: ٩٥/١. اهـ باختصار. قلت: قطعا كان ﷺ يغتسل هو وعائشة ونساؤه» رضي الله عنها وهما في حالة تستر، ولأن الثابت «قطعاً أن أحداً من نسائه ﷺ أو غيرهم لم ير فرجه ﷺ. وكذا في الفتح: ٤٣٤/١ قريب منه، وفي المفهم: ٥٨٢/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٢٤٨، ومسلم ٣٢١.

(*) زاد في حاشية المسند: ٤٠/١ «وهذا من حسن عشرته ﷺ».

وكمال الغسل من الجنابة تعميم الغُسل لسائر البدن بشعره وبشره، بعد طهارة بدنه من النجاسة

=

المطلب الثالث:

في طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد

قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل أو النهار، وهُنّ إحدى عشرة، فقيل لأنس أكان رسول الله ﷺ يُطيقُه قال: كُنّا نتحدث أنه ﷺ أعطي قوة ثلاثين»(١).. (*).. ولربما اغتسل عند كل امرأة منهُنّ

=

وهذا هو فرض الغسل، والواجب فيه المضمضة والاستنشاق، أما الوضوء فالراجح أنه سنة وليس بواجب.

انظر ذلك في شرح النووي: ٢٢٨/٣.

وكذا بعضه في شرح المواهب: ٢٦٦/١٠، والفتح: ٤٣٠/١ وما بعدها وكذا في فتح الملهم: ٣/ ٧٤، وما بعدها وزاد فقال: «وفي تأخير غسل الرجلين إذا كان في مستنقع ماء - أي مجمع ماء - وإلا لا يؤخر غسلها وهذا هو التوفيق بين الروايات» اهـ باختصار.

قلت: وفي هذا الزمن يغتسل الكثير من الناس في الأحواض الصغيرة الموضوعة في البيوت، ولذا يؤخر غسل القدمين إلى آخره حتى الانتهاء من الغسل.

قال القرطبي في المفهم بشرح صحيح مسلم: ٥٧٧/١ «ولعل الحكمة في تأخير غسل الرجلين ليحصل الافتتاح والاختتام بأعضاء الوضوء» اهـ وللوقوف عل هذه المسائل ينظر في عون المعبود: ٢٨٢/١. وما بعدها، وإعلاء السنن: ١٩٩/١ وما بعدها.

قال في المنهل العذب المورود: ١٠/٣ «فقه الأحاديث دل على طلب غسل اليدين أولاً في غسل الجنابة، وغسل الفرج، والوضوء، وتخليل الشعر، والتثليث في الغسل، وعلى أن الوضوء قبل الاغتسال» اهـ باختصار.

وفي حديث ميمونة قال: ص١٧ «دل على مشروعية خدمة المرأة لزوجها وعلى مشروعية المضمضة والاستنشاق من الجنابة وهو واجب عند الحنفية، وعلى جواز التنشيف إذ لو أنه غير جائز لما أتت به ميمونة رضي الله عنها».

(١) رواه البخاري رقم: ٢٦٨، وهذا لفظه وفيه: قال البخاري، قال سعد بن أبي عروة عن قتادة إن أنساً قال: تسع نسوة، ورواه ومسلم: ٣٠٩.

(*) قال في زاد المسلم: ٩٣/٥. «والجمع بين رواية إحدى عشرة، وتسع، بضم مارية وريحانة وهنّ من سراريه ﷺ، وكان له ﷺ في الصبر عن الطعام القوة الشريفة فجمع الله له بين الفضيلتين، فإن العرب كانت تمتدح بقلة الأكل، وكثرة الجماع، كما كانت تذم ضديهما. وبهذا يعلم أن الله تعالى أعطى لهذا الرسول الكريم كل ما هو محمدة عند الناس حتى في الجماع وقوته، وصرف عنه كل ما فيه مذمة عند الناس، أو خلاف الأكمل في حقه ﷺ. وبه يعلم أن غمز من غمز في

=

غسلاً واحداً؟ فقال: «هذا أطهرُ وأطيب»[١] [*].

=

حقه ﷺ بشهوة النساء كفر صريح لأن هذه الصفة صفة ثابتة لكل الأنبياء عليهم السلام، وهي عين الكمال في حقهم» اهـ باختصار.

(١) رواه أحمد في المسند: ٣٩١/٦، وأبو داود ٢١٩، وابن ماجه ٥٩٠، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: ٤٦٢ والنسائي في الكبرى: ٩٠٣٥، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١٢٩/١، والطبراني في الكبير: ٩٧٣، والبيهقي في السنن: ٢٠٤/١، و١٦/٧، وابن الأثير في أسد الغابة: ٧/ ٥٣، وفي تهذيب الكمال: ٨٦/١٧و٨٧، قال أبو داود: وحديث أنس أصح من هذا قال في الموسوعة: ٢٨٨/٣٩، إسناده ضعيف - أي إسناد أحمد.

(*) قال في عون المعبود: ٢٥٤/١ «والحديث يدل على استحباب الغسل قبل المعاودة ولا خلاف في ذلك، ولا خلاف أيضاً بين هذا الحديث وحديث أنس، والجمع بينهما بأنه ﷺ كان يفعل هذا مرة، لبيان الجواز في الكُل» اهـ باختصار.

الفصل الرابع:
في عبادته ﷺ في بيتِه

معرفة الخلائق بالله تعالى على درجات، وإنّ بعض الناس فيهما أفضل وأرقى من بعض، وكلما ازداد العبد علماً ومعرفةً بربه، ارتقت فيه صفة العبودية لله تعالى. ولما كان أعلم الإنس والجن بالله تعالى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، لزم من ذلك العلم أن يجعله في أرقى منازل العبودية لله تعالى، وقد تحدّث ﷺ عن هذه النعمة بقوله: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمكُم بالله، وأشدكم له خشية»[1]... [*]..

وكلما كان العبدُ في الله تعالى أعلم وأعرف وأقرب، كان جهاده في الله أعظم... ولهذا كان ﷺ أعظم الخلق اجتهاداً وقياماً بوظائف العبودية والعبادة، ومحافظته عليها إلى أن توفاه الله تعالى[2].

ولهذا لم يوصف ﷺ في عليّ المقامات إلا بها ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[3]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾[4].

إن العبودية التي تحقق بها ﷺ كانت حيثية الرفعة في الإسراء والمعراج،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦١٠١ و٧٣٠١ وهذا لفظه وفي الأدب المفرد ٤٣٦.

(*) قال الألوسي رحمه الله تعالى في روح المعاني «وإيثار لفظة العبد في بعض الآيات القرآنية على النبوة والرسالة للإيذان بتمحضّهِ ﷺ في عبادته، وبلوغه في ذلك الغايات القاصية، ونهاية النهايات النائية. والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الأوصاف وأعلى المراتب وبها يفتخر المحبوب. ولما وصل ﷺ إلى هذه المراتب الرفيعة والدرجات الرفيعة، أوحى الله تعالى فنسبه إليه تعالى خالصاً فقال: «سبحان الذي أسرى بعبده» الإسراء آية: (١). «ولم يُعبّر القرآن عن أحدٍ بالعبد مضافاً إلى ضمير الغيبة المشار به إلى الهوية إلا للنبي ﷺ» روح المعاني: ١٥/٤، باختصار. في شرح الشفا «وأما خوفه ﷺ ربه وطاعته له، وشدّة عبادته، فعلى قدر علمه بربه» اهـ شرح الشفا: ٣١٢/١.

(٢) انظر شرح المواهب: ١٨٧/١٠و١٨٧.

(٣) الإسراء آية (١).

(٤) الكهف، آية (١).

انظر جواهر البحار: ٨٠/١.

فالعبودية رفعته إلى حضرة الحق، لأنه كان عبداً بحق... ولذا استحق أن يحمل منهج الله تعالى، والتفت إلى ربه دون أن يلتفت إلى سواه، فأخلص هو أولاً في العبودية، وتحمّل ما تحملّ في سبيل ذلك، فكان من جزائه أن يرتفع إلى مقام الحضرة الإلهية، فعُرج به إلى مقام عجزت الملائكة من الوصول إليه[١]. وإنما كان ﷺ أعلم الناس بالله، لما خصّه الله تعالى به في أصل الخلقة من كمال الفطنة، وجودة القريحة، وسداد النظر، وسرعة الإدراك، وقواطع النظر قبل تمامه، ومن اجتمعت عليه هذه الأمور سهل عليه الوصول إلى العلوم النظريه، وصارت في حقه كالضرورية[٢] [*].

قلت: وبهذا استحق ﷺ أن يجعله ربّه قدوة للمؤمنين ومثلاً أعلى لهم، فقال ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٣].

المبحث الأول:

في صلاته ﷺ في بيته

من المعلوم المنقول إلينا بالتواتر أنه ﷺ لم يُصلِّ فريضة في بيته؟ إلا في مرضه عند وفاته، وإذا كان الأمر كذلك فبحثنا في صلاته يقتصر على نوافله ﷺ.. [*]...

---

(١) انظر تفسير الشعراوي.

(٢) انظر القرطبي في المفهم: ٦/١٥٠.

(*) «ولعل هذا في نظر الذين استقلوا عبادة النبي ﷺ. وقوله ما بال أقوام هم كانوا معرفين عنده ﷺ، ولكنه لم يسمهم، لتلطفه في التأدب ولستر المعايب. ويستفاد من الحديث النهي عن التنطع في الدين، وعن الأخذ بالشدة في كل الأمور، فإن دين الله يسر، وهو الحنيفية السمحة، والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» اهـ باختصار.

(٣) الأحزاب، آية ٢١.

(*) قال في المواهب: «اعلم أنّ الصلاة تحصل تحقيق العبودية، وأداء حقوق الربوبية، وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة، وقد جمع الله في الصلاة ما فرقه على أهل السموات، فله سبحانه وتعالى ملائكة في ركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع إلى يوم القيامة، وهكذا في السجود، والقيام، والقعود، وكذا في التسبيح وغيرها، واجتمع في الصلاة ما لم يجتمع في غيرها، من الطهارة، والصمت، واستقبال القبلة، والاستفتاح بالتكبير، والقراءة، والقيام، والركوع، والسجود، والتسبيح فيها، وكذا الدعاء في السجود إلى غير ذلك، فهي مجموع عبادات، لأن الذكر بمجرده عباده، والقراءة عبادة، وكذا كل حركة فيها ذكر. وقد أمر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ العنكبوت آية ٤٥ وفي ذلك إشارة إلى أن =

المطلب الأول:

في صلاته ﷺ النافلة المقرونة بالفرائص وغيرها

سئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوع؟ فقالت: كان يُصلى قبل الظهر أربعاً في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيُصلي ركعتين، وكان يصلى بالناس المغرب، ثم يرجع إلى بيتهِ، فيُصلي ركعتين... وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين ثم يخرج فيُصلي بالناس صلاة الفجر»[1]... [*].. وأما صلاته

=

الصلاة تكليفاً للنفوس شاقاً عليها، لأنها تأتي في أوقات ملاذ العباد واشتغالهم، فنُطالبهم بالخروج عن ذلك كُله إلى القيام بين يدي الله تعالى والفراغ عما سواه» اهـ باختصار. شرح المواهب: ٢٧٧/١٠.

قلت: ولذا إن الصلاة إذا لم تنه صاحبها عن كل خلق دنيء ومنكر، وتجعله يتصف بكل خلق سني لا تقبل هذه الصلاة.

وفي الحديث القدسي بقوله ربنا جل جلاله مبيناً هذه الحقيقة «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب» رواه البزار في مسنده: ٣٤٨/١، وذكره في مجمع الزوائد: ١٤٧/٢، وقال فيه عبدالله بن واقد الحراني وبقية رجاله ثقات.

قال المنذري في الترغيب والترهيب: ٣٥٠/١، فيه عبدالله بن واقد الحراني، وبقية رجاله ثقات.

والعجب: أن قوماً ليس لهم حديث إلا حركات الصلاة الشكلية؟ وتجاهلوا عمداً أو جهلاً الحديث عن روح الصلاة وأهدافها السامية، حتى عبّر بعض من شاهدهم على هذه الشاشات عن اشمئزازهم من قولهم وسمع أنّ من نزل على ركبتيه إلى السجود مثله كمثل البعير.

(١) رواه أحمد في المسند: ٣٠/٦، واللفظ له ومسلم ٧٣٠، وأبو داود ١٢٥١، والترمذي في سننه ٣٧٥، وفي الشمائل ٢٧٥، وابن ماجه ١١٦٤، وابن خزيمة ١١٦٧، وابن راهويه ١٢٩٩، والنسائي في الكبرى ٣٣٦، وأبو يعلى في مسنده ٤٨٤٥، وابن حبان، ٢٤٧٥.

(*) قال القرطبي في المفهم: ٤١١/٧، «وإنما تستحب النوافل في البيت هو لأجل: عمارته بذكر الله تعالى، وبطاعته، وبالملائكة، وبدعائهم، واستغفارهم، وما يحصل لأهله من الثواب والبركة» اهـ.

قال الهيتمي في أشرف الوسائل «وهذا الحديث جمع السنن الرواتب المؤكدة، والنبي ﷺ كان يداوم عليهن» اهـ ص ٤٠٣.

وزاد في فيض القدير «لكون صلاة النفل في الخلوة أفضل من صلاتها بين الناس» ٢٧١/٥، وانظر اشرف الوسائل: ص٤٠٣.

وفي شرح صحيح مسلم للنووي «وفيه دليل على استحباب النوافل الراتبة في البيت، كما

=

ﷺ الضحى فهي دائرة بين النفي والإثبات وإن كان الإثبات أقوى من النفي، وقد جمع العلماء بين الروايتين، فحملوا روايات الفعل على الحضر، وروايات الترك على السفر، وبالجملة فقد قام الإجماع على استحبابها[١].

المطلب الثاني:

في صلاته ﷺ بالليل

وصلاته ﷺ بالليل وكونها في حقه واجبة هي من خصوصياته كما قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[٢]..[٣]. [*]

والتهجد: الصلاة بعد الرقاد، فصار اسماً للصلاة في الليل، لأنه بُنْيَتَه لها، فالتهجد القيام إلى الصلاة من النوم، وكذلك كانت صلاته ﷺ[٤].

ولقد جاء الأمر من قبل الله تعالى لنبيه ﷺ حينما قال له ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١

=

يستحب غيرها أيضاً في البيت وبه قال الجمهور. والحكمة من شرعية النوافل تكميل الفرائض إن عرض لها ناقص. ولترتاض النفس بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل الفراغ للفريضة» اهـ، باختصار، وكذا في عون المعبود: ٩٢/٤، وقال ابن بَطّال في شرحه على صحيح البخاري «وإنما فعل ذلك النبي ﷺ يعني صلاته في بيته النافلة لئلا يخلي ﷺ منزله من الصلاة وكذا سائر النوافل» اهـ باختصار وتصرف: ٤٥٠/١، وقريب مما ذكر في فتح الملهم: ١١٤/٤، وبعض ما ذكر في المجموع ٤٩٢/٣ والحاوي الكبير: ٦٨٠/٢.

وفي المنهل العذب المورود «دل على سنية أربع ركعات قبل الظهر وبه قال الحنفية بتسليمة واحدة. والفصل بينهما عند المالكية والشافعية والحنابلة. وعلى فضل تأدية السنن في البيوت عند الجمهور» اهـ باختصار: ١٣٥/٧.

قلت: وشواهد الأحاديث المرغبة في صلاة النافلة في البيت كثيرة منها: عند أحمد في المسند: ٤٢٧/٥، وابن أبي شيبة: ٢٤٦/٢، وابن خزيمة: ١٢٠٠. ومنتهى السول: ٥٥/٤، وما بعدها. وانظر حاشية الشنواني ص ٢٠٣.

(١) انظر التفضيل في المسألة شرح الموطأ للزرقاني: ٤٣١/١. وأشرف الوسائل: ص ٤٠٥ ومابعدها وفتح الملهم: ١٠٥/٤.

(٢) الآية: ٧٩/ الإسراء.

(٣) انظر الخصائص الكبرى للسيوطي ص ٤٠٢، وشرح المواهب: ٥٢٩/١٠.

(*) والتهجد في اللغة من الأضداد: النوم، والهاجد النائم، والهجود السهر، وهجد: سهر، على الضد. وهجد وتهجد وهجدتُه أيقظتُهُ.

(٤) لسان العرب مادة هجد.

قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ ﴾[١].

وفي الجامع لأحكام القرآن: «هذا خطاب للنبي ﷺ، ومعناه يا أيها المزمل بالنبوة، والملتزم بالرسالة، والذي حمل القرآن، قم بين يدي ربك مصليا في وقت يخلد الناس فيه إلى النوم والراحة»[٢].. [*]..

قالت عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله ﷺ إذا صلى - أي من الليل - قام حتى تتفطر قدماه، فقلت ولم تصنع هذا يا رسول الله قد وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً»[٣].. [*].. ظنّ من سأل الرسول ﷺ سبب تحمله

---

(١) آية ١ - ٤، من سورة المزمل.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٢/١٩، باختصار.

(*) قال الشيخ الشعرواي رحمه الله تعالى «وفي الوقت الذي يخلد الناس فيه إلى الراحة، وتتثاقل رؤوسهم على العبادة، تقوم بين يدي ربك مناجياً متضرعاً، فتتنزل عليك الرحمات، والفيوضات، فمن قام من الناس في هذا الوقت واقتدى بك فله نصيبٌ من هذه الرحمات، وحظ من الفيوضات، ومن تثاقلت رأسه عن القيام فلا حظ له: إذن فقيام الليل قوة إيمانية وطاقة روحية، ولما كانت مهمة الرسول ﷺ فوق مهمة الخلق كان حظه من قيام الليل أزيد من حظهم، فأعباء الرسالة كثيرة، والعبء الثقيل يحتاج الاتصال بالحق الأحد القيوم: حتى يستعين بلقاء ربّه على أعباء الرسالة» اهـ تفسير الشعراوي: ٨٧٠١/١٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٤٨٣٧، ومسلم ٢٨٢٠، والبيهقي في السنن: ٣٩/٧.

(*) «وفي هذا الحديث دليل على جواز أخذ الإنسان على نفسه بالشدة، وإن أضر ببدنه، وإن كان ذلك غير مفضٍ إلى الملل والسآمة، أما إذا أفضى ذلك إلى الملل والسآمة فلا. أما النبي ﷺ كانت حالته أكمل الأحوال فهان عليه ذلك. وفيه ما كان عليه ﷺ من الاجتهاد في العبادة، والخشية من ربّه ... قال العلماء وإنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد» اهـ باختصار. من شرح المواهب ٥٣٣/١٠ وما بعدها، وقريب مما ذكر في اشرف الوسائل ص ٣٧٢. وانظر فيض القدير ٢٩٠/٥ ففيه كلام مشابه. وانظر منتهى السول: ١١/٣. وقريب مما ذكر في السيرة الشامية: ٢٧٣/٨. وقريب منه في المفهم: ١٣٩/٧.

وفي منتهى السول أيضاً: ١١/٣. «قال علي رضي الله عنه، إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار» اهـ ... وأورد هنا نبذة عن فضل قيام الليل:

=

المشقة في قيام الليل بأنه إنما يفعل ذلك طلباً للمغفرة والرحمة، ومن تحقق أنه قد غفر الله له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم ﷺ أنّ هناك طريقاً آخر للعبادة، وهو الشكر على المغفرة، فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر: الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة[١].

المطلب الثالث:

في وقت قيامه ﷺ في الليل

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن وقت قيام النبي ﷺ قالت: «إذا سمع الصارخ»[٢]... [*]

=

إن القرآن الكريم عندما تحدث عن المتقين وصفاتهم ذكر منها قيام الليل: قال تعالى ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ ﴾ الذاريات: ١٧ - ١٨.

وقال تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ آية ١٦ - السجدة.

هذهالآيات وغيرها تبين أهمية قيام الليل وأنه من صفات الأتقياء الصالحين. والنبي ﷺ يوضح ذلك فيقول «عليكم بقيام الليل فإنه دأبُ الصالحين قبلكُم، وهو قربة لكُم إلى ربكم وومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم». رواه الحاكم: ٣٠٨/١، ووافقه الذهبي على تصحيحه، ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٤٢١/١.

«والحديث عزاه المنذري في الترغيب والترهيب إلى ابن خزيمة، والترمذي، وابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير وزاد: ومطردة للداء عن الجسد».

قلت: لو لم يكن في قيام الليل سوى هذا الحديث كفى؟ كيف وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل قيام الليل، راجع الترغيب والترهيب للمنذري من: ٤٢٠/١. إلى ٤٤٦.

فإن النبي ﷺ بين أن قيام الليل دأب الصالحين؟ ومن منّا لا يتمنى أن يكون صالحاً؟ وهو يقرب العبد إلى مولاه وإذا ما اقترب العبد من مولاه أحبه «وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه». ثم من منّا لا يتمنى أن تكفر ذنوبه وبعد ذلك كله مَنْ منا لا يحب أن يعيش صحيحاً سليماً بعيداً عن الأمراض: فقيام الليل خير وسيلة لذلك.

(١) انظر شرح المواهب: ٥٣٤/١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٣٢، ومسلم ٧٤١ وغيرها.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٣/٥ «والصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه». وفتح الباري: ٣٠١/١٢ و٢٢/٣. زاد في فتح الملهم: ١٣٤/٤. «وجرت العادة أن الديك يصيح عند نصف الليل غالبا وهو موافق لقول ابن عباس، نصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل» اهـ وزاد المسلم: ١٥١/٥. وانظر حاشية السندي: ٢٣٠/٣، وشرح المواهب:
=

.. وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة مبيته في بيت النبي ﷺ فيقول:... «حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسَحُ النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران...»[(١)].. [(*)] وورد أنّ عائشة رضي الله عنها قالت «كان النبي ﷺ ينامُ أوله، ويقوم

=

١٠/٥٧٣، وزاد في فيض القدير: ٥/٢٩٠، «وخص هذا الوقت لأنه وقت هدوء الأصوات ونزول الرحمات» اهـ.

وانظر عون المعبود: ٤/١٤١. زاد في المنهل المورود: ٧/٢٤٦، «ودل الحديث على أنّ قيام النبي ﷺ كان في النصف الأخير من الليل أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، وعلى أنه كان يقوم بعضه لما يترتب على قيامه كله من الملل وإضعاف البدن بالسهر» اهـ.

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٨٣، و٩٩٢، و١١٩٨، و٤٥٧٠، و٤٥٧١، و٤٥٧٢ ومسلم ٧٦٣.

(*) قال النووي في شرحه: ٦/٤٦ «وفيه جواز قراءة القرآن للمحدث وهذا إجماع المسلمين لكونه ﷺ قرأ العشر الأواخر حينما قام من النوم، وقبل أن يتوضأ، وإنما يحرم القراءة على الجنب والحائض» اهـ، زاد في فتح الملهم: ٤/١٨٣، «يحتمل أن ذلك ليبتدئ يقظته بذكر الله كما ختمها بذكره عند نومه، ويحتمل أن ذلك ليتذكر ما ندب إليه من العبادة، وما وعد عليه من الثواب، إن هذه الآيات جامعة لكثير من ذلك، ليكون تنشيطاً له على العبادة» اهـ.

العجب ممن نصبوا أنفسهم للفتوى في هذا الزمن حتى سمعنا أحدهم على بعض شاشات التلفاز يقول أنا لا أريد أن أحرم الحائض من الأجر والثواب؟ فأجاز لها مسَّ القرآن وقراءته، مع أنه من المعلوم أن جمهور الفقهاء على حرمة ذلك كما في فتاوى اللكنوي ص: ٤٣٣، وكذا في عون المعبود: ٤/١٦٨، والفتح: ١/٣٤٥.

«قلت: ولو سلمنا للبعض من المالكية الفتوى في ذلك فإنهم كانوا في زمن لم يكن فيه ما في زماننا من آلات وأجهزة يستمع فيها المسلم لقراءة القرآن علماً بأن سماع القرآن أفضل من قراءته، لأن سماعه فرض بينما قراءتُهُ سنة وأظن الإمام مالك رضي الله عنه لو كان في زمانه مثل ما في زماننا من الآلات والأجهزة لما أفتى بذلك؟ - وفيه استحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم» اهـ. وكذا في عون المعبود: ٤/١٦٨، والتفح: ١/٣٤٥. وكذا في منتهى السول: ٣/١٩، وكذا في أشرف الوسائل ص ٣٧٧.

وفي المنهل العذب المورود: ٧/٢٩٠، «دل الحديث على فضائل ابن عباس وحرصه مع صغر سنه على معرفة أحوال النبي ﷺ طول ليلته، ليقف على عمله بالليل، وعلى جواز الجماعة في نافلة الليل وعلى جواز الصلاة خلف من لم ينو الإمامة في النافلة، وعلى أن مكان وقوف المأموم الواحد يكون عن يمين الإمام. وإنه إذا وقف عن يساره حوّله الإمام إلى يمينه، وإن فعل ذلك جائز في الصلاة» اهـ.

(آخره)[١] ومع أن ظاهر الأحاديث السابقة أن النبي ﷺ كان يقوم في بداية أول آخر الليل فقد كان هذا عامة فعله ﷺ.وإلا فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه حينما سئل عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل قال: (ما كُنا نشاء أن نراهُ من الليل مصلياً إلا رأيناه، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه)[٢].

«يعني أن حاله ﷺ في القيام كان يختلف، فتارة أول الليل، وأخرى وسطه، وثالثه من آخره»[٣].

أي إن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتاً معيناً بل بحسب ما تيسّر له من القيام، ثم إنه لا تعارض بين هذا الحديث وقول عائشة فيما سبق، فإنها خبرت عَمَّا لها عليه اطلاع، وذلك أن صلاة الليل كانت تقع منه ﷺ غالباً في البيت، وخبر أنس محمول على ما وراء ذلك، ولما كان من الثابت أنه ﷺ أوتر من كل الليل وكان من عادته لا يوتر إلا بعد صلاته بالليل، دل على أنه ﷺ يصلي أحياناً أول الليل أو أوسطه وأحياناً آخره.

قلت: والتنوع في وقت قيامه للصلاة في أي جزء من الليل يدل على قوته وصلابته للقيام أية ساعة شاء، وهذا يعكس ما لو اعتاد الإنسان على وقت معين فإنه يصبح عادة له ولا يجد في ذلك صعوبة، لكنه ﷺ بما أوتي من صلابة الإرادة وكمال الأحوال كان يقوم ساعة يشاء دون علل أو سآمه.

المطلب الرابع:
في دعائه ﷺ حين يقوم من الليل

ولما كان آخر الليل وقت يستجيب الله تعالى فيه الدعاء فقد كان النبي ﷺ إذا قام من الليل قال: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد، أنت قيّوم السماوات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد أنت مَلكُ السماوات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد، أنت الحقُّ، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حقٌّ، والنار حق، والساعة حق، ومحمد حقّ، والنبيون حقٌّ، اللهم لك أسلمت، وبك

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٦/٦٣، وابن حبان: ٢٥٨٩، وابن ماجه ١٣٦٥.

(٢) انظر الفتح: ٤/٢٥٤.

(٣) انظر الفتح: ٤/٢٥٤.

آمنت، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرت، وما أسررتُ، وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت. أو لا إله غيرك»[١]... [*].. ظاهر الحديث أنه ﷺ كان يقوم أول ما يقوم إلى الصلاة ويدخل - أي هذا الدعاء - بها بعد التكبير[٢].

المطلب الخامس:

في استفتاحه ﷺ صلاة الليل بصلاة ركعتين خفيفتين

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين»[٣]... [*]...

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١١٢٠ و٦٣١٧، وفي خلق أفعال العباد: ٦٢٨، ومسلم ٧٦٩.

(*) «ودل عليه الحديث على استحباب هذا الداء لينشط به لما بعده» شرح النووي: ٦/٥٤.

وفي المنهل العذب المورود أيضاً ٥/١٨٢ «دل الحديث على مشروعية دعاء الافتتاح في الصلاة بهذ الدعاء، وعلى مزيد معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته، ومواظبته على الذكر، والدعاء والثناء، على ربه والاعتراف بحقوقه، والإقرار بصدق وعده، وعبده، وعلى استحباب تقديم الثناء على الله تعالى عند كل أمر مطلوب منه عز وجل اقتداء به ﷺ» اهـ

«أنت قيوم السماوات والأرض» أي القائم بأمرهما وتدبير شؤونهما دون سواك «أنت نور السموات والأرض» أي منورهما، ربك يهدي من فيهما، وقيل المتنزه عن كل عيب ونقص» «أنت الحق» أي المتحقق الوجود، الثابت بلا شك فيه، وهذا الوصف له سبحانه وتعالى بالحقيقة خاص به لا ينبغي لغيره «وإليك حاكمت» أي كل من جحد الحق حاكمتُه إليك، «وجعلتك الحكم بيننا».

وانظر معاني هذه الكلمات وغيرها من الحديث في شرح النووي: ٦/٥٥ - ٥٦.

وفتح الباري: ٣/٦و٧، وفتح الملهم: ٤/١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥. وزاد «ودليله قراءة علي رضي الله عنه: الله نور السموات» اهـ. والمفهم في شرح مسلم: ٢/٣٩٦، وعون المعبود: ٤/٣٣٦، وما بعدها والمنهل العذب المورود: ٥/١٨١ - ١٨٢.

(٢) انظر فتح الباري: ٣/٦٠، وفتح الملهم: ٤/١٩٣. والمنهل العذب المورود: ٥/١٨١.

(٣) رواه مسلم ٧٦٧، وأحمد في المسند: ٦/٣٠، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢/٢٧٢، والمروزي في قيام الليل ص ٥٥، وأبو عوانة: ٢/٣٠٤. والطحاوي في شرح معاني الإرشاد: ١/٢٨٠.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم «هذا دليل على استحبابه لينشط لما بعدهما» اهـ ٦/٥٤، وشرح المواهب ١٠/٥٤٧. زاد في فتح الملهم: ٤/٩٣ «المراد بهما ركعتا الوضوء، ويستحب فيهما التخفيف لورود الروايات في ذلك والأظْهر أنّهما من جملة التهجد، يقومان مقام تحية الوضوء» اهـ باختصار.

وكذا في عون المعبود: ٤/١٤٣ - ١٤٤، وأشرف الوسائل ص ٣٨٠، ومنتهى السول: ٣/٢٥، =

فعله ذلك استعجالاً لحل عقدة الشيطان وهو إن كان منزه عن عقد الشيطان لكن فعله تشريعاً لأمته، والحكمة منها أيضاً: تنبيه القلب لمناجاة الله تعالى من دعائه ومراقبته[(١)].

المطلب السادس:

في عدد ركعاته ﷺ في قيام الليل

الثابت المتواتر أن النبي ﷺ صلى قيام الليل حتى خرج من الدنيا إلى لقاء ربه راضياً مرضياً، ولقد اختلفت الروايات عنه ﷺ في عدد ركعاته في قيام الليل نوردها بكاملها ثم نبيّن التحقيق فيها فنقول:[(*)]

قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل وعدد ركعاته فيها كان رسول الله ﷺ «يصلي من الليل ثماني ركعات، ويوتر بالتاسعة، فلما بدُنَ ﷺ صلى ست ركعات، وأوتر بالسابعة، وصلى ركعتين، وهو جالس قالت: فلم يزل كذلك حتى قبض»[(٢)].

والرواية الثانية عن عائشة أيضاً قالت: كان النبي ﷺ يصلي تسعاً فلما ثقل وأسنّ صلى سبعاً[(٣)].

=

والمنهل العذب المورود: ٢٥٢/٧.

(١) وقريب في ذكر المفهم: ٢٨٠/٢.

شواهد الحديث: عن أبي هريرة عند مسلم ٧٦٨، وفي شمائل الترمذي ٢٦٥، وأبو داود ١٣٢٣ و١٣٢٤ وابن حبان ٢٦٠٦.

(*) قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل وعدد ركعاته فيها كان رسول الله ﷺ «يصلى من الليل ثماني ركعات، ويوتر بالتاسعة، فلما بدنَ صلى...» الحديث.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٥٤/٦، ٦٥ /٩، واللفظ له، وأخرجه مختصراً النسائي في المجتبى: ٣/ ٣٤٢ وفي الكبرى: ٦٠/٦، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٨٠/١، وابن خزيمة ١١٠٤، وابن حزم في المحلى: ٤٤/٣. وبنحو منه: عند البيهقي في السنن: ٢٩/٣ /٣٠، وأبو داود: ١٣٤٣، وابن خزيمة ١٠٧٨ و١١٢٧ و١١٧٠ و١١٧٧، وابن حبان في قيام الليل ٦و٧، ومسلم ٧٤٦، والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٧٣، والطبراني في الأوسط ٦٦٥٧، والصغير ٩٩٠، وفي مسند الشاميين: ٩١٧.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٣٢/٦، و٢٢٥، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢٩٣/٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٨٤/١، والنسائي في الكبرى: ١٣٥١، والمجتبى: ٢٣٨/٣، والترمذي في سننه:

=

الثالثة: قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل تسع ركعات[١].

الرابعة: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة[٢].

الخامسة: وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة سجدة..[٣].

وأما روايات ابن عباس رضي الله عنهما:

فالأولى: قال: كان رسول الله ﷺ يصلي ثماني ركعات، ويوتر بثلاث[٤].

أما الثانية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة[٥].

=

٢٨٥٦، والشمائل ٣٠٥، ومسلم: ٧٤٦، وأبو داود ١٣٤٤ وفي الموسوعة: ٣١٦/٤٠، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١) رواه أحمد في المسند: ١٠٠/٦، وهذا لفظه، والبخاري في تاريخه: ٣٩/٤، وأبو داود ١٢٥١، ومسلم: ٧٣٠، والترمذي في سننه: ٣٧٥، والشمائل: ٢٧٥، وابن خزيمة: ١١٦٧. ١٢٤٥، والنسائي وفي الكبرى ٣٣٦ وابن حبان ٢٤٧٥، وفي تاريخ أصبهان: ١٨٥/٢، والإسماعيلي في معجمه ٢١٩.

(٢) رواه أحمد في المسند: ١٦١/١، واللفظ له، ومالك في الموطأ: ١٢٠/١، والشافعي ومسنده: ١/ ١٦١، وفي الأم: ١٤٠/١، ومسلم في صحيه ٧٣٦، وأبو داود: ١٣٣٥، والترمذي في سننه ٤٤٠، ٤٤١، وفي الشمائل: ٢٦٨، والمروزي في قيام الليل: ص ٥١ - ١٢١، وابن الجارود في المنتقى ٢٧٩، وابن حبان ٢٤٢٧، والبخاري في صححه: ٦٣١٠ وتمام في فوائده: ٤٠٧.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٥٠/٦، واللفظ له والبخاري في صحيحه ١١٩٨، ومسلم ٧٣٧، وابن خزيمة ١٠٧٦ و١٠٧٧، والطيالسي ١٤٤٩، والشافعي في مسنده: ١١٤/١، وفي الأم: ١٤٠/١ - ١٤١ والحميدي: ١٩٥/١، وأبو داود ١٣٣٨، والنسائي في المجتبى: ٢٤٠/٣، والكبرى: ١٤٠٧، وابن ماجه ١٣٥٩، وأبو يعلى ٤٥٢٦، وتمام في فوائده: ٣٩٤، وابن حزم في المحلى: ٤٢/٣، والبيهقي في السنن: ٢٧/٣ و٢٨، وفي الصغير ٧٧٤، وفي معرفة السنن ٥٤٨٠.

(٤) رواه أحمد في المسند: ٢٩٩/٣١، واللفظ له والترمذي في سننه ٤٥٧، والنسائي في الكبرى ٣/ ٢٣٧، والطبراني ١٢٧٣٠، في الكبير ١٢٦٩٠ والبيهقي في السنن ٤١/٣، وابن ماجه ١٣٦١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ١١٣٨، ومسلم ٧٦٤، وأحمد في المسند: ٢٢٨/١ و٣٣٨، وابن خزيمة ١١٦٤، والترمذي في السنن ٤٤٢، وفي الشمائل ٢٦٣، وأبو يعلى في مسنده ٢٥٥٩، وابن حبان ٢٦١١، والطبراني ١٢٩٦٤.

في هذه الأحاديث إخبار كل واحد عما شاهد، وأما الاختلاف في الروايات عن عائشة رضي الله عنها فقيل؛ من الرواة عنها فيُحتمل أن أخبارها بأحد عشر هو الأغلب، وباقي رواياتها أخبار منها بما كان يقع نادراً في بعض الأوقات وأكثره خمس عشرة بركعتي الفجر، وأقله سبع وذلك بحسب ما كان يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءة، أو عذر مرضٍ أو غيره، أو في بعض الأوقات عند كبر السن، كما قالت عائشة رضي الله عنها فلما أسنّ صلى سبع ركعات.... وركعتي الفجر أحيان تذكرها وتحذفها أخرى[1].

ولقد أشكلت روايات عائشة على كثير من العلماء حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب، وهذا إنما يتم لو كانت الرواية عنها واحداً وأخبرت عن وقت واحد أو حالة واحدة، والصواب. أن كل شي ذكر من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط، وبيان الجواز[2].

يتلخص من مجموع الروايات في قيامه ﷺ بالليل، أنه ﷺ كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، وهما من مبادئ التهجد، ثم يصلي ثماني ركعات، وهي أصل التهجد، ثم يوتر بثلاث ركعات، ثم يصلي ركعتين جالساً، وهما من توابع الوتر، كالركعتين بعد المغرب ثم يركع ركعتين في مبدأ طلوع الفجر حين يسمع الأذان ثم يضطجع، فمن قال سبع عشرة ركعة جمعها كلها، ومن قال خمس عشرة، لعله أسقط سنة الفجر لوقوعهما بعد طلوع الفجر وانقضاء الليل، ومن قال: بثلاث عشرة فأكبر ظني أنه أسقط الركعتين اللتين كان يفتتح بهما، والركعتين بعد الوتر، وعدَّ ركعتي الفجر وفي بعض الروايات ما يُشعرُ بإسقاط ركعتي الفجر، وعدّ ركعتي الافتتاح، وبينما من قال بإحدى عشرة بإسقاط كل من المبتدأ والمنتهى والركعتين بعد الوتر أيضاً، والاقتصار فقط على أصل التهجد والوتر، وأما روايات التسع والسبع محمولة على تقليل ركعات التهجد الثمانية حين أسنّ وضعف، ولم ينقص ﷺ صلاته، من سبع

---

(١) انظر الفتح: ٢٦/٣، وكذا في عون المعبود: ١٥٨/٤.

(٢) انظر المفهم: ٣٣٦٧/٢. وانظر ذلك في شرح الزرقاني للموطأ: ٣٥٣/١. وشرح المواهب: ١٠/ ٥٤٩. وابن حجر في الفتح: ٢٦/٣. وكذا في أشرف الوسائل، ص ٣٨٣، وكذا في المنهل العذب المورود زاد في فتح الملهم: ١٢١/٤ «والذي يظهر للعبد» وكذا في النكت الطريفة ص ١٩١. ومنتهى السول: ١١٣/٣.

ركعات من أصل التهجد[١].

لكن غالب صلاته ﷺ بالليل ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر، وربما وقع منه غير ذلك بحسب اتساع الوقت أو ضيقه أو عذر أو مرض أو غيره ككبر[٢].

---

(١) انظر فتح الملهم: ١٢١/٤.

(٢) انظر زاد المسلم: ٧١/٥.

وفيه أيضاً: ٧٢/٢، «وقد كان الإمام مالك والكثير من أئمة السلف الصالح يأخذون أنفسهم بصلاة إحدى عشرة ركعة بالوتر. ومما يستفاد من مجموع الأحاديث أن قيام الليل سنة مؤكدة مرغوب فيها لا ينبغي لمن عقل حقيقة الدنيا ورغب في الآخرة أن يتركها، لأنها دأب الصالحين وعلامة المتقين والمحبين لله الذي يحبون الخلوة بمحبوبهم سبحانه وتعالى» اهـ باختصار.

ويحسن هنا بيان كلمة عن صلاة التراويح:

تعلق بعض من ادعى التزامه بالكتاب والسنة بظاهر بعض الروايات بأن صلاة التراويح ثمان ركعات، وبأن هذا هو فعل النبي ﷺ وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، وبدعوى أن الصحابة وعلى رأسهم سيدنا عمر رضي الله هم الذين ابتدعوا العشرين ركعة في قيام رمضان حتى انتهى إلى مسامعي قول قائل: في أي كتاب نزلت أو ذكرت عن النبي ﷺ أن صلاة التراويح عشرون ركعة؟ وأمام ما يسمع المسلم بمثل هذا الكلام. ليس عليه إلا أن يقول رحم الله الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بعد أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، ورحم الله أئمة التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة العلم والعمل والتقى والإخلاص، وسلام على الدنيا في زمن قل فيه العلماء والفقهاء أو ندروا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟

لقد حشد الإمام التهانوي رحمه الله تعالى في إعلاء السنن: ٦٦/٧، حتى ٨٩ الأدلة وأقوال العلماء في إثبات أنها عشرون ركعة، ثم عزا ذلك إلى أئمة العلم:

وفي كتاب المغني لابن قدامة: ٨٠١/١ و٨٠٢، «وقيام شهر رمضان عشرون ركعة في صلاة التروايح وهذا كالإجماع» اهـ.

وقال الترمذي في سننه: ٨١/٣، «وأكثر أهل العلم على ما روي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ عشرين ركعة وهو قول الثوري، وابن المبارك، والشافعي» اهـ.

وفي إعلاء السنن: ٦٩/٧، «قال سفيان بن عيينة والثوري وابن المبارك والشافعي وقال: وهكذا أدركت الناس بمكة يصلون التراويح عشرون ركعة».

وقد صنف العلامة الإمام اللكنوي في كتبه تحفة الأخيار بإحياء سنة الأبرار، قرر فيه أن صلاة التراويح عشرون ركعة وفي ص ١٢٧ قال «والمكتفى بثمان ركعات وإن اقتدى بالنبي ﷺ في هذا المقدار مع تعدد الروايات بركعاته ﷺ، لكنه خالف أمره بلزوم سنة الخلفاء الراشدين» في ص١٢٨، ومن ثم قال الدهلوي في كتابه فتح المنان بمذهب النعمان «السر في كونها عشرين ركعة، أن الرواتب في غير رمضان عشرة، وضوعفت فيه لأنه وقت جد وتشمير» اهـ باختصار.

وفي الحاوي للفتاوى للسيوطي: ٥٤٠/١. «رأيت في تخريج أحاديث الشرح الكبير لابن حجر =

المطلب السابع:
في صفة صلاته ﷺ بالليل

ما نصه «إنه ﷺ صلى بالناس عشرين ركعة ليلتين، فلما كان في الليلة الثالثة اجتمع الناس فلم يخرج إليهم، ثم قال لقد خشيت أن تفرض عليكم فلا تطيقوها» اهـ.

وفي كتاب مختصر الزبيدي: ١٦٥/٢. عند حديثه عن التراويح فعل عمر رضي الله عنه في ذلك «فصار مجمعاً ولا ينبغي لمؤمن مخالفته» اهـ.

وفي فتح الملهم: ١٧٤/٤ «وعشرون ركعة هو قولُ الجمهور. عليه عمل الناس شرقاً وغرباً» اهـ باختصار.

وفي سنن البيهقي: ٦٩٩/٢ «وكان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعشرين ركعة ويوترون بثلاث أي متصلة». قلت وهذا مذهب الحنفية. وفيها أيضاً: ١٩٩/٢ «وكان علياً رضي الله عنه يؤم الصحابة في شهر رمضان بعشرين ركعة ويوتر بثلاث» اهـ وكذا في فتح الباري: ٢٩٨/٤، وكذا في شرح الموطأ للكنوي: ٦٢٦/١، وبذل المجهود: ١٥٦/٧، وقال في شرح الموطأ للكنوي: ٦٢٩/١. «وعشرون ركعة هي فعل عمر رضي الله عنه بعهد من رسول الله ﷺ، ولم يرو أحد من الصحابة في زمن الخلفاء فمن بعدهم الإنكار على ذلك بل قد وافق الصحابة على فعل عمر رضي الله عنه واستحسنوه، وباشروا به، وأمروا واهتموا به» اهـ باختصار.

وفي الحاشية لابن عابدين خاتمة المحققين في المذهب الحنفي: ٤٧٢/١ «وهي سنة مؤكدة، ولم يتخرصه عمر من تلقاء نفسه ولم يأمر به إلا عن أصل لديه، وعهد من رسول الله ﷺ. وحكى غير واحد الإجماع على سنتها وهيئتها لمواظبة الخلفاء الراشدين عليها إلى يومنا هذا وهي عشرون ركعة، وهو قول الجمهور وعليه عمل الناس اليوم» اهـ باختصار.

وقال النووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح مسلم: ٣٩/٦ «والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها» اهـ باختصار وتصرف.

وبالملخص فلو تجاهلنا الأقوال السابقة ورأي جمهرة أهل العلم سلفاً وخلفاً أن التراويح عشرون ركعة؟ قلنا لهؤلاء يكفيكم أنكم: خالفتم سيد الخلق ﷺ الذي وصاكم باتباع الخلفاء الراشدين بقوله:. «فعليكم بسنتي باتباع الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» رواه أحمد في المسند: ١٢٦/٤، والحاكم: ٩٦/١ وصححه الذهبي وغيرهما.

ثم إن موافقات عمر رضي الله عنه المشهورة والتي يطول ذكرها لو ذكرناها، حتى قال فيه رسول الله ﷺ «لو كان بعدي نبي لكان عمر» رواه والبغوي في المعرفة والتاريخ: ٤٦٢/١ والترمذي: ٣٦٨٦. وحسنه ص ٤٢ وفي المسند: ١٥٤/٤. والطبراني: ٨٢٢/١٧، والحاكم: ٣/ ٨٥. وفي أصول الاعتقاد للالكائي: ٢٤٩١، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: ٢/ ٤٨٧، قال في الموسوعة: ٢٨٦٢٨، إسناده حسن.

لما سئلت الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن صفة صلاة رسول الله ﷺ في الليل قالت:... يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهُن، وطولهنّ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنّ ثم يصلي.. (*).. ثلاثاً..»[١].

يعني أربعاً في الطول والحسن، وترتيب القراءة ونحو ذلك ثم يقول «فلا ينافي أنه كان يجلس في كل ركعتين ويسلم»[٢].

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان خادم نعل رسول الله ﷺ ومن ألصق الناس به يخبرنا عن صفة صلاة رسول الله ﷺ فيقول: صليتُ مع رسول الله ﷺ ليلة فأطال القيام، حتى هممتُ بأمر سوء قال: قلنا وماهو؟ قال: هممتُ أن أقعد وأتركه[٣].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ ليلة فافتتح بالبقرة، فقلت: يركع عند المئة. قال: ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة ثم مضى، فقلتُ يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مر بسؤال، سأل، وإذا مر بتعوذ تعوّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من

(*) قال الزرقاني في شرح الموطأ: ٣٥٢/١. تعليقاً على حديث عائشة» اهـ.

زاد في فتح الملهم: ١٢٧/٤. «ولحسنهن وطولهن فهنّ مستغنيات عن السؤال عنهن لاشتهار ذلك. وأما كون كونهن متصلات أو منفصلات بسلام قولان، وللجمع بين هذه الروايات، حملها على أحوال مختلفة فمرة أربع متصلة، ومرة أربع منفصلة بسلام بين كل ركعتين».

وكذا في المفهم ١٢٠/٢، والمنهل العذب المورود: ٢٧٠/٧. اهـ بتصرف. وهذا الحديث على صحته واتفاق الشيخين على روايته وغيرهم دليل على مذهب الحنفية في أن الوتر ثلاث ركعات متصلة لا سلام إلا في آخرها كما سيأتي إن شاء الله تعالى في مباحث وتره ﷺ.

وقال في أشرف الوسائل ص ٣٨٥ - ٣٨٦: بعد ما ذكر ما سبق من القول: وفيه دليل لأفضلية تطويل القيام في صلاة الليل أو غيرها على تكثير الركوع والسجود، ودليله قوله ﷺ «أفضل الصلاة طول القنوت» رواه مسلم والنسائي في الكبرى: ٥٨/٥ والبيهقي في المسند: ٨/٣.

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١١٤٧ و٢٠١٣ - ٣٥٦٩، ومسلم ٧٣٨.

(٢) انظر شرح الموطأ: ٣٥٢/١.

(٣) رواه مسلم ٧٧٣ وأحمد في المسند: ٣٨٥/١ و٣٩٧ والترمذي في الشمائل ٢٧٣ وقال صحيح، وابن خزيمة في صحيحه ١١٥٤، وابن حبان ٢١٤١، وأبو يعلى في مسنده: ٥١٦٥.

قيامه[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أقومُ مع رسول الله ﷺ ليلة التمام، وكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرُّ بآية فيها تخويف إلا دعا الله عز وجل

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٩٧/٥ واللفظ له، ومسلم في صحيحه: ٧٧٢، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢٤٨/١، والنسائي في الكبرى: ٢٢٥/٣ و٢٢٦، وأبو عوانة: ١٨٠١، و١٨١٨ و١٨٩٠، وابن حبان في صحيحه: ١٨٩٧، والبيهقي في السنن: ٣٠٩/٢.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٦٢٠/٦ «فيه دليل استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، واستحباب الالتزام بأذكار الركوع والسجود الواردة في الحديث وتكرارها، وهو مذهبنا ومذهب الأوزاعي والحنفيه وأحمد والجمهور، وقال مالك لا ينبغي ذلك، فيجوز بأي ذكر أو دعاء، وفيه دليل على استحباب تطويل الركوع، والسجود في قيام الليل، كما فيه دليل على أن ترتيب السور، اجتهادي وليس توقيفي وهذا قول مالك والجمهور، وقيل بخلاف ذلك؟ فيه دليل على جواز قراءة سورة ثم قراءة التي قبلها، وقيل هذا في النافلة فقط» اهـ. وكذا في شرح المواهب: ٥٥٥/١٠، ومنتهى السول: ٣٨/٣. باختصار.

وزاد في فتح الملهم «لكن الحنفية ذهبوا إلى أن ترتيب السور في القراءة من واجبات التلاوة، وإنما جوزوا ذلك للصغار تسهيلاً لضرورة التعليم، فيكره التنكيس إن كان عن قصد، أما سهواً فلا يكره» اهـ باختصار.

قال حذيفة «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ السبع الطوال» الحديث رواه أحمد في المسند٥/ ٣٨٨ و٣٦٦ قال في الموسوعة: ٣٣٢/٣٨ ضعيف. قال في منتهى السول: ٤٠/٣ «السبع الطوال هي: البقرة آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال والتوبة، وقيل يونس» اهـ.

وقد رجح في إعلاء السنن: ٥٢/٧، «بأن صلاة الليل مثنى مثنى أفضل، وهوقول الصاحبين أبي يوسف ومحمد وعليه الفتوى» اهـ.

وفي عمدة القاري: ٦٢٦/٢، «وإنما فضل أبو حنيفة رحمه الله تعالى صلاة أربعاً متصلة لكونها أشق على النفس، فيكون أعظم للأجر» اهـ ورجح أفضلية الأربع ابن عابدين في الحاشية: ١/ ٤٥٤، والفتاوى الهندية: ١١١/١.

ومر الجمع بينهما قبل قليل، وفي الحديث دليل على استحباب إطالة السجود في قيام الليل لأن السجود محل للدعاء ومظنَّة قبوله، فكيف اذا كان في قيام الليل، حين يستجيب الله فيه الدعاء.

وفي شرح النووي: ٣٧/٦. وفتح الملهم: ١٣١/٤. والمنهل العذب المورود: ٢٦٦/٧. وكذا في منتهى السول: ٣١/٣.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم: ٦٣/٦ «فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار، وأن لا يُخالفوا بفعل أو قول ما لم يكن حراماً. وفيه استحباب تطويل الصلاة في الليل» اهـ باختصار.

واستعاذ، ولا يمرُّ بآية فيه استبشار إلا دعا الله عز وجل ورغب إليه»[١]... [*]...

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة[٢]....» [*].. يحتمل أن المراد أنه ﷺ استمر يكررها في ركعات تهجده تلك الليلة، فلم يقرأ غيرها، أو كررها في قيام ركعة، واحدة إلى أن طلع الفجر[٣]. ومما يرجح هذا الاحتمال حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: صلَّى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[٤] فلما أصبح قلت يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد! قال: إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فيها وهي نائلة إن شاء الله لمن مات

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٩٢/٦ و١١٩، وأخرجه الفريابي في فضائل القرآن ص ٦٧، وفي مسند أبي يعلى ٤٨٤٢، وابن الضُّريس في السنن: ٣١٠/٢ وابن المبارك في مسنده: ٥٨، وفي الزهد: ١١٩٦، وشاهده حديث حذيفة السابق، قال في الموسوعة: ١٥٥/٤١. صحيح لغيره أي حديث عائشة هذا.

(*) والحديث دل ما دل عليه حديث حذيفة السابق، ودليل على جواز اقتداء المرأة بالإمام في صلاة الليل والنافلة، وعلى جواز الدعاء في الصلاة خلال القراءة.
قال في إعلاء السنن: ١٦٩/٣. «إن ذلك مقتصر على النافلة دون الفريضة، وهو قول الحنفية وطاوس وإبراهيم النخعي وغيرهم» اهـ.

(٢) رواه الترمذي في السنن ٤٤٨، وفي الشمائل ٢٧١، والبغوي في شرح السنة: ٩١٤، وقال الترمذي حسن غريب، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على السنن للترمذي: ٣١١/٢، حديث صحيح اهـ.

(*) والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: ٤٥٤/١، وابن أبي شيبة: ٤٩٧/١١، والبزار في مسنده ٤٠٦١ والحاكم، ٢٤١/١، وصححه الذهبي.
وقال أيضاً في أشرف الرسائل ص: ٣٩٤، «ولا ينافيه خبر إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً» رواه النسائي في الكبرى: ١٧٧/٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢٧٢/١٤. - ثم قال الهيتمي أيضاً: «لاحتمال أن ذلك النهي كان بعد تلك الليلة» اهـ ص ٣٩٤. على أن المعلق على الموسوعة الحديثية: ٣٥ /٢٥٨ «قال: وقوله يركع بها ويسجد» يعني «أنه قرأ بالآية بعد الفاتحة في كل ركعة حتى أصبح» ٢٥٨/٣٥.
وفيه أيضاً: ٤٢/٣: «ويؤخذ من الحديث جواز تكرار آية واحدة في الصلاة، ولعل ذلك كان قبل النهي عن القراءة في الركوع والسجود. أو فعله لبيان الجواز، تنبيهاً على أنّ النهي للتنزيه، لا للتحريم» اهـ باختصار: ٤٢/٣.

(٣) انظر أشرف الوسائل ٣٩٤.

(٤) انظر أشرف الوسائل: ٣٩٤.

لا يُشرك بالله شيئاً[١]. وإنما داوم على تكرارها والتفكر في معانيها حتى أصبح!! لما اعتراه عند قراءتها من هول ما ابتدأت به مما أوجب اشتعال نار الخوف، ومن حلاوة ما ختمت به مما أوجب اهتزازه طرباً وسروراً[٢].

وأما صفة صلاته ﷺ من ناحية الانتقال بين أركانها فأفضل من يصور ذلك عائشة رضي الله عنها، والتي تحدثنا عن ذلك فتقول «كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة: بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾. وكان إذا ركع لم يرفع رأسه ولم يصوبْه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسْجُد حتى يستوي قائماً، وإذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في كل ركعتين: التحيّة، وكان يفترش رجله اليُسرى وينصب رجله اليُمنى، وكان ينهي أن يفترش أحدنا ذراعيه كالكلب، وكان يختم الصلاة بالتسليم»[٣]؟[*].

---

(١) رواه أحمد في المسند: ١٤٩/٥.

(٢) انظر منتهى السول: ٤٢/٣.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٣١/٦. واللفظ له،، ومسلم ٤٩، وابن حبان ١٧٦٨، وابن خزيمة ٦٩٩.

(*) قال في فتح الملهم: ٣١٨/٣ وما بعدها «فيه دليل على أن السنة افتتاح الصلاة بالتكبير، وأجاز البعض الافتتاح بغيرها، كالله أجل وأعظم، والبعض كره غير صيغة «الله أكبر»، واستدل بهذا الحديث بأن البسملة ليست من الفاتحة، وأما قولها «لم يُشْخِصْ «أي لم يرفع رأسه: أي عنقه» ولم يصوبهُ» بالتشديد، والتصويب النزول من أعلى إلى أسفل، أي لم يخفض رأسه خفضاً بليغاً ولم يرفعه بتكلف، بل كان في ركوعه وسط بين الأشخاص والتصويب، وأعدل هذه الحالات لا يتم إلا أن يكون الرأس مساوياً لظهر الراكع، والتحية هي التشهد، والتشهد عند الحنفية واجب في القعدة الأولى، وفي آخر الصلاة فرض، أما افتراش الرجل اليسرى» أي تكون أليته على رجله جالساً عليها، وقدمه اليمنى منصوبة بحيث تكون أطراف أصابع القدم اليمنى باتجاه القبلة. وهذا عند الحنفية يكون في القعود الأول والأخير، وأما غيرهم ففي المسألة خلاف» اهـ باختصار وتصرف. وتنظرُ المسألة لمن أراد الوقوف عليها من شرح هذا الحديث، كتب الفقه المقارن.

ولقد فصل النووي رحمه الله تعالى المسألة في شرحه على صحيح مسلم: ٢١٣/٤. وما بعدها فليراجع.

«الحديث ورد في مسألة الإقعاء إنه منهي عنه وهو أن يجلس على إليته، وينصب فخذيه ويضم ركبتيه إلى صدره واضعاً يديه على الأرض، وهذا هو الصحيح، وفسّره البعض بأن يقعد على عقبيه ويضع يديه على الأرض» اهـ باختصار وتصرف زيادة «وكان ينهى عن عُصبة الشيطان»، وصوره كما في عون المعبود: ٣٤٨/٢، الصحيح المشهور.

=

المطلب الثامن:
في صلاته حين كبر وأسن ﷺ

تقول الصديقة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها:... «وكان أكثر صلاته قائماً، فلما كبُرَ وثقُلَ كان أكثرُ صلاته قاعداً..» الحديث[1].

والحديث ورد بلفظ آخر وهو: «أنها لم تر رسول الله ﷺ يُصلي قاعداً من الليل حتى أسنّ، كان يقرأ قاعداً، حتى إذا أراد أن يركع، قام فقرأ نحواً من ثلاثين آية أو أربعين، ثم ركع»[2]... [*].. أي لَمّا أسن النبي ﷺ كان له أحوال مختلفة في تهجده، فمرة يفتتح قاعداً، ويتم قراءته قاعداً، ويركع قاعداً، ومرة يفتتح قاعداً، ويقرأ بعض قراءته قاعداً، وبعضها قائماً، ويركع قائماً.. وكان إذا صلى قاعداً يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، من ترتيله وتدبره ودعوته ﷺ[3].

المطلب التاسع:
في قضائه ﷺ
صلاة الليل إذا فاته من وجع أو غيره

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا شغله عن قيام الليل نومٌ،

=

قال القرطبي في المفهم: ٣٦٩/٢ «ومن زاده بلفظ (بَدُن» ليس على ظاهره، وقد جاء مفسراً من روايه أخرى: فلما كثر وأخذه اللحم. قال أبو عبيد: والمعنى أنه ﷺ أسف وضعف عن كثير مما يتحمله في كماله: «حال النشاط من العمل الشاق» اهـ باختصار.

(١) رواه أحمد في المسند: ١٠٣/٦، قال في الموسوعة: ٤١ /٢٤٢. حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم: ١١١٨ - ١١١٩ ومسلم: ٧٣١.

(*) في الفتح: ٦٨٧/٢. «فبدت عائشة ذلك بصلاة الليل لتخرج الفريضة. وأنه إنما فعل ذلك إبقاء على نفسه ليستديم الصلاة. ودل على جواز القعود في أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً، كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم يقوم، إذ لا فرق بين الحالتين» اهـ باختصار وتصرف.

زاد الزرقاني في شرح الموطأ: ٤٠١/١. (وأو تحتمل الشك أنها قالت عائشة، أو بحسب وقوع ذلك منه مرة كذا ومرة كذا، أو بحسب طول الآيات وقصرها» اهـ.

وكذا في فتح الملهم: ١١٦/٤، وعون المعبود: ١٦٥/٣، والمنهل العذب المورود: ٦٢/٥.

وقريب مما ذكرى في شرح المواهب: ٥٥٦/١٠. وكذا في أشرف الوسائل ص ٣٩٦. زاد في منتهى السو ل: ٤٦/٣. ا هـ - انظر منهى السول: ٤٦/٣.

(٣) انظر منتهى السول: ٤٦/٣.

أو وجع، أو مرض، صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة..»[١]... [*]..

المطلب العاشر:

في صلاته ﷺ الوتر

(الوتر: الفرد، وتكسر واوُهُ، وتفتح)[٢] ومنه قول النبي ﷺ: إن الله وترٌ يُحبُّ الوتر»[٣].

أما مسألة وقت صلاته ﷺ وتره، تقول عائشة رضي الله عنها «من كلّ الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره، وانتهى وتره إلى السحر»[٤]... [*]. ويحتمل أن يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الأحوال، فحيث أوتر ﷺ أوله لعله كان وجعاً مريضاً، وحيث أوتر أوسطه لعله كان على سفر، وأما وتره فكان في آخر الليل وهو غالب أحواله كما يتبين من الروايات الحديثية، لما عرف من مواظبته على الصلاة في أكثر الليل[٥].

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٥٤/٦، واللفظ له، ورواه مسلم ٧٤٦ وغيرهما.

(*) قال في أشرف الوسائل ص ٣٨٠. «فيه دليل على ندب قضاء ما أعتاد عليه المرء من النافلة كقيام الليل، وأن ذلك يكون بما بين طلوع الفجر إلى الزوال، وهو بيان لوقت قضاء صلاة الليل إذا فاتت» اهـ باختصار وتصرف. وكذا في عون المعبود: ١٥٥/٤.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٧/٦. «وفيه دليل على الاستحباب على المحافظة على الأوراد وأنّها تقضى» اهـ وكذا في فتح الملهم: ١٤٨/٤ و١٤٩. والمنهل العذب المورود: ٧/ ٢٧٥. وبعضه في شرح المواهب: ٩/١١. ومنتهى السول: ٤٨/٣.

(٢) النهاية: مادة وتر.

(٣) رواه أحمد في المسند عن ابن عمر: ١٠٩/٢. واللفظ له، وقال في الموسوعة: ١١٩/١٠، وهذا صحيح لغيره.

(٤) رواه البخاري ٩٩٦ ومسلم ٧٤٥. قال في الموسوعة: ٢، إسناده قوي.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٤/٦، «فيه جواز إيقاع صلاة الوتر في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته، واختلفوا في أول وقته قيل بعد الفراغ من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر. وفي وجه يدخل بدخول وقت العشاء ويمتد إلى صلاة الصبح» اهـ باختصار وتصرف. قريب مما ذكر في عون المبعود. ٢١٩/٣.

وكذا في المفهم: ٣٨٢/٢، وكذا في فتح الملهم: ١٣٦/٤، وقريب مما ذكر في شرح المواهب زاد في المنهل العذب المورود: ٧٥/٨ «وكونه بعد صلاة العشاء قول جمهور العلماء، وعند الحنفية وقته وقت العشاء» اهـ، وكذا في شرح المواهب: ١٠/١١.

(٥) انظر فتح الباري ٥٦٥/٢.

وأما مقدار وتره ﷺ.

قلت: «إن المتتبع للروايات الحديثية عن عائشة رضي الله عنها عندما تتحدث عن صلاة النبي ﷺ بالليل ووتره، يجد أن النبي ﷺ قد أوتر بواحدة وبثلاث وخمس وسبع وتسع. وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ قالت: كان يقرأ بالأولى «سبح اسم ربك الأعلى»، وبالثانية «الكافرون»، وبالثالثة «قل هو الله أحد والمعوذتين»[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٢٢٧/٦، وإسحاق بن راهويه في مسنده ١٦٧٨، وأبو داود ١٤٢٤، والترمذي في سننه ٤٦٤ وقال حسن، وابن ماجه في سننه ١١٧٣، والبغوي في شرح السنة ٩٧٢، وعبدالرزاق في المصنف: ٤٦٩، ثم إن اختلاف الأئمة الأعلام في مقدار الوتر دليل على ذلك. فهو عند الحنفية ثلاث لا فصل بينها والسلام في آخر الثلاث، ولهم دليلهم على ذلك قول عائشة رضي الله عنها: بعد أنْ تحدثت عن صلاته بالليل قالت: «ثم يصلي ثلاثاً» رواه البخاري في صحيحه ١١٤٧ و٢٠١٣ و٢٥٦٩. وقال الشافعية أقل الوتر ركعة، وأكثره إحدى عشرة، والأفضل عندهم الفصل بين الركعات بركعة واحدة في آخره، وكلمه الأفضل: تدل على أنه يجوز عندهم الوتر ثلاث متصلة. وكذا قالت المالكية والحنابلة فأدنى في الكمال عندهم ثلاث، وأكمل منه خمس، ثم سبع، ثم تسع، ثم إحدى عشرة» انظر الأم: ١٦٩/١ الفواكه: ٣٠٨/٣. وشرح الوجير: ٢٢٦/٤. والحاوي: ١١١٨/١٥. انظر الفقه الإسلامي وأدلته: ٨٢١/١. ولقد ساق الأدلة على سائر المذاهب في وقت الوتر وعدده. وأما حكم الوتر فهو عند الحنفية واجب من جهة الاعتقاد، بمعنى أنه لا يكفر جاحدة لكن يفسق، وفرضُ عمله من جهة العمل، فلا يجوز تركه ويلزم قضاؤه إذا فات، وسنة من جهة الثبوت فلا فرق بينه وبين سائر السنن التي ثبتت بحديث الآحاد» انظر كشف الستر عن فرضية الوتر: ص ١٧، واللباب: ٢٦/١، وحاشية الطحاوي: ١٧١/٢. والنكت الظريفة ص ١٧٥، وقال العيني في عمدة القاري: ٤١٢/٣، بعد كلام عن الوتر وحكمه: والأحاديث الواردة في ذلك حيث ناصر الحنفية في قولهم بالوجوب: وردّ على من أنكر ذلك: فقال: «والحق أحق بالاتباع، وهذا المخالف قد وقف على الدليل، لكنه اتبع هواه لغيره» اهـ باختصار.

وفي إعلاء السنن: ١١/٦ «بالجملة فحقيقة وجوب الوتر كانت موجودة في الصحابة، وإن لم يكن هذا العنوان موجوداً في اصطلاحهم» اهـ.

ولقد ألف العلامة الإمام الشيخ عبدالغني النابلسي رحمه الله تعالى رسالة سماها كشف الستر عن فرضية الوتر حدد فيها الأدلة والأقوال على وجوب الوتر وأنه ثلاث متتبعات وفي: ص ١٠٨ قال: والمروي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قوله «وأجمع المسلمون على أنّ الوتر ثلاث ركعات لا يسلّم إلا في آخرهن، وما سوى ذلك من خلاف ما روي فهو محمول على ما قبل استقرار الوتر» اهـ وقد أثبت صاحب الروضة الندية: ١١٤/١، قول الحسن البصري =

المبحث الثاني:
في بعض أحواله ﷺ في الزكاة[1]

قال في شرح المواهب: «واعلم أن الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم لا تجب عليهم الزكاة، لأنهم لا ملك لهم مع الله تعالى حتى تجب عليهم... ولأنّ الزكاة. إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليهم لقوله تعالى ﴿ خُذْ

=

رضي الله عنه، لكن قول الحسن هذا لم يعجب صاحب الروضة فأقام الدنيا ولم يقعدها» اهـ. أما الإمام التهانوي رحمه الله تعالى فقد خصص الجزء السادس: ٦/١: إلى ص ١٣١، حشد فيها الأدلة والأقوال على أن الوتر واجب وأنه ثلاث لا يسلم إلا في آخرها من هذه الأدلة:

ماورواه الحاكم في المستدرك: ١/٣٠٤، قال: «كان رسول الله ﷺ لا يسلم في الركعتين من الوتر» قال الذهبي صحيح في المستدرك: ١/٣٠٤. والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/٢٨٥، والحاكم: ١/٣٠٥. ووافقه الذهبي على صحيحه، قال في الموسوعة الحديثية: ٤٣/٨٠، وقد صح الحديث دون قوله المعوذتين وقال الكوثري في النكت الطريقة: «المسلمون جميعاً على عدم جواز ترك الوتر، والاتفاق على عدم جواز ترك الوتر دليل على الوجوب» اهـ. وفي مقدمات الكوثري ص ٤٦٠ «وقد مال إلى رأي أبي حنيفة في الوجوب سحنون من المالكية».

وفي كشف الستر ص ١٨. «ونقل الطحاوي رحمه الله تعالى عن فقهاء المدينة السبعة، وعمر بن عبدالعزيز رحمهم الله تعالى على أن الوتر واجب وهو ثلاث ولا يسلم إلا في آخرهن. وقال: إن مذهب الحنفية أقوى من جهة النظر، لأن الوتر لا يخلو إما أن يكون فرضاً أو سنة، فإن كان فرضاً فالفرض ليس إلا ركعتين أو ثلاثاً أو أربعا، وكلهم أجمعوا على أن الوتر. لا يكون اثنتين ولا أربعاً فيثبت كونه ثلاثاً، وإن كان سنة فلم نجد سنة إلا ولها مثل في الفرض أخذت منه، ولم نجد في الوتر إلا المغرب وهو ثلاث، فيلزم أن يكون الوتر ثلاث، ولا يلزم في صحة الوتر تعيين وجوبه بل تعيين كونه وتراً» اهـ. وبعض ما ذكر في بدائع الصنائع: ١/٦١٠، والحاوي الكبير: ٢/٦٤١، والمغني: ٢/١٤٦.

وللتدليل على وجوب الوتر:

جاء في المحلى: ٢/٢٣١ «أن الوتر ليس فرضاً لكن من تركه أُدب، وكان جرحاً في شهادته» اهـ.

وجاء في كتاب الأم: ١/ ١٢٥ «أن لا ترخيص لمسلم في ترك الوتر، ومن تركه فهو أسوأ حالاً ممن ترك جميع النوافل».

قلت: والمتبع لما ذكرته، ولما لم أذكره من الأدلة وأقوال العلماء أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم لا بد أن يسلم في النتيجة إلى من قال بوجوب الوتر.

(١) قال في النهاية: أصل الزكاة في اللغة: الطهارة. والنماء والبركة والمدح، واصطلاحاً: فهي تمليك المال من فقير مسلم غير.

مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ..﴾[(١)] والأنبياء وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ مبرؤون من الدنس، لوجوب العصمة لهم من ذلك.. وإذا كان أهل المعرفة بالله تعالى لايشهدون لهم مع الله مُلْكاً فما بالك بالأنبياء والرسل، وأهل المعرفة إنما غرفوا من بحارهم، واقتبسوا من أنوارهم»[(٢)] اهـ باختصار.

المطلب الأول:

في تحريم الزكاة عليه ﷺ وأهل بيته[(*)]

لقد عدّ العلماء من خصائص النبي ﷺ وأهل بيته الطيبين المباركين، تحريم الزكاة عليهم وحتى على مواليهم تكرمة لهم وتطهيراً، حيث تَنزّه له ﷺ عن سفاسف الأمور، وحمل له على مكارم الأخلاق، لأنه الصدقة تعطى على سبيل الترحم المنبِئ عن ذل الآخذ، فأبدل الله تعالى نبيّه ﷺ وأهل بيته، ذلك بالغنيمة المأخوذة عن طريق العِزِ والشرف المُنْبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه»[(٣)] اهـ باختصار.

وقد بين ذلك ﷺ فقال: «.. ألا إن الصدقة لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس..»[(٤)]... [(*)]..

---

(١) الآية ١٠٣. التوبة.

(٢) شرح المواهب: ١١/ ٢٠٢ - ٢٠٣، والسيرة الشامية: ٣٨٨/٨.

هاشمي ولا مولاه الفتاوة الهندية: ١٧٠/١ وأما شرعاً: (هي حق يجب في المال: بإخراج جزء مخصص من مال مخصوص لشخص مخصوص بلغ نصاباً، وحال عليه الحول) انظر الفقة الإسلامي في أدلته: ٧٣٠/٢.

(*) وأهل بيته مؤمنو بني هاشم وبني عبدالمطلب عند الشافعية، والمشهور عند المالكية بنو هاشم فقط وانظر الفتاوى الهندية: ١٨٨/١ وشرح معاني الآثار: ٤١٣/٢. وفتح القدير: ٢٠٩/٤، والمجموع: ١٦٨/٦.

(٣) انظر الخصائص الكبرى للسيوطي: ص ٤٠٦، وشرح المواهب: ١٤١/٧.

(٤) رواه مسلم ١٠٧٢، وابن حبان: ٤٥٢٦، وأحمد في المسند: ١٦٦/٤.

(*) قلت: وهذا الأمر معلوم من الدين بالضرورة وقد اشتهرت الأحاديث في ذلك.

قلت وحبذا لو فهم المنتسبون اليوم إلى النبي الكريم ﷺ أنهم لو انتبهوا إلى هذه الناحية وانتبهوا إلى ما خصهم الله به إذا لأطاعوا الله تعالى ولعاشوا في ظل هذه الطاعة شرفاء كرماء أغنياء أعفاء؟ ولكن لا حول ولا قولة إلا بالله العلي العظيم.

وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: ١٧٦/٧. «وهذا دليل على أن الصدقة محرمة على رسول الله ﷺ وأهل بيته سواء كانت بسبب العمل أو المسكنة، أو غيرها وهذا هو =

وإنما كانت أوساخ الناس لأنها تكفر الخطايا والذنوب.. فتدرك بعض النفوس العالية أن فيها ظلمة، لأن المال الذي يؤخذ من غير مبادلة عين أو نفع، ولا يُراد به احترام وجهه، فيه ذلة ومهانة، ويكون لمن أعطى لواحد منهم فضل ومنة، فلا جرم أن التكسب بهذا النوع شر وجوه المكاسب، لا يليق بالمطهرين، والمنوه بهم في الملة،...

وفي هذا سر آخر وهو: أنه ﷺ لو أخذها أو أجازها لآله وخاصته، والذين يكون نفعهم بمنزلة نفعه، كان مظنة أن يظنّ الظانون، ويقول القائلون في حقه ﷺ ما ليس بحق، فأراد الله تعالى أن يسد هذا الباب عن نبيه ﷺ بالكلية ثم جرى الأمر إلى أهل بيته لهذا المعنى، وإنما هي تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم[١].

ولأن الصدقة تنشأ عن رحمة الدافع لمن يتصدق عليه، فلم يرد الله تعالى أن يكون نبيّه ﷺ مرحوم غيره، ولهذا نهى بعض الفقهاء الترحم عليه ﷺ تأدباً في حق

=

الصحيح. والعلة في ذلك تكريماً للنبي ﷺ وأهل بيته، وتنزيههم عن أوساخ الناس. فهي كفالة الأوساخ» اهـ باختصار.

وزاد في فتح الباري: ٤١٥/٣ «ولا تعلم خلافاً في حرمة ذلك على النبي ﷺ وأهل بيته. ونقل الجواز عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى في جواز ذلك إذا ما حُرم أهل بيت النبوة من سهم ذوي القربى وفتوى الإمام رحمه الله تعالى في ذلك تدخل ضمن المصلحة المرسلة لكي لا يضيع فقراء أهل البيت ويجوعوا كما هو مقرر المفرد في قواعد أصول الفقه. انظر الميسر في أصول الفقه الإسلامي ص ١٥٥. وبهذا أفتى المالكية، وهو وجه عند الشافعية، وذهب الإمام أبو يوسف رحمه الله تعالى بأنه تحل صدقة بعضهم لبعض لأن أدلة المنع ظاهرة، ولم أر لمن أجاز ذلك دليلاً، بل كلها الأدلة تدل على حرمة الصدقة - الزكاة - على أهل البيت -» اه باختصار وتصرف. وكذا في فيض القدير: ٤٥٠/٣، وعون المعبود: ٤٧/٥، والمفهم: ١٢٨/٣، وعمدة القاري: ٣١٥/٨.

زاد في شرح المواهب: ١٤٢/٧. «وقد اجتمع في الأحاديث مبالغات شتى، حيث جعل المشبه به أوساخ الناس للتهجين والتقبيح، تنفيراً واستقذاراً، وأجَلَّ الله تعالى وأعظم حضرة صاحب الرسالة ومنبع الطهارة أن ينسب إلى ذلك. وتجاوز الأمر إلى أهل بيته لكون انتسابهم إليه ﷺ.
ثم قال: أما في صدقة التطوع فهي في أصح الأقوال، عند الشافعية والحنابلة والحنفية أنها تجوز، واستدلوا بذلك أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه كان يشرب من سقايات بين مكة والمدينة، فقيل له أتشرب من ماء الصدقة، فقال: إنما حرم علينا الصدقة المفروضة» اهـ باختصار.

(١) انظر فتح الملهم: ٢٧٥/٥ وانظر أيضاً كشف القناع: ٤١١/٥.

الحضرة النبوية[١]. وقيل إن المحرم عليه صدقات الأعيان، وأما الأشياء العامة كالمساجد ومياه الآبار فهي حلال، ولقد شرب ﷺ من بئر اشتراه عثمان وجعله صدقة على المسلمين[٢].

واختلف العلماء فيمن هم آل النبي ﷺ فذهب المالكية والحنفية إلى أنهم بنو هاشم خاصة، وقال الشافعي، ويدخل معهم بنو المطلب، وحديث زيد بن أرقم يقوي رأي المالكية والحنفية بأنهم بنو هاشم فقط وهم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس[٣].

المطلب الثاني:
في أخذه الزكاة من أصحابه وتفريقها على مستحقيها

لقد أمر الله تعالى النبي ﷺ بأخذ الزكاة من الأغنياء وردها على الفقراء فقال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٤] ثم بين له تعالى في نفس السورة كيف يوزعها فقال تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٥] الآية، «فكان رسول الله ﷺ يجمع عنده الزكاة ويوزعها كما أمره ربه وحدد له مستحقيها، وكان إذا أتاه أحد بصدقته دعا له ﷺ، وهو المقصود بالصلاة التي أمره الله تعالى بها في الآية السابقة»[٦] اهـ.

وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه من يسأله الصدقة يعني من مال الزكاة - نظر إليه فإن وجده من الذين ذكرهم الله أعطاه وإلا وعظه، ثم خيّره بين العطاء وعدمه، دليل ذلك

(١) انظر جواهر البحار: ٢٢٤/٤.
(٢) انظر شرح المواهب: ١٤١/٧.
(٣) انظر المفهم: ١٢٥/٣.
(٤) التوبة - آية: ١٠٣.
(٥) التوبة - آية: ٦٠.
(٦) أحكام القرآن لابن عربي: ٥٧٧/٢، وابن كثير: ٦٢٥/٢، وكذا في الجامع للقرطبي: ١٥٥/٨، وشرح المواهب ٢٠٤/١١.

أن رجلين آتيا النبي ﷺ يسألانه الصدقة، فقلّب فيهما البصر، ورآهما جلْدَيْنِ[١]، فقال: إن شئتما أعطيتكما، ولا حظَّ فيها لغني ولا لقوي مُكْتسب»[٢].... [*]...

المطلب الثالث:

في حرصه ﷺ أن لا يدع عنده شي من الزكاة بل يوزعه على مستحقيه

عن عقبة بن الحارث[٣] قال: «صليت مع رسول الله ﷺ فلما سلم قام مسرعاً، ودخل على بعض نسائه، ثم خرج، ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، قال: ذكرتُ وأنا في الصلاة تبرا[٤] عندنا، فكرهتُ أن يُمسي،

---

(١) في النهاية: «الجلد: القوة والصبر: مادة جلد، وفي لسان العرب: والجلد القوة والشدة، ومنه حديث: كان عمر رجلاً جلْداً أي قوياً في نفسه وجسده، والجلدُ الصلابة والجلادة، تقول جلُد الرجل، بالضم، فهو جلْدُ جليد، وبين الجلْدِ والجلادة والجلودة» اهـ مادة جلد.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٢٤/٤، واللفظ له، ورواه النسائي في الكبرى ٢٣٧٩، وفي المجتبى: ٩٩/٥، والشافعي في مسنده: ٢٤٤/١، وفي السنن المأثورة: ٣٨٥، وأبو عبيدة في الأموال ١٧٢٥. وابن زنجويه في الأموال: ٢٠٦٩. و٢٠٧٠. وأبو داود ١٦٣٣ والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١٥/٢، ومشكل الآثار ٢٥٠٧، والبيهقي في السنن: ١٤/٧. والبغوي في شرح السنة: ١٥٩٨. وعبدالرزاق في المصنف: ٧١٥٤. والطبراني في الأوسط ٢٧٤٣. قال في الموسوعة الحديثية: ٢٩ /٤٨٦، إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(*) قال في عون المعبود: ٢٩/٥، «قال الطيبي: أي لا أعطيكما لأن في أخذ الصدقة ذلة، فإن رضيتما بالذل أعطيتكما، أو إنها حرامٌ على القوي، فإن شئتما تناول الحرام أعطيتُكما، قاله توبيخاً وتغليظاً. وفيه دليل على أن الغني يحرم عله أخذ الصدقات، وكذا على القوي القادر على الكسب لأن الحرمة صيرتْهُ في حكم الغني. وذهب الكمال بن الهمام من أئمة الحنفية إلى أن المراد بالحرمة حرمة سؤالهما لقوله: إن شئتما أعطيتكما فلو كان الأخذ محرماً غير مسقط عن صاحب المال لم يفعله. واختلف أئمة الفقه في جواز الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب فقال الشافعي: لا تحل الصدقة له، وكذا قال إسحاق بن راهويه، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وأصحابه يجوز له أخذ الصدقة إذا لم يملك النصاب وكذا قال الثوري» وانظر الفتاوى الهندية: ١٨٩/١.

وبعض كما ذكر في شرح السنة للبغوي: ٨١/٦، وكذا في حاشية السندي: ١٠٤/٥. لكنه مال إلى حل ذلك. واللبناب: ١٥٦/١، وحاشية ابن عابدين: ٦٦/٢ وما بعدها.

(٣) هو عقبة بن الحارث بن عامر القرشي، له صحبة روى عنه ابن أبي مليكة من رواية ابن جريج.

(٤) قال في النهاية: «التّبرُ: هو الذهب والفضة، قبل أن يضربا دنانير ودراهم، فإذا ضربا كانا عيناً، وقد يطلق التبر على غيرهما من المعادن، كالنحاس والحديد والرصاص، وأكثر ما يُطلق على الذهب، ومنهم من يجعله في الذهب أصلاً، وفي غيره فرعاً مجازاً» اهـ مادة تبر.

أو يبيت عندنا، فأمرتُ بقسمته»[١]... [*]..

وعن أم سلمة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو ساهم[٢] الوجه، قالت: فحسبْتُ ذلك من وجع، فقلت: يا رسول الله ما لي أراك ساهم الوجه، أفمن وجع؟ فقال: لا، ولكنّ الدنانير السبعة التي أتتنا أمس، أمسينا ولم ننفقها نسيتَها في خُصم[٣] الفراش»[٤]... [*].. وكان هذا هو هديه ﷺ حتى خرج من الدنيا، وفي مرض موته ﷺ طلب من عائشة أن تأتيه بدنانير كانت عنده فانشغلت

---

(١) الحديث رواه، أحمد في المسند: ٧/٤و٨، واللفظ له، والبخاري في الصحيح: ١٢٢١ و١٤٣٠ و٦٢٧٥، وغيرهما.

(*) قال في الفتح: ٣٩٣/٢ «وفيه أن المكث بعد الصلاة ليس بواجب، وأن تخطي رقاب الناس عند الحاجة جائزٌ، وأن التفكر في الصلاة في أمر لا يتعلق بها أمر لا يفسدها» اهـ.

(٢) في اللسان والسُّهام، «والسّهام: الضمَر وتغير اللون، وذبول الشفتين، ومنه حديث دخل عليَّ ساهم الوجه: أ ي مُتغير، يُقال سَهمَ لونُه يَسْهَمُ: إذا تغير لعارض» اهـ مادة سهم.

(٣) قال في النهاية: «خُصْمُ كل شي طرفه وجانبه وجمعه خصُوم وأخصام» مادة خصم.

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٩٣/٦ و٣١٤، والطبراني في الكبير: ٧٥١/٢٣ - و٧٥٢، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٨/١٣، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد: ٣٨/١٠، وقال رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح، قال في الموسوعة ٢٧٢/٤٤. إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين.

(*) قلت: وهذا الحديث يفيد ما أفاده الحديث السابق مما ذكر من الفوائد، ويدل على أنه ﷺ كان لا يمسك شيئاً من أموال الصدقات إلى الغد إلا ويقوم بتوزيعها فور وصولها وإذا ما نسي ثم تذكر فإن ذلك يحزنه، بحيث يتغير لونه من أجل ذلك.

وفيه أيضاً: ٣٥١/٣. «وفي الحديث أن الخير ينبغي الإسراع فيه، فإن الآفات قد تعرض، والموانع تمنع، والموت لا يؤمن، التسويف غير محمود. وهو أخلص للذمة، وأنفى للحاجة، وأبعد من المُطل المذموم، وأرضى للرب، وأمحى للذنب، وفيه كراهية تبييت الزكاة وتأخيرها إذا حان وقت دفعها، واستحباب تعجيلها» اهـ باختصار.

وفي حاشية الشنواني: ص ١٥٧ - ١٥٨ «وفيه دليل على أن عادة النبي ﷺ الجلوس بعد نهاية صلاته، كما يفهم ذلك من سرعته وتعجب الصحابة من ذلك، وفيه أن مخالفة العادة تقتضي التشويش على من اعتادوا ذلك، إذا لم يعرف السبب لذلك. وكان هذا التبر من الصدقة التي أتت ليُتصدق بها على المسلمين، وفيه جواز ترك المال عند أهله، ودليل على جواز النيابة في دفع الزكاة وعمل الخير، وفيه أن من حق الصحبة على العمل الابتعاد عما يؤدي إلى تشويش أفكار الناس، والعمل على إزالة ذلك، إن أمكن، وفيه أن أعمال القلوب تظهر على صفحات الوجه» اهـ باختصار.

بمرضه، ثم عاد فذكَّرها فقالت: انشغالي بمرضك شغلني عن الدنانير حتى جاءت بها إليه فأخذها بكفه وقال: «ما ظنّ محمد بالله عز وجل لو لقيه وعنده هذه الدنانير أنفقيها»[1].

المبحث الثالث:

في أحواله ﷺ في صيام[2] رمضان وغيره

قال في المواهب: «اعلم أنّ المقصود من الصيام إمساك النفس عن عادتها، وحبسها عن شهواتها، وفطامها عن مألوفاتها، فهو لجام المتقين، وجُنّةَ المحاربين لأنفسهم والشياطين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو من بين الأعمال خاصة لرب العالمين، كما قال تعالى في الحديث الإلهي القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به....»[3].. [*]...

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٤٩/٦، والحميدي في مسنده: ٢٨٣، وابن سعد في الطبقات: ٢٣٨/٢، وابن أبي شيبة.

(٢) الصوم لغة: الإمساك مطلقاً. ومنه قول مريم ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ اللسان مادة صوم.
وشرعاً: «هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الصادق إلى الغروب» اهـ انظر الهدية العلائية ص ١٥١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١٩٠٤، ومسلم في صحيحه: ١١٥١.
والطبري في تهذيب الآثار في مسند ابن عباس: ٤٣٨، وابن حبان ٣٢١٢، وهناد في الزهد: ٦٢٢، «والحديث ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي، في كتابه سلوى الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ ١١٣».
قال القسطلاني في المواهب «انظر إذا كان هذا سيد المرسلين، وحبيبُ رب العالمين، المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فكيف حال من لقي الله تعالى وفي عنقه دماء المسلمين وأموالهم المحرمة، وما ظنه بربه تعالى إن لم يتجاوز عنه ويرضى عنه خصماؤه» انظر شرح المواهب: ٩٨/١٢ - ٩٩.

(*) يقول العلامة الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في تربية الإنسان المسلم: «إن تقدير الجزاء في الصوم للأعلى الرحمن القهار إشارة لما للصوم من منزلة رفيعة، فالتقرب به خالصاً لله تعالى، وهو سرّ لا يمكن لأحد أن يحكم به على الآخر، ولا يعرف فيه أحد حقيقة صوم الآخر» اهـ باختصار.
«قيل لأن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الملائكة فتقرب الصائم من رضا ربه بحيث =

المطلب الأول:

في أحواله ﷺ في رمضان

ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات، ومنبع الجود والبركات، لأنّ نعم الله تعالى فيه تزيدُ على غيره من الشهور، «كان رسول الله ﷺ يكثر فيه من العبادات، وأنواع القربات الجامعة لوجوه السعادات»[١].

وأما من ناحية صلاته ﷺ فتحدثنا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: «ما كان رسول الله ﷺ يزيدُ في رمضان.... ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة..»[٢]...[٣] [*]..

=

يتشبه بالعلم العلوي الملائكي، وقيل معناه: أن المنفرد بعلم مقدار ثواب الصوم أو تضعيف حسناتٍ. وهذا الحديث بيان عظم وفضل الصوم والحث عليه» شرح صحيح مسلم: ٢٨/٨.

وزاد القرطبي في المفهم: ٢١٢/٣. «ولما كانت الأعمال قد يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله، فأضافه إلى نفسه». وكذا في فتح الملهم: ٢٨٦/٥.

وقال في شرح المواهب: ٢١٠/١١ «الإضافة إضافة تشريف وتعظيم للصوم، كما يقال بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله» اهـ وكذا في المفهم: ٢١٢/٣.

وزاد في فتح الملهم: ٢٨٧/٥. «والإنسان إذا سعى في قهر نفسه وإزالة رذائلها، كان لعمله صوره تقديسية في المثال، ومن أذكياء العارفين من يتوجه إلى هذه الصورة فيأتيه المدد في عمله» اهـ.

وقال ابن القيم في الطب النبوي ص: ٢٥٨ «الصوم دواء الروح والقلب والبدن، منافعهُ تفوت الإحصاء، له تأثير عجيب في حفظ الصحة، وإذابة الفضلات، وحبس النفس عن تناول مؤذياتها ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد، وهو يريح الأعضاء ويحفظ عليها قواها، وهو أنفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم» اهـ باختصار.

بعضه في شرح المواهب: ٢١٤/١١، وكذا في كتاب إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام: ص: ٣٢، وأورد وكذا هناك أحاديث دالة على أهمية الصوم في حفظ الصحة عزاها إلى الكنز، وإتحاف المهرة، وإتحاف السادة المتقين.

(١) شرح المواهب: ٢١٨/١١.

(٢) رواه البخاري ٢٠١٣، ورواه أحمد في المسند: ٧٣/٦.

(٣) الحديث وإن كانت دلالته واضحة في ألفاظه كما بين ابن حجر في الفتح: ٤٠/٢. فهناك روايات وإن كانت ضعيفة ولا ترقى إلى مناهضة ما في صحيح البخاري، لكن لا ينبغي التهاون بها كالحديث الذي ذكره ابن حجر نفسه في فتح الباري: ٢٩٩/٤. بأن النبي ﷺ «كان يصلي في رمضان عشرين ركعة» قلت ينبغي العمل بهذا الحديث كونه وافق ما أجمع عليه الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه يجمع الناس على عشرين ركعة دون معارض كما بينّا في مبحث صلاته

=

ومما يدل على أن حاله ﷺ في رمضان كان حال المجد الخائف الوجل عليه الصلاة والسلام ما حدثت به عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل رمضان تغيَّر لونه وكثرت صلاتُه وابتهل في الدعاء وأشفق منه»[(١)] وإنما كان يصيب رسول الله ﷺ ذلك لمعرفته بحق الله عليه فأورث ذلك خشية من أن يقصر عن الوفاء بحق العبودية لله تعالى في شهر رمضان والذي هو شهر الله[(٢)].

المطلب الثاني:

في جوده ﷺ في رمضان ومعنى ذلك

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيُدارسه القرآن، ولرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة»[(٣)]... [(*)]..

= ﷺ في الليل والأمة لا تجتمع على ضلاله كما هو المتعارف عند أهل العلم، في مباحث الإجماع.

(*) قلت: والحديث وإن كان ضعيفاً فإن جمهور أهل العلم قالوا يعمل به في فضائل الأعمال وهذا منه. وهو يوافق ما اشرنا إليه سابقاً من إجماع الأمة على التراويح عشرين ركعة.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣٦٢٥ وقال البيهقي: ورواه خلف بن أيوب عن عوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال المناوي في فيض القدير: ١٦١/٥. فيه عبدالباقي بن نافع قال الذهبي قال الدارقطني يخطئ كثيراً وهو ضعيف.

(٢) انظر فيض القدير: ١٦١/٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٣٢٢٠ و٣٥٥٤، ومسلم ٢٣٠٨، وأحمد في المسند ٢٨٨/١، واللفظ له.

(*) وزاد النووي في شرح مسلم: ٦٩/١٥. «ومن فوائد هذا الحديث بيان عظيم جوده ﷺ، واستحباب ذلك في رمضان، وزيادة الخير عند ملاقاة الصالحين، وعقب فراقهم للتأثر بلقائِهم، ومنها استحباب الإكثار من قراءة القرآن في رمضان» اهـ. وبعض ذلك في الفتح: ٢١٩/١١.
وفي منتهى السول: ٦٥٩/٢،
وفي منتهى السول: ١٦١/٢ - ١٦١. «فإن قيل ما الحكمة في تخصيص الليل دون النهار؟ فالجواب: هو أن المقصود من التلاوة الحضور والفهم ومظنة ذلك الليل بخلاف النهار، فإن فيه من الشواغل والعوارض ما لا يخفى، ولعله ﷺ كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة أجزاء على ليالي رمضان، فيقرأ كل ليلة جزءاً منه في جزء الليلة، ويترك بقية ليلتِه لما سوى ذلك من تهجد وراحة وتعاهد أهله. وهذا الحديث عظيم لاشتماله على ذكر أفضل الملائكة، إلى أفضل =

«قوله أجود الناس» بالنصب خبر كان، أي أكثرهم جوداً وعطاء، قوله «وكان أجود ما يكون في رمضان» يرْفع أجود اسم كان وخبرها محذوف وجوباً تقديره حاصلاً وما مصدرية وفي رمضان حال سدت مسد الخبر، والأصل كان أجود أحوال الرسول ﷺ حاصلاً، في رمضان، وهو نظير قولك أخطب ما يكون الأمير قائماً، وفي ملاقاته جبريل عليه السلام ترّقٍ، فينبغي لمن اجتمع بالأكابر زيادة الجود وقت الاجتماع... وقد كان رسول الله ﷺ يبذل قبل أن يُسأل فإذا وجد جاد وإذا لم يجد وعد ولم يخلف الميعاد، ويظهر منه آثار ذلك في رمضان أكثر مما يظهر منه في غيره، وكان ﷺ أسخى الناس على الاطلاق.. ثم أراد أن يصفه بأزيد من ذلك فجعله في السخاء أسخى من الريح لأن الريح قد تسكن لكن سخاءه ﷺ لا يسكن، ولأنَّ ذلك منه حقيقي ومن الريح مجازي...، ويحتمل أن زيادة ذلك بملاقاته جبريل عليه السلام، وبمدارسته القرآن. ذلك لأن القرآن كان خلقه ﷺ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما حث عليه، ويمتنع عما زجر عنه، فلذا يتضاعف جوده ﷺ وأفضاله في هذا الشهر لكثرة مخالطته لجبريل، وكثرة مدارسته للقرآن، ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخاطب، لكن إضافة ذلك إلى القرآن أكد من إضافتها إلى جبريل، بل إن جبريل عليه السلام، إنما تميّز بنزوله بالوحي إلى النبي ﷺ فبالإضافة إلى الحق أولى بالإضافة إلى الخلق لا سيما أن النبي ﷺ على الرأي الراجح أنه أفضل من جبريل، فما جالس الأفضل إلا المفضول فلا يقاس على مجالسة الآحاد للعلماء[1].

ولقد كان النبي ﷺ أيضاً يجري السيل على السائل والمحروم، ويمدُّ أطناب الوفد ورواقِهِ، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويُنيل من أخلد إليه ما لم يكن في خلده، ولا يدخر شيئاً من يومه إلى غده أسخى من الغمام المثقل، وأجرى بالخير من الريح المرسلة، ظلال عطاياه مديدة، وحلل مكارمه لا تبرح جديرةٌ، تمتارُ السحاب من

=

الخلق، بأفضل كلام، من أفضل متكلم، وفي أفضل وقت، فتكون نتيجته أفضل الأخلاق، ويؤخذ من الحديث إكثار الجود في رمضان على المحتاجين، والتوسعة على العيال والأقارب» اهـ باختصار، وكذا في التكملة: ٣٠٦/٤. بعض مما ذكر، وقال القرطبي: في المفهم: ١٠٢/٦. «وإنما كان ﷺ أجود ما يكون في رمضان، فإنّ أعمال الخير فيه مضاعفة الأجر، وليعين الصائمين على صومِهِم، وليفطرهم، فيحصل مثل أجرهم» اهـ.

(١) انظر حاشية الشنواني: ٣١١. وكذا في الفتح: ٤١/١، بعض ما ذكر.

يَمّ أياديه، وتهرع الركائب إلى ناديه، ما سئل عن شيء فقال لا، ولا أعرض عن طالب ولا قلى، أعطى غنماً بين جبلين، ولم يزل معروفُه عند الثقلين[١].

«وهو ﷺ بلا ريب أجود بني آدم على الاطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم، وأشجعهم، وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم»[٢]. اهـ باختصار.

المطلب الثالث:

في اجتهاده ﷺ في العشر الأواخر من شهر رمضان:

قالت عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله ﷺ يخلطُ في العشرين الأولى من رمضان بين نوم وصلاة، فإذا دخل العشر الأواخر جدّ وشد المئزر»[٣].... [*].. قلت: وأفضل من يصور لنا حاله ﷺ واجتهاده في العشر الأواخر هي عائشة رضي الله عنها.

قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر - أي الأواخر من رمضان - أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ وشد مئزره»[٤].

فَعُلِمَ أن الرسول ﷺ كان يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في غيره كإحياء الليل، أي أكثره، أما الحديث الذي صرّح بأنه ﷺ كان يحيي الليل كله لا ينام فهو ضعيف[٥].

---

(١) انظر جواهر البحار: ١٣٠/٣.

(٢) انظر شرح المواهب: ١١١/٦.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٦٨/٦. و١٤٦ واللفظ له قال في الموسوعة الحديثية: ٤٠ /٤٥٥ إسناده مسلسل بالضعفاء، وفي ٦٦/٤٢ فيه جابر الجعفي، ويزيد بن مرة، وبقية رجاله رجال الشيخين.

(*) وفي الفتح: ٣١٦/٤ «ويحتمل أن المقصود بذلك المعنيان كلاهما».

وفي شرح النووي: ٧١/٨ «وفي الحديث دليل عل استحباب زيادة العبادات في العشر الأواخر من رمضان، وإحياء لياليها» اهـ.

(٤) الحديث رواه البخاري ٢٠٢٤ ومسلم ١١٧٤، وأبو داود ١٣٧٦ وابن نصر المروزي في قيام الليل ص ١٠٧، وشاهده عن علي رضي الله عنه في المسند: ١٣٢/١. وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢/ ٥١٣ و٧٧/٣.

(٥) انظر الإتحاف: ٢ - ٥.

واختلف في معنى قول عائشة وكان يشد المئزر «قيل هو كناية عن جدّه في العبادة وبذله في سبيل ذلك وسعه وجهده، وقيل: إن المراد بذلك: اعتزاله للنساء. وهذا هو الأصح، إذ هو الذي جرى عليه أئمة السلف وغيرهم... ويؤيده اعتكافه ﷺ العشر الأواخر في المسجد[١]».

المطلب الرابع:

في إفطاره وسحوره ﷺ في رمضان ودعاؤه عند الإفطار

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُفطرُ على رُطباتٍ قبل أنْ يُصلي، فإنْ لم يكُن رطباتٌ، فتمراتٌ، فإن لم يكُن تمراتٌ حسا حسواتٍ من ماء»[٢]....[*]..

---

(١) انظر المفهم: ٣٤٩/٣ والإتحاف ص٢٠٨.
وفي شرح المواهب: ٣٢٠/١١ و٣٢١. حول إحياء الليالي كلها أو بعضها قال: «كلاهما وارد، والاحتمال الأرجح إحياء بعض الليالي كلها، والنوم في بعضها» اهـ.
وكذا بعض ما ذكر في زاد المسلم: ١٠٣/٥.
قلت: ظاهر الروايات تدل على أن اعتكافه ﷺ كان في ابتداء افتراض الصيام إن لم تكن قبله، دليل ذلك ما رواه الطيالسي في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهراً فوافق ذلك رمضان» رواه الطيالسي في مسنده ١٦٣٢٥، الحديث حسنه الصالحي في السيرة الشامية: ٤٣٨/٨، وبالطبع فإن اعتكافه ﷺ كان للتفرغ لعبادة ربّهِ سبحانه وتعالى، كما أن الصحابة أو بعضهم، كانوا يعتكفون معه ﷺ، دليل ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: اعتكفنا مع رسول الله ﷺ. رواه ابن خزيمة في صحيحه رقم ٢٢٣٨. وهذا لفظه ورواه البيهقي في الشعب، ٣٦٣٨.

(٢) رواه أحمد في المسند ١٦٤/٣، واللفظ له ورواه الحاكم: ٤٣٢/١، وصححه الذهبي، ورواه ابن حبان في صحيحه ٣٥٠٤، والترمذي في السنن ٦٩٦، وقال حديث حسن، وأبو داود ٢٣٥٦، وابن خزيمة ٢٠٦٥.

(*) قال في فتح الملهم: ٢١٣/٥ «والحكمة في تعجيل الفطر أن لا يزاد في النهار من الليل، ولأنه أرفق بالصائم، وأقوى له على العبادة واتفق أهل العلم أن الإفطار إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية، أو بالإخبار، والتأخر في الإفطار هو سمة أهل البدع، والأحاديث في تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة» اهـ باختصار وتصرف، وكذا في المفهم: ١٥٧/٣.
وبعض ما ذكر في إتحاف أهل الإسلام: ص: ١٥٠ - ١٥١.
وزاد النووي في شرحه: ٢٠٨/٧. «ومخالفة ذلك دليل فساد» اهـ
وزاد في فتح الباري: ٢٣٤/٤ «ومن البدع المنكرة ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الأول قبل طلوع الفجر بنحو ثلث الساعة لمنع الناس من الأكل والشرب زعماً منهم الاحتياط في العبادة. وجرهم هذا إلى تأخير أذان المغرب فأخروا الفطر، وعجلوا السحور فخالفوا سنة =

وأما سحوره ﷺ فيقول في ذلك زيد بن ثابت رضي الله عنه: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة، قيل كم كان بين الأذان والسحور قال: قدرُ خمسين آية»[1]. وأما دعاؤه ﷺ عند فطره فقد كان يقول: «اللهم لك صمتُ وعلى رزقك أفطرتُ»[2] «كان

=

نبيهم ﷺ فلذا قل عنهم الخبر وكثر فيهم الشر» اهـ باختصار.

وزاد في شرح الموطأ: ٢١٢/٢ «والعبرة بتعين الغروب فإن شك فلا يجوز الإفطار لأن الفرض إذا لزم في الذمة فلا يجوز الخروج منه إلا بيقين» اهـ. وكذا بعضه في عون المعبود: ٣٤٥/٦.

وأما سحوره ﷺ فيقول في ذلك زيد بن ثابت رضي الله عنه: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة، قيل: كم كان بين الأذان والسحور قال: قدرُ خمسين آية» رواه البخاري في صحيحه رقم ١٩٢١، ومسلم ١٠٩٧، والترمذي في سننه ٧٠٣، والنسائي في الكبرى: ١٤٣/٤، وأحمد في المسند: ١٨٢/٥. وهذا لفظه البخاري.

«أي خمسين آية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا سريعة ولا بطيئة» الفتح: ٣٦٤/٤.

وزاد في حاشية الشنواني ص ٢٠٠، «فيه إشارة إلى أوقات الصحابة كانت مستغرقة بالعبادة» اهـ

زاد في القرطبي في المفهم: ١٥٨/٣ فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر». اهتفي الصحابة وغلطه المستغفري، ولذا يمكن اعتبار الحديث موصولاً ولو كان معاذ تابعياً لاحتمال كون الذي بلغه له صحابي. وبهذا الاعتبار اورده أبو داود في السنن، وأورده بالاعتبار الآخر في المراسيل» اهـ وكذا في شرح المواهب: ٢٤١/١١ وذكر أحاديث اخرى وقال هذا يقوي حديث أبي داود السابق ذكره» اهـ

وفي فيض القدير: ١٣٠/٥، «قدّم الجار والمجرور في القرينتين على العامل إظهاراً للاختصاص في الافتتاح، وإبداء لشكر الصنيع المختص به في الاختتام - أي اختتام الصيام» اهـ.

وزاد في عون المعبود: ٣٤٦/٦. «وفيه دليل على أنّه يشرع للصائم أن يدعو عند إفطاره بما اشتمل عليه من الدعاء» «الظمأ: مهموز الآخر: هو العطش، قال تعالى في ذلك ﴿ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ التوبة ١٢٠، وإنما ذكرت هذا وإن كان ظاهراً، لأني رأيت من اشتبه عليه فتوهمه ممدوداً» اهـ.

وفيه أيضاً: ٧٢/٧ «وإنما لم يستكمل صيام شهر غير رمضان لئلا يظن وجوبه، » اهـ وبعض ما ذكر في أشرف الوسائل ص ٤٣٤.

اهـ وكذا في منتهى السول.

ومن أراد المزيد في فضائل صيام النفل ومعرفة ذلك فما عليه إلا الرجوع إلى كتاب إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام ص ٣٢٣ وما بعدها حتى آخر الكتاب، وكذا في الترغيب والترهيب: ١١٥/٢، وما بعدها.

(١) رواه البخاري في صحيحه، رقم١٩٢١، ومسلم في الصحيح ١٠٩٧، واللفظ للبخاري.

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه ٢٣٥٨، وذكره النووي في الأذكار ص ١٦٢.

رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[١].

المطلب الخامس:

في صيامه ﷺ في غير رمضان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يُفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وما رأيتُه استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان»[٢]... [*].. والمعنى أنه ﷺ كان يصوم تارة من أول الشهر، وتارة من آخره، وتارة من وسطه، وليس المراد أنه كان يسرد الصيام سرداً[٣].

«قيل في حكمة إكثاره من صوم شعبان كان يشتغل عن صيام ثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو جهاد وغيره فتجتمع في شعبان... وقيل تعظيم لرمضان واستقباله... وقيل: إن نساءه ﷺ كُنّ يؤخرْن قضاء رمضان إلى شعبان فيصوم ﷺ مع نسائه»[٤].

وإنما لم يَصُم النبي ﷺ الدهر كله مع قدرته على ذلك، ليكون قدوة لأمته ﷺ، فسلك طريق الوسط فصام وأفطر، وقام، ونام، وما ذلك إلا لأنه ﷺ رؤوف رحيم بأمته فطوبى لمن اقتدى به[٥].. والحاصل أن صومه كان في غاية الاعتدال فلا تفريط ولا إفراط[٦].

---

(١) الحديث رواه أبو داود في السنن: ٢٣٥٧، والحاكم في المستدرك: ٤٢٢/١ وصححه الذهبي في التلخيص قال النووي رحمه الله تعالى في الأذكار ص ١٦٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٩١٩، واللفظ له ومسلم ١١٥٦.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٣٧/٨ «فيه أنه يستحب أن لا يخلي شهراً من صيام سواء كانت أيام البيض أو الاثنين والخميس أو آخر الشهر أو أوله، وفيه أن صوم النفل غير مختص بزمن معين، بل كُلّ سنة صالحة له إلا رمضان ويومي العيدين وأيام التشريق، وفيه أنه يستحب الإكثار من الصوم في شعبان» اهـ باختصار وتصرف. وكذا في المفهم: ٢٣٣/٣.

وزاد في عون المعبود: ٧١/٧ «وقيل في تخصيص شعبان بكثرة الصوم فيه لكونه ترفع فيه أعمال العباد» اهـ وكذا في المنهل العذب المورود: ١٩٢/١٠.

(٣) انظر الفتح: ٢٥٤/٤.

(٤) انظر فتح الملهم: ٣٠٤/٥.

(٥) انظر شرح المواهب: ٢٦٤/١١.

(٦) انظر منتهى السول: ٧٥/٣.

المبحث الرابع:

أحواله ﷺ في الغنائم(١) والفيء(٢) والهدايا

سبق وقررنا في مبحث أحواله ﷺ في الزكاة، أنّ الله تعالى حرّم عليه أموال الزكاة تشريفاً له ﷺ وانسحب إلى آله الكرام، فأعطاهم بدل ذلك من مال الغنائم والفيء.

قال تعالى ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾(٣)..... (*)... وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ

(١) قال القرطبي في الجامع: ٣/٨: فالشيء الذي يناله المسلمون من عددهم بالسعي وإيجاف الخيل والركاب يُسمّى غنيمة.

(٢) وفيه أيضاً: ٣/٨: الفيء مأخوذ من فاء يفيء إذا راجع، وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف.

(٣) الأنفال: آية ٤١.

(*) وانظر روح المعاني للألوسي: ٤/١٠، والقرطبي: ١٠/٨، وأحكام القرآن لابن العربي: ٤١١/٢.
وقسم جمهور العلماء على أنّ خمس الغنائم يقسم خمسة أسهم، فيكون لله وللرسول ﷺ واحد لأنه لايوجد فصل بين الله ورسوله، والأسهم الأربعة الباقية توزع على «ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل لكل منهم سهم».

«واختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاته ﷺ فقال قوم: هو للخليفة من بعده، وقال آخرون هو لقرابة النبي ﷺ وهذا قول الشافعي» اهـ تفسير ابن كثير: ٥١٠/٢، وأبو السعود: ٢٢/٤.

«وأما سهم القرابة بعد وفاته ﷺ، فقد قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس عندما سئل عنه قال: هو لنا، وإنا نحن ذوي القربى فأبى علينا قومنا، وهل يشمل أغنياء ذوي القربى وفقرائهم، أم هو خاصة لفقرائهم على قولين في ذلك» اهـ باختصار، تفسير ابن كثير: ٢/ ٥١٠ - ٥١١.

وقال أبو السعود في تفسيره: ٢٢/٤، «وقال زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهما، إنه ليس لنا أن نبني منه قصوراً ولا نركب منه البراذين» قال في اللسان: «البرذون: والأنثى برذونه، وجمه براذينُ والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج الخيل العراب» اهـ مادة برذن.

وقال القرطبي في الجامع: ١٠/١٨ «لما ترك بنو النضير ديارهم طلب المسلمون أن يكون لهم حظ في الغنائم، فبين الله تعالى أنها فيء. وأنها خاصة لرسول الله ﷺ، وقال مجاهد: أعلمهم الله تعالى، وذكرهُم أن النصر نصرُ الله ورسوله، ونصرُهم بغير عدة وفي هذه الأموال كانت خاصة لرسول الله ﷺ دون أصحابه» اهـ باختصار.

وفي روح المعاني: ٢٨ /٤٨ - ٤٩ «وكان الفيء كله لرسول الله ﷺ في حياته، وإنما خمس بعد =

مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾[١]. ولقد كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة فيخمسها على خمسة، تكون أربعة أخماس للمجاهدين، ثم يأخذ الخمس الخامس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه سهماً فيجعله للكعبة، وهو سهم للرسول ﷺ، وسهم لذوي القربى، وهم بنو هاشم، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل... وهكذا قال النخعي، والحسن بن محمد ابن الحنفية، والحسن البصري، والشعبي، وعطاء وابن بريرة وقتادة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة.. وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها، التي كانت في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما أمر به رسول الله ﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع شيئاً... الحديث[٢].

ولقد كان رسول الله ﷺ ينفق على أزواجه من هذا الفيء حتى توفاه الله تعالى[٣].

وهكذا بقي هذا الفيء ينفق منه على أزواج رسول الله ﷺ في عصر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين، ثم بيد عبدالله بن حسن، حتى ولي بنو العباس فقبضوها[٤].. (*)

=

وفاته» اهـ باختصار، وكذا أبو السعود في تفسيره: ٢٢٨/٨.

«ويؤيد ما ذكر من خاصية الفيء لرسول الله ﷺ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل، ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة، وكان ينفق على أهله فيها نفقة سنته وما بقي، وفضل جعله في سبيل الله تعالى» وانظر المفهم: ٦٧/٣.

الحديث رواه البخاري: ٢٩٠٤ - ٤٨٨٥ ومسلم ١٧٥٧.

وفي الخصائص الكبرى للسيوطي عن الفيء من خصائصه ﷺ ص ٤١٤ تهذيب الخصائص، ورجح ذلك النووي في شرحه: ١٢ /٥٦٩، وزاد: «فجعلها للمهاجرين وأمرهم برد ما كان بأيديهم من أراضي الأنصار، ولم يعط من الأنصار إلا رجلين فقط لفقرهم» اهـ باختصار.

(١) سورة الحشر (٦). (٢) رواه مسلم، ١٧٥٨.

(٣) انظر صحيح مسلم: ١٧٥٨. (٤) انظر الفتح: ٢٣٩/٦.

(*) قال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: ٢٣١/٣ «وقد تولى علي بعد ذلك، وصارت فدك وغيرها تحت حكمة، ولم يعط لأولاد فاطمة ولزوجات النبي ﷺ ولأولاد العباس شيئاً منها» اهـ.

مطلب: في قبوله ﷺ الهدايا

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يقبلُ الهدية ويُثيب عليها»[(١)].. [(*)]..

وكان من خلقه الكريم ﷺ يقبل الهدية أيًا كانت قيمتُها وهذا من تواضعه ﷺ فقد صح قوله ﷺ: «... لو أهدي إليَّ كُراع لقبلتُ، ولو دعيتُ إليه لأجبت»[(٢)].

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه: ٢٥٨٥.

(*) في حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة ص ٢٢٥، «أي يقبل هدية من أهداها ثم يعطي الذي أهداه بدلها، واستدل به بعض المالكية، على وجوب الثواب على الهدية إذا أطلق وكان ممن يطلب مثله الثواب كهدية الفقير، بخلاف ما يهديه الأعلى للأدنى، ووجه الدلالة في الحديث مواظبته ﷺ على ذلك، ومذهب الشافعية لا يجب. وإنما هو مستحب أن يكافئ الناس بعضهم بعضاً على الهدايا كما فعل النبي ﷺ اقتداء به» اهـ باختصار.

وفي فتح الباري: ٢٣٢/٥ «فصل المسألة عند الشافعي في مذهبه القديم والجديد، وكذا قالت الحنفية أن من وهب بشرط العوض فهبته باطلة لا تنعقد لأنها بيع مجهول، لانّ موضع الهبة التبرع» اهـ باختصار.

وزاد في فيض القدير: ٢٨٦/٥ «وإنما قبل الهدية لأنّ المراد بها ثواب الدنيا وبالإثابة تزول المنة، وظاهره أنه ﷺ قبل الهدية من الكافر والمؤمن» اهـ باختصار.

وزاد في فتح الباري: ٢٣٣/٥ «وإنما قبل الهدية لأنها في العادة تكون تكريماً وحباً للموهوب له. بخلاف الصدقة» اهـ. وهنا يحسن بيان هدايا الأعراس والمناسبات التي يتهادى به الناس اليوم.

قال العلامة الشيخ خير الدين الرملي رحمه الله في فتاويه: ١١١/٢، «إن كان العرف السائد بين الناس قاضياً بتبادل الهدايا يلزم ذلك إن كان مثلياً فبمثله، وإن كان قيمياً فبقيمته، وإن كان العرف بخلاف ذلك فحكمه حكم الهبة» اهـ باختصار.

(٢) رواه البخاري ٢٥٦٨، وأحمد في المسند: ٢٠٩/٣، وهذا لفظه وهو في شمائل الترمذي ٣٣٠، والسنن ١٣٣٨، وابن حبان: ٥٢٩٢، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٣٤، وابن سعد في الطبقات: ٣٧١/١، والبغوي في شرح السنة: ٣٦٧٤.

قلت: ويمكن القول اليوم: بأن الهدايا بين الناس متعارف عليها المبادلة ولذا تحتم الأخذ بالفتوى السابقة وهي الرد على الهدية.

وقال في حاشية الشنواني ص ٢٢٥، «ما جرت به العادة من النقوط في الأفراح يجب ردّ بدله ولأصحابه المطالبة به» اهـ.

«والإشارة في الحديث إلى الكراع إشارة منه ﷺ أنه يقبل الهدية أياً كانت وإنما خص الكراع لانه لا قيمة له، وهو حض منه ﷺ على التهادي بين الناس ولو بالشيء الحقير ولئلا يكون هناك مانع لاحتقار الهدية، لما في الهدية من الألفة بين الناس» اهـ وكذا في الفتح: ٢٣٦/٥ بتصرف.

وزاد في الفيض: ٣٨١/٥، «ولأن الرد يحدث العداوة والنفور كما في الحديث وجوب تلبية =

=

الدعوة ولو كانت من فقير إلى شيء حقير كالكراع، وفيه حسن خلق المصطفى ﷺ، وحسن تواضعه وجبره للخواطر والقلوب بإجابة الداعي وإن قل الطعام المدعو إليه وفيه حث على المواصلة والتحابب» اهـ باختصار وتصرف.

قلت: فداك الروح يا سيدي يا رسول الله ﷺ يا أستاذ الأساتذة فأنت الفرد في الأخلاق، والكمال، والجمال، والعظمة وما تواضعك في مثل هذه الأشياء إلا دليل على تلك الجمالات والكمالات التي أكرمك الله بها.

وكذا في أشرف الوسائل ص ٤٩٢، كلام مما ذكرناه.

وأما قبوله ﷺ الهدية من غير المسلمين، فقد روى البيهقي في الدلائل: ٤/ ٣٩٥، «أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس. وفيه أنه أهدى للنبي ﷺ كسوة وبغلة وخادمتين، أم إبراهيم مارية، أما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ جهم بن قيس العبدي» وكذا في سيرة ابن هشام: ٢١٦/٤، وابن كثير في تاريخه: ٢٧٢/٤، وفي السيرة الشامية: ٣٤٨/١١ والسيرة الحلبية ٢٩٧/٣.

قلت: وهذا يدل على جواز قبول الهدية من غير المسلم.

وفي أحكام القرآن لابن العربي: ٢٢٨/٤ «والمقصود بالآية البر والصلة لغير المسلم، وليس المقصود العدل، فإنّ العدل واجب فيمن قاتل ولم يقاتل» اهـ.

وعليه بوّب البخاري في الصحيح " باب قبول هدية المشركين " رقم ٢٦١٥، قال في الفتح: ٥/ ٢٧٢ " وإنما بوب البخاري به، لبيان جواز قبول هدية المشرك وضعف ما سواه من الأقوال وكذا في تفسير الدرر: ٢٩٨/١٤.

ويندرج في هذا المعنى تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم: أجاب على ذلك العلامة الفقيه الشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله تعالى في فتاويه فقال: ص٣٧٥ «إن تهنئة المسلم لأهل الكتاب مباحة فيما يظهر لأنها من قبل المجاملة.

والمحاسنة في التعامل أما مشاركتهم في الاحتفال وما يجرى فيها من منكرات كرأس السنة الميلادية فهذا أمر آخر» اهـ. وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤٠/١٨ «وهذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم» اهـ.

وجواز قبول الهدية من غير المسلم مشروطة بأن لا يكون غير المسلم حربياً أي أن يحارب المسلمين، وأن لا تكون هناك شروط مذلة، وأن لا يترتب عليها مفسدة دينية أو عملية، كميل القلب بالحب لغير المسلم ومناصرته، أو يتملك المسلم شعور بالنقص والدونية وما يشبه ذلك من عدم ضبط النفس.

الباب الثالث:
في أحواله ﷺ مع نسائِه، وحسن معاملته ﷺ لذريته وأقربائه وخدمه وزواره، وأحواله ﷺ في مرضه حتى وفاته

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في أحواله ﷺ مع نسائِه.

الفصل الثاني: في حسن معاملته ﷺ لذريته، وأقربائه، وخدمه، وزواره والوافدين عليه.

الفصل الثالث: في أحواله ﷺ في مرضه حتى وفاته.



الفصل الأول:
في أحواله ﷺ مع نسائه.

الرجل كل رجل من قابل الحياة في خارج بيته برباطة جأش، وثبات قلب، وصدق رجولة، ورزانة نفسٍ، فإذا ما انقلب إلى بيته، وهو عشه الصغير، وسكنه الأمين، كان مثال البهجة والسرور، والدماثة[1] وكرم الأخلاق، وفوق هذا لو اضطرتْهُ ظروف إلى أن يغضب في الخارج، ترك ذلك كله عند باب بيته، ويلقى أهله بصدر منشرح، ونفس مطمئنة ضاحكاً باسماً. وهذا محمد رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين وخاتم رسل ربّ العالمين، وإمام الأئمة والمعلمين، وبرغم ما كان يلاقي من أعدائه من اليهود والمنافقين وغيرهم، مع ما كان يحمل من هموم الدعوة، والناس، ويبذل في سبيل ذلك ما يبذل، فإذا رجع إلى منزله النبوي الطاهر، كان مثال الزوج الكريم، والعشير العذب اللقاء، فإذا هو أكرم خلق الله تعالى في بيته، وأحسنهم معاملة لنسائه، وأحلاهم كلاماً، وأعذبهم منطقاً.

يُسبي بحديثه الأرواح، ويأخذ القلوب، كان يتناسى في بيته مقام النبوة وجلال الرسالة، وهيبته الفذّة بين صحابتِهِ فيساعد أهله في خدمة البيت، ويركبُ حفيده وحبيبيه الحسن[2] والحسين[3] فوق ظهره ذلكُم بعض من أحواله في بيته[4].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في مباحث هذا الفصل أمثلة لكل ما ذكر وما لم يذكر.

---

(١) في النهاية: «في صفته ﷺ: دمث ليس بالجافي. أراد به لينُ الخلق في سهوله، وأهله من الدمث: وهي الأرض السهلة الرخوة واستعيرت للرجل صاحب الخلق اللين» اهـ مادة دمث.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي الإمام السيد ريحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة ولد سنة ثلاث من الهجرة ومات سنة إحدى وخمسين مسموماً السير: ٢٤٠/٣، وتاريخ بغداد: ١٣٨/١، والحلية: ٣٥/٢، وأسد الغابة: ٩/٢.

(٣) الحسين بن علي أخو الحسن الإمام الشريف الشهيد ولد سنة أربع من الهجرة في كربلاء وقتله رجل يُقال له شُمّر كان في جيش عبيد الله بن زياد بعدما تخلف عنه أهل العراق، السير: ٢٨٠/٣، وتاريخ بغداد: ١٤١/١، وأسد الغابة: ١٨/٢.

(٤) انظر كتاب يسألونك في الدين والحياة: ٣٠٥/٣، باختصار وتصرف.

المبحث الأول:

في نكاحه ﷺ وولائمه في ذلك

لقد درج أعداء الإسلام منذ القدم، على التشكيك في نبيّ الإسلام والطعن في رسالته، والنيل من كرامتِهِ، ينتحلون الأكاذيب والأباطيل، ليشككوا الناس، وليُبعدوهم عن الإيمان برسالته ﷺ.

ولا عجب في أن نسمع مثل ذلك من أعداء الإسلام، فتلك سنة الله تعالى في خلقه مع أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝ ﴾[1]. وقبل الحديث عن أحوال النبي ﷺ في نكاحه، نَرُدُّ على شبهة سقيمة طالما أثارها وتشدّق بها أعداء الإسلام الحاقدين المتآمرين على تشويه صورة الشمس في رابعة النّهار؟ ولن يستطيعوا ذلك إن شاء الله تعالى، قالوا وبئس ما قالوا: كان محمد رجلاً شهوانياً يسيرُ وراء شهواته حيث لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع، كما أوجب على اتباعه، بل عدّد الزوجات فتزوج تسع نسوة أو يزيد، سيراً مع شهوته!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، ومن أظلم ممن يفتري على محمد ﷺ بأنه رجل شهوات ولذات»[2].

وأنا أقول: لا أحد أظلم من أصحاب هذه الفرية وسينالون عقابهم عند الله تعالى.

وهناك نقطتان جوهريتان، تدفعان الشبهة عن سيد الخلق النبي الكريم ﷺ، وتلقمان الحجر لكل أفاك أثيم يجب أن لا نغفل عنهما، وأن نضعهما نصب أعيننا حين الحديث عن أمهات المؤمنين وحِكَمِ زواجه ﷺ منهُنَّ.

النقطة الأولى: هي أن النبي الكريم ﷺ لم يعدد زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة أي بعد ما جاوز الخمسين سنة، ثم إنّهُ عندما تزوج في سنّ شبابه ﷺ، خديجة رضي الله عنها، كانت أرملة وتزيده في العمر خمس عشر سنة فلو كان ﷺ يقصد من زواجه، ما يقوله الأفاكون لاختار فتاة في أول عمرها، وإنما كان زواجه ﷺ

---

(١) آية: ٣١ سورة الفرقان.

(٢) عن كتاب محمد المثل الكامل ص ٢١.

زواجاً قائماً على أن اختياره كان اختيار عقل لا شهوة، ولقد قضى ﷺ مع خديجة زهرة شبابه فلم يتزوج عليها، ولا أحبّ أحداً مثل حبه لها.

النقطة الثانية: هي أن جميع زوجاته ﷺ أرامل ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي الوحيدة من بين نسائه بكراً.

ومن هاتين النقطتين يدرك بكل بساطة تفاهة هذه التهمة، وبطلان ذلك الادعاء الذي ألصقه به أعداء الإسلام الحاقدين، ثم إنّ الصحابة الكرام كانوا يفدون رسول الله ﷺ بأرواحهم التي هي أغلى ما يملكون فضلاً عن أموالهم، ولو أنّه طلب الزواج ما تأخر أحد منهم عن تزويجه بمن شاء من الفتيات الأبكار الجميلات، فلماذا لم يعدد الزوجات في مقتبل العمر، وريعان الشباب، ولماذا ترك الزواج بالأبكار، وتزوج بالأرامل؟

إن هذا بلا شك يدفع، كل تقول وافتراء، ويدحض كل شبهة وبهتان ويردّ على كل أفاك أثيم، يريدُ أن ينال من قدسيّةِ الرسول ﷺ لغرض من أغراض الدنيا، إنما كان زواجه ﷺ لحكم جليلة وغايات نبيلة، وأهداف سامية، سوف يقرّ الأعداء بنبلها وجلالها، إذا ما تركوا التعصب الأعمى، وحكموا منطق العقل والوجدان، وسوف يجدون في هذا الزواج المثل الأعلى في الإنسان الفاضل الكريم والرسول النبي الرحيم، الذي يُضحي براحته في سبيل مصلحة غيره[1].

جاء في الظلال: «وكان في عصمة النبي ﷺ تسع نساء، تزوج بكلّ منهنّ لمعنى خاص، عائشة وحفصة ابنتي صاحبيه أبي بكر وعمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت خزيمة، من المهاجرات اللواتي فقدن أزواجهنَّ وأراد النبي ﷺ تكريمهنّ، ولم يكن ذاوت جمال ولا شباب، إنما كان معنى التكريم لهن خالصاً في هذا الزواج، وزينب بنت جحش كان الزواج بها بأمر من الله تعالى لإبطال بدعة التبني، ثم جويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وصفية بنت حيي بن أخطب، وكانتا من السبايا فأعتقهما رسول الله ﷺ وتزوج بهما الواحدة تلوه الأخرى، توثيقاً لعلاقته بالقبائل، وتكريماً لهُنّ وقد اسلمتا بعد مانزل بعشيرتيهما من الشدّة، فأصبحن أمهات المؤمنين ونلن شرف القرب من رسول الله ﷺ، واخترن الله ورسوله

(١) انظر تفسير آيات الأحكام للصابوني: ٣١٤/٢، وما بعدها.

والدار الآخرة بعد نزول آية التخيير، فكان صعباً على نفوسهِنّ أنْ يفارقن رسول الله ﷺ»[١].

وتزوج ﷺ بعائشة البكر الوحيدة، تقديراً لجهود وتضحيات أبي بكر رضي الله عنه، كما تزوج حفصة رضي الله عنها بعدما قتل زوجها في بدر، حبّاً في عمر رضي الله عنه، وتقديراً لصدقه وجهاده، مع أنها لم تكن جميلة، وكان زواجه من أم سلمة رضي الله عنها ذات الأولاد الكثر وفي سن كبيرة تعويضاً عن مصابها بزوجها الذي هاجر الهجرتين ومضى شهيداً في سبيل الله وترك وراءه عيالاً، فضمهم رسول الله ﷺ في نفقته وتربيته، وتزوج سودة بنت زمعة المسنّة الأرملة والتي مات زوجها في بلاد الحبشة، وتزوج زينب بن جحش ابنة عمته لإبطال عادة التبنّي وإلغاء جميع آثاره بتزويج الله له، وتزوج أم حبيبة بعد ما تنصر زوجها وأصبحت وحيدة في بلاد الحبشة، وصفية بنت حيي تزوجها رأفة بها بعدما أصبحت وحيدة لا أهل لها ولا مال، وجويرية بنت الحارث بعد إعتاقها وتخييرها وكان عمرها خمسين سنة، فكان هذا الزواج المبارك سبباً لإسلام قبيلتها»[٢] اهـ.

بعدما خيّرَ الله تعالى نساء النبي ﷺ واخترن الله ورسوله، والدار الآخرة فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ...﴾[٣] وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ على حسن صنيعهنّ واختيارهَنّ الله ورسوله»[٤].

قلت: وهذا يكفي في الرد على مزاعم المفترين ويتناقض مع زعمهم، فالله تعالى منعه من تطليقهن أو التزوج عليهن بأكثر من ذلك.

المطلب الأول:

في زواجه ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها إنها امرأة لن ينساها المسلمون ما بقيت الدنيا

---

(١) ظلال القرآن: ٢٨٧٥/٥.

(٢) التفسير المنير: ٧٩/٢٢.

(٣) الأحزاب: آية ٥٢.

(٤) ابن كثير: ٥٠١/٣، والقرطبي: ١٤١/١٤، وانظر أيضاً تفسير الشعراوي: ١٢١١٧/١٩.

وأهلها، إنها السيدة التقية، والزوجة الوفية، عرفت في الجاهلية بالطاهرة العفيفة، ولقبت في الإسلام بأمِّ المؤمنين(١).

ولقد كانت مثلاً بين نساء مكة، في الجمال والشرف، وطهارة النفس لبيبة، حازمة، جلدة، تُحْسنُ تصريف الأمور في إحكام ورويّة وصبر، من أوسط قريش نسباً، يحرص أشراف قريش على الزواج منها، ويبذلون في سبيل ذلك الغالي والنفيس؟ لكنها ردتهم جميعاً وتأبَّتْ عليهم، وكأن الله سبحانه وتعالى قد كتب لها الكرامة، وأراد بها الخير، فألقى في نفسها أمنية كريمة، وبعث في قلبها عاطفة شريفة، أحست بها تجاه رسول الله ﷺ(٢).

وفي السيرة الحلبية «.. بعد أن عاد النبي ﷺ من تجارة لخديجة من بلاد الشام بنجاح وربح وفير ورأت فيه الصادق الأمين، أرسلت إليه سراً أن يا محمد ما يمنعك من الزواج. فقال: ما بيدي أن أتزوج به، فأرسلت: فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب؟

وتم الأمر وجمع الله تعالى بين خير زوجين على وجه الأرض وعلى مر التاريخ وأسعدهما على الاطلاق(٣)..... (*)...

والحكمة في هذا الزواج ظاهرة، فهي قريبة النبي الكريم ﷺ، وهي ذات شرف ومكانة عالية في قومها، وهي التي عرضت نفسها للزواج به ﷺ لكرم أخلاقه وصدق حديثه، وأمانته، فلم يخب أملها فيه فتزوجها وإن كانت هي في الأربعين من عمرها،

---

(١) سيرة آل بيت النبي ص ٢٧٧ وذخائر السنة: ٢/٨٣٤.

(٢) انظر صور من حياة الرسول ﷺ - ٨٥ - ٨٧٠٨٨.

(٣) السيرة الحلبية: ١/٢٢٣، باختصار وتصرف، وابن هشام: ١٢/١٨٧ و١٨٨، والدلائل للبيهقي: ٢/ ٦٧ والسيرة الشامية: ٢/١٦٤.

(*) في فقه السيرة ص ٧٨ «وخديجة رضي الله عنها مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إذ إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية. ويلقون غبناً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه. وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بلْهَ الإدراك والمعونة! فكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياته ﷺ أثر كريم» اهـ ص ٧٨.

وهو في الخامسة والعشرين[١].

وكان زواجه ﷺ زواجاً حكيماً موفقاً لأنّه زواج العقل للعقل، ولم يكن فارق السن بينهما بالأمر الذي يقف عقبة في طريق هذا الزواج، لأنه لم يكن الغرض منه قضاء الوطر، وإنما كان هدفاً إنسانياً سامياً، محمد ﷺ قد هيّأه الله تعالى لحمل الرسالة، وتحمل أعباء الدعوة، وقد يَسَّرَ الله تعالى هذه المرأة التقية الطاهرة العفيفة، العاقلة الذكية، لتُعينه في نشر الدعوة والمضي في تبليغها فكانت أول من آمن به على الاطلاق[٢].

وإن أول ما يدركه المرء من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية أقرانه من الشباب لطمع بمن هي أقل منه سناً، أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير، ولقد بقي هذا الزواج قائماً حتى توفيت رضي الله عنها وقد ناهز النبي ﷺ الخمسين من عمره[٣]، دون أن يفكر خلالها بأيّ امرأةٍ، أو فتاةٍ أخرى، ومن البديهيّ المعروف أنّ ما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية، ولكنه ﷺ، تجاوز هذه الفترة من العمر دون أن يفكر في الزواج مرة أخرى، وفي هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه، فالرجل الشهواني لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة مثل بيئة العرب في جاهليتها، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيءٍ من التيارات الفاسدة التي تموج من حوله، والرجل الشهواني لا يقبل بعد ذلك أن يتزوج من أَيِّمٍ لها ما يقارب ضعف عمره، ثم يعيش معها دون أن تمتد عيناه إلى شيءٍ مما حوله وإنّ حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في مدارج الشيخوخة[٤] اهـ.

ولقد أعطى الرسول الأعظم ﷺ مثالاً عالياً للوفاء يُحتذى، مع زوجته السيدة الفاضلة خديجة رضي الله عنها في حياتها وبعد مماتها، كيف لا وهي التي سخَّرت

---

(١) انظر المفصل في أحكام المرأة ١١/٤٦٠.

(٢) انظر تفسير آيات الأحكام: ٢/٣٢٨، وشرح المواهب: ٤/٣٦٥.

(٣) كما سبق في قصة زواجه ﷺ من خديجة.

(٤) انظر فقه السيرة ص: ٥٣ - ٥٤، باختصار.

حياتها ومالها، في سبيل إسعاد رسول الله ﷺ وكانت بحق أفضل من وزير صدق، تخفف عنه الأحزان والهموم التي كان يلاقيها في دعوته لقومه. وقد بشرها النبي ﷺ ببيتٍ في الجنة، وأبلغها سلاماً خاصاً من الله تعالى مع جبريل عليه السلام. كما روى ذلك البخاري[(١)]. في جامعه الصحيح " أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله: هذه خديجة قد أتتك... فاقرئ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيتٍ في الجنة، من قصب[(٢)] لا صخب[(٣)] فيه ولا نصب[(٤)]"[(٥)].

وأما بعد وفاتها فقد بقي ﷺ على الوفاء لها كما ورد في الحديث الصحيح «عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على امرأة للنبي ﷺ، مثلما غرتُ على خديجة رضي الله عنها، هلكت قبل أن يتزوجني، ولم أرها لما كنتُ أسمعه يذكرها.. وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهُنَّ»[(٦)]. وفي رواية أخرى: " فرُبما قلتُ له كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد"[(٧)].

وهناك روايات أخرى بهذا المعنى، تظهر جلياً مدى الوفاء منه ﷺ لتلك السيدة الكريمة رضي الله عنها وأرضاها... [(*)]

---

(١) هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري صاحب الجامع الصحيح، ولد سنة أربع وتسعين ومائة في شوال وتوفي سنة ٢٥٦ ودفن ببخارى، الأعلام ٣٤/٦ تذكرة الحفاظ ١٢٢/٢.

(٢) قال في النهاية: " القصبُ في هذا الحديث لؤلؤ مجوف كالقصر المنيف، والقصب من الجوهر: ما استطال منه في تجويف " مادة قصب.

(٣) وفي النهاية: " الصّخْب، والسُخب: الضجّة اضطرابُ الأصوات. " اهـ مادة صخب.

(٤) وفي النهاية: "النصب: أي التعب" مادة نصب.

(٥) الحديث عند البخاري في الجامع الصحيح كتاب المناقب، باب تزويج خديجة رقم ٣٨٢٠.

(٦) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب تزويج خديجة رقم ٣٨١٨ والنسائي في فضائل الصحابة ٢٥٣ وغيرها.

(٧) المصدر السابق رقم ٣٨١٩.

(*) يقول الشعراوي رحمه الله تعالى في كتاب سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٢٨٥ «كان رسول الله ﷺ لا يكاد، ومع أنه محاط بأعباءه الكثيرة، يخرج من البيت حتى يذكر خديجة والتي ضربت أروع الأمثلة في الوفاء للدعوة وصاحبها» اهـ بتصرف.

وليعلم من لم يكن يعلم أن بيوت النبي ﷺ على تواضعها وكفاف عيشها كانت أعز البيوت وأكرمها، وأسعدها على الاطلاق في الدنيا والآخرة، إذ إنّ السعادة الزوجية ليس في زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وإنما هي في كرم المعاملة، وحسن المعاشرة، ومكارم الأخلاق، فكان ﷺ بحق سيد الأزواج، والمثل الأعلى في الوفاء كل الوفاء لمن نذرت نفسها ومالها خدمة في سبيل الله تعالى وإسعاد زوجها»[١].

ولقد قضى سيد الأزواج ﷺ قبل البعثة خمسة عشر عاماً، يعدل كل يوم منها دنيا الأمانة والطهارة، والبر والوفاء، وما شئت بعد ذلك من صفات الفضل، والنبل وكلّ منهما موئل وأهل، ثم قضيا بعد البعثة عشرة أعوام كاملة، كل يوم منها من أيام الله، والتي لا يقدر قدرها، ولا يحصى ثناءها، إلا الله سبحانه وتعالى تباركت آلاؤه، وحلت نعمة، إلى أن جاء العام العاشرُ من بعثته ﷺ لبّت خديجة نداء ربّها راضية مرضية، تاركة وراءها فراغاً لم يملأ بعد ذلك لأنه ﷺ لم يفقد شريكة حياته الأولى، ورائدة بيته المثلى، وأم ولده الفضلى وحسب، ولكنه فقد أكبر عون بعد الله تعالى على تبليغ الرسالة، واحتمال أعباء الدعوة، حتى استحق ذلك العام أن يسمّى عام الحزن. لقد أثبتت هذه السيدة الكريمة خديجة رضي الله عنها، بحق بأنها قدوة ومثالاً يُحتذى لنساء من جعلهم الله تعالى خلفاء الأنبياء، ومهما خطّ الكتاب من عبارات الثناء والمدح لهذه السيدة الكريمة، فلن يصلوا إلى شهادة الرسول ﷺ لها بأنها المرأة الكاملة بين أربع من نساء العالمين هي الأولى في ذلك[٢][٣].

وهكذا انتقلت خديجة رضي الله عنها من هذه الدنيا إلى جوار ربِّها عز وجل، تاركة وراءها أعظم صورة للوفاء، لم تعرف الدنيا ولن تعرف على مر التاريخ صورة أروع من وفائه ﷺ لخديجة، فلم يكن رسول الله ﷺ يخرج من بيتِه ويدخل، أو يرى

---

(١) من ذخائر السنة: ٨٣٢/٢.

(٢) حديث فضل خديجة رضي الله عنها رواه أحمد عن أنس بن مالك في المسند ١٣٥/٣، وعبدالرزاق في المصنف "٢٠٩١٩" وفي تفسيره ١٢١/١ وأحمد في فضائل الصحابة "١٣٢٥ - ١٣٣٧" والترمذي: ٣٨٧٨ وقال حديث صحيح، وابن حبان: ٦٩٥١ و٧٠٠٣ والطبراني في الكبير: ١٠٠٣/٢٢ والحاكم في المستدرك: ١٥٧/٣ وصححه الذهبي وهو بلفظ آخر عن علي رضي الله عنه في المسند: ١١٦/١ ومسلم ٢٤٣٠.

(٣) ذخائر السنة: ٨٣٦/٢ - ٨٣٧، باختصار وتصرف.

أحداً ممن يذكره بخديجة رضي الله عنها إلا أحسن الثناء عليها، حتى فقد صبر عائشة رضي الله عنها إلى أن قالت يوماً من شدة غيرتها - مع أنها لم تر خديجة قط - وهل كانت إلا عجوزاً؟ في غابر الأزمان قد أبدلك الله خيراً منها، - تقصد نفسها - فما هو إلا أن غضب رسول الله ﷺ ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت حين كفر الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً تقول عائشة رضي الله عنها فما ذكرتها بعد ذلك بشيء يكرهه رسول الله ﷺ[١].

وهكذا استحقت أوفى امرأة في البيت النبوي الثناء الجميل.. والسيرة العطرة في الدنيا، والنعيم العظيم في جنات الجليل في الدار الآخرة[٢]... [*]..... حقاً إن خديجة تستحق أن تكون أوفى زوجة في الدنيا، فإنها آمنت برسول الله ﷺ إيماناً راسخاً إذ كذبه الناس. وليس ذلك بغريب على امرأة من أوسط نساء قريش حسباً ونسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً وعزاً. ومع ذلك كله فقد تحملت ما لم يتحمله الكثير من الرجال، تحملت مصاعب الدعوة الإسلامية في بدايتها، ووضعت كُلَّ أموالها في نصرتها، وضربت أروع الأمثلة في البذل والعطاء، والصبر والثبات في مواطن المحن والبلاء. إنها أوفى زوجة عرفها تاريخ الإنسانية... شخصية متكاملة الملامح، من أشرف نساء العرب،... كريمةٌ عند أهلها، سخيةٌ على جيرانها والشدة حسبما تقتضيه الظروف وحال العصر الذين يعيشون فيه، وهي مرونة حددتها الشريعة اعتماداً على سيرته ﷺ في مراحل الدعوة» [*].

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ١٢٧/٦، والحاكم: ١٥/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وابن عبدالبر في الاستيعاب: ١٨٢٣/٤، والطبراني ٢٣ /١٣ في الكبير وأصل الحديث في البخاري: ٣٨١٨ - ومسلم: ٣٤٣٥.

(٢) سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٢٨١ - ٢٨٢. باختصار.

(*) قلت: فهل اقتدينا بخديجة فاتصفنا بشيءٍ من الوفاء لديننا؟ وهلا سعينا في نصرنا ديننا كما سعت خديجة؟

(*) في كتاب الرسول في بيته ص: ١٥ «وكان من عادة العرب أن يتزوج الرجل الفتاة في بيت عروسه، وبعد أسبوع ينتقل بها إلى بيته، وبعد أن أمضى الرسول ﷺ الأسبوع الأول، في بيت السيدة خديجة رضي الله عنها، عرضت عليه البقاء في بيتها فقد كانت دارها فسيحة، متعددة الحجرات، وبها فناء واسع، فأقام النبي ﷺ في هذا البيت بناء لرغبة خديجة حتى هاجر إلى المدينة المنورة» اهـ باختصار.

المطلب الثاني:

في زواجه ﷺ من سودة بنت زمعة رضي الله عنها[١]

في ظل هذا الواقع الذي كابده رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، من زيادة الإيذاء ومحاربة للدعوة، كان هناك امرأة مؤمنة توفي زوجها المسلم وتركها وحيدة في ظل مجتمع تعرض فيه المسلمون لأشد أنواع الأذى والفتن، لم يجد رسول الله ﷺ بُداً من حماية امرأة أصبحت وحيدة وذووها من حولها ما زالوا على الشرك يخشى عليها أن تفتتن في دينها، فقرر ﷺ أمام هذا الواقع أن يتزوج سودة لتكون في مأمن لدينها وتصبح بهذا الزواج المبارك أماً للمؤمنين. وأيُّ شرف أعظم من هذا الشرف[٢].

جاء في الطبقات[٣] " تزوج رسول الله ﷺ سودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة وقبل تزوج عائشة، ودخل بها في مكة وهاجر بها إلى المدينة " اهـ.

لو كان غرض رسول الله ﷺ الشهوة كما زعم الأفاكون لاستعاض عن سودة وهي الأرملة المسنة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين، بالنواهد الأبكار، ولكنه ﷺ كان المثل الأعلى للشهامة، والنجدة، والمروءة، ولم يكُن غرضُهُ إلاحمايتها ورعايتها، لتبقى تحت كفالته عليه الصلاة والسلام»[٤].

والحكمة من زواجه ﷺ من سودة أنها من المؤمنات، المهاجرات خوفاً من الفتنة في دينها، ولأنها لو عادت إلى أهلها بعد وفاة زوجها لعذبوها وفتنوها فتزوجها النبي ﷺ مكافأة على ذلك، وتخليصاً لها مما قد ينالها من أذى أهلها بسبب إيمانها إذا عادت إليهم»[٥].

قلت: «وقد أدركت ذلك سودة بنت زمعة فوهبت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة[٦]..».

---

(١) انظر سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٢٨١ - ٢٨٢. باختصار.

(٢) للاطلاع على زواجه ﷺ من سودة يُراجع كتاب الدلائل للبيهقي: ٤١١/٢، والسيرة الشامية: ١١/ ١٦٨، والسيرة الحلبية: ٤٣/٢، وشرح المواهب: ٤/ ٣٦٤. ومجمع الزوائد: ٢٢٥/٩.

(٣) انظر في الطبقات: ٤٢/٨.

(٤) روائع البيان: ٣٣٠/٢.

(٥) المفصل في أحكام المرأة: ٤٦٢/١١، وتفسير المنار: ٣٧١/٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه ٥٢١٢ ومسلم ١٤٦٣.

«وتوفيت سودة بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه»(١).

المطلب الثالث:

في زواجه ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: أريتُك في المنام مرتينِ، ورجلُ يحملك في سرقة من حرير(٢) فيقول هذه امرأتك، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يمضه»(٣)... (*)..

---

(١) انظر الطبقات الكبرى: ٤٦/٨.

(٢) في النهاية: "أي قطعة من جيد الحرير" اهـ مادة حرا.

(٣) رواه البخاري: ٥١٢٥ و٥٠٧٨، و٣٨٩٥، ومسلم ٢٤٣٨، وأحمد في المسند وهذا لفظه.

(*) في التكملة: ٧٧/٥ «واستشكل البعض بأن رؤيا الأنبياء وحي فكيف تردد النبي ﷺ في كونها من عند الله، فالجواب كما نقل عن القاضي عياض: أن لها ثلاث معان: أحدها أن المراد أن تكون الرؤيا على ظاهرها لا تحتاج إلى تأويل وصرف لها عن الظاهر، الثاني: أنها زوجته في الآخرة أو الدنيا، فالشك عائدٌ إلى أنها زوجته في الدنيا أم في الجنة، الثالث: أنه لم يشك وأخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك كما تقول: أأنت أم هو، وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف، وأسماه بعضهم مزج الشك باليقين اهـ التكلمة ٧٧/٥، وشرح النووي: ٢٠٢/١٥، وفتح الباري: ٦٧/٩، والمفهم: ٣٢١/٦.

وزاد في الفتح: ٨٧/٩ «استنبط البخاري رحمه الله تعالى من الحديث جواز النظر إلى المرأة التي يريد الرجل الزواج منها» اهـ.

وفي شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢١٥/٥ «ذلك لأن المرأة في المنام رؤياه يختلف على وجوه: منها أن تكون على وجه الحقيقة زواجاً بمن يراها أو شبهها، ومنها أنه يدل على حصول دنيا أو منزلة فيها أو سعة في الرزق، وهذا أصل عند المعبرين في ذلك، وقد تدلّ المرأة في المنام على فتنة تحصل للرائي» اهـ. وفي زاد المفهم عند القرطبي ٣٢٢/٦ «والمعنى أنه ﷺ رآها في المنام كما رآها في اليقظة، فكانت هي المراد بالرؤيا قطعاً لا غيرها».

زاد ابن السعد في الطبقات: ٦٢/٨ «فكان ﷺ إذا جاء إلى بيت أبي بكر قال: يا أم رومان - لأم عائشة - استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها».

قلت: وبكونها رضي الله عنها زوجته في الدنيا والآخرة على لسان عمّار بن ياسر وعلي رضي الله عنهما «إني لأعلم أنها زوجة نبيكُم في الدنيا والآخرة» الحديث ورد في البخاري رقم ٣٧٧٢.

فلترغم أنوف الذين يؤذون رسول الله ﷺ ببغضهم لعائشة رضي الله عنها؟ أما إن حصل الآخر وهو القذف والسب والشتم؟ فقد أصبحوا في واد والإسلام في واد آخر؟

=

قلت: لما كانت رؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى، فيمكن القول: أنّ رسول الله ﷺ تزوج عائشة رضي الله عنها بأمر من الله تعالى، وليس ثمة غرض آخر مما قد يتفوه به أعداء الإسلام.

وأما وقت زواجه ﷺ ومتى أدخلت عليه عائشة رضي الله عنها، فهي تخبر بذلك فتقول: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال - أي عقد عليها - وأدخلتُ عليه في شوال، فأيُّ نسائِهِ كانت أحظى عنده منّي؟ فكانت تستحبُّ أن تُدخل نساءها في شوال[1]... [*]...

وتروي لنا قصة زواجها المبارك فتقول:.... فقدمنا المدينة فنزلنا في بني

=

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى في روح المعاني: ١٣٢/١٨ «ومما يقضى منه العجب ما رأيتُه في بعض كتب الشيعة من أنها خرجت من أمهات المؤمنين بعد موقعة الجمل، لأن النبي ﷺ فوّض علياً رضي الله عنه بإخرا ج من شاء من أزواجه ﷺ بعده فأخرجها علي بذلك، ولعمري إنّ هذا مما يضحك الثكلى، ففي حسن معاملة علي رضي الله عنه بعد معركة الجمل ما يكذب مزاعم الرافضة ويدحض افتراءهم على علي رضي الله عنه» اهـ.

وفي كتاب روح البيان في تفسير القرآن: ١٤٦/٦ «وقع أن الحسن بن زياد الساعي كان يرسل في كل سنة عشرين ألف دينار تفرّق على أولاد الصحابة وبني هاشم، وحصل أنه سمع رجلاً من أشياع بني هاشم يذكر عائشة بالقبيح فقال: لغلامه: يا غلام اضرب عنق هذا، فنهض إليه العلويون - يعني أبناء علي - وقالوا: هذا رجلُ من شيعتنا فقال الحسن: معاذ الله هذا طعن على رسول الله ﷺ فإن كانت عائشة خبيثة؟ وحاشاها - كان زوجها أيضاً كذلك وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر، وعائشة هي الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء، يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه» اهـ.

والقصة موجوة أيضاً في إرشاد الساري للقسطلاني: ٥١٧/١٠.

قلت: ألا فليتق الله الشيعة في أنفسهم قبل أن يأتي يوم لا ينفع لهم فيه ندم.

(١) رواه مسلم رقم ١٤٢٣، أحمد في المسند: ٥٣/٦، وهذا لفظة، ورواه الترمذي في سننه: ١٠٩٣، وقال حسن صحيح، ورواه النسائي في المجتبى ٥٣٥٣، وابن ماجه ١٩٩٠.

(*) قال في الموسوعة: ٣١٩/٤٠، «ومراد عائشة الرد على من يرى كراهة النكاح بين العيدين» زاد النووي: ٢٠٩/٩، «بل فيه استحباب ذلك وهذا الحديث دليل عليه» اهـ.

وقال القرطبي: في ٣٨٨/٦ «كانت العرب تطيروا بذلك لأن شوال من الشول، وهو الرفع والإزالة وقد جعلوه كناية عن الإهلال، فكانوا يتوهمون وقوع البغضاء بين الزوجين فتزول حظوة المرأة عند الزوج فأبطل ذلك النبي ﷺ بفعله، وقصدت عائشة الرد على من يتوهم ذلك فالمعنى أنها تزوجت رسول الله ﷺ في شوال فزادت خطوتها عنده» اهـ باختصار.

الحارث.. فأتتني أمي أم رومان[1]، وإني لفي أَرْجوحة ومعي صواحب لي فصاحت بي فأتيتُها، لا أدري ما تُريدُ بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهجُ[2] حتى سكن بعضُ نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحتْ به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت، فقلنّ على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني اليهنّ، فأصْلحْنَ من شأني، فلم يَرُعني إلا ورسول الله ﷺ ضُحىً، فأسلمتني إليه وأنا يؤمئذ بنت تسع سنين»[3][*] - وناولته كأساً من لبن، فشرب ثم ناولها النبي ﷺ فَخفضت رأسها واستحيت، قالت: أسماء فانتهرتُها وقلتُ لها خذي من يد النبي ﷺ، قالت: فأخذت، فشربت شيئاً، ثم قال لها: أعطِ أسماء؛ فقلت: يا رسول الله بل خذه، فاشرب منه، ثم ناولنيه من يدك، فشربت، ثم قال لنسوة عندي، ناوليهنّ، فقلت يا رسول الله لا نشتهيه، فقال النبي ﷺ «لا تجمعن جوعاً وكذباً»[4] تحدثنا من كانت حاضرة لهذا الزواج المبارك، وهي أسماء بنت يزيد احدى نساء بني الأشهل من الأنصار، قالت أسماء: قينْتُ[5] - عائشة لرسول ثم جئتُه فدعوتُهُ لخلوتها، فجاء فجلس إلى جنبها، فأتي بعس - في.... [*]... [*].. وقد احتلت السيدة عائشة في قلب النبي ﷺ

---

(١) هي أم رومان زوجة أبي بكر الصديق، ولدت له عائشة وعبدالرحمن أسلمت قديماً، وماتت في حياة النبي ﷺ سنة ست للهجرة. الطبقات الكبرى: ٢١٦/٨.

(٢) في النهاية: نهجَ ينهج، وأنهجَه: وهو تواتر النَّفْس من شدة الحركة، أو فعلِ مُتعب " اهـ مادة نهج.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٣٨٩٤، وهذا لفظه ومسلم ١٤٢٢.

(*) «أفضل الصدقة المنيحة تغد بعاء وتروح بعساء، قال الخطابي قال الحميدي: العساءُ والعُسُّ، لم أسمعه إلا في هذا الحديث، والحميدي من أهل اللسان» اهـ مادة عسا. في ومنه حديث أنا قينت عائشة» اهـ مادة قين.

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند: ٤٥٨/٦، وابن الأثير في أسد الغابة: ٢٠/٧.

(٥) النهاية: تقين: أي تزين المرأة للزفاف، والتقيين التزيين

(*) قال القرطبي في المفهم: ١٢٢/١٤ «وقوله: على الخير والبركة دعاء، وهذا حسن، غير أن الدعاء مما ورد عنه ﷺ، بمناسبة النكاح أفضل وهو أنه ﷺ قال: لابن عوف بارك الله لك وبارك عليك» الحديث رواه أبو داود: ٢١٣، والترمذي ١٠٩١، وقال حسن صحيح.

(*) قال في فتح الملهم: ٣٨٨/٦، «وأجمعوا على الجواز الأب تزويج ابنته الصغيرة. إلا أنها لا يصح أن توطأ حتى تبلغ فتخير وتأذن أو تمنع، واختلفوا في الوقت الذي يصح الدخول بها. ملخص الأقوال أنّها إذا كانت تتحمل الدخول جاز ذلك سواء كانت في التاسعة من عمرها أو أكبر من ذلك. وقوله: على الخير والبركة، على خير طائر: وهو كنايةٌ عن الفأل، وطائر الإنسان عمله الذي قلده. وقيل: هو الحظ من الخير والشر، والمراد هنا، أيمن حظ وأفضله، وفيه استحباب =

منـزلة في المحبة رفيعة لم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين. وحبّه صلى لعائشة كان أمراً مستفيضاً، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته ﷺ[١] وخير دليل على ذلك حينما سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه عن أحبِّ الناس إليك يا رسول الله، قال: عائشة...»[٢].

وكثيراً ما كانت تسأله عن حبه لها وكيف حاله فيقول: " هو كعقدة الحبل " فكنت أقول: كيف حال العقدة، فيقول: " هي على حالها"[٣] واشتهر ذلك سلفاً وخلفاً حتى إنّ مسروق كان إذا حدَّث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبةُ حبيب الله المبرأة[٤].

=

الدعاء بالخير والبركة لكل واحد من الزوجين، كما وفيه استحباب تنظيف العروس وتزيينها لزوجها واستحباب اجتماع النساء لذلك، لأنه يتضمن إعلان النكاح، وفيه تأنيس لها ويعلمنها آداب حال الزفاف ولقائها الزوج، قوله فلم يرعني: كنت بذلك عن المفاجئة عن الدخول على رسول الله ﷺ على غير علم بذلك، وفي رواية لما راعني: أي ما خطر ببالي خطرة في حالٍ حينها، إلا في حال رسول الله ﷺ، كما أن فيه جواز الزفاف والدخول بالعروس نهاراً وعليه ترجم البخاري» اهـ باختصار. وكذا بعض ما ذكر في شرح النووي: ٩/ ٢٠٦ «وزاد بناء على رواية مسلم ومعها لعبها «جواز اتخاذ اللعب للبنات لتدريبهنّ على تربية الأولاد وإصلاح شأنهنّ وبيوتهنّ» اهـ.

وزاد في عون المعبود: ١٣ / ١٩٠ «وأجازوا بيع اللعب للبنات بناء على صحة اتخاذها» اهـ وكذا في فتح الباري: ٢٦٥/٧.

قال في الموسوعة: ٤٥ / ٥٧١، ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وبقية رجاله ثقاة.

«وقد أورد الهيتمي فاشتمل بعض ما ذكره البخاري في صحيحه، ومسلم، وأحمد في الحديث السابق إلا أنه زاد فيه قول عائشة رضي الله عنها: وبنى بي رسو الله ﷺ في بيتنا، مانحرنا جزوراً، ولا ذُبحتْ على شاة حتى أرسل سعد بن عبادة رضي الله عه بجفنة كان يرل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار على نسائه» قال في مجمع الزوائد: ٢٢٦/٩ - ٢٢٧، في الصحيح طرقاً منه، وعند أحمد بعضه، وهو عند الطبراني في الكبير، وفيه ضعف بسبب، سعد البقال مدلس، وقصة زواجه ﷺ بعائشة، في شرح المواهب: ٣٨٢/٤ ومابعدها، مفصلة بكل الروايات.

(١) انظر السيرة: ١٤٢/٢.

(٢) رواه مسلم رقم: ٢٣٨٤.

(٣) انظر الحلية: ٤٤/٢.

(٤) انظر الطبقات: ٥٣/٨.

كان ﷺ يقسم لها بيومها ويوم سودة[١] ووصيتُهُ ﷺ فاطمة ابنته حب عائشة مشهورة قائلا لها: " أي بنية ألست تحبين ما أحبّ، فقالت: بلى، قال: فأحبي هذه"[٢] عائشة كما أنّ تحذيره ﷺ لأم سلمة من إيذائه بعائشة مشهور أيضاً[٣]. كما تبين تلك الرواية فما أنزل عليه ﷺ وهو مع أحد من نسائه إلا عائشة وقد دعا ﷺ وهو مع إحدى من نسائه إلا عائشة مغفرة واجبة ظاهرة وباطنة[٤]. وفي اختياره ﷺ واستئذانه أزواجه أن يُمرّض في بيت عائشة خير دليل على ما ذكر[٥].

ولقد شهد كبار السلف الصالح بعلم وفضل عائشة حتى قال الزهري: لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً[٦].

وقال مسروق: لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض[٧].

لقد مرت علاقة النبي ﷺ بعائشة بحادثة أليمة نسجتها أوهام المنافقين وهي قول أهل الإفك في حق السيدة عائشة رضي الله عنها، والتي كان من وراءها النيل من صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبدالله ﷺ حيث رموه في أقدس شيء وأعزه، في عرضه المصون، وأهله الطاهرة وحادثة الإفك كلّفت أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب عائشة التي يحبها، وقلب (أبي بكر الصديق، وقلب صفوان بن المعطل شهراً كاملاً، ومع أنه ﷺ كان يعلم براءة زوجه الطاهرة لكن تلك الأقاويل التي أصدرها أهل الإفك جعلت النبي ﷺ حينما يدخل على عائشة وهي في حاله المرض لا يزيد على قوله «كيف تيكم»[٨]، لكنّ هذا الإفك لم يدم طويلاً حتى نزل القرآن بأحد عشر آية أزاحت هذه الآلام التي قد عانى منها رسول الله ﷺ وبرأت زوجته الطاهرة العفيفة الصديقة بنت الصديق فخرجت من محنتها بشهادة ربانية لا تمحوها الأيام ولا تخلفها الأعوام، مما زاد في مكانتها في

---

(١) انظر الطبقات: ٨/٥٠.

(٢) انظر صحيح مسلم: ٢٤٤١ /٨٣.

(٣) رواه البخاري ٢٥٨١، ومسلم ٢٤٤١ وسيأتي.

(٤) رواه الحاكم: ٤/١١.

(٥) الحديث رواه البخاري ٤٤٤٢، ومسلم ٤١٨.

(٦) الحديث رواه المستدرك: ٤/١١.

(٧) المستدرك: ٤/ ١١.

(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم ٧٥٠ وغيره.

قلب رسول الله ﷺ وأعلى من مقامها في نفسه وفي نفوس المؤمنين إلى يوم الدين أمّا الذين ما زالوا في شكٍ من براءة عائشة رضي الله عنها فسيلاقون الله تعالى وسيحاسبهم حساباً شديداً.

جاء في الطبقات[١] أن رسول الله ﷺ قال: " لقد رأيتها في الجنة ليهوّن بذلك عليّ موتي كأني أرى كفتيها " يعني عائشة وتوفيت عائشة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ودفنت من ليلتها بعد الوتر وهي يومئذٍ بنت ست وستين سنة[٢].

أما مسألة الفارق من السن بين النبي ﷺ وعائشة فلقد كانت العادات في ذلك الزمان لم تكن تعارض ذلك الفارق بين الزوجين.

المطلب الرابع:

في زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما

ولنترك الحديث لسيدنا عمر[٣] رضي الله عنه حيث يقول:... فلبثت ليالي فخطبها إليّ رسول الله ﷺ فأنكحتُها إيّاه...»[٤]... [*]..

---

(١) انظر في الطبقات: ٢١ /٥٢.

(٢) انظر الطبقات: ٦٢/٨.

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل، الإمام العلم، الخليفة الراشد، ثالث هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ وأبى بكر أمه، أمه حنتمة بنت هاشم من بني مخزوم، ولد قبل حرب الفجار بأربع سنين طعن يوم الأربعاء ومات يوم الخميس سنة ثلاث وعشرين، دامت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، تاريخ عمر لابن الجوزي ص ١٦، والحلية: ٣٨/١. وصفة الصفوة: ١٠١/١.

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحة ٥١٢٩ و٤٠٠٥ و٥١٢٢ و٥١٤٥، والنسائي في الكبرى ٧٧/٦ وابن حبان: ٤٠٣٩ وأبو يعلى في مسنده ٦و٧و٢٠ والطبراني في الكبير: ٢١٢/٢٣، وأحمد في المسند: ١٢/١.

وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنه في المسند: ٢٧/٢، والبخاري ٥١٢٢، وابن سعد في الطبقات: ٨٢/٨.

(*) وفي روائع البيان: ٣٣٢/٢ «هذا لعمر الحق هو الشهامة الحقة، بل هذه هي الرجولة الصادقة، تظهر في فضل الفاروق عمر رضي عنه، فهو يريد أن يصون عرضه، فلا يرى غضاضة، أن يعرض ابنته القرشية على الكفء الصالح، لأن الزواج خير وسيلة للمجتمع الفاضل، فأين نحن اليوم من جهل المسلمين بأحكام الإسلام، وجماله الناصع يتركون بناتهم عوانس حتى يأتي الخاطب ذو المال الوافر والمنصب العالي» اهـ.

=

وتمام الحديث:.. فلقيتُ عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال ما أريد أن أتزوج، قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلتُ: إن شئت أنكحتُك حفصة ابنة عمر، فلم يرجع اليّ بشيء فكنت أوجد عليه من علي عثمان..

«وتألم عمر لابنته الشابة التي ترملت في الثامنة عشرة من عمرها، وأوجعه أن يلمح الترمّل يغتال شبابها، ويمتص حيويتها، ويخنق صباها وبدأ يشعر بانقباض أليم كلما دخل بيته، ورأى ابنته في حزنها، فلا غضاضة بعد تفكير في ذلك أن يختار لها زوجاً تأنس إلى صحبته فعرضها على أعز أصحابه أبي بكر وعثمان، ولما شكا حالهما إلى رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ أنّ من الإكرام لعمر الذي كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً، الذي أعز الله به الإسلام، أن يتزوج حفصة ليخفف الآلام عن عمر رضي الله عنه وابنته حفصة، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكان في ذلك أعظم إكرام، وإحسان لعمر رضي الله عنه»[1].

المطلب الخامس:

في زواجه ﷺ من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة فما رأى الأفاكين بهذا الزواج الشريف، والذي كان الهدف منه جبر خاطر امرأة دفنت اثنين من أزواجها فأصبحت وحيدة

=

قال ابن حجر في فتح الباري: ٨٣/٩ «وفيه عرض الإنسان ابنته وغيرها من مولياتِهِ على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه استحياء في ذلك ولو كان ذلك على متزوج، وفيه حفظ الأسرار كون أبي بكر رضي الله عنه لم يفش سر رسول الله ﷺ في ذكره الزواج من حفصه. وفيه أن الأب يخطب إليه ابنته الثيب كالبكر» اهـ. وقريب مما ذكر في ارشاد الساري: ١٠/٥٢٠.

وقال في كتاب من ذخائر السنة النبوية: ٥٠٢/٢، «قالوا قديما صدور الأحرار قبور الأسرار، وحسبك دليل على منزلة هذه الخصلة في قلوب الناس قاطبة، إجماعهم على امتداح صاحبها، ووزنهم عقل الرجل وشرفه وهمته ومروءته، بميزان حفظه للسر ودفنه له. وأولى الناس بأن يقدر هذه الفضيلة قدرها من تربوا في حجر النبوة، وتأدبوا بآدابها، واقتبسوا من نورها، وكانوا أمثلة رائعة لمن بعدهم من المسلمين» اهـ باختصار.

وفي الطبقات: ١٩/٨ أن حفصة رضي الله عنها توفيت في شعبان سنة خمسٍ وأربعين في خلافة معاوية وهي يؤمئذٍ ابنة ستين سنة.

(١) انظر أسير الصحبيات ص ١١٣.

شريدة، فضمها رسول الله ﷺ إلى زوجاته الطاهرات ليُذهب عنها مرارة ما لاقته من فقد الأزواج واحداً بعد الآخر إلى أن لحقت بربها راضية مرضية. فجعلت أمرها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ وأشهد وأصدقها مهرها، وكان ذلك في شهر رمضان على رأس إحدى وثلاثين شهراً من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهراً، وﷺ ودفنها بالبقيع[١].... [*]...

المطلب السادس:

في زواجه ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها ووليمته في ذلك

أجمع رواة الحديث وأهل التفسير أن زينب بنت جحش كانت عند زيد[٢] بن

(١) رواه ابن سعد في الطبقات: ٩١/٨، الحديث فيه كثير بن زيد، قال ابن حجر في التقريب: ٣٨/٢، صدوق يخطئ، قلت ومن كان هذه حالته فحديثه ضعيف، وفي التقريب: ٤٨٧/١، وعبدالله بن حطب مختلف في صحبته.

(*) قال في أسد الغابة: ٤٦٦/٥. «تزوجها النبي ﷺ يُقال لها أم المساكين لكثرة إطعامها الفقراء والمساكين وصدقاتها عليهم، كانت تحت عبدالله بن جحش فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله ﷺ، ولم تلبث عند إلا شهرين أو ثلاثة أشهر وصلى عليها دفنت بالبقيع» على أن الحاكم في المستدرك صححه - ٣٣/٤، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

وروي أيضاً أنها كانت تحت عبدالله بن جحش، وروايه ثانية تحت الطفيل بن الحارث، ورجح الذهبي في التلخيص أنها كانت عند عبدالله بن جحش فقتل عنها يوم أحد، على أن ابن سعد روى في الطبقات أيضاً: ٩١/٨ «أنها كانت تحت عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب فطلقها» - ٨ /١٩١، لكن هذه الرواية ضعيفة لوجود كثير بن زيد وهو ضعيف كما مر سابقاً، وكذا في مجمع الزوائد: ٢٤٨/٩، وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وفي سير أعلام النبلاء: ٢١٨/٢، «قال النسابة الجرجاني: كانت عند الطفيل فطلقها ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها».

قلت: ومن تتبع الروايات في ذلك وجد طريقاً للجمع بينها وهي:.

(٢) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبي مولى النبي ﷺ وأسبقهم إلى الإسلام، أهدته له خديجة وتبناه النبي ﷺ - في قصة - زواجه ﷺ زينب ابنة عمته ثم طلقها وتزوجها رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ يحبه كثيراً استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، السير: ١/ ٢٢٠، والاستيعاب: ٤٧/٤. وأسد الغابة: ٢٨١/٢.

حارثة[١].... [*]....

(١) انظر القصة في تفسير الطبري: ١١/٢٢، وابن كثير: ٨٠٧/٣، والقرطبي: ١٩١/١٤، وصفوة الصفوة: ٢٧/٢، وابن هشام: ٤٣٩/٣، وأحكام القرآن لابن العربي: ١٥٢٧/٣. وغيرها.
أنها كانت أولاً عند الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب ثم طلقها، فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب فلما استشهد يوم بدر، تزوجها عبدالله بن جحش فاستشهد في غزوة أحد، فتزوجها بعد ذلك الرسول ﷺ ومات عنها، والله أعلم أي ذلك كان.

(*) وملخص القصة أن زيد بن حارثة رضي الله عنه طلب من النبي ﷺ أن يزوجه زينب فلما خطبها النبي ﷺ وعلمت أن ذلك لزيد وليس للنبي ﷺ، فغضبت ورفضت فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣٦) سورة الأحزاب، وانظر أسباب النزول للسيوطي ص ٢٥٣.
وكذا قاله الشعراوي في تفسيره: ١٩ /١٢٠٤٣.
قلت: وهذا هو الذي أخفاه رسول الله ﷺ أما تلك الخرافات والترهات التي أوردها ومع الأسف بعض أهل التفسير في كتبهم فقال فيها ابن العربي في أحكام القرآن: ٥٧٧/٣ «وهذه الروايات ساقطة الأسانيد واهية لا يصح ولا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها وحاش لذلك القلب الطاهر من تلك الروايات الفاسدة» اهـ.
وفي كتاب من ذخائر السنة النبوية: «وحاشا لذلك القلب الطاهر مما تحرصه الزنادقة والمنقولين، ومن لف لفيفهم من أعداء النبي الكريم ﷺ» اهـ.
في المفصل: ٤٧٥/١١. «وأما ما يذكره المبطلون من الكفار والزنادقة وفروخهم ومغلوبهم، فهو محض افتراء ليس لهم فيه دليل إلا روايات ساقطة مكذوبة لا تساوي في ميزان مصطلح الحديث شيء» اهـ بتصرف.
«قال ابن العربي في أحكام القرآن: ٥٧٨/٣، فإن كان الأمر كما يقولون فلماذا قال النبي ﷺ لزيد أمسك عليك زوجك وقد أخبره الله تعالى أنها زوجته وليس زوجة لزيد.
قلنا: هذا لا يلزم ولكن لتطيب نفوس المستفهمين نفسّر ماخطر من الإشكال:
فيه أنه ﷺ أراد أن يختبر منه ما لم يُعلِمْهُ الله به من رغبته فيها أو رغبته عنها، فأبدى له زيد من النّظرة عنها والكراهية لها ما لم يكن علمه منه في أمرها.
فإن قيل: فكيف يأمره بالتمسك بها، وقد علم أنّ الفراق لا بُدّ منه، وهذا تناقض؟
قلنا: بل هو الصحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنه لا يؤمن، فليس في مخالفة متعلّق الأمر لمتعلق العلم ما يمنعُ من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم فتيقنّوه وتقبلوه». اهـ.
وفي المفصَّل: ٤٧٥/١١، بعض مما ذكر.
وزاد في المفصل: ٢٨٦٨/١١ «والحكمة في هذا الزواج واضحة ظاهرة بيّنها القرآن بقوله «لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائِهم إذا قضوا منهن وطرا» اهـ.
=

فلما حسم القرآن المسألة لحكمة إلغاء التبني لم تجد زينب رضي الله عنها بداً من التسليم، لكن زينب القرشية وعلى عادة العرب القرشيين أبت عليها نفسها أن تكون زوجة لمولى وإن كان النبي ﷺ قد تبناه فأسلمت جسدها لزيد ولم تسلمه قلبها وروحها فساءت العشرة وكان زيد يشكو ذلك إلى رسول الله ﷺ فيأمره رسول الله ﷺ بالصبر وأن يمسك عليه زوجه، والله تعال قد أعلم نبيَّهُ ﷺ أن زيداً سيطلق زينب وسيتزوجها رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ خشية أن يقول المنافقون واليهود تزوج محمد زوجة ابنه يخفي ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

«يحلو لبعض المغرضين الحاقدين على الإسلام ورسوله ﷺ، من المستشرقين الماكرين، وأذنابهم المارقين، أن يتخذوا من قصة هذا الزواج الكريم بترتيب منفذ للطعن في هذا النبي الكريم الطاهر الزكي، ويلفقوا في سبيل ذلك الشبه والأباطيل، بسبب بعض الروايات الباطلة التي وقع بشركها بعض أهل التفسير.... إن نظرة بسيطة إلى تاريخ زينب، وظروف زواجها من زيد تجعلنا نؤمن أن سوء العشرة التي كانت

=

وفي ظلال القرآن: ٢٨٦٨/٥ كلام قريب مما ذكر.

وفي فتح الباري: ٣٨٣/٨ «قالت عائشة رضي الله عنها لو كان رسول الله ﷺ كتَمَ شيئاً مما أنزل الله عليه لكتم هذه الآية «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِك» ٣٧ الآية - رواه مسلم في صحيحه: ٢٨٨، النسائي في الكبرى: ١١٤٠٨. وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٢٣، والطبراني في الكبير ١١١/٢٤.

وفي التفسير المنير: ٣٠/٢٢ - ٣١، «وفيه إشارة إلى أن زواجه ﷺ من زينب لم يكن لقضاء شهوة، بل لبيان أحكام الشريعة بإبطال حكم التبنّي بفعله ﷺ، فإنّ الفعل أوكد من القول، والشرع يُستفاد على نحو أقطع من فعل النبي ﷺ» اهـ.

وقال الذهبي في السير: ٢١٥/٢. «وكان زواجه ﷺ من زينب في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وهي يومئذ بنت خمس وعشرين سنة» اهـ وكذا في الفتح: ٣٨٤/٨.

(١) (٣٧) سورة الأحزاب - انظر القصة وأسباب النزول للسيوطي ص: ٢٥٣، وفي تفسير ابن كثير ٣/ ٨٠٧ والقرطبي ١٦١/١٤ - ١٩٢. وابن جرير الطبري: ١١/٢٢.

بينهما إنما كان منشؤها الحالة الاجتماعية فزينب قرشية شريفة حرة، وزيد بالأمس كان عبداً وقد أراد الله تعالى امتحانها بزواج زيد لبيان أن الشرف الحقيقي هو في الدين، والتقوى والعلم، رفضت زينب بادئ ذي بدء لكن لما تدخل القرآن وحسم المسألة قرأت أنه لا مناص من ذلك فأسلمت لزيد جسدها دون روحها فكان من وراء ذلك الضيق والألم وهو ﷺ يعرف ابنة عمته من الصّغر، فمن كان يمنعه أن يتزوج بها قبل زيد، وكيف يعقل أن يقدم إنسان على تزويج المرأة لشخص وهي بكر حتى إذا صارت ثيباً رغب فيها؟ حقاً إنهم لا يعقلون، فمنهم يهرفون بما لا يعلمون، ويقولون على الرسول ﷺ كذباً وزوراً وبهتاناً وضلالاً سبحانك هذا بهتان عظيم، ثم إن الآية صريحة كل الصراحة وواضحة كل الوضوح في بيان الأمر الذي أخفاه رسول الله ﷺ وأظهره القرآن هو خوفه مقال المنافقين؟ وهكذا يبطل مزاعم المفترين أمام الحجج الواقعة والبراهين الساطعة التي تدل على عصمة سيد المرسلين، ونزاهته وطهارته مما ألصقه به الدساسون المغرضون»[١].

«وسيدنا رسول الله ﷺ حين يستحي من زواجه من زينب أو مما سيقوله له الناس، فإنما يُريدُ أن يبرئ عرضه وساحته، مما قد يكون مدخلاً للطعن عليه من قبل المنافقين، وقد كان ﷺ يدفع الشبهة عن نفسه دائماً، لذلك لما رآه بعض الصحابة مع صفية زوجته، عند باب المسجد، فمالوا عنه خشية أن يتسببوا له في حرج، فناداهما رسول الله ﷺ: على رسلكما إنها صفيّة، فقال: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فخشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شراً فتكفرا»[٢].

«فالذي تولى تزويج زينب من النبي ﷺ هو الله سبحانه وتعالى، بمعنى أنّ الله تعالى أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي، ولا عقد، ولا مهر، ولا شهود من البشر»[٣].

وأما وليمته ﷺ لما تزوج زينب، فيخبرنا بها أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب، أهدت إليه أم سليم[٤]

---

(١) انظر روائع البيان: ٢/٣٣٤.

(٢) انظر تفسير الشعراوي: ١٩/١٢٠٤٤.

(٣) انظر تفسير الشعراوي: ١٩/١٢٠٤٤.

(٤) «هي الرميصاء، ويقال: الغميصاء، ويقال: سهلة بنت ملحان الأنصارية الخزرجية أم أنس بن مالك رضي الله عنهما، مات زوجها الأول مالك، وتزوجها أبو طلحة زيدُ بن سهل الأنصاري، من =

حيساً[(١)] في ثور[(٢)] من حجارة، قال أنس فقال لي النبي ﷺ فادعُ من لقيت، فدعوتُ له من لقيت، فجعلوا يدخلون، يأكلون ويخرجون، ووضع النبي ﷺ يده على الطعام، فدعا فيه، فقال ما شاء الله أن يقول، ولم أَدَعْ أحداً لقيتُه إلا دعوتُه، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، فبقيت طائفة منهم، فأطالوا عليه الحديث، فجعل النبي ﷺ يستحي منهم أن يقول لهم شيئاً، فخرج وتركهم في البيت، فأنزل الله عز وجل الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ...﴾ الآية[(٣)] وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال: «دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله ﷺ صبيحة بنى بزينب بنت جحش، فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً،...» الحديث[(٤)].. [(*)].. ولقد قال رسول الله ﷺ وهو جالس مع نسائه: "أطولكن باعاً

=

أفاضل نساء الأنصار، شهدت حنيناً وأحداً» سير أعلام النبلاء: ٢/٣٠٤ والطبقات الكبرى: ٨/ ٤٢٤، والإصابة: ١٢/٢٦٥ والاستيعاب: ٤/١٨٤٧.

(١) في النهاية: «الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط» اهـ مادة أقط.

(٢) وفيها: «هو قطعة من الأقط وهي لبن جامد مستحجر» اهـ مادة ثور.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٣/١٦٣، وهذا لفظه ومسلم، ١٤٢٨، وعبدالرزاق في تفسيره: ٢/١٢١، والحاكم ٤/٤١٧، والترمذي: ٣٢١٨، والحديث أيضاً عند البخاري: ٥١٦٣ و٥١٧١.

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣/ ١٠٥، واللفظ له والبخاري: ٥١٥٤، و٤٧٩١، و٦٢٣٩ و٦٢٧١، ومسلم ١٤٢٨.

(*) قلت تبين من خلال الروايتين السابقتين أن الوليمة كان حيساً وإقطاً، وخبزاً ولحماً، وهو الأمر الذي استشكله بعض العلماء:

قال القرطبي في المفهم: ٤/١٥١، «وقد استشكل عياض في حديث أن الوليمة بزينب كانت من الحيس الذي أهدته أم سليم، وأن المشهور من الروايات أنه ﷺ أولم عليها بالخبز واللحم. ولعله وهم أو تركبت قصة على أخرى، وأجاب القرطبي، والجمع بين الروايتين أن يقال لا وهم في ذلك، فلعل الذين دعوا إلى الخبز واللحم فأكلوا وشبعوا ذهبوا ولم يرجعوا، ولما بقي النفر الذين كانوا يتحدثون جاء أنس بالحيسة فأمر بأن يدعوا أناساً آخرين ومن لقي، فدخلوا، فأكلوا أيضاً حتى شبعوا، واستمر أولئك النفر يتحدثون، وهو جمع لابأس به، وأدنى من أن يقال إن حضور الحيسة صادف حضور الخبز واللحم من ذلك، وعجبت من إنكار عياض وقوع تكثير الطعام في قصة الخبز واللحم، مع أن أنساً يقول: إنه ﷺ أَوْلَمَ بشاة، ويقول إنه أشبع المسلمين خبزاً ولحماً، وما الذي يكون قدر الشاة حتى يشبع المسلمين جميعاً، وهم يومئذٍ نحو الألف لولا البركة التي حصلت من جملة آياته ﷺ في تكثير الطعام» اهـ كلام القرطبي: المفهم: ٤/ ١٥٢.

أسرعكن لحوقاً بي" فكنّ يتطاولن إلى الشيء، وإنما عنى رسول الله ﷺ بذلك الصدقة. وكانت زينب امرأة صنعاً فكانت تتصدق به فكانت أسرع نسائه لحوقاً به[1]..

المطلب السابع:

في زواجه ﷺ من أم سلمة رضي الله عنها

ولنترك الحديث لأم سلمة رضي الله عنها حيث تقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إن لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في

---

(١) انظر الطبقات: ٨/٨٥.

وقال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري: ٧/٢١٣. «إن وليمة النبي ﷺ على زينب بشاة لم تكن قصداً لتفضيل بعض نسائه على بعض، وإنما كان ذلك باعتبار ما اتفق وجوده عند النبي ﷺ، وأنه لو وجد الشاة في كُل منهُن لأوْلم بها، لأنّه ﷺ كان أجود الناس، ولكن كان لا يبالغ فيما يتعلق بأمور الدنيا في التأنف» اهـ.

وذكره ابن حجر في الفتح: ٩/١٤٦.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ٩/٢٢٩ «ويحتمل أنه ﷺ إنما أولم بشاة على زينب أن ذلك شكراً لله تعلى أن زوجه زينب بالوحي لا بولي».

وقال القرطبي في المفهم: ٤/١٤٧، وفي خروجه ﷺ من البيت وترك المتحدثين على حالهم، ولم يهجهم ما يدل على كرم أخلاقه وحسن معاملته، وعظيم حيائه.

«وفي الحديث أنه يستحب لأصدقاء المتزوج أن يبعثوا إليه بطعام يساعدون به على الوليمة وبعث السلام إلى الصاحب، وجواز استقبال الهدية من الذي أهدى، أما ممن أهدي له فيكره ذلك» اهـ باختصار.

وكذا في فتح الملهم: ٦/٤٢٤، وفي الفتح: ١١/٦٧ «وفيه أنه لا ينبغي لأحد أن يدخل بيت غيره إلا بإذنه، وإن المأذون له لا يطيل الجلوس لئلا يؤذي أصحاب المنزل ويمنعهم من قضاء حوائجهم، وفيه أي لصاحب المنزل أن يظهر التثاقل وأن يقوم دون استئذان حتى يتفطن له» اهـ.

وفي البحر المحيط: ٧/٢٣٧، «وفي الآية إشارة لطيفة إلى أن المكث بعد الطعام غير مرغوب فيه الاطلاق، فالأمر أمر وليمة وقد انتهت، ولم يبق إلا أن يفرغ أهل البيت لبعض شأنهم، والبقاء بعد ذلك فيه نوع من الإثقال غير محمود، وهذه الآية نزلت في الثقلاء. وحسبك في الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم» اهـ باختصار.

وكانت زينب كما في صحيح البخاري: رقم ٧٤٢٠، تفخر على نساء النبي ﷺ فتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى.

وتوفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة عشرين هـ وهي بنت ثلاثين سنة. الطبقات: ٨/٩١.

مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا آجَرَه الله في مصيبته، وخلف له خيراً منها، قالت: فلما توفي أبو سلمة[1] قلتُ: من خيرٌ من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ، قالت: ثم عزم الله عز وجل لي فقلتها، اللهم أجزني في مصيبتي، وأَخْلِفْ لي خيراً منها، قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ[2]... [*]...

المطلب الثامن:

في زواجه ﷺ من أم حبيبة رضي الله عنه

أم المؤمنين أم حبيبة رَمْلة بنت أبي سفيان، وهي من بنات عم الرسول ﷺ وهي أقرب أزواجه منه نسباً، وأكثرهم صداقاً، عقد عليها وهي في الحبشة وأصدقها

---

(١) «هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وابن عمته برة بنت عبدالمطلب، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين وشهد بدراً ومات بعدها بشهر» السيرة: ١/١٥٠، وابن سعد في الطبقات: ٢/١٧٠، الحلية ٢/٣، وأسد الغابة: ٣/٢٩٤، والاستيعاب: ٦/٢٧.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٣/٣٠٩، واللفظ له، ومسلم في صحيحه ٩١٨، ومالك في الموطأ: ١/ ٢٣٦.

(*) قال ابن الجوزي في صفوة الصفوة: ٢/٢٩، وفي الإصابة: ٤/٤١٩ «إن زواجه ﷺ كان في شوال سنة أربع من الهجرة» اهـ.

جاء في تفسير المنار: ٤/٣٧٢ «والحكمة من هذا الزواج ليست إلا لمعرفته ﷺ بفضلها وجودة رأيها والمتأمل في رأيها في صلح الحديبية يدرك ذلك، وهذا الموقف: هو أن النبي ﷺ أمر الصحابة بالتحلل من الإحرام ولم يستجب له أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت: يا نبي الله أتحبّ ذلك، اخرج، ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً» الحديث في صحيح البخاري رقم ٢٧٣٢.

وفي روائع البيان: ٣/٢٣٦، قريباً مما سبق.

وكذا في السيرة النبوية عبر وعظات: ٢/٣٨١ - ٣٨٢.

وفي ذخائر السنة النبوية: ٢/٨٤٦. والمفصل: ١١/٤٧١.

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٨/٧٦ «ماتت أم سلمة رضي الله عنها في سنة تسع وخمسين فصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ودفنت بالبقيع» اهـ

قلت: ويمكن أن نضيف إلى ما سبق أن النبي ﷺ لما رأى امرأة لها أبناء وليس لها أحد يعولُهمْ فتزوجها وضم أولاد أبي سلمة إلى نفقته ﷺ وحديث تعليمه ﷺ، لعمر بن أبي سلمة في الطعام خير دليل على ما أقول - الحديث رواه البخاري: ٥٣٧٦ ومسلم: ٢٠٢٢.

النجاشي[١] أربع مئة دينار نيابة عن النبي ﷺ وجهزها بأشياء»[٢].... وأن والدها أبا سفيان لما جاء إلى المدينة ليجدد الصلح بعد نقضه... ودخل على أم حبيبة ابنته، منعته من الجلوس على فراش رسول الله ﷺ، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال يا بنية لقد أصابك بعدي شر. أسلمت رملة قديماً وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية، فتنصر زوجها هناك ومات بها ووثبتت هي على دينها، فرق لها النبي ﷺ لغربتها وكربتها، وكافأها على ذلك، وأرسل إلى النجاشي ليخطبها عليه، فأصدقها النجاشي عن النبي ﷺ أربعمائة دينار مع نفائس الهدايا، ولما عادت إلى المدينة بنى بها النبي ﷺ وقصد النبي ﷺ من هذا الزواج غير ما ذكر، تأليف أبويها وقومها بني عبد شمس[٣]. ولما بلغ أبو سفيان هذا الزواج قال: ذاك الفحل لا يُقْدَعَ أنفه. قلت وكونها من بنات عم الرسول ﷺ هذا كلام الذهبي أي إن عبد مناف هو أحد بني أمية وبنو هاشم. وهنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في هذا الزواج الأمر الذي ساهم في تأجيج نار العداوة بين أبي سفيان والنبي ﷺ، ولعله كان سبباً لإسلام أبي سفيان وبنيه وسائر بني أمية[٤].

المطلب التاسع:
في زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث
المصطلقي رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق، وأصاب

---

(١) هو أصحمة ملك الحبشة، والنجاشي لقبُ يُطلق على كل من ملك الحبشة، اسلم وحسن إسلامه ولم يُهاجر وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه صلاة الغائب وكان يرسل الهدايا إلى النبي ﷺ السير: ٤٢٨/١، وأسد الغابة: ٢٠٨/١ - ٢١٩ والعبر: ١٠/١.

(٢) السيرة: ٢٠٨/٢ - ٢١٩، وصفوة الصفوة: ٢٤/٢. وانظر شرح المواهب: ٤٠٤/٤.

(٣) انظر ذخائر السنة: ٨٤٨/٢، والسير: ٢٠٩/٢.
وفي روائع البيان: ٢٣٦/٣، قريباً مما سبق.
وكذا في السيرة النبوية عبر وعظات: ٣٨١/٢ - ٣٨٢. وفي ذخائر السنة النبوية: ٨٤٦/٢. والمفصل: ٤٧١/١١.

(٤) باختصار، انظر روائع البيان: ٢٣٦/٢.

المسلمون منهم سبايا.. فجاءت جويرية، ودخلت على النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيّد قومه وقد أصابني من الأمر ما علمت فأعني على الفكاك، فقال ﷺ: أو خيراً من ذلك؟ قالت: وما هو، قال: أؤدي عنك كتابك وأتزوجك؟ قالت: نعم يارسول الله: قال: قد فعلت، فخرج الخبر إلى الناس، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يسترقون فأعتقُوا من كان بأيديهم من الأسرى فبلغوا مائة أهل بيت ببركة زواجه ﷺ من جويرية، وقالت عائشة رضي الله عنها: فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها»[1].... [*]...أن والد جويرية جاء إلى النبي ﷺ، فقال: إن ابنتي لا يُسبى مثلها فأنا أكرم من ذلك فخلِّ سبيلها، فقال له رسول الله ﷺ أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنا قال: بلى وأديت ما عليك، قال: فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - قد خيرك فلا تفضحينا، فقالت: فإني قد اخترتُ الله ورسوله ﷺ قال: قد والله فضحتنا[2].

المطلب العاشر:

في زواجه ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما افتتح النبي ﷺ خيبر... اصطفى صفية بنت حيي لنفسه، فخرج بها النبي ﷺ يردفها وراءه، ورأيتُ رسول الله ﷺ يضع رجله حتى تقوم عليها فتركب، فلما بلغ سدّ الصهباء عرّس بها فصنع حيساً في نطْع وأمرني فدعوت له من حوله فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ[3][*]... وقد دخل عليها النبي ﷺ

---

(١) ورواه أحمد في المسند: ٢٧٧/٦، وابن راهويه في مسنده ٧٢٥ وأبو داود ٣٩٣١. ورواه الحاكم في المستدرك: ٢٦/٤، وسكت عنه الذهبي في التلخيص وهو في صفوة الصفوة: ٣٦/٢، والسيرة الحلبية: ٥٩٠/٢، والطبقات: ٩٣/٨، وشرح المواهب: ٤٢٠/٤، وأبو يعلى في مسنده: ٤٩٦٣، وابن حبان ٤٠٥٤. وفي أسد الغابة: ٥٦/٧، وابن هشام: ٢٩٤/٢، والطبري في تاريخه: ٦١٠/٢، قال في الموسوعة: ٤٣ /٣٨٥، إسناده حسن.

(*) قلت والذي في صحيح البخاري منه قوله: حتى إذا كنا بالصهباء - وهي أدنى من خيبر - صلى العصر، ثم دعا.

(٢) انظر الطبقات: ٩٣/٨.

(٣) رواه أحمد في المسند: ١٣٨/٣ - ١٣٩ بأطول من هذا، والحاكم في المستدرك: ٢٨/٤ واللفظ له وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وفي مسنده أبي يعلى، والطبراني في الكبير: ٢٦٨/٤، قال مجمع الزوائد ٩/ ١٥٥، رواه أحمد وأبو يعلى، والبزار، والطبري ورجاله رجال الصحيح. قلت: =

وهي تسبّح، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريباً من نصف النّهار، فقال: أما زلت قاعدة، قلت نعم. قال: ألا أعلمك كلمات لو عدِلْنَ بهنَ عَدَلتهُنّ، أو وُزِنَّ بهِنَّ وزنتهُنَّ - يعني جميع ما سبحت - سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحانه الله زنة عرشه ثلاث مرات، سبحانه الله رضا نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات[١].

فهل عُرف في تاريخ الدنيا أعظم بركة من هذا الزواج؟ ولن تعرف؟ وهل عرف في تاريخ الدنيا أعظم وأكرم من هذه الصنيعة النبوية؟! ولن يعرف؟! أوليس ذلك آية من آيات نبوته ﷺ[٢] عن أنس: فلمّا فتح الله خيبر. فاصطفى النبي ﷺ صفية لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء، فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال: ادع من حولك، فكانت تلك وليمتُه على صفية[٣]. ولما أدخلت صفية على النبي ﷺ: اعتذر إليها وقال: لم يزل أبوك من أشدِّ اليهود عدواة حتى قتله الله تعالى، فقالت يا رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٤]. فقال لها رسول الله ﷺ اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقتُ بك قبل أن تدعوني وما لي في اليهودية أربٌ وما لي في فيها والدٌ ولا أخٌ، وخيرتني بين الكفر والإسلام فالله ورسوله أحبُّ إليَّ من العتق وأن أرجع إلى قومي، قال: فأمسكها

=

رجال إسناده كلهم ثقات لكن أبا قلابه أرسل الحديث فأسقط اسم الصحابي فهو مرسل.

(*) وقال الحاكم في المستدرك: ٢٣/٤ «توفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية رضي الله عنه» اهـ قال الذهبي وهذه رواية الواقدي.

وفي روائع البيان: ٣٢٥/٢ «فكان زواج رسول الله ﷺ من جويرية زواجاً مباركاً عليها وعلى أبيها وعشيرتها فأعتق الجميع وأسلموا ببركة هذا الزواج» اهـ باختصار وتصرف.

وقال الحاكم في المستدرك: ٢٧/٤ «توفيت جويرية رضي الله عنها زوج النبي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين من إمارة معاوية رضي الله عنه وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة» اهـ وكذا في الطبقات: ٨/ ٩٥، وصفة الصفوة: ٢/ ٢٩، والإصابة: ٢٦٥/١.

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٧٢٦، وأحمد في المسند: ٣٢٤/٦.

(٢) انظر روائع البيان: ٣٢٥/٢.

(٣) انظر صحيح البخاري رقم ٤٢١١ وأبو داود ٢٩٩٧.

(٤) الإسراء آية "١٥".

رسول الله ﷺ لنفسه[١].

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ومعه صفية أنزلها إحدى حجراته، فسمع بجمالها نساءُ الانصار، فجئن ينظرن إليها، وكان عائشة رضي الله عنها متنقبة حتى دخلت، فعرفها، فلما خرجت، خرج، فقال: كيف رأيت يا عائشة؟ قالت: رأيتُ يهودية، قال: لا تقولي هذا فقد أسلمت[٢].

لقد كان من الحكمة المؤثرة أن يتزوج رسول الله ﷺ صفية، ليتضح كم هو الإسلام لا يضع من نسبٍ ولا حسب بل يرفع الأقدار، ولتتضح الصورة الحقيقية لرحمة الإسلام وإنسانيته فها هي ابنة سيد اليهود الأسيرة، لا تقتل، ولا يُغتصب شرفها بل تصبح سيدة كريمة في بيت النبوة، وتحظى بشرف الحصول على لقب أم المؤمنين. فمن خلْفِ كل زواج نبوي حكمة وعِبْرة، وليس كما يتصور أصحاب الأهواء، والقلوب المريضة[٣].

ولقد كان رسول الله ﷺ يجلّ صفية، حتى إنه ليخرج من معتكفه تكرمةً لها فتحدثه ويحدثها[٤].

وهكذا وصل ﷺ بهذا الصنيع العريق في المكارم رحماً وصهراً إلى بني إسرائيل عامة، وإلى أخواله الأنبياء منهم خاصة.

المطلب الحادي عشر:

في زواجه ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «تزوج ميمونة بنت الحارث، وهو محرمٌ»[٥].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات: ٩٧/٨، وفيه إبراهيم بن علي بن جعفر، قال في التقريب: ٦٥/١، صدوق والحديث مرسل: وانظر القصة في صفوة الصفوة: ٣٦/٢، والسيرة الحلبية: ٧٤٩/٢، والشامية: ٢١٥/١.

(٢) انظر ابن سعد في الطبقات: ١٠٠/٨، قلت: وعلى ارسال الحديث فإن فيه الواقدي وهو ضعيف.

(٣) انظر سيرة آل البيت ٣٩٥.

(٤) انظر صحيح مسلم في ٢١٧٥، والترمذي ١١٧٢ وأحمد في المسند.

(٥) رواه أحمد في المسند: ٢٤٥/١، وابن حميد ٥٨٤، وابن حبان ٤١٢٩ وهذا لفظه والنسائي في الكبرى: ١٩١/٥ وفي الطبقات: ١٣٥/٨، قال في الموسوعة: ٧٩/٤ إسناده صحيح.

قلت: والمقصود بالزواج هنا العقد وليس الدخول، دليله حديث ابن عباس الآخر: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال»[١]... [*]... ولا يخفى ما في زواجه ﷺ بها من البر وحسن الصلة وإكرام عشيرتها الذين أزروا رسول الله ﷺ وناصروه.

المطلب الثاني عشر:

في سراري[٢] النبي ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أهديت مارية إلى رسول الله ﷺ ومعها ابن عم

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه البخاري في الجامع الصحيح: ٤٢٥٨، ومسلم ١٤١٠ /٤٧.

(*) قال ابن عبد البر في التمهيد: ١٥٢/٣ «والرواية أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال متواترة عن ميمونة، وعن أبي رافع مولى النبي ﷺ، وعن سليمان بن يسار، وعن يزيد الأصم، وهو قول سعيد بن المسيِّب وجمهور علماء المدينة كذلك. وما أعلم أحداً روى خلاف ذلك إلا ابن عباس» اهـ التمهيد: ١٥٢/٣ قال ابن حجر في فتح الباري: ١٦٦/٩ «وهذا وهم من ابن عبد البر، وقد روى ذلك غير ابن عباس، عائشة، وأبو هريرة، وحديث عائشة أعلى بالإرسال، وحديث أبي هريرة ضعيف الإسناد، وإذا وقع التعارض فلا بّد من الجمع. وهو أن تحمل رواية ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة على أن النبي ﷺ لم يباشر عقد النكاح بنفسه وإنما بعث العباس عمه ﷺ فأجرى عنه عقد الزواج» اهـ باختصار.

وأما عقد النكاح للمحرم بالحاج أو العمرة ففي كتاب الفقة الإسلامي وأدلته: ٢٤٢/٣ - ٢٤٣: «إن عقد النكاح للمحرم لا يصح عند الجمهور، فلا يتزوج المحرم ولو بوكيل غير محرم فإن فعل فالزواج باطل، أما الخطبة أي خطبة النساء فيكره، وأجاز الحنفية عقد الزواج والخطبة للمحرم» باختصار وتصرف.

وكذا في حاشية الشنواني: ص ٣٥١.

وفي المفصل: ٤٧٢/١١ «وقد تكون الحكمة من هذا الزواج تشعب قرابتها في بني هاشم وبني مخزوم» اهـ.

وفي السيرة: ٢٦٨/٢ «وهي أخت أم الفضل زوج العباس عم النبي ﷺ، وكانت قبله تحت أبي رهم بن عبدالعزّى فمات، فجعلت أمرها للعباس، فتزوجها النبي ﷺ في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع بسرف، المكان المعروف قرب مكة» اهـ باختصار.

قال ابن سعد في الطبقات: ١١١/٨ «توفيت ميمونة بسرف في الظلة التي بنى فيها رسول الله ﷺ سنة إحدى وخمسين» وفيه الواقدي، وهو ضعيف، وذكره الحاكم في المستدرك: ٣٣/٤ وصححه الذهبي.

(٢) في اللسان: «تسرى: أي تكلف السرور وتسرّى الجارية أيضاً من السُّريَّة، وأصله تسرّر من السرور فأبدلوا إحدى الراءات ياءً كما قالوا، ومن حديث أم زرع نكحتُ بعده سرياً» اهـ مادة سرا.

لها، قالت: فوقع عليها وقعة فاستمرت حاملاً، قالت: فعزلها عن ابن عمّها، قالت: فقال أهل الإفك والزور من حاجته إلى الولد ادّعى ولد غيره، وكانت أمه قليلة اللبن فابتاعت له ضائنة[١] لبون، فكان يغذى بلبنها فحسن عليه لحمه، قالت عائشة رضي الله عنها فدخل به عليَّ النبي ﷺ ذات يوم فقال: كيف ترين فقلتُ: من غذي بلحم الضأن يحسن لحمه، قال ولا الشبه، قالت: فحملني ما يحمل النساء، من الغيرة أن قلت: ما أرى شبهاً، وبلغ رسول الله ﷺ ما يقول الناس، فقال لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته، قالت: فانطلق فإذا هو في حائطٍ على نخلة يخترف رطباً، فلما نظر إلى علي وفي يده السيف استقبلته رعدة[٢]، قال: فسقطت الخرقة فإذا هو لم يخلق الله عز وجل له ما للرجل شيء ممسوح[٣]...[*]...

(١) في اللسان: «والضأن، أصله ضأن، والضأن: جمع الضائن ويجمع الضئين والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن وهي الشاة من الغنم» اهـ مادة ضأن.

(٢) في النهاية: «تُرْعَدَ فرائصهما، أي ترتجف وتضرب من الخوف» اهـ مادة رعد.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣٩/٤، «وسكت عنه الذهبي فيه يحيى بن سعيد الأموي، قال في التقريب: ٣٠٣/٢، صدوق يُغرِب» أي يأتي بالأحاديث الغريبة.

(*) رواه مسلم في صحيحه: ٢٣١٦، وأحمد في المسند: ١١٢/٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/ ٢٦٣، وفي الشعب: ١١٠١١ وابن سعد في الطبقات: ١٣٦/١ و١٣٩، وابن أبي الدنيا في العيال ١٧٧، وأبو يعلى في المسند: ٤١٩٥ - ٤١٩٦ - وابن حبان ٦٩٥٠، والبخاري في الأدب المفرد: ٣٧٩، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٦٥، والطيالسي: ٢١١٥. قلت: الجمع بين الروايتين يحمل على التعدد في أنه - أي إبراهيم - كان يرضع من لبن شاة، ثم استرضع له في عوالي المدينة.

قال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري ١١٥/٦ «فيه مشروعية تقبيل الولد وشمه، ومشروعية استئجار المرضع للولد وعيادة الصغير، ورحمة العيال» اهـ باختصار.

وزاد النووي في شرحه: ١٥ /٧٦ «والعوالي هي القري التي بجانب المدينة، توفي إبراهيم وله سبعة عشر شهراً» اهـ باختصار. وكذا في التكملة: ٣١١/٤ - ٣١٢.

وفي الفتح: ٢٠٨/٣ «وجزم الواقدي بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، واتفقوا على أنه ولد في ذي الحجة سنة ثمانٍ للهجرة النبوية» اهـ باختصار وتصرف، وبعض ما ذكر في فيض القدير: ٢٠٢/٥.

وقال الحاكم في المستدرك: ٤٠/٤ «وتوفيت مارية سنة سبع عشرة للهجرة وصلى الله عليها عمر» وكذا في شرح المواهب: ٤٦١/٤، وفي الطبقات: ١٧٤/٨)».

- قلت: وفيه موسى بن محمد، قال في التقريب: ٢٢٨/٢، مقبول من الحادية عشرة ومن كانت هذه صفته فحديثه ضعيف.

=

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة، فكان ﷺ ينطلق فيأتيه، فيدخل البيت فيأخذه فيُقبله.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة وأعجب بها رسول الله ﷺ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان فكانت جارتنا، فكان رسول الله ﷺ عامة الليل والنهار عندها حتى نزعنا لها فجزعت فحولها إلى العالية فكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشد علينا... ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه[١].

قلت: وهذه لمحة موجزة عن أزواج النبي ﷺ الطاهرات، اللواتي أكرمهنّ الله تعالى بصحبة نبية ﷺ وجعلهنّ أمهات للمؤمنين، وكان لهذا الزواج حكم كثيرة، وراعى فيها النبي ﷺ مصلحة الدين، وقصد تأليف القلوب، فجذب إليه كبار القبائل وكرام العشائر، وجميعهن أرامل ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها والتي كان زواجه منها كما سبق بوحي من الله تعالى، وظهر لنا فيما سبق الدليل الساطع على نُبلِ الرسول ﷺ وشهامته، وسمو غرضه، وجميل إحسانه، خلافاً لما يقوله الأفاكون الدساسون؟ لكنه الحقد الأسود الذي ملأ قلوب أولئك المستشرقين وأذنابهم من المستغربين، فأعماهم عن رؤية ضياء الحق الساطع، وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٢].

ولك أن تقف متأملاً وبإنصاف: في شأن امرأة، هي أم المؤمنين صفية رضي الله

=

قلت: والذي ذكره الحاكم في المستدرك: ٤٢/٤ بسنده، قال أبو عبيدة معمرة بن المثنى «وهن أربع مارية. وريحانة، وجميلة، وجارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش» - المستدرك: ٤٢/٢، وسكت عنه الذهبي قلت: وهو مقطوع لكونه ذكر اسم التابعي معمر بن المثنى، ولم يذكر اسم الصحابي ولا رفعه.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: ١٧٠/٨.

(٢) الآية (١٨) سورة الأنبياء.

وقال في شرح المواهب: ٤٦٣/٤ «والجارية التي أهدتها زينب بنت جحش هي نفيسة، وذلك لما رضي عنها النبي ﷺ بعدما هجرها بسبب صفية بنت حيي فلما دخل عليها النبي ﷺ قالت لا أدري ما أجزيك به، فهتُه نفيسة» اهـ.

عنها والتي كان أبوها من ألد أعداء النبي ﷺ فقتل، وقتل أيضاً زوجها، وأخرج جميع قومها من اليهود من المدينة ثم بعد ذلك لما سبيت وأتي بها أسيرة: فيخيرها رسول الله ﷺ بين اللحاق بأهلها في خيبر، وبين أن تسلم فيتخذها زوجة؟ وأمام هذا المشهد تُرى لم اختارت صفية أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ، وأن تكون مسلمة بدل أن تلحق بقومها، ليس في ذلك إلا: لما رأته أولاً صدق النبوة والرسالة في رسول الله ﷺ والتي أقر بها معشر اليهود وسمعتها صفية، ولكنهم جحدوا بعد ذلك حسداً وبغياً وهي تسمع وترى كل ذلك، أضف إليه: وأيضاً: لما رأته من جلالة وقدر النبي ﷺ وعظمته ورحمته وحسن معاملته؟

وما موقف جويرية كما سبق إلا دليل على ذلك أيضاً مما ذكر.

ولك أن تقول بأنه ما خير أحدٌ من الناس بين صحبة النبي الأكرم ﷺ وبين أقرب الناس إليه إلا اختار رسول الله ﷺ ابتداءً بزيد بن حارثة، وانتهاءً بريحانه القرظية[1]، وما بين الاثنين شواهد[2].

ومن حكم تعدد زوجاته ﷺ نقل محاسنه ﷺ الباطنة[3].

وأضف إلى كُل ما ذكر من حكم زواجه ﷺ وتعدد ذلك أن يُخرجَ النبي ﷺ بضعة من المعلمات اللواتي ينقلن إلى الأمة سلوك النبي ﷺ وأخلاقه وأحواله في بيته ومع نسائه وأصهاره وسائر أحواله؟ وخير دليل على ذلك بأن عائشة خصوصاً أصبحت بعد وفاة رسول الله ﷺ ملاذاً للكثير من الصحابة أو التابعين يسألونها عن أحوال رسول الله ﷺ في بيته ومع نسائه، وكذلك سائر أمهات المؤمنين[4].

المبحث الثاني:

في عدله ﷺ بين نسائه رضي الله عنهنّ

إن من الثابت عند جماهير أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين أنّ العدل بين

---

(١) وفي سيرة ابن هشام: ٢/٢٤٥، (وكان رسول الله ﷺ اصطفى ريحانة بنت عمرو القرظية فكانت عنده حتى توفي عنها وهي مما ملكه، وكان عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في مِلْكِكَ، فهو أَحقُّ عليَّ وعليك) باختصار.

(٢) كما في شرح المواهب: ٤/٢٦٢.

(٣) شرح المواهب: ٦/٣٨٣، وزاد مسلم: ٥/٩٦.

(٤) انظر التكملة: ١/١/٧٦ - ٧٧. بتصرف وزيادة.

نسائه ﷺ لم يكن واجباً عليه، غير أنه ﷺ كان يحرص أشدّ الحرص على أن يعدل بينهنّ والدليل على أنّ العدل غير واجب عليه ﷺ بين نسائه بقوله تعالى ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾[(١)(٢)].

ومع ذلك فقد كان ﷺ يلتزم العدل بين نسائه، وذلك تطييباً لخاطرهنّ، وصوناً لهُنّ عن الغيرة التي ربّما أدت بهنّ إلى قول أو فعل ما لا ينبغي فعله وهن أزواج خير خلق الله تعالى، والمثل الأعلى لكل امرأة مؤمنة»[(٣)].

وإنما أباح الله تعالى لنبيه ﷺ الزواج بهذا العدد ليزداد في نفوس العرب إجلالاً وفخامة، فإنهم كانوا يتفاخرون بالقدرة على النكاح، وأيضاً لأنه ﷺ لما تمتع به من كمال القوة واعتدال المزاج بالمنزلة التي شهدت بكماله الآثار، ومن كان كذلك كانت دواعي هذا الباب أغلب عليه[(٤)].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، «ثم يقول: اللهُم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمْني فيما تملك ولا أملِك»[(٥)]... [(*)]...

---

(١) الآية ٥١ - سورة الأحزاب.

(٢) انظر ذلك في الجامع للقرطبي: ١٣٨/١٤، والبحر المحيط: ٢٣٩/٧، وزاد المسير: ٤١٧/٦، وفي أحكام القرآن لابن العربي: ٣٦٨/٣ وفتح الباري: ٣٨٥/٨، وعمدة القارئ، ٢٤٠/١٣، وإرشاد الساري: ٥١٥/١٠.

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي: ٦٠٦/٣، والجامع للقرطبي: ١٣٩/١٤.

(٤) انظر التكملة: ٧٦/١.

(٥) رواه أحمد في المسند: ١٤٤/٦، واللفظ له، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٨٦/٤، والنسائي في المجتبى: ٦٣/٧، وفي الكبرى ١١٩١، وابن حبان: ٤٢٠٥، وأبو داود: ٢١٣٤، والترمذي في سننه: ١١٤٠، والحاكم: ١٨٧/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وعبدالرزاق في التفسير: ٢/ ١٢٠، وفي الطبقات: ٢٣١/٢، وشواهده عند البخاري: ٢٥٩٣، و٢٦٨٨، وعن عائشة أيضا عند مسلم: ١٤٦٣، وابن حبان: ٤٢١١، والشافعي في مسنده: ٢٨/٢، وكلها من حديث عائشة رضي الله عنه.

(*) قال في التكملة: ٨١/١، بعد ما ساق قول الجمهور بعدم وجوب القسمة عليه ﷺ قال: «وقد اتفقت كلمة أصحاب السير وأهل الحديث على أنه ﷺ لم يعمل بهذه الرخصة في ترك العدل =

وكان ﷺ يحرص على العدل بين نسائه حتى في حالة المرض وليس أدل عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه في أن يمرّض في بيتي، فأذنّ له..[١].

وفعله هذا ﷺ إنما هو إذا كان في المدينة، فإذا ما خرج منها لسفر أو جهاد فمن الصعب عليه ﷺ أن يصطحب جميع نسائه، وحتى يقطع ﷺ الغيرة عند أزواجه كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه..[٢]...[*]...

=

بين نسائه، وإنما أخذ ﷺ نفسه بالعزيمة فكان يعدل في كل شي» التكملة: ٨١/١، بتصرف.

قال في عون المعبود: ١٢١/٦، قوله «فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني ميل القلب إلى عائشة رضي الله عنها ذلك بأن القلوب بيد الله تعالى، والحديث أن دليل ذلك غير داخل في قدرة العبد وإرادته، بل هو من الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٣) سورة الأنفال».

وكذا قاله السندي في الحاشية: ٧٥/٧.

وقال الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في تفسيره: ١٢١١٥/١٩، وما بعدها «إذن فقرّةُ عين زوجات النبي ﷺ، حين يُقرّب إليه من يُقرّب، أو يؤخر من يؤخر، لأن تلك المشيئة نابعة من أمر الله تعالى بذلك، والله تعالى لا يريد رضا القوالب، وإنما رضا القلب بتنفيذ أوامر الله تعالى دون أن يكون في النفوس دخائل أو اعتراض ولذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ (٥١) سورة الأحزاب».

«القسم» وليس أدل عليه من حديث مرضه الذي مات فيه ﷺ، - وهو في صحيح البخاري رقم: ٥٢١٧.

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٩٩) وأحمد في المسند: ١١٧/٦، واللفظ له.

(٢) الحديث رواه البخاري مختصراً ومطولاً ٢٨٧٩ ومسلم ٢٧٧٠ وغيرهما وهو جزء من حديث قصة الإفك.

(*) قال في الفتح: ٢٢١/٩ «مفهومه اختصاص القرعة في حالة السفر وليس على عمومه، بل لتعيين القرعة من يسافر بها» اهـ.

وقال: القرطبي في المفهم: ٣٢٩/٦، بعد ما أورد مسألة القرعة لغير النبي ﷺ وأن فيها خلاف قال: «وينبغي أن يختلف ذلك باختلاف أحوال النساء، وتختص مشروعيتها بما إذا اتفقت أحوالهُنّ لئلا تخرج واحدة معه فيكون ترجيحاً بغير مرجح» اهـ بعضه في فيض القدير ١١٦، وكذا أورد الخلاف في المسألة النووي في شرح صحيح مسلم: ١٠٣/١٧. ورأى الجمهور بالجواز والحنفية لا يقولون بها.

وزاد النووي «فإن فعله ﷺ ذلك من كرم أخلاقه وحسن عشرته وليس واجباً عليه» اهـ أوضح

=

=

في التكملة: ٣٣/٦، «وظاهر كلام النووي رحمه الله تعالى في أنّ الحنفية لا يقولون بالقرعة، قال: والصحيح من مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه لا يعتبر القرعة حجة في إثبات الحقوق والإلزام ولكنه يُجيز القرعة في تعيين أحد المباحات المحتملة كما في القسمة، فيجوز عنده أن يقع تعيين الليالي بين الزوجات بالقرعة، وكذلك السّفر خارج القسمة، فيجوز للزوج أن يأخذ معه من شاء من أزواجه، دون إلزامه بالقرعة، ولكن الأولى أن يكون ذلك بالقرعة لتطييب قلوبهنّ» اهـ.

رجح في حاشية الشنواني: ص: ٢٣٢، وكذا في فيض القدير: ١١٦/٥، الوجوب في القرعة في حالة السفر في حق الأمة لا في حق الرسول ﷺ لأنّ القسمة غير واجبة عليه كما مرَّ، وإنما كان ﷺ يقرع بين نسائه تطييباً لخاطر أزواجه ونفوسهن.

قلت: إذا كان رسول الله ﷺ الذي أذن الله له في أن لا يعدل بالقسمة بين أزواجه والذي غفر الله له تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان حريصاً كل الحرص على ذلك في كل أحواله؟

فالكثير اليوم ممن ابتلي بالزواج بأكثر من امرأة. لا يعرف شيئاً اسمه العدل إلا من رحم ربك؟ وقد نص الفقهاء قاطبة وبإجماع على وجوب العدل بين النساء في حق الأمة.

انظر ذلك في الفتاوى الخيرية ص ٣٥.

والفقه الحنفي في ثوبه الجديد: ١٤٢/٢، والفقه على المذاهب الأربعة: ٢٣٨/٤ وغيرها من مراجع الفقه.

وعدّ ابن حجر الهيتمي في الزواجر: ٥٩٨/٢ ترك العدل بين الزوجات من الكبائر فارجع اليه والله يتولى هدايتك فكم فيها من الأحاديث المرهبة.

وكذا فعل المنذري في الترغيب والترهيب ٦٠/٣ وما بعدها.

أقتصر على ذكر حديث واحد فقط، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقية ساقطاً» - الحديث: رواه أحمد في المسند: ٢٩٥/٢، والطيالسي ٢٤٥٤، والدارمي في سننه ٢٢٠٦، والحاكم ١٨٦/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه وأبو داود ٢١٣٣، والترمذي، ١١٤١، والنسائي في الكبرى: ٦٣/٧.

ويحسن هنا كلمة عن حكمة تعدد الزوجات فهذه المسألة كما يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في الظلال: ٥٧٨/١ وما بعدها «هذه الرخصة مع هذا التحفظ والذي هو اشتراط العدل يحسن بيان الحكمة في زمان جعل الكثير من الناس ممن تأثروا بالثقافات الغربية يتعالمون فيه على ربهم الذي خلقهُم ويدعون لأنفسهم بصراً بحياة الإنسان وفطرته ومصلحته فوق بصر خالقهم سبحانه وتعالى؛ ويقولون في هذا الأمر وذاك بالهوى والشهوة، بالجهالة والعمى كأنّ ملابسات وضرورات حدث اليوم يدركونها ولم تكن في حساب الله تعالى يوم شرع للناس هذه الشرائع!!! وهي دعوة فيها من الجهالة والعمى، بقدر ما فيها من التبجّح وسوء الأدب، بقدر ما فيها من الكفر والضلالة! ولكنها تقال، ولا نجد من يرد الجهال العمى المتبجحين المتوقحين، وهم

=

=

يتبجحونَ على الله وشريعته، ويتطاولون على الله جل جلاله، يتوقحون على الله ومنهجه، آمنين سالمين غانمين مأجورين من الجهات التي يُهمها أن تكيد لهذا الدين!

ولكن لماذا أباح الله تعالى هذه الرخصة؟

إن الإسلام نظام للإنسان، نظام واقعي إيجابي، يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه، ويتوافق مع واقعه وضروراتِهِ ويتوافق مع ملابسات الحياة المتغيّرة في شتى البقاع والأزمان والأحوال.

إنه نظام واقعي إيجابي، يلتقط الإنسان من واقعه الذي هو فيه، ومن موقفه الذي هو عليه، ليرتفع به في المرتقى الصاعد إلى القمة السامية، من غير إنكار لفطرته أو تنكر، وفي غير إغفال لواقعه أو إهمال، وفي غير عنف في دفعه أو اعتساف!

إنه نظام لا يقوم على الحذلقة الجوفاء، ولا التظرف المائع، ولا المثالية الفارغة، ولا الأمنيات الحالمة، والتي تصطدم بفطرة الإنسان وواقعه وملابسات حياتِه، ثم تتبخر في الهواء! وهو نظام يراعي خلق الإنسان، ونظافة المجتمع، فلا يسمح بواقعٍ مادي، من شأنه انحلال الأخلاق، وتلويث المجتمعات، بل يتوخى دائماً أن يُنشئ واقعاً يُساعدُ على صيانة الخلق، ونظافة المجتمع، مع أيسر جهد يبذله الفرد والمجتمع فإذا اصطحبنا معنا هذه الخصائص الأساسية في النظام الإسلامي، ونحن ننظر إلى مسألة تعدد الزوجات فماذا نرى؟

نرى. أولاً: أنّ هناك حالات واقعية في مجتمعات كثيرة. تاريخية وحاضرة تزيد فيها عدد النساء الصالحات للزواج، على عدد الرجال الصالحين للزواج. والحد الأعلى لهذا الاختلال الذي يعتري بعض المجّتمعات لم يُعرف تاريخيًا أنّه تجاوز نسبة أربع إلى واحد، وهو يدور دائماً في حدودها.

فكيف يعالج هذا الواقع الذي يقع ويتكرر وقوعه، بنسب مختلفة، هذا الواقع لا يُجدي فيه الإنكار؟

تعالجه بهذا الكتفين؟ أو نتركه يُعالج نفسه؟ حسب الظروف، والمصادفات؟

إن هز الكتفين لا يحل مشكلة، كما أن ترك المجتمع يعالج هذا الواقع حسبما اتفق لا يقول به إنسان جادٌ، يحترم نفسه، ويحترم الجنس البشري! ولا بُد إذا من نظام، ولا بد إذا من إجراء.

وعندئذٍ نجد أنفسنا أمام احتمالات ثلاث:

١ - أن يتزوج كل رجل صالح للزواج من امرأة صالحة للزواج ثم تبقى واحدة أو أكثر حسب درجة الاختلال والواقع بدون زواج تقضي حياتها لا تعرف الرجال!

٢ - أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة من الصالحات للزواج زواجاً شرعياً نظيفاً، ثم يخادن أو يسافِحُ واحدة أو اكثر من هؤلاء اللاتي لهن مقابل في المجتمع من الرجال، فيعرفن الرجل خدينا أو خليلاً في الحرام والظلام! وهذا هو شأن الغربيين.

٣ - أن يتزوج الرجال الصالحون كلهم أو بعضهم أكثر من واحدةٍ، وأن تعرف المرأة الأخرى الرجل، زوجة شريفة في وضح النّهار والنور لا خدينة ولا خليلة في الحرام والظلام!

الاحتمال الأول ضد الفطرة، وضد الطاقة، بالقياس إلى المرأة التي لا تعرف حياتها الرجال، ولا

=

=

يدفع هذه الحقيقة ما يتشدق به المتشدقون من استغناء المرأة بالعمل والكسب، فالمسألة أعمق بكثير مما يظنّه هؤلاء السطحيّون المتحذلقون المتطرفون الجهّال عن فطرة الإنسان، وألف عمل وكسب لا تغني المرأة عن حاجتها الفطرية إلى الحياة الطبيعية، سواء في ذلك مطالب الجسد الغريزية، ومطالب الروح والعقل، من السكن، والأنس بالعشير. والرجل يجد العمل ويجد الكسب، ولكن هذا لا يكفيه، فيروح يسعى للحصول على العشيرة، والمرأة كالرجل في هذا فهما من نفسٍ واحدة!

والاحتمال الثاني ضد اتجاه الإسلام النظيف، والاحتمال الثالث هو الذي يختاره الإسلام وضدّ قاعدة المجتمع الإسلامي العفيف، وضد كرامة المرأة الإنسانية والذين لا يحفلون أن تشيع الفاحشة في المجتمع، وهم أنفسهم الذين يتعاملون على ربهم، ويتطاولون على شريعته لأنهم لا يجدون من يردعهم عن هذا التطاول، بل يجدون من الكائدين لهذا الدين كل تشجيع وتقدير يختاره رخصة مقيدة لمواجهة الواقع الذي لا ينفع فيه هز الكتفين، ولا تنفع الحذلقة والادعاء» اهـ والاحتمال الثالث هو الذي يختاره الإسلام الأول قاعدة المجتمع الإسلامي العفيف، ويحفظ كرامة المرأة الإنسانية والذين لا يحفلون أن تشيع الفاحشة في المجتمع، وهم أنفسهم الذين يتعالمون على ربهم ويتطاولون على شريعته لأنهم لا يجدون من يردعهم عن هذا التطاول، بل يجدون من الكائدين لهذا الدين كل تشجيع وتقدير يختاره رخصة مقيدة لمواجهة الواقع الذي لا ينفع فيه هز الكتفين، ولا تنفع الحذلقة والإدعاء. اهـ

ولقد أجاد وأفاد شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله بعد ذلك بكلام نفيس يستحق أن يرجع إليه كل غيور على الإسلام وشريعته.

وفي كتاب محاضرات في الثقافة الإسلامية ص ١١٥ «قد اختارت ألمانيا بعد الحرب العالمية نظام تعدد الزوجات بعد ما قتل كثير من جنودها ورجالها وكثرت النساء فيها فلم تجد بداً من الأخذ بالحل الإسلامي، رغبة في حماية المرأة الألمانية من احتراف البغاء، وما يتولد عنه من أضرار فادحة، وفي مقدمتها كثرة اللقطاء، وتقول أستاذة في الجامعة الألمانية «إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة التعدد. إني أفضل أن أكون زوجة مع عشر نسوة لرجل ناجح على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه، إن هذا ليس رأيي وحدي بل هو رأى كل نساء ألمانيا بإباحة تعدد الزوجات حلا لمشكلة تكاثر النساء وقلة الرجال بعد الحرب العالمية الثانية» اهـ.

ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في تفسره: ٢٠١١/٤، «والعدل المراد في التعدد هو القسمة بالسوية في المكان، والزمان، والمتاع، وفيما يخص الرجل من متاع نفسه أيضاً، فليس له أن يجعل لنفسه شيئاً له قيمة عند واحدة، ونفس الشيء عند الأخرى لا قيمة له كثياب النوم، بأن تكون ثياب النوم للزوج عند واحدة أغلى منها ثمناً، وعند الأخرى أقل جودة وثمناً، فقد كان بعض الأوائل يساوي حتى النعال التي يلبسها في بيوته فيأتي بها من لون واحد وشكل واحد وصنف واحد. فكل مسلم على ثغرة من ثغرات دين الله تعالى فعليه أن يصون أقواله وأفعاله

=

مطلب: في جماعه ﷺ لنسائه

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يؤمئذٍ تسع نسوة، قلنا لأنس: أكان رسول الله ﷺ يُطيقُ ذلك: قال أنس: كنّا نتحدث أن النبي ﷺ أعطي قوة ثلاثين رجل»[١]... [*]...

وقد كانت العرب تتباهى بقوة الجماع، كما كانوا يمدحون بقلة الطعام والاكتفاء بالقليل منه، فكان من كرامة النبي ﷺ على ربّه أن جعل فيه الخصال التي يمدحها الناس، فكان يطوي الأيام لا يأكل شيئاً... ومع ذلك يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من ليل أو نهار وهن إحدى عشرة امرأة يعني مع السراري[٢].

والحكمة في طوافه ﷺ في الليلة الواحدة أو الساعة الواحدة، وكأنه ﷺ أراد عدم تشوفهُنّ للأزواج إذ الإحصان له معان.. منها العفة، والذي يظهر أيضاً أنه أراد العدل بينهُنّ في ذلك[٣].

=

وحركاتِهِ وسكناتِهِ من أيّ انحراف أو شطط. فإنك إذا ما تصرفت تصرفاً لا يليق فأنت فتحتَ ثغرة لخصوم الله تعالى، لينالوا من دين الله فسُدّ كل ثغرةٍ من الثغرات» اهـ باختصار.

قلت: ويا ليت الأمة المسلمة تدرك ذاك، إذاً على شريعة الله من انتقاد أعداء الله، ولأرضينا ربنا سبحانه وتعالى، ولو كان ذلك كذلك، إذا لانتصرنا على أعدائنا في الدنيا، ولأدخلنا ربنا جنان الفردوس في الآخرة.

قال في الحظر والإباحة ص ٥٨ «ولو خاف الرجل أن لايعدل بين النساء، فيحرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة» اهـ.

قال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري: ٢٧٥/٧. «ويكره أن تكون في حالة الوطء - في البيت بهيمة أو حيوان، وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا فعل ذلك أخرج كل من عنده في البيت حتى الصبي في المهد» اهـ.

(١) سبق تخريجة في مبحث غسل النبي ﷺ.

(*) وكذا في شرح المواهب: ٣٨٩/٦، وبعض ما ذكر في زاد المسلم: ٩٤/٥ - ٩٥، والسيرة الشامية: ٧٥/٩.

وبعض ما ذكر في جواهر البحار: ٨/١.

وكذا في اشرف الوسائل ص: ٥٠٨.

(٢) انظر إرشاد الساري: ٥٠٤/١١.

(٣) انظر الفتح: ٢٧٧/٩.

وإنما سهل عليه ذلك لأن حجر أزواجه ﷺ كانت متقاربة ومتلاصقة(١).

وكان من هديه ﷺ وآدابه في الجماع أنه لم ينظر إلى فرج واحدة من نسائه ولا هي نظرت إليه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت «ما نظرتُ إلى فرج النبي ﷺ قطُّ، وما رأيت فرج النبي ﷺ قط»(٢).

المبحث الثالث:

في حسن عشرته ﷺ لنسائه رضي الله عنهنّ

«من تأمل حاله ﷺ، رأى كاملاً من الخلق يُعْطي كلَّ ذي حقٍّ حقّه، فتارةً يمزح، وتارة يضحك، ويداعب الأطفال، ويحسن معاشرة النساء...» اهـ(٣).

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان خلقُ رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: «كان أحسن الناس خلُقاً، لم يكُنْ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً(٤) في الأسواق،

---

(١) انظر الفتح: ١/٤٦٦.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٦/٦٣، وابن سعد في الطبقات: ١/٣٨٣ والترمذي في الشمائل ٣٥٢، والخطيب في تاريخ بغداد: ٤/٤٤٧، والطبراني في الصغير: ١٣٨، والحلية: ٨/٢٤٧، وقال: في أشرف الوسائل: ص٥٢١ «وهذا من كمال حيائه ﷺ وعظمته» اهـ.

وقال في السيرة الحلبية: ١/٢٣١ «إن ذلك من خصائصه ﷺ وأنه لو رآها احد لطمست عيناه» اهـ.

قال في سبيل السلام: ٣/١٤١ «فإن قال قائل بما أنه لا يجوز الحديث عما يقع بين الرجل وامرأته، فكيف جاز ذكر ذلك عن رسول الله ﷺ، قلنا: وأما مجرد ذكر الجماع، فإذا لم يكُن لحاجة فذكره مكروه خلاف المروءة، فإن دعت الحاجة إليه، أو ترتبت عليه فائدة فلا كراهة في ذلك كحكاية ذلك عن رسول الله ﷺ مع أزواجه فإن فيه فائد تعلم آداب الجماع» اهـ.

قلت: فإذا كان هذا هو شان النبي ﷺ في جماعه، فالمسلم مطالب بالتستر،

ذهب الشوكاني في نيل الأوطار: ٦/١٩٥ إلى حرمة التجرد للجماع.

لكن الصحيح في هذه المسألة الجواز والأولى عدم فعل ذلك والتستر أفضل في الحاشية: ٥/ ٢٣٤.

ثم قال: والأولى عدم النظر فيما بين الزوجين حال الجماع لأنه يورث النسيان ويُضعف البصر.

وكذلك أفاده الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في فتاويه ص ١٧٩، وقال وأنسب للإنسان الاحتشام.

(٣) صيد الخاطر ص ٢٣٥.

(٤) في النهاية: والسّخب والصّخَب: بمعنى واحد: وهو الصيّاح» اهـ مادة سخب.

ولا يجزي السيئة بمثلها، ولكن يعفو ويصفح»[١].... [*]...

قوله أحسن الناس خُلُقاً بالضم، لحيازته جميع المحاسن والمكارم وتكاملها فيه، ولما اجتمع فيه ﷺ من خصال الكمال، وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حدّ ولا يحيطُ به عد، أثنى الله عليه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ فوصفه بالعظمة وزاده في المدح بلفظ، على المشعرة باستعلائِه على معالي الأخلاق واستيلائِهِ عليها فلم يصل إليها مخلوق، وكمال الخُلق إنما ينشأ عن كمال العقل لأنّه الذي تقتبسُ به الفضائل وتجتنب الرذائل[٢].

وقد برأ الله تعالى نبيه من كل فحش وجعله رحيماً رقيقاً، لطيفاً، سمحاً، متواضعاً، طلقاً براً وصولاً، محبوباً، لا تقتحمه عين، ولا تمجُهُ نفس، ولا يصدر عنه شيء يكره[٣].

المطلب الأول:

في حاله ﷺ إذا خلا في بيته مع نسائه

سئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته: قالت: «كان ألين النّاس، بساماً ضحاكاً، لم ير قطّ ماداً رجليه بين أصحابه»[٤].. وكان ﷺ أفكه

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٣٦/٦، وهذا لفظه، وابن سعد في الطبقات: ٣٦٥/١، وابن أبي شيبة في المصنف: ٨/ ٥١٨، وابن حبان في صحيحه ٦٤٤٣، وابن شبة في تاريخ المدينة: ٢/ ٢٣٧، وابن أبي الدنيا في الصمت: ٣١٨، والطيالسي في مسنده: ١٥٢٠ والترمذي في السنن: ٢٠١٦، وقال حديث حسن صحيح والطبراني في مكارم الأخلاق: ٥٨ والبيهقي في الدلائل: ١/ ٣١٥، وفي الشعب ٨٢٩٧، وفي السنن: ٤٥/٧، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي: ٨٢٩، والحاكم: ٦١٤/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٧٨/١٥ «وأصل الفحش الزيادة والخروج عن الحد، وقال الطبري: الفاحش البذيء، وقال ابن عرفة: الفواحش عند العرب القبائح، وقال الهروي: الفاحش ذو الفحش والمتفحش، الذي يتكلف الفحش ويتعمده لفساد حاله» اهـ.

وكذا في التكملة: ٣١٤/٤، والفتح: ٤٦٧/٩.

(٢) انظر فيض القدير: ٨٦/٥.

(٣) انظر المفهم: ١١٦/٦.

(٤) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق: ٥٦، وابن أبي الدنيا في مداراة الناس رقم ١٥٣.

قال في فيض القدير: ١٥٣/٥، وفيه حارثة بن أبي الرحال ضعيف.

الناس..»[١].. [*]..

المطلب الثاني:
فيما يفعله ﷺ في بيته لأهله

سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يصنعُ في أهلهِ؟ قالت: كان في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة»[٢]..... [*]....

وخير ما يفسر هذه الخدمة قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيتِه؟ قالت: «يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل: ٣٣١/١، والطبراني في الأوسط: ٦٥٤٣، في فيض القدير: ٢١٨/٥، وابن السني: ٤١٣. فيه ابن لهيعة وهو ضعيف.
قلت: فليتق الله جبابرة الرجال في بيوتهم ولهم في رسول الله ﷺ قدوة ومثلاً أعلى.

(*) قال في منتهى السول: ٥٠٨/٢ «أي كثير التبسُّم، وهو تفسير لضحّاك، ولذا يُستحبُّ للزوج فعل ذلك مع زوجته، اقتداء به ﷺ، أنه كان يلاطفهُنّ، ويتنزّل معهُنَّ» اهـ.
وقال في فيض القدير: ٢١٨/٥ «ولا ينافيه خبر أنه كان لا يضحك إلا تبسماً، لأن التبسم كان أغلب أحواله ﷺ» اهـ.
وفي شرح المواهب: ٤٤/٦ «وقوله بساماً أي كثير التبسم، ضحاكاً، بمعنى ضاحكاً زيادة على التبسم قليلاً في بعض الأحيان» اهـ.

(٢) رواه البخاري في الصحيح ٦٧٦ وهذا لفظه، وأحمد في المسند: ٤٩/٦ وغيرهما.

(*) قال العيني في عمدة القاري: ٢٩٢/٥. «قولها: كان يكون: فائدة تكرير الكون، الاستمرار في ذلك وبيان أنه ﷺ كان يداوم عليه. وفي مهنة أهله. أي في خدمة أهله. والمهنة: هي الحذْقُ في الخدمة والعمل» اهـ باختصار وتصرف.
وقال في إرشاد السادري: ٣١٩/٢ «وفيه دليل على تواضعه ﷺ، وما ينبغي أن يكون على الرجل مع أهله، وعليه ترجم البخاري: باب كيف يكون الرجل مع أهله» اهـ.
وكذا في الفتح: ١٩١/٢.
وقال في حاشية الشنواني ص ٣٦٣ «وذلك ليقتدي به الرجال مع أزواجهم، في التواضع وامتهان النفس، وكان أكثر عمله ﷺ الخياطة ويخصف النعل، ويرقع القميص، ويلبس الصوف» اهـ
وكذا في فيض القدير: ٢٥٧/٥، إلا أنه زاد «لأنه ﷺ مشرف بالوحي والنبوة، ومكرم بالمعجزات والرسالة. وأن ذلك الفعل هو من دأب الصالحين» اهـ باختصار.
وفي أشرف الوسائل ص ٥٠٨ «أي سريع العطف، جميل الصفح، خلقُه الحسن يتعادل في كل شيء حتى إنه لا يصدر عنه شيء مؤذٍ بغير حق» اهـ.

بيوتهم»[١].

المطلب الثالث:

في انبساطه ﷺ مع أهله

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنتُ ألعب باللعب وفي رواية: بالنبات، فيأتيني صواحبي فيلعبن معي، فإذا دخل رسول الله ﷺ فَرِن منه، فيأخذهُن رسول الله ﷺ فيُرُدُّهُنّ إليّ»[٢].. [*]..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قدم النبي ﷺ من غزة تبوك أو خيبر فكشفتُ ناحيةً عن بنات لعائشة ولعب ورأى بين اللعب فرسٌ له جناحان، فقال: فرسٌ له

---

(١) رواه أحمد في المسند: ١٠٦/٦ و١٢١ وهذا لفظه، والبخاري في الأدب المفرد ٥٤٠، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ: ٦٢، وأبو يعلى في مسنده: ٤٨٧٦، قال في الموسوعة: ٣٩٠/٤١، حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، واللفظ له ٦١٣٠، وفي الأدب المفرد: ٣٦٨، ومسلم ٢٤٤٠.

(*) قال في عون المعبود: ١٩١/١٣ «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللّعَب، من أجل لعب البنات، وخص ذلك من عموم النهي، وهذا رأي الجمهور، وإنهم إنما أجازوا ذلك من أجل تدريب البنات على أمر بيوتهنّ وأولادهنّ» اهـ باختصار.

وكذا في المفهم: ٣٢٣/٦.

وزاد النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٠٤/١٥، «وما روي من كراهته عن مالك مَحمولُ على كراهة الاكتساب بها وتنزيه ذوي المرواءات عن تولي بيع ذلك. وقال طائفة إن ذلك ممنوع» اهـ باختصار. وكذا في فتح الباري: ١٠ /٥٤٣.

وإليه مال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: ٣١٥/٩.

وزاد في عمدة القاري: ٤١٢/٢٢ «وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور»

وكذا في التكمة: ٧٨/٥، تعليقاً على لفظ مسلم «يسر بهنّ إلى: بمعنى الإرسال، وهذا من لطفه ﷺ وحسن عشرته» وفي حاشية ابن عابدين: ٢٩٧/٤، «أن أبا يوسف رحمه الله تعالى أجاز بيع اللعبة وأن يلعب بها الصبيان، ثم قال وهذا لا يعني أن أبا يوسف خالف الإمام، لاحتمال أن يكون في المسألة قولٌ عنه» اهـ باختصار.

في روائع البيان: ٤١٣/٢، «ويستثنى من النهي لعب البنات، لحديث عائشة رضي الله عنها في ذلك» اهـ.

وزاد في المفصل: ١٠٣/٤، «حتى ولو كانت هذه اللعب مجسمة» اهـ.

وقال في الحاشية على سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٥١ بعد ذكر الحديث إسناده صحيح.

قلت: ودل الحديث على ما دل عليه سابقاً - وانظر فوائد هذا الحديث مجتمعة في كتاب مواقف ضحك فيها النبي ﷺ ص ٣٨ - ٣٩.

جناحان: قالت: أو ما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة: فضحك النبي ﷺ حتى رأيت نواجذه»[١].

المطلب الرابع:
في حسن معاشرته ﷺ
لأزواجه رضي الله عنهنّ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «والله لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يقوم على باب حُجرتي، والحبشة يلعبون بالحراب، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين أذنه وعاتقه، يفعل ذلك من أجلي، فيقول: حسبك، فقلت يا رسول الله لا تعجل عليَّ، فقال.... لي، ثم قال حسبك، فقلتُ يا رسول الله لا تعجل عليَّ، فقام لي، ثم قال: حسبك، فقلت: لا تعجل عليَّ، قالت، وما لي حُبِّ النّظر إليهم، ولكنني أحبَبتُ أن يبلغ النساء مقامه لي، ومكانه مني»[٢].... [*]...

---

(١) رواه وأبو داود في سننه ٤٩٣٢، والبيهقي في الآداب: ص: ٤١٩، وهذا لفظه.
قلت: وفيما سبق تنبيه للرجال أن لا يكونوا مع أهليهم من جبابرة الرجال، فالرجل إذا كان فيه خير فأول هذا الخير ينبغي أن يظهر في أهله، ذلك لأن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم وألطفهم بأهله» - رواه أحمد في المسند ٢/٢٥٠: ٦/ ٤٧، وابن حبان في صحيحه: ٤٧٩، والحاكم: ٣/١، ووافقه الذهبي على تصحيحه، والآجري في كتاب الشريعة: ١١٥، وابن حبان أيضاً في موارد الظمآن: ١٣١١.
(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحة: ٥١٩٠ و٥٢٣٦.
(*) قال في فتح الباري: ٥١٠/٢، «مراد البخاري من هذا الباب على أن العيد يُغتفر فيه ما لا يُغتفر في غيره والظاهر إن لعب الحبشة كان بعد رجوعه ﷺ من المصلى. وهذا وإن سمّاه لعب لكن الأصل فيه أنه تدريب على الحرب وهو من الجد فيه شيءٌ من اللعب» وكذا في حاشية الشنواني ص ٢٧٢.
وفيه أيضاً: ٦٥٤/١. «قال ابن التين وأما اللعب بالحراب في المسجد وما شابهه فمنسوخ بالقرآن والسنة، وتُعُقّب بعدم جود النسخ وأن المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فما كان من الأعمال يجمع فيه منفعة الدين وأهله جاز فيه. وفيه جواز النظر إلى اللهو المباح، وفيه حسن خلقه ﷺ مع أهله، وحسن عشرته، وكرم معاشرته، وفضل عائشة رضي الله عنها ومكانتها عنده» اهـ باختصار. وكذا في شرح النووي: ٦/ ١٨٤، وعمدة القاري: ٣٥٣/٦، وبعض ما ذكر في زاد المسلم: ١٩٧/١ - ١٩٨. وذهب العيني في عمدة القاري: ٣٥٢/٦ «وحكي عن مالك أن ذلك كان - أي اللعب - خارج المسجد» اهـ.
وفي المعجم الوسيط: ٦٧/٢، «قال ملا علي القاري في المسجد أي رحبة المسجد المتصلة به =

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تضربان بدفين تغنيان بغناء بُعاث[1]، فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه، وقال: أمزمارة الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، فقال ﷺ «دعهُنّ، فإنّ لكُلِّ قوم عيداً، فلما غفل غَمزتهُما فخرجتا»[2]... [*]...

=

وليس داخل المسجد وكانت تنظر إليهم من باب الحجرة، وذلك من داخل المسجد، وإنما قالت في المسجد لاتصال الرحبة به، أو دخولها المسجد لتضايقه بالمصلين، وهو إنما سمح به لأنه عدة الحرب مع أعداء الله فصار عبادة بالقصد كالرمي» وكذا في التكملة: ٤/ ٣٨٢.

وفي شرح ابن بطال على صحيح البخاري: ٦٢٤/٢ «وفي الحديث إباحة النظر إلى اللهو، إذا كان فيه تدريبُ الجوار على تقليب السلاح. وفيه ما كان عليه ﷺ من حسن الخلق والمعاشرة الحسنة لأهله وما ينبغي للمرء أن يتمثلهُ مع أهله من إيثاره مسارَّهم فيما لا حرج عليه فيه» اهـ باختصار.

وفي إرشاد الساري: ٥٧/٢ زاد «فإن قيل نظر المرأة إلى وجه الأجنبي حرام باتفاق، فكيف أقرُّ النبي ﷺ عائشة على رؤيتها للحبشة؟ أجيب: بأنّها كانت تنظر إلى لعبهم وحرابهم لا إلى وجوههم وأبدانهم» اهـ. وفي شرح المواهب: ٦/، ٥٧ «ولعله ﷺ أراها لعب الحبشة لتضبطه، وتَعْلَمُهُ فتنقله بعد للناس» اهـ.

قلت: وقول القسطلاني في إرشاد الساري أن نظرة المرأة إلى وجه الرجل الأجنبي حرام بالاتفاق؟ نعم هذا إذا كان النظر بشهوة، اما النظر بغير شهوة، فجائز كما أفاده في الهدية العلائية ص ٢٨٠.

وكذا في الدرر المباحة: ص ٥٢.

وقد يكون في جواب القسطلاني بعض التكليف: إذ لا يمكن ولا يخطر ببال أحد أن عائشة رضي الله عنها التي رأت جمال رسول الله ﷺ الخَلقي والخُلقي أن تنظر إلى غيره؟

فكيف إذا كان الامر أمر حبشة؟

وقال القرطبي: في المفهم: ٥٣٦/٢ «وفيه دليل على جواز نظر النساء إلى الأجانب من الرجال في مثل هذه الحال التي قد أمنت فيها المفسدة والفتن، وإنما أنكر عمر تمسكاً منه بالصورة الظاهرة» اهـ.

(١) قال ابن إسحاق في السيرة: ٥٥٥/١: «وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر للأوس على الخزرج».

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه: ٩٨٧، ٣٥٢٩، ٢٥٣٠.

وشاهده في ضرب الدف عن الربيع بنت معوذ بن عفرار عند أحمد في المسند: ٣٦٠/٣، وفي الموسوعة: ٥٧٤/٤٤ إسناده صحيح.

=

=

والطبري في الكبير: ٦٩٥/٢٤.

وعن أنس عند ابن ماجه في السنن: ١٨٩٩.

(*) قال ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح البار ي: ٥١١/٢ «في الحديث عدم إنكاره ﷺ دليل على جواز مثل ذلك على الوجه الذي أقره، إذ إنه ﷺ لا يُقر على باطل، والأصل التنزه عن اللعب واللهو، فيقتصر على ما ورد فيه النص وقتاً وكيفية تقليلاً، لمخالفة الأصل، وفيه من الفوائد: مشروعية التوسع على العيال بأنواع ما يحصل به انبساط النفس وترويح البدن من كلفة العبادة، وإن الإعراض عن ذلك أولى، وفيه إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين، وجواز دخول الرجل على ابنته وهي عند زوجها إذا كان له بذلك عادة، وتأديب الأب بحضرة الزوج إن تركه الزوج، إذ التأديب وظيفة الآباء، والعطف مشروع من الأزواج للنساء، وفيه الرفق بالمرأة واستجلاب مودتها، وفيه أن مواضع وبيوت أهل الصلاح والتقى ينبغي أن تُنزّه عن اللهو واللعب واللغو وإن لم يكن فيه إثم إلا بإذنهم، وفيه أن التلميذ إذا رأى عند شيخه ما يستكره مثله بادر إلى إنكاره، ولا يكون في ذلك افتئات على شيخه، بل هو أدبُ منه ورعاية لحرمة وإجلال منصبه، وفيه أن التلميذ يُفتي بحضرة شيخه بما يعرف من طريقته، ويحتمل أن يكون أبو بكر ظن أن النبي ﷺ نام فخشي أن يستيقظ فيغضب على ابنته فبادر إلى سد هذه الذريعة» اهـ.

وفي المفهم للقرطبي: ٥٣٣/٢، كلام قريبُ من ذلك.

وقال ابن بطال في شرحه للبخاري: ٦٢٨/٢، «وفي إعراضه ﷺ والتفافه بثوبه لكون مقامه الرفيع يقتضي أن يبتعد عن الإصغاء. لمثل هذا اللهو. وهو إنما مشروع للعوام من نساء وأطفال للراحات وبسط النفوس» اهـ باختصار.

وقريب مما ذكر في الفتح، موجود في إرشاد الساي: ٦٤٠/٢.

وزاد: «والذي أنكره أبو بكر هو كثرة التنغيم وإخراج الإنشاد عن وجهه إلى معنى التطريب بالألحان ألا ترى أنه لم ينكر الإنشاد إنما أنكر مشابهة المزامير» اهـ باختصار.

وفي شرح صحيح مسلم: ١٨٣/٦، كلام قريب مما في فتح الباري.

وفي حاشية الشنواني ص: ٢٧١ شيء مما ذكر.

وكذا في زاد المسلم: ١٨٩/١ و١٩٠.

وقال القرطبي في المفهم: ٥٣٤/٢، «في الغناء الذي يحرك النفوس والشهوات كشعر فيه ذكر أوصاف النساء أو الخمر، أو ما شابه مما حرمه الله تعالى فهذا لا خلاف في تحريمه بين أهل العلم، وهو مذموم محرم بالاتفاق، وأما ما يسلم من تلك الأوصاف، والمحرمات فيجوز القليل منه في العيد، والعرس، وعند التنشيط على الأعمال الشاقة دليله حديث الجاريتين، وإنشاد الصحابة يوم الخندق، وحدو الحبشة وسلمه بن الأكوع» اهـ كلام القرطبي باختصار وتصرف.

ثم قال القرطبي في ص: ٥٣٥، من المصدر السابق: «وهذا إذا كان الغناء بغير آلة أما إذا كان بآلة فيُمنع» اهـ.

=

ومن حسن معاشرته ﷺ لأزواجه ما حدثت به عائشة رضي الله عنها، قالت: كنت أشربُ من الإناء، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاهُ على موضع فيَّ، وأتعرق العرق، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ[1].... [*]...

=

وقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري: ٦٢٨/٢، «وما كان من الإرشاد ورفع الصوت حتى لا يخفى معنى البيت، وما أراده الشاعر بشعره فغير منهي عنه، وقد روى أن عمر رضي الله عنه رَخَص في غناء الأعراب وهو صوتٌ كالحداء. وما سوى ذلك فحرام» اهـ باختصار.

ولقد ناقش صاحب كتاب المفصل: ٦/٤ وما بعد حكم الغناء اليوم على الإذاعات والتلفاز والحفلات فخرج بنتيجة أنه حرام فليراجع.

وفي المفهم أيضاً: ٥٣٦/٥، «وينبغي أن يُستثنى من الآلات الدف لكونه ذكر في هذا الحديث وفي حديث العرس» اهـ.

وقال العتبي في عمدة القاري: ٢١٢/٢٠، «اتفق العلماء على جواز اللهو في وليمة النكاح كضرب الدف وشبهه، وخص ذلك ليظهر النكاح وينتشر خبره، فتثبت حقوقه وحرمته، وسئل مالك: عن البوق فقال: إن كان كبيراً فإني أكرهه، وإن كان خفيفاً فلا بأس بذلك، وقيل في الطبل لا بأس به في الأعراس» اهـ باختصار.

وقال ابن بطال في شرحه: ٢٢٧/٧، «اتفق العلماء على جواز اللهو في وليمة النكاح مثل ضرب الدف وشبهه ما لم يكُن محرماً» اهـ.

قال العلامة الشعرواي رحمه الله تعالى في تفسيره: ١١٥٨٧/١٩ «وأما ما نراه اليوم وما نسمعه مما يسمونه غناء، وما يصاحبه من حركات ورقص وخلاعة وموسيقى صاخبة، فلا شكّ في حرمته، والقضيّة لا تحتاج منا إلى فلسفة حول حكم الغناء أو الموسيقى، فكل ما يُثير الغرائز، ويخرجك عن سمت الاعتدال والوقار، فهو باطلٌ وحرام، سواء كان نصا لا لحن، أو لحناً بلا نص، أو أداء مصحوباً بما لا دخل له بالغناء» اهـ باختصار.

(١) رواه أحمد في المسند: ٦٢/٦، واللفظ له: ١٢٧/٦، وزاد هنا: «وأنا حائض»، ومسلم رقم ٣٠٠، وابن خزيمة في صحيحه ١١٠، وابن راهويه ١٥٧٤، والنسائي في المجتبى: ١٤٨/١، والكبرى: ٢٧٢، و٢٧٣، وأبو القاسم البغوي في الجعديات: ٢٣٠٤، وأبو يعلى في مسنده: ٤٧٧١، والطيالسي: ١٥١٤ وأبو داود في السنن ٢٥٦.

(*) قال في عون المعبود: ٣٠٣/١ «قوله: أتعرق العظم يقال عرقت العظم وتعرقته وأعرقتُهُ إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك، أي آخذ ما على العظم من العظم بأسناني، وهذا الحديث نصّ صريح في جواز مؤاكلة الحائض وأن سؤرها وفضلتها طاهران، وهذا هو الصحيح المشهور» اهـ باختصار.

وكذا قاله النووي في شرحه ٢١١/٣، وفي شرح المواهب: ٥٦/٦.

وكذا في فتح الملهم: ٥٨/٣ وزاد: «وأما ما نسب إلى أبي يوسف رحمه الله تعالى من أنّ بدن الحائض نجس فهو غير صحيح» اهـ.

ومن حسن عشرته ﷺ أنه كان يضع رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها ويقرأ القرآن[(١)].

وعن ميمونة زوج النبي ﷺ أيضاً قالت: «وكان رسول الله ﷺ يدخل على إحدانا وهي حائض، فيضع رأسه في حجرها، فيقرأ القرآن، وهي حائض..»[(٢)]... [(*)]...

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢٩٧ وأحمد في المسند: ٩٦/٦، واللفظ له.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٣٣١/٦، والحميدي: ٣١٠ وابن أبي شيبة: ٢٠٢/١، والنسائي في الكبرى ٢٦٧، والمجتبى: ١٤٧/١ و١٩١٢، وأبو يعلى ٧٠٨١، والطبراني في الكبير ٢٣/٢٤.

(*) قال في فتح الملهم: ٥٨/٣ «في هذا الفعل إشارة إلى أن الحائض لا يجوز لها قراءة القرآن، لأن قراءتها لو كانت جائزة لما توهم امتناع القراءة في حجرها حتى احتيج إلى التنصيص على ذلك، وفيه جواز ملامسة الحائض، وأن ذاتها وثيابها على الطهارة ما لم يلحق شيئاً منها نجاسة، وهذا مبنيٌّ على منع القراءة في المواضع المستقذرة» اهـ.

وكذا في فتح الباري: ٢١١/٣، وزاد المسلم: ٢٠/٥.

وقال النووي في شرحه: ٢١١/٣، «فيه جواز قراءة القرآن مضطجعاً ومتكئاً على الحائض وبقرب موضع النجاسة» اهـ.

وقال في روائع البيان: ٣٠٢/١، «اتفق العلماء على أنّ المرأة الحائض يحرم عليها الصلاة والصيام، والطواف، ودخول المسجد، ومس المصحف، وقراءة القرآن، ولا يحل لزوجها أن يقربها حتى تطهر» اهـ.

وكذا في عمدة القاري: ٣٨٦/٣، وإرشاد الساري: ٥٣٦/١.

وابن بطال في شرح الصحيح البخاري: ٤٠٩/١ و٤٢٠.

والتهانوي في إعلاء السنن: ٣٧٧/١، «وما بعدها ساق الأدلة على ما يحرم على الحائض ثم قال: وهذا الحديث حجة على مالك في الحائض» اهـ.

قلت: والعجب ممّن تجرأ في هذا الزمن على الفتوى بإباحة قراءة القرآن للحائض وبإنّ إثمُ ذلك في رقبته؟

فالظاهر أنّ صاحب هذا القول لو فهم خطورة التقول على الله تعالى والجرأة عليه؟ ولو فهم معنى تعظيم القرآن؟

لما تفوّه بهذا الكلام!

وهل فقد الرجال حتى نضطّر إلى أن نرخص للمرأة الحائض تعليم القرآن؟ ولكن عندما ما يتصدر للفتوى من لم يُحسن القراءة في كتب الفقة؟ فليبكِ الباكون على الدين وأهله، وهذا عين ما حدّث به النبي ﷺ يقول: «ولا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله» - رواه أحمد في المسند: ٤٢٢/٥، والحاكم: ٥١٥/٤، ووافقه الذهبي على تصحيحه، والطبراني في الكبير ٣٩٩٩٣،

والله المستعان.

=

المبحث الرابع:
في ملاطفته ﷺ لأزواجه

لقد كان رسول الله ﷺ كريم العشرة مع زوجاته وسائر أهله، يلاطفُهنَّ، ويمازحهُنَّ ويعاملهُنَّ بالوُدِّ والإحسان، كان ليّن الجانب، سهل الخلق، حسن المعشر مع الأهل وسائر الناس، يعطيهم حظاً وافراً من الانبساط والملاطفة، وبعبارة مختصرة هو ﷺ المثل الأعظم والأكمل في الخلْق والخلقُ[1].

ومن ملاطفته ﷺ لأهله حديث عائشة في قصة النساء اللواتي جلسن يتحدثن عن أزواجهن وفيها أنه ﷺ قال لها:

«كنت لك كأبي زرع لأم زرع»[2].

=

وقال في زاد المسلم: ٣٢٧/١ و٣٢٨ «وفيه استحباب حسن المعاشرة للأهل، وجواز الإخبار عن الأمم الخالية، وأن ذلك ليس بغيبة لكونهم لا نعرف أعيانهم على التحديد أو أسماءهم، إنما الغيبة المحرمة أن يذكر إنسان بعينه، أو جماعة بأعيانهم، وفيه جواز اخبار الرجل زوجته وأهله بصورة حاله معهم وحسن صحبته إياهم وإحسانه إليهم وتذكرهم بذلك، وفيه أن تحديث النساء بهذا الحديث منفعة في الحض على الوفاء للزوج. وفيه أن ذكر مساوئ من ليس بمعروف عند المتكلم والسامع لا يسمى غيبة، ولا بتوهم ذلك لأن عائشة إنما ذكرت نساء مجهولات» اهـ باختصار.

(١) انظر كتاب سيدنا محمد ﷺ ص: ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه: ٥١٩٨ ومسلم ٢٤٤٨.

وكذا في المفهم: ٣٥٠/٦.

وفي شرح النووي: ٢٢١/١٥ - ٢٢٢ بعض ما ذكر وكذا في منتهى السول: ٥١٩/٢.

وزاد في التكملة ٩٠/٥ «وفيه ندب حسن معاشرة الأهل، وجعل السمر في خير كملاطفته زوجته، وإيناس ضيفه، والتحدث بملح الأخبار، وطرف الحكايات، تسلية للنفس، وجلاء للقلب» ٩ اهـ باختصار.

وانظر كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ ص ٢٠١ و٢٠٢.

وزاد في أشرف الوسائل ص ٣٦٣ «وفيه من تطييب نفس الزوجة وملاطفتها ما فيه. وكان هنا هي للدوام، أي أنا معك كذلك فيما مضى وفيما يأتي» وفيه بعض ما سبق ذكره. اهـ باختصار.

وزاد ابن حجر في الفتح: ١٨٥/٩ ١٨٦٠ «وفيه إعلام الزوجة بالمحبة لها ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة على ذلك من تجنيها عليه وإعراضها عنه» اهـ.

وزاد في عمدة القاري: ٢٠ / ٢٥٢ «وفيه مدح الزوجة زوجها بما فيه إذا علم أن ذلك غير مُفسدٍ

=

ومن ملاطفته ﷺ قوله: لعائشة: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى، قالت: فقلتُ: من أين تعلم ذاك؟ قال: إذا كنت عليَّ راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى، تقولين: لا وربِّ إبراهيم، قلتُ أجل، والله ما أهجرُ إلا اسمك»[1]... [*]...

=

له ولا مفتر لنفسه، والنبي ﷺ في هذا مظنة لكل مدْح وثناء؟ بل هو فوق مدح المادحين وثناء المثنين، وأنَّ من أثنى بما أثنى فهو فوق ذلك لكه» اهـ باختصار.

وزاد ابن بطال في شرح صحيح البخاري: ٧/٢٤٥ «وفيه الصبر على أخلاق النساء والصبيان في غير المحرم من اللهو، وإن كان الصابر كارهاً لما يحبه أهله، إذ إنه ﷺ ليس في وارد أن يسمع أمثال هذه الحكايات لولا ملاطفة وموانسة أهله» اهـ باختصار.

وزاد في إرشاد الساري: ١١/ ٤٧٦ «ولذا كره أولو الرأي والعقل تزوج امرأة كان لها زوج طلقها مخافة أن تميل نفسها إليه، إذ الحب للحبيب الأول، وهو يستر الإساءة» اهـ باختصار.

ولما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه فقال: عائشة.

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٥٢٢٨ و٦٠٧٨، ومسلم ٢٤٣٩.

(*) قال ابن حجر في الفتح: ٩/٢٣٧ «وفيه: يؤخذ من الحديث استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه، والحكم بما تقتضيه القرائن. والمراد أن عائشة رضي الله عنها كانت تترك التسمية اللفظية فقط، أما قلبها فمتعلق بذاته الكريمة الشريفة مودة ومحبة» اهـ باختصار.

وفي شرح النووي: ١٥/٢٠٣، «مغاضبة عائشة رضي الله عنها هي من الغيرة التي عُفي عنها للنساء في كثير من الأحكام، لعدم انفكاكهن منها، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة، إن المرأة إذا قذفت زوجها على جهة الغيرة يسقط عنها الحد. ودل الحديث على أن الغيرة في النساء لفرط المحبّة» اهـ باختصار وكذا بعض ما ذكر في المفهم للقرطبي: ٦/٣٢٢.

وزاد في التكملة: ٥/٧٧ «وأما غضبها على رسول الله ﷺ مع أنها كبيرة من الكبائر؟ ولكن هذا معفو عنه، لكون المراد بذلك، والذي يبعث عائشة رضي الله عنها عليه هو الدلال وشدة محبتها لرسول الله ﷺ وهي مغتفرة. ويكون المعنى:

إن حبك يا رسول الله مستقر في قلبي لا ينفكُّ عنه، حتى في حالة الغيرة والغضب، وغاية ما تحملني عليه الغيرة عليه أن أهجر اسمك، ثم إنها كانت تذكر اسم إبراهيم عليه السلام لكونه أقرب إلى رسول الله ﷺ في الخلق والخُلقُ» اهـ باختصار.

وزاد في إرشاد الساري: ١١/٥١٥ «وهذا الحصر في اسم إبراهيم عليه السلام غاية اللطف في الجواب؟ مع كونها في حالة يُسلبُ العاقلِ فيها اختياره. ومع ذلك فإن هذه الحالة: لم تغيرها عن كمال المحبة المستغرقة ظاهراً وباطناً ممزوجة بروح عائشة رضي الله عنها، وإنما عبرت بهجر اسمه ﷺ لتدل على أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه» اهـ باختصار.

قلت: ولقد كان هذا الحب متبادلاً بين الرسول ﷺ وبين السيدة عائشة رضي الله عنها[١].

وحتى إن النبي ﷺ طلب من ابنته الزهراء فاطمة رضي الله عنها أن تحب عائشة حين قال لها.... يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى: قال: فأحبي هذه - يعني عائشة[٢].

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تتفقد حبها عند رسول الله ﷺ فتسأله: يا رسول الله ﷺ كيف حبك لي ، فيقول: كعقدة الحبل، فكنت أقول: كيف حال العقدة يا رسول الله: فيقول: هي على حالها[٣].

لم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها، ولا أحب امرأة حبّها، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها،... ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة[٤].

وعن صفية رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا أبكي، فقال ما يبكيكِ يا صفية ابنة حيي، قلت: بلغني أن عائشة، وحفصة، تنالان مني، وتقولان: نحن خير منها، نحن بناتُ عم رسول الله ﷺ قال. أفلا قلت: كيف تكونان خيراً مني، وأبي

(١) انظر صحيح البخاري رقم: ٤٣٥٨، ومسلم: ٢٣٨٤.

(٢) انظر صحيح مسلم رقم ٢٤٤١.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء: ٤٤/٢، ورواه تمام في فوائده: ٩١١/٥ قال في لسان الميزان: ١/ ٥٧١ فيه أحمد بن يحيى وهو متروك، وقال في السيرة الشامية: ١٧٠/١١ قال الدارقطني هو من غرائب مالك قلت والحديث وإن كان ضعيف لكنه يوافق رواية ابن عمرو ابن العاص السابق عند البخاري ومسلم.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء: ١٤٠/٢.

قلت: فما قول: الذين يؤذون رسول الله ﷺ في حبيبته عائشة بالقذف، أو السب، أو إن أحسنّا الظن بهم ببغضها!!

والله تعالى قد توعد بالعذاب الأليم من قال من حق النبي ﷺ: أنه سماع لكل أحد كما في الآية في سورة التوبة رقم ٦١: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾، وبالذي قال لأتزوجن عائشة بعد رسول الله ﷺ وأن ذلك أذى له فقال: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (٥٣) سورة الأحزاب.

هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ»[1]... [*]... وفي رواية "أن النبي ﷺ قال لحفصة: اتق الله يا حفصة" دليل إنكاره ﷺ على حفصة، وأيضاً على عائشة رضي الله عنهما لكونهما أدخلتا الحزن على صفية رضي الله عنها، ثم إن وصية الرسول ﷺ لحفصة بتقوى الله عز وجل، دليل أن الذي فعلته حفصة وعائشة لا يجوز، بل إن المسلم مطالب بأن يكون مصدراً من مصادر إدخال السرور على أخيه[2].

ولقد كان من أثر هذه الملاطفة الحسنة لصفية وحسن معاشرته ﷺ لها، أثر كبير في نفسها، بدا ذلك واضحاً حينما مرض رسول ﷺ مرضه الذي توفي فيه قالت له: يا رسول الله ﷺ: «والله وددتُ أن الذي بك، بيّ، فغمزها أزواج النبي ﷺ، فأبصرهن رسول الله ﷺ. فقال: مَضْمِضنَ. قلن من أي شيء؟ قال: من تغامَزكُنّ بها، والله إنها لصادقة»[3]... [*]..

---

(1) رواه أحمد في المسند: ١٣٦/٣، والطبراني في الكبير: ١٨٦/٢٤ وهذا لفظه، ورواه عبد بن حميد في مسنده ١٢٤٨، والنسائي في الكبير: ٨٩١٩، وفي مسند أبي يعلى ٧٤٣٧، وابن حبان ٧٢١١، وأبو نعيم في الحلية ٥٢، وأخرجه الضياء في المختارة: ١٧٩٣، ٩٤ - ٩٦ - ٩٧، وأخرجه الترمذي بسندين أولهما رقم ٣٨٩٤، وقال حسن صحيح والثاني: ٣٨٩٥ ي قال: غريب، وقال في الموسوعة: ٣٨٤/١٩، إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(*) «قلت: زاد في رواية أحمد في المسند: - وانظر الترهيب والترغيب: ٣٣٩/٣ في فضل «إدخال السرور على المسلمين».

ومن ملاطفته ﷺ لصفية لما بدل جملها في رحله حجه ﷺ فأخذت تبكي فجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه فجعل يمسح دموعها بيده، وهي تبكي. ثم قال لزينب أفقري - أي أعطي - أختك جملاً، فقالت: أنا أفقر يهوديتك، فغضب النبي ﷺ من زينب من أجل هذه الكلمة في حقّ صفية ولم يكلمها حتى رجع إلى المدينة محرماً وصفر. الحديث انظر المسند: ٣٣٧/٦، والطبقات الكبرى: ٨ /١٢٦.

وفيه أيضاً ملاطفته ﷺ لصفية وتلقينها حجة الدفاع عن نفسها، وفي تذكيرها بأنها جمعت الانتساب إلى الأنبياء الثلاثة، دليل على فضل صفية؟ وإن ذلك بلا شك أذهب ما في نفسها وجعلها مطمئنة.

(2) انظر الترهيب والترغيب: ٣٣٩/٣ في فضل «إدخال السرور على المسلمين».

(3) رواه ابن سعد في الطبقات: ١٢٨/٨، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٣٥/٢، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الحديث رجاله ثقات إلا أن الحديث مرسل.

(*) قال الذهبي في السير ٢٣٥/٢ «وكانت صفية رضي الله عنها ذات حلم ووقار» اهـ

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٥٦/١٤ «وفيه. استحباب التحرز من التعرض لسوء الظن

=

قلت: امرأة كصفية رضي الله عنها تفقد أباها بسيوف المسلمين، ويُشردُ جماعتها؟ ثم هي بعد ذلك تحمل كل هذا الحب والتقدير للنبي ﷺ إن في ذلك دليل على أن حسن عشرته ﷺ وملاطفته، وأخلاقه العظيمة، وكريم شمائله هو الذي جعل صفية تصدق الحب والوفاء للرسول ﷺ..

ولقد كان النبي الكريم ﷺ يُجلُّ صفية، حتى إنّه ليخرج لها من تكرمته لها، فقد كانت تأتيه ليلاً في المعتكف معتكفة فتزوره فتحدثه ويحدثها، وهنا يمر رجلان من الأنصار فيُسرعا الخطا: فقال: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: إن الشيطان يجري من آدم مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً[(١)].

مطلب: في مزاحه ﷺ مع أزواجه

لقد كان رسول الله ﷺ من أطيب الناس نفساً، وأطلقهم وجهاً، وأحسنهم بشراً، وألينهم عريكة، وأحسنهم معشراً، مع أزواجه وسائر الناس[(٢)].

وكان ﷺ من أفكه الناس[(٣)] - أي معاشرة ومزاحاً - ولكنه ﷺ كان في ذلك لا

=

من الناس، وطلب السلامة الاعتذار بالأعذار الصحيحة» اهـ باختصار.

وقال القرطبي في المفهم: ٥/٥٠٥ «حمل القاضي عياض جريان الشيطان في الدم على حقيقته، والأكثر أن ذلك إخبار عن ملازمة الشيطان للإنسان واستيلائه عليه بالوسوسة، وإغوائه، وحرصه على إضلالِهِ وإفساد أحواله، فيجب الحذر منه، والتحرز من حيله، وسد طرق وسوسته، وإغوائه وإن بعدت» اهـ.

وزاد في التكملة: ١٦٢/٤ «كان النبي ﷺ في المسجد وبجانبه أزواجه، والذي يظهر اختصاص صفية بذلك لكون بيتها كان في دار أسامة بن زيد، فأمرها بالتأخر ليُشيّعها - وفيه زيارة المرأة زوجها في معتكفه، وخروج المعتكف لضرروة، وبيان شفقته على أمته من مكايد الشيطان» اهـ باختصار.

وكذا في الفتح: ١٢٨٨/٤، وبعضه في زاد المسلم: ٢٣٩/١.

(١) رواه البخاري في الادب المفرد ١٢٨٨ وأحمد في المسند ١٥٦/٣، ورواه مسلم في صحيحه رقم ٢١٧٥، وأبو داود ٤٧١٩.

(٢) منتهى السول: ٤١٦/٢.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق: ٥٦، وابن أبي الدنيا في مداراة الناس رقم ١٥٣، وهو في كنز العمال ١٨٣٢٧، قال في فيض القدير: ١٥٣/٥، وفيه حارثة بن أبي الرحال ضعيف.

يقول إلا الحق، فقد قال ﷺ «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقّاً»(١).... (*)...

ومن ذلك ما تخبر به عائشة رضي الله عنها تقول: «كنت مع النبي ﷺ في سفر وأنا جارية، فقال لأصحابه تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك فسبقته، فلبث حتى إذا رهقني اللحْمُ سابقني، فسبقني، فقال: هذه بتلك»(٢)... (*)...

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٣/٣٤٠، والترمذي في السنن ١٩٩٠ وقال حسن صحيح، والبيهقي في الآداب ٤٠٦، والطبراني في الصغير ٧٧٩، والبخاري في الأدب المفرد: ٢٦٥.

(*) قال في أشرف الوسائل ص ٣٢٧ «أعلم أن رسول الله ﷺ كان مع أهله وكذا مع أصحابه وغيرهم، ومع الغريب والقريب على غاية من سعة الصدر، ودوام البشر، وحسن الخلق. والمزاح بالحق مع الصغير والكبير أحياناً، ليّن الجانب حتى يظنّ كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه» اهـ باختصار.

في ص ٣٣١ «وكانهم حين قالوا له إنك لتمزح يا رسول الله، أو إنك لتداعبنا، أي وكأنهم استبعدوا ذلك منه ﷺ لجليل مكانه، وعظم مرتبته، فكأنهم سألوه عن حكمة ذلك فأجابهم بذلك. بل هي من توابعه وتتماته، إذا كانت بحق وجارية على القانون الشرعي، وبقصد تأليف قلوب الضعفاء، وإدخال السرور والرفق عليهم. وأما إذ قلت فإنه ﷺ قال: لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه» - رواه الترمذي في السنن ١٩٩٥، وقال حسن غريب وأبو نعيم في الحلية: ٣/٣٤٤.

«قلنا إنما المنهيّ عنه في الحديث الإفراط في ذلك والمداومة عليه لأنه يورث كثرة الضحك، وقسوة القلب، والإعراض عن ذكر الله تعالى، وعن التفكير في مهمات الدين، بل ربما يؤول كثرته إلى إيذاء ويورث حقداً، وربما تسقط المهابة والوقار، أما مزاحه ﷺ فهو سالم من جميع ذلك له، وإنما يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من المؤانسة، وهو بهذا القصد سنة، وما قيل: الأظهر أن ذلك مباح لا غير ونضيف، إذ الأصل في أفعاله ﷺ وجوباً أو ندباً التأسي به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه، فتعين الندب كما قو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين، هذا وقد ألقى الله تعالى على نبيه المهابة، ولم يؤثر فيها مزاحه، ولا مداعبته، ومن ثمّ لولا مزيدُ تألفه ومباسطته لهم لما قدر أحدٌ منهم أن يجتمع به هيبة وفرقاً منه سيما عقب ما كان يتجلى عليه من مواهب القرب، وعوائد الفضل» اهـ باختصار.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٦٣٩، واللفظ له، ٢٧٢، وابن حبان: ٤٦٩١.

(*) ما أعظم هذا الخُلق، وما أطيب هذا التعامل، وما أجمل ذلك الأدب، وما ألطف هذه الفكاهة.

«ذلكم هو النبي المصطفى الهادي المجتبى، والرسول الأعظم، صاحب الرسالة الخالدة، هادئ الأمة، حامل أعباء الدعوة؟ مع ذلك كله يجعل جزءاً من وقته لملاطفة نسائه بمثل هذه الحادثة الطريفة. يقيم مسابقة لا ليضيع الوقت، أو يقضي بها الفراغ؟ بل ليؤدي حقوق الزوجة على زوجها، فيعمق بذلك روابط المحبة، ويلبي رغبات نفوس أزواجه، ويراعي ميول الفطرة، ويعطي كل ذي حق حقه، ومسابقة كهذه؟ لا بد أن تكون مصحوبة بالملاطفة والممازحة في جوٍ هادئ، =

ومن صور الفكاهة والمزاح منه ﷺ في بيته، ما تحدثت به عائشة رضي الله عنها فتقول: «أتيتُ النبي ﷺ بحريرة[1] قد طحنتها، فقلتُ لسودة، والنبي ﷺ بيني وبينها كُلي فأبت، فقلتُ لتأكلين، أو لألطخنّ وجهك، فأبت، فوضعتُ يدي في الحريرة وطلبتُ وجهها، فضحك النبي ﷺ، فوضع بيده لسودة، وقال لها ألطخي وجهها كما لطخت وجهك، فضحك النبي ﷺ لها، فمرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا عبدالله، يا عبدالله - أي كأنه يناديه أن لا يدخل - وظنّ أنه سيدخل، فقال: قوما فاغسلا وجوهكما، قالت عائشة، فما زلتُ أهاب عمر، لهيبة رسول الله ﷺ له»[2].. [*]..

والظاهر أن أزواجه ﷺ كُنّ يُبادِرن النبي ﷺ هذا المزاح البريء، فقد روي أنّ سودة قالت لرسول الله ﷺ صليتُ خلفك البارحة فركعت بي، حتى أمسكتُ أنفي مخافة أن يقطر الدم. قال: فضحك ﷺ، وكانت تضحكه الأحيان بالشيء[3].

=

بعيداً عن أصحابه، ليرسم بذلك الأسوة الحسنة، والقدوة المثلى للبشرية كلها، أسس العلاقات الزوجية. وقد استنبط العلماء من هذا: مشروعية المسابقة عل الأقدام، والمصارعة اللتين لا تتنافيان مع الوقار والشرف والعلم والفضل» انظر الحلال والحرام ص ٢٧٤.

(١) حريرة: "الحسا من الدسم والدقيق، وقيل: هو الدقيق الذي يُطبخ بلبن" اهـ لسان العرب مادة حرر.

(٢) الحديث رواه النسائي في عشرة النساء رقم: ٣١، قال الهيتمي في مجمع الزوائد: ٣١٦/٤ رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمر بن علقمة وحديثه حسن.

(*) «دل الحديث على إفاضته جوّ من السرور والمزاح في بيته ﷺ، ورقة قلبه ﷺ، ولين الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق، ويتقبل تلك الدعابات بما يولج حبه في القلوب، ويؤانس أزواجه بما لا يتعارض مع الدين، كما دل الحديث على قوة العلاقة والروابط النفسية بين سودة وعائشة رضي الله عنهما، وهذا واضح جداً في هذا الموقف الوديع الطريف، الامر الذي يجب أن تجعله الضرائر في هذا الزمن نصب أعينهن إن أردْنَ عيشة سعيدة في هذه الدنيا ورضاً من الله تعالى في الآخرة.

كما دلّ الحديث على جواز المزح باليد إن كان خفيفاً ولا يقُلل من الهيبة والوقار، أو يلحق الضرر بأحد، ودل على أن المزاح ببعض أنواع الطعام جائز إن لم يكن فاحشاً ومهدرة لنعمة الله تعالى، وفيه كمال خلقه وسعة صدره وإعطائه كل ذي حق حقه» اهـ باختصار.

عن كتاب مواقف مزح فيها النبي ﷺ ص ٨١ - ٨٢.

«قلت الحديث فيه أبو معاوية الضرير في التقريب: ٧٠/٢ ثقة قد يَهم ورمي بالإرجاء. وبقية رجال ثقات: إلا أن الحديث مرسل عن إبراهيم النخعي» اهـ.

(٣) انظر الطبقات: ٤٤/٨.

المبحث الخامس:

في صبره ﷺ على إيذاء أزواجه له

من الثابت المسلَّم به، أن المرأة مهما كانت عالمة أو تقية، لا بُدّ أن تقع في الغيرة إذا ما كان لها ضرائر، وإذا وجدت الغيرة فلا بُدَّ أَن يصاحبها إدلال ومع الإدلال هفوات، وهذا ما كان يحصلُ أحياناً من نساء النبي ﷺ تجاهه فيصبر على ذلك مقدراً في ذلك ناحية الغيرة عندهنّ.

عن النعمان[١] بن بشير رضي الله عنه قال جاء أبو بكر رضي الله عنه جاء يستأذن على النبي ﷺ في بيتِهِ، فسمع صوت عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل فقال: يا ابنة أم رومان! وتناولها، أترفعين صوتك على رسول الله ﷺ قال: فحال النبي ﷺ بينه وبينها، قال: فلما خرج أبو بكر رضي الله عنه، جعل النبيّ ﷺ يقول لها يترضاها، ألا ترين أنّي قد حلتُ بين الرجل وبينك، قال: ثم جاء أبو بكر، فاستأذن عليه، فوجده يضاحكُها، قال: فأذن له الرسول، فدخل فقال له أبو بكر: يا رسول الله، أشركاني في سلمكما كما أشركْتُماني في حربكما»[٢]... [*]...

---

(١) هو النعمان بن بشير صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، ولد سنة اثنتين من الهجرة وسمع من النبي ﷺ توفي سنة أربع وستين. السير: ٤١١/٣، والطبقات ٥٣/٦، والجرح والتعديل: ٤٤٤/٨.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٢٧٢/٤ و٢٧٥٠، وهذا لفظه وأخرجه النسائي في الكبرى ٩١٥٥، وأخرجه أبو داود ٤٩٩٩، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٥٣٠٩ وابن قانع في معجم الصحابة: ١٤٤/٣.

(*) وفي رواية أبي داود: «فمكث أبو بكر أيام ثم جاء».

وقال في عون المعبود: ٢٣٤/١٣ «والظاهر أن يقال من أبيك، فعدل إلى الرجل أي من الرجل الكامل في الرجولية، حين غضب لله ولرسوله قاله الطيبي، ولعله أيضاً: قال ذلك، وإبعاده أبا بكر عن عائشة تطييباً وممازحة، وكل ذلك داخل في باب المزاح ولذا أورده المؤلف في هذا الباب» اهـ باختصار.

قلت: «رواه النسائي في عشرة النساء في باب رفع المرأة صوتها على زوجها» اهـ.

والنبي ﷺ هنا لم يصبر فقط؟ بل إنه تجاوز ذلك ليدافع عن عائشة ويرد عنها أبا بكر حين أراد تأديبها، وفيه صبر الرجل على زوجته في مثل هذه المواطن، وفيه تأديب الرجل ابنته المتزوجة في بيت زوجها ولو بغير إذنه. وفيه استجلاب خاطر المرأة بالكلمة الطيبة إذ المرأة في هذا المعنى كالطفل الصغير؟ ترضيها كلمة وتسخطها أخرى. وكذلك في الحديث الذي يروي حادثة الإفك. وحين قال لها أبو بكر قومي إليه واحمديه قال «لا والله لا أقوم إليه ولا أحمدُ إلا الله، =

... وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ وعنده نساءٌ من قريش يكلمنْه ويستكثِرْنَهُ، عالية أصواتُهنّ، فلما استأذن عمر، قُمْنَ يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كُنّ عندي، فلما سمعن صوتك، ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنت يا رسول الله ﷺ كنت أحق أن يَهَبْنَ، ثم قال عمر: أي عَدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهَبنَ رسول الله ﷺ؟ قُلنَ نعم، أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطانُ قطُّ سالكاً فجاً، إلا سلك فجّاً غير فجِّك يا عمر»[(1)]... [(*)]..

=

وقال وأخذ رسول الله ﷺ بيدي فانتزعتُ يدي منه، فنهرني أبو بكر» - الحديث رواه البخاري في صحيحه ٤٧٥٧ ومسلم ٢٧٧٠ وغيرهما.

وقال في الفتح: ٣٣٥/٨ «وإنما فعلت عائشة ذلك إدلالاً كما يدلّ الحبيب على حبيبة» اهـ.

وزاد النووي: ١١٢/١٧ «وعتباً لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها، وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة لهم ولا شبهة فيه» اهـ.

وفي التكملة: ٤٧/٦ «فيه من الفوائد ما لا يحصى منها على سبيل المثال: يستحبُّ ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها، وإدلال المرأة على زوجها لا ينافي تعظيمه» اهـ.

ولقد ذكر أكثر من عشرين فائدة فليُراجع.

أما القرطبي في المفهم: ٣٧٩/٧، فقال: «وأما حديث الإفك هذا فيه أحكامٌ كثيرة، لو تتبعتْ لطال الأمر، وأفضى إلى الملل، ومن تفقدها، من أهل الفطنة وجدها».

(١) رواه البخاري ٣٢٩٤ و٣٦٨٣، ومسلم ٢٣٩٦، وأحمد في المسند: ١٧١/١، وهذا لفظه.

(*) قال ابن حجر في الفتح: ٥٧/٧ «هن أزواجه، ويحتمل أن يكون معهنّ غيرهُن لكن قرينة «يستكثِرْنَهُ» يؤيد الاحتمال الأول، والمراد أنهُنّ يطلبن أكثر مما يعطين» اهـ

لكن العيني في عمدة القاري: ٢٧٠/١٦ قال «وثمة قرينة أن هؤلاء النسوة ليسوا نساء النبي ﷺ، وهي أنّ عمر رضي الله لم يكن يرى الخطاب لأزواج النبي ﷺ بقوله... أي عدوات أنفسهنّ في حضرة النبي ﷺ بل الظاهر أنهنّ غير أزواج النبي ﷺ جئن لأجل حوائجهنّ» اهـ.

وكذا قاله النووي في شرح صحيح مسلم: ١٦٥/١٥.

وكلام القرطبي في المفهم: ٥٧/٧، وكذا في التكملة: ٤٧/٥ إشكالاً، وهو قولهن «أنت أغلظ وأفظ» وهو أفعل التفضيل من الفظاظة والغلظة وهو يقتضي المشاركة، في أصل الفعل، وهو يعارضه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ فإن الآية تقتضي أنه ﷺ كان أبعد الناس عن الفظاظة والغلظة، والجواب أن الذي في الآية يقتضي نفي وجود ذلك الصفة لازمة له فلا يستلزم ما في الحديث من ذلك، بل مجرد وجود الصفة له في بعض الأحوال على الكفار

=

عن أنس رضي الله عنه قال فمر أبو بكر رضي الله عنه ببيت النبي ﷺ ونساؤه تتقاول فيما بينهُنّ وأصواتهنَّ مرتفعة، فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اخرج إلى الصلاة واحثُ في أفواهِنَّ التُراب، فخرج النبي ﷺ، فقالت عائشة الآن يقضي النبي ﷺ صلاته ويجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لعائشة قولاً شديداً، وقال أتصنعين هذا(١)... (*)...

= المنافقين كما في قوله تعالى «يا أيها النبي جاهد الكفار والمافقين واغلظ عليهم» التوبة آية ٧٣ والتحريم آية ٩.

ثم وجدت أن القاضي عياض رحمه الله تعالى نحا هذا المنحى في معنى الحديث ذكره ابن حجر في الفتح: ٥٧/٧.

وفي إرشاد الساري: ١٧٥/٨ «أنه ﷺ لم يكن يواجه أحداً بما يكره، إلا في حق من حقوق الله تعالى، وكان عمر رضي الله عنه مبالغاً في الزجر عن المكروهات مطلقاً وفي طلب المندوب» اهـ.

وقال القرطبي في المفهم: ٢٥٩/٩ «وفي ضحك النبي ﷺ رضاه بقول عمر رضي الله، ثم تجاوز ذلك ليبيّنَ فضليته ومسلكه، والظاهر: بقاء هذا اللفظ على ظاهره ويكون معناه، الشيطان يهاب عمر رضي الله عنه ويُحانبه، لما يعلم من هيبته، وقوته في الحق، فيفرُّ منه إذا لقيه، ويكون هذا مثل قوله ﷺ في الحديث الآخر «إن الشيطان ليفرق منك يا عمر». الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٥٣/٣ وفي الفضائل: ٤٨٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/١٣، والعراقي في تقريب الأسانيد ص ٧٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٢٩/١٢، وابن أبي عاصم في السنة ١٢٥١، وابن حبان ٦٨٩٢، والترمذي ٣٦٩٠ وقال حديث صحيح غريب وفي سنن أبي داود ٣٣١» اهـ.

وفي إكمال المعلم: ٤٠٢/٧ «ويحتمل أنه ﷺ ضرب مثلاً لبعد الشيطان وإغوائه منه، وأن عمر رضي الله عليه في جميع أموره سالك طريق السداد خلاف ما يأمر به الشيطان» اهـ.

قلت: يا هناء من سار في فجك يا عمر فأحبك واتبع سنتك بعد سنة رسول الله ﷺ؟

ويا ويل: من أبغضك أو سبك أو افترى عليك فلا شك أنه سلك فج الشيطان؟!

ويا ويح: من ادعى بقول أو فعل أنه أعلم منك، وأتبع للكتاب والسنة، وقد أخبرنا محمد بن سيرين فقال «إذا رأيت الرجل يخبرك أنه أعلم من عمر فاحذره» الحلية: ٣٢٠/٤.

(١) رواه مسلم في صحيحه رم ١٤٦٢.

(*) قال في التكملة: ٧٨/١ «قوله: - واحثُ في أفواههن التراب - لم يرد أبو بكر بذلك حقيقة، إنما هو مبالغة في تسكيتهنّ وزجرهُنّ عن إيذاء رسول الله ﷺ في رفع أصواتِهنّ عنده ﷺ» اهـ.

وقال القرطبي في المفهم: ٢٠٧/٤ «والتقاول من الصخب، وهو اختلاط الأصوات وارتفاعها بحضرة النبي ﷺ الأمر الذي يترتب عليه إيذاء النبي ﷺ. وقول أبي بكر! مبالغة في الردع والزجر لهُنّ عن رفع أصواتهن على صوت النبي ﷺ وترك احترامه، وسبب هذه الواقعة منهُنّ =

المبحث السادس:

في غيرة نسائه ﷺ وموقفه في ذلك

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن نساء رسول الله ﷺ كُنّ حزبين: فحزبٌ فيه عائشة، وحفصة، وصفية، وسودة، والحزبُ الآخر، أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حُبّ رسول الله ﷺ لعائشة، فإذا كان عند أحدهم هدية يُريدُ أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة، بعث صاحبُ الهدية هديته إلى رسول الله ﷺ(١).

فتكلم حزبُ أم سلمة، وقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يُكلم النّاس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليُهدها حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قُلْنَ، فلم يقل لها شيئاً، فسألنَها، فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلْنَ لها كلميه، قالت: فكلمتُهُ حين دار إليها أيضاً فلم يقُل لها شيئاً، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً فقُلنَ لها: كلميه حتى يكلّمَكِ، فدار إليها فكلمتْهُ فقال: لها: لا تؤذيني (*) في عائشة، فإن الوحي لم يأتني

=

الغيرة: وفيه ما يدلّ على جميل عشرة النبي ﷺ ومداراته وصبره على نسائه. وقريب ما ذكر في شرح النووي ١٠/٤٨» اهـ باختصار.

(١) إلى هنا الكلام في صحيح البخاري رقم ٢٥٨١.

(*) قلت: يا سبحان الله، إذا كان من أجل كلمة قالتها أم سلمة قال لها رسول الله ﷺ «لا تؤذيني في عائشة»؟

فما قول: أولئك الذي يزعمون حبهم للنبي ﷺ وأهل بيته، ثم يُؤذونه في عائشة أعز الناس وأحب الناس إليه.؟ بسب، أو شتم، أو افتراء، أو حتى يغض؟! ألا فليتق الله هؤلاء المفترون على الله ورسوله ﷺ قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه ندم؟!!

وزاد العيني في عمدة القاري: ١٣/١٩٧ «وفيه إشارة إلى التفضيل بالشرف والعز. وفيه فضيلة لعائشة» اهـ باختصار.

وكذا بعض ما ذكر في إرشاد الساري: ٦/١٨و١١/٥١٣، وشرح ابن بطال: ٧/٧٨، وزاد النووي في شرح صحيح مسلم: ١٥ /٢٠٧ «وفيه جواز القصاص حين أقر النبي ﷺ ردّ عائشة على زينب، ولم ينكر ذلك، لأن في ذلك انتصاراً لنفسها وهو جائز» اهـ باختصار.

وكذا بعض ما ذكر في التكملة: ٥/٧٩و٨٠.

والمتتبع لكلام ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: ٥/١٤٨، وما بعدها: ٩/٢٣٦ وما بعدها، يخرج بنتيجة مفادها أن تلك الحادثة متعددة لكون المرسلة في كل رواية تختلف عن الرواية

=

وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة، قالت أم سلمة: أتوبُ إلى الله من ذاك يا رسول الله. ثم إنهن دعون فاطمة فكلمتهُ، فقال يا بنية ألا تحبين ما أحب، قالت بلى قال: فأحبِّي هذه - يعني عائشة - فرجعت إليهنَّ وأخبرتهنّ، فقُلن لها ارجعي إليه، فأبت فاطمة رضي الله عنها الرجوع - فأرسلت زينب بنت جحش، فأتتْهُ فأغلظت، وقالت: إنَّ نساءك يُناشِدْنكَ العدل في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة، وهي قاعدةُ تسبها، حتى إن رسول الله ﷺ لينظرُ إلى عائشة هل تتكلم، قال: فتكلمت عائشة تُردُّ على زينب حتى أسكتتها، قالت: فنظر النبي ﷺ إلى عائشة، وقال: إنها بنتُ أبي بكر[1]..... [*]....

قوله: «يُناشدنك العدل في ابنة قحافة» ظاهره غير مراد قطعاً لأن النبي ﷺ كان من أعدل الناس مع نسائه، لكن النبي ﷺ عذر زينب في ذلك، مع علمها بأنه ﷺ أعدل الناس، لكن غلبت عليها الغيرة، فلم يؤاخذها بذلك، وإنما خص زينب لأن فاطمة رضي الله عنها كانت حاملة لرسالة.... وإنما لم يجب النبي ﷺ طلب زينب في تكليم الناس بذلك، لأنه ليس من كمال الأخلاق أن يتعرض الرجل إلى الناس بمثل ذلك، لما

=

الأخرى.

وفي الفتح أيضاً: ٢٣٦/٥ «فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة. ولكونها غير مكتسبة وإنما هو شيء فطر الله عليها النساء، ولكن المرأة إذا أفرطت في ذلك فإنّه حينئذٍ تلام عليه. فمن الغيرة ما يحبه الله تعالى وهي التي تكون فيما حرمه الله تعالى؟ أما الغيرة التي يبغضها الله تعالى التي تكون من غير ريبة وهذا في حق الرجال. وأما المرأة فحيث غارت في زوجها بارتكاب محرم، كتنقيص حقها أو جوره عليها فهي غير مشروعة؟ فلا يكفي فيه مجرد الظنّ، لأنها تكون مكروهة» اهـ باختصار وتصرف.

وفي عون المعبود: ٣٤٨/٩ كلام مما ذكر.

(١) رواه البخاري في صحيحه بهذا الفظ رقم ٢٥٨١، رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٤٤١.

(*) قلت: قد يتبادر إلى ذهب البعض أن المقصود هنا هو السب أو الشتم الذي يتفوّه به من لا خلاق له في أيّاً منا هذه؟

وإنما هو كما أوضحه القرطبي في المفهم: ٢٢٦/٦ «والمعنى أي أكثرت عليها القول والعتب وكان في زينب رضي الله عنها حدّةُ، أي سرعة الغضب، والفيئة الرجوع، ولأجل هذه الحدة وقعت بعائشة» اهـ.

ويؤيده ما ذكر ابن حجر في الفتح: ٢٤٥/٥، «برواية أن زينب قال وحسبك إذا يرقت لك ابنة أبي قحافة ذراعيها».

فيه من التعرض لطلب الهدية.... مع أنه ﷺ كان يشركهُنّ في ذلك، وإنما وقعت الغيرة والمنافية لكون العطية تصل اليهن من بيت عائشة.... وفيه حصر الناس بالهدايا أو فإن المسرة ومواضعها، وتنافس الضرائر بذلك، وأن الرجل يسعة السكوت في ذلك إذا تقاولن، ولا يميل مع بعض على بعض، وفيه جواز التشكي والتوسل، وفيه ما كان عليه أزواج النبي ﷺ من مهابته والحياء منه حتى راسلنه بأعز الناس إليه فاطمة رضي الله عنها، وفيه سرعة فهمهنّ ورجوعهنّ إلى الحق والوقوف عنده، فيه إدلال زينب لكونها ابنة عمته، وعذره لها[١].

وطلب أزواج النبي ﷺ العدل، ليس معناه أنه جارَ عليهنّ فمنعهُنّ حقًّا هو لهُنّ، لأنه ﷺ منزه عن ذلك.. لكن صورة ذلك منهنّ فمقتضى الغيرة والحرص أن يكون لهنّ ما لعائشة من إهداء الناس له إذا كان في بيوتهِنّ، ويحتمل أن يكون طلبهُنّ المساواة في الحبّ وكلا الأمرين لا يجب العدل فيه بين النساء، أما الهدية فلا تطلب من المهدي، فلا يتعين لها وقت، وأما الحبُّ: فغير داخل تحت قدرة الإنسان ولا كسبه[٢].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهُنّ، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأةٌ من قومها عكة[٣] عسل فسقت رسول الله ﷺ منه شربة، فقلتُ: أما والله لنحتالَنَّ له، فذكرتُ ذلك لسودة، وقلت لها: إذا دخل عليك رسول الله ﷺ فإنّهُ سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله ﷺ أكلت مغافير[٤]؟ فإنّهُ سيقول: لا، فقولي له: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله ﷺ يشتدّ عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له، جرَسَت العرفط[٥]، فلما دخل عليّ - أي عائشة - قلت

---

(١) انظر الفتح: ٥/٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) انظر المفهم: ٦/٣٢٤.

(٣) في النهاية: «هي وعاءٌ من جلد مستدير يختص بالعسل والسمن، وهو بالسمن أخص» ا هـ - مادة عكك.

(٤) في النهاية: «هو شيء ينضحه شجر العرْفُط كالناطف وله ريحٌ كريهة، ويُقال أيضاً المغاثير» اهـ مادة غفر.

(٥) في النهاية: «العرفط: بالضم: شجرُ الطلح، له صمغٌ كريهُ الرائحة، فإذا أكلته النحلة حصلت من عسلها ريحه» اهـ مادة عرفط.

له مثل ذلك، ودخل على صفية، فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ﷺ ألا أسقيك منه، قال: لا حاجة لي فيه. وقالت سودة سبحان الله لقد حَرَمْناه، فقلتُ لها: اسكتي(١).... (*)...

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦٩٧٢، وهو في غير موضع، ومسلم: ١٤٧٤.

(*) اختلفت الروايات في التي شرب عندها ﷺ العسل، ظاهرة هذه الرواية أنها حفصة، والرواية الأخرى أنه شرب عند زينب، والرواية الثالثة أن ذلك كان عند أم سلمة.

وفي الفتح: ٢٨٩/٩، ذهب إلى تعدد القصة وكذا في إرشاد الساري: ٣٩٨/١٤ وصحح العيني في عمدة القاري: ١٧٩/٢٤ «قال: إن شربه ﷺ العسل كان عند زينب واستدل على ذلك بأنّ حفصة وعائشة وأم سلمة في حزب واحد، بينما زينب في الحزب الآخر» اهـ بتصرف. وكذا رجح القرطبي في المفهم: ٢٤٧/٤ ذلك، وذكر في التكملة وجوهاً للترجيح: ١١٩/١، فانظره.

وكذلك اختلف العلماء في الشيء الذي حرمه رسول الله ﷺ على نفسه إرضاء لأزواجه والذي نزل العتاب به في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ الآية ١ سورة التحريم. أهي العسل أم تحريم مارية القبطية على نفسه.

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري: ٣٣٣/٧ «الأخبار الصحيحة دالة على أن النبي ﷺ كان حرّم على نفسه شربة العسل».

وكذا رجح القرطبي في المفهم: ٢١٧/٤ ذلك وقال: «والصحيح أن القضية في شرب العسل».

وكذا النووي في شرح صحيح مسلم: ١٠ /٧٧ ونسب ذلك إلى القاضي عياض وأنه هو الراجح.

وفي عون المعبود: ١٠/ ١٢٦ «والصحيح أن الآية نزلت في قصة العسل».

وفي أحكام القرآن لابن العربي: ٢٩٣/٤ «وأما من روى أن الآية نزلت في تحريم مارية إرضاء لحفصة وعائشة فهو أمثل في السند، وأقربُ بالمعنى، لكنه لم يدون في صحيح ولا عُدّل ناقلة. لعل الآية نزلت في الجميع» اهـ باختصار.

وكذا قال القرطبي في الجامع: ١١٨/١٨ وذهب إلى ما ذهب إليه ابن العربي.

قلت: وأما ما ذهب إليه ابن العربي والقرطبي رحمهما الله تعالى، بأن قصة نزول الآية في تحريم مارية لم يدون في صحيح، فلا يسلم به.

ذلك لأن قصة مارية وردت بإسناد صحيح كما في المستدرك عند الحاكم: ٤٩٣/٢، ووافقه الذهبي على صحته، وكذا النسائي في سننه: ٧١/٧، والواحدي ذكره في أسباب النزول ٦٣٤ بسند صحيح، وآخر ضعيف، وكذا صححه ابن كثير في تفسيره ٦٣٥/٤.

والمتبع لكتب التفسير الباحث عن سبب نزول الآية يجد أن المفسرين صدّروا رواية تحريم مارية على شرب العسل.

انظر مثلاً ابن كثير: ٦٢٤/٤، والطبري ١٠١/٢٨، والقرطبي: ١٩٩/١٨، وحاشية الصاوي: ٤/ ٢١٩.

وهنا كلمة أوردها الصابوني في صفوة التفاسير: ١٢٦٩/٣، وهي كلمة تستحق الوقوف عندها.

=

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنّا مع النبي ﷺ في سفر، وكان متاعي فيه خفةٌ، وكان متاع صفية فيه ثقُلُ، وكان متاعها على جمل ثقال - أي بطيء - فقال رسول الله ﷺ: حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب، قالت عائشة: فلما رأيتُ ذلك قلتُ: يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ، قالت: فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة إن متاعك فيه خفٌّ، ومتاعُ صفية فيه ثقلٌ، فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك

=

«قال: الرواية أنّ الرسول ﷺ حرم مارية على نفسه هي الأشهر عند المفسرين في سبب النزول، ورواية تحريم شرب العسل ذكرت في الصحيحين وهي وإن كانت أصح في السند، ولكن كونها سبباً للنزول مستبعد، والذي يرجح رواية تحريم مارية أمور:

أولها: أن مثل تحريم بعض النساء مما يبتغي به مرضاة بعض الأزواج لا شرب العسل أو عدمه.

ثانياً: أن الاهتمام بإنزال سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج الرسول ﷺ بالطلاق واستبدالهِنّ بنساء خيرُ منهُنّ، وأنّ الله وملائكته وصالح المؤمنين عون لرسول الله ﷺ يدل على وجود تنافس بينهنّ وغيرة بعضهُنّ من بعض، مما أدّى إلى إيذاء رسول الله ﷺ فعلاً حتى حرّم بعض جواريه إرضاءً لهُنّ، واستكتم البعض منهُنّ الأمر فأفشين السر وهذا يرجِّح ما ذكرناه» اهـ.

وقد قال العلامة ابن كثير: «كون قضية شرب العسل سبب للنزول فيه نظر»: ٦٣٦/٤.

وفي ظلال القرآن: ٣٦١١/٦ «ولربما قصة مارية أقرب إلى جوِّ النص القرآني».

قال في الفتح: ٥٢٥/٨ «ولعل الآية نزلت في السببين، وما أعقب الحادثة غضب كاد يؤدي إلى طلاق زوجاته نظراً لدقة الوضع وحساسيته» اهـ.

وقضية تحريم مارية على نفسه سببها أنّ النبي ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت حفصة في نوبتها، فوجدت حفصة. فقالت: يا نبي الله لقد جئت إليّ شيئاً ما جئت به إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي، قال: «ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها». قالت بلى، فحرمها، وقال لها: «لا تذكري ذلك لأحد» انظر تفسير الطبري: ١٥١/٢٨، وانظر تفسير ابن كثير: ٦٣٥/٤، وقال: هذا اسناداء صحيح.

وكذا في مشكلات القرآن: ٤١٥/٢، أورد في سبب النزول قضية مارية وأغفل قضية شرب العسل». وقال العيني في عمدة القاري: ٥٥١/٩ «وفيه بيان صبر النبي ﷺ على نسائه، ونهاية حلمه وكرمه الواسع». وقال النووي في شرحه: ٤٨/١٠ «وفيه يستحب للزوج أن يأتي كل امرأة من نسائه في بيتها، ولا يدعوهُن إلى بيته» اهـ. وزاد في الظلال أيضاً: ٣٦١١/٦ «وهذا أمر ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام، وهو أن أول الجهد ينبغي أن يوجه إلى البيت. الزوجة. الأم والأولاد، ولأهله عامة، ثم إلى المجتمع» اهـ.

على بعيرها، قالت: أي عائشة -: ألست تزعم أنك رسول الله، قالت: فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: أو في شك أنت يا أم عبدالله، فقلتُ: فهلا عدلت، وسمعني أبو بكر رضي الله عنه وكان فيه حدَّةٌ[١] فأقبل عليَّ ولطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ مهلاً يا أبا بكر، فقال يا رسول الله أما سمعت ما قالت، فقال رسول الله ﷺ: «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»[٢].

وحديث اعتلال أو ثقل جمل صفية هو في مسند عائشة عند الإمام أحمد ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان في سفر له، فاعتل بعيرٌ لصفية، وفي إبل زينب فضّلٌ، فقال: لها رسول الله ﷺ: إنّ بعيراً لصفيّة اعْتلّ، فلو أعطيتها بعيراً من إبلك، فقالت زينب: أنا أعطي تلك اليهودية..[٣]

كما أن الحديث في مسند صفية عند أحمد في المسند ولفظه: «أن النبي ﷺ حج بنسائِهِ... فبينما هم يسيرون برك جمل صفية... وفيه أيضاً أنه ﷺ هجر زينب[٤].

---

(١) في النهاية: «الحدّ، والحدُّ، والحِدةُ سواء: من الغضب، يقال: حدّ يحدُّ حداً، وحدّةُ: إذا غضب» اهـ مادة حدد.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده: ٧١١٥، وقال في مجمع الزوائد: ٣٢٢/٤، رواه أبو يعلى وفيه بن إسحاق وهو مدلس، وسلمة بن الفضل وثقه جماعة، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقد رواه أبو الشيخ بن حبان في كتاب الأمثال، وفيه أسامة بن زيد الليثي ما قال الهيتمي وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات ".

(٣) الحديث: عند أحمد في المسند: ١٣٢/٦، وابن سعد في الطبقات: ١٢٦/٨ ١٢٧، قال في الموسوعة الحديثية: ٤٦٣/٤١، إسناد ضعيف الجهالة: شُميسة، وسمّها حماد بن سلمة مرّة سمية، وجزم بذلك الحافظ ابن حجر في النكت الظراف: ٣٩٣/١٢، أنها سمية وليست شميسة ولتردد، حمّاد في وصل الحديث وإرساله: ضعفوه.

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد: ٣٣٨/٦، وفي أسد الغابة: ٤٩١/٥، قال أبو داوود وفيه سميه ولم يضعفها أحد وبقية رجاله ثقات. وفيه أن النبي ﷺ هجر زينب.
وفيه دلالة على جواز تأديب الأب ابنته في حضرة زوجها وجواز الضرب شريطة أن لا يكون معه أذى.
وفي شرح المواهب: ٦٠/٦ «فوسع خلقه الشريف آثار غيرة عائشة ولم يتأثر بل بادر إلى صد أبي بكر عنها، وهكذا كانت أحواله ﷺ مع أزواجه، لا يأخذ عليهنّ ويعذِرهُنَّ - أي يرفع عنهُنّ اللوم - وفيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيرى، فيما يصدر منها في تلك الحالة لأنّ عقلها يكون محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة، ولذا بين الرسول ﷺ وقال له: إن الغيرى لا تنظر أسفل الوادي من أعلاه» اهـ باختصار.

=

قلت: وسواء تعددت القصة أم لم تتعدد وإن كان الظاهر أنها متعددة، لكن العبرة من ذلك هو صبره عليه الصلاة والسلام على عائشة حينما قالت له: ألست تزعم أنك رسول الله ﷺ» فما كان من خلقه العظيم ﷺ إلا أن قابل ذلك بالتماس العذر في هذه الكلمة لعائشة في مثل هذا السن، وهو يطلب منها أن تعطي جملها لصفية؟ لكن صبر النبي ﷺ على عائشة قابله غضب أبي بكر رضي الله عنه الذي لم تحتمل أذناه هذه الكلمة، فانهال ضرباً على عائشة، والرسول ﷺ يستمهله، ثم بين له عذر الغيرى.

وإذا كان الصبر على قمْع النفس عن الانتقام ممن آذاه فهو جهادُ النفس، ولما كان ﷺ أعظم المجاهدين في هذا الميدان، وأقواهم، وأشدهم في ذلك صبر وتحمّل؟ بل فوق ذلك كله، يلتمس العذر؟

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف في رمضان فإذا صلى الغداة - أي الفجر - دخل مكانه الذي اعتكف فيه، فاستأذنت عائشة أن تعتكف، فأذن لها فضربت فيه قبة، وسمعت زينب فضربت قبةً أخرى، فسمعت حفصة فضربت قبة أخرى، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الغداة أبصر أربع قباب، فقال: ما هذا؟ فأخبر خبرهن فقال: «آلبرّ ترِدْن، انزعوها فلا أراها، فنزعت، فلم يعتكف في رمضان حتى اعتكف في آخر العشر من شوال»[1]... [*]....

=

قلت: لقد صبر رسول الله ﷺ، على كل أذى من نسائه وغيرهم حتى كلّ الصبر عن صبره، حتّى أصبح نموذجاً رائعاً لكُل زوج.

(١) رواه البخاري في صحيحه، رقم ٢٠٤١ ومسلم ١١٧٣.

(*) قال العيني في عمدة القاري: ٢٢١/١١ «وكأنه ﷺ رأى أن الحامل لهُنّ على ذلك المباهاة والقرب من رسول الله ﷺ، والتنافس الناشئ عن الغيرة، وخاف توارد بقية نسائه على ذلك فيضيق المسجد على المصلين. وفيه دليل على أنّ النوافل المعتادة إذا فاتت تُقْضى. واستدل به المالكية على وجوب قضاء العمل لمن شرع فيه ثم أبطله وكذا الحنفية» اهـ باختصار.

وزاد ابن حجر في الفتح: ٣٢٤/٤ «ويُحتمل أن اجتماع النسوة عنده يُصيرُهُ كالجالس في بيتِهِ، وربما شغله هذا عن التخلي لما قصد من العبادة فيفوت المقصود من الاعتكاف. وفيه أن النساء ليس لهنّ أن يعتكفن في المساجد، إذْ مفهوم كلامه ﷺ أن ذلك ليس من البر لهُنّ» اهـ.

وقريب مما ذكر في ارشاد الساري: ٦١٣/٤.

وزاد النووي في شرحه: ٦٩/٨ «قالوا وفيه دليل على جواز اتخاذ المعتكف لنفسه موضعاً من المسجد ينفرد فيه ما لم يُضيقْ على الناس. وقال عياض: وسبب إنكاره ﷺ أنه خاف أن يكُنَّ

=

المبحث السابع:
في تأديبه ﷺ لأزواجه

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال تعالى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا... ﴾[1]. حتى حجَّ عمر رضي الله عنه، وحججْتُ معه، فلما كُنّا ببعض الطريق، عدل عمر وعدلتُ معه بالإداوة، فبرز[2] ثم أتاني، فسكبتُ على يديه فتوضأ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين: من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾، فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس!... قال هي حفصة، وعائشة، قال: ثم أخذ يسوق الحديث، قال: كُنا معشر قريش قوماً نغلبُ النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهُم، فطفق نساؤنا يتعلمْنَ من نسائِهِم... قال: فتغضبتُ يوماً على امرأتي، فإذا هي تُراجعني، فأنكرتُ أن تُراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجرُهُ إحداهُنَّ اليوم إلى الليل. قال: فانطلقتُ، فدخلتُ على حفصة، فقلتُ: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قلتُ: وتهجُرُه أحداكُنّ اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلتُ: قد خاب من فعل منكُنّ وخَسِرَ.

أفتأمن إحداكُنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟ لا

=

غير مخلصات في الاعتكاف، بل كان الدافع لهُنّ الغيرة فكرة ملازمتهُن المسجد وهو محل اجتماع الناس ويحضره الأعراف، والمنافقون وهُنّ محتاجات إلى الخروج والدخول فيُبتذَلْنَ بذلك. وفيه أن للرجل أن يمنع زوجته من الاعتكاف» اهـ باختصار.

وزاد في التكملة: ٣٤٧/٥ «وأن آخر أمره مقدمٌ على أول أمره بالإذن فيكره الاعتكاف للنساء في المسجد. وفيه دليل على جواز ترك الأفضل من الفعل إذا كان في ذلك مصلحة، وأما قضاءه فهو من باب الاستحباب إذ لو كان واجباً أي القضاء لقضى نساءهُ الاعتكاف» اهـ. وقال القرطبي في المفهم: ٢٤٦/٤ «وإنما ترك اعتكافه ﷺ، إنما كان ذلك مواساة لأزواجه، وتطييباً لقلوبهِنّ، وتحسيناً لعشرتِهِنّ، أو لعله علم أنه المقصود من اعتكافهنّ وليس البر» اهـ باختصار.

(١) التحريم آية ٤.

(٢) وفيها: «البراز بالفتح اسم للفضاء الواسع، فكنّوا به عن قضاء الغائظ» مادة برز.

تُراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً، وسليني ما بدا لك، ولا يغُرَنَكِ أن كانت جارتُك هي أوسَمَ[١] وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك - يريُد عائشة - قال: وكان لي جارُ من الأنصار، وكُنّا تتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فينزل يوماً، وأنزِلُ يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك،...

ونزل صاحبي يوماً، ثم أتاني عشاءً فضرب بابي، ثم ناداني فخرجتُ إليه، فقال: حدثَ أمرٌ عظيم، فقلتُ: وماذا.... قال: طلق الرسول نساءَهُ فقلتُ: قد خابت حفصةُ وخسرت، قد كنتُ أظنُّ هذا كائناً، حتى إذا صليت الصبح شددتُ عليّ ثيابي، ثم نزلتُ فدخلتُ على حفصة وهي تبكي، فقلتُ: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري، هو ذا معتزلٌ في هذه المشربة[٢] فأتيت غلاماً له أسود، فقلتُ: استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إليّ، فقال: قد ذكرتُكَ له فصمت، فانطلقتُ حتى أتيتُ المنبر، فإذا عنده رهطٌ جلوس يبكي بعضهُم، فجلستُ قليلاً، ثم غلبني ما أجدُ، فأتيتُ الغلام، فقلتُ: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إليَّ، فقال: قد ذكرتُك له فصَمت، فخرجتُ فجلستُ إلى المنبر، ثم غلبني ما أجد، فأتيتُ، فقلت أستأذن لعمر، فدخل ثم خرج علي، فقال: قد ذكرتك له فصَمَت، فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل، فقد أذِنَ لك قال: فدخلتُ، فسلمتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكئٌ على رُمال[٣] حصير قد أثّر في جنبه، فقلت: أطلقْتَ يا رسول الله نساءَك؟ فرفع رأسه اليَّ وقال: لا، فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش قوماً نغلِبُ النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبُهم نساؤهم... فتبسم رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، فدَخلتُ على حفصة، فقلتُ: لا يغرنك أن كانت جارتُك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى، فقلتُ: أستأنسُ يا رسول الله؟ قال: نعم فجلستُ، فرفعتُ رأسي في البيت، فوالله ما

---

(١) في النهاية: «أي أحسن، وسيم قسيم، الوسامة: الحسن الوضيء الثابت وقد وَسُمَ يَوْسَم وسامة فهو وسيم» اهـ م ادة وسم.

(٢) في النهاية: «المشرُبة: بالضم والفتح: الغرفة» اهـ مادة شرب. وفي الفتح: ١٣٩/٥ والمراد بالمشربة الغرفة العالية.

(٣) في النهاية: على رُمال حصير: الرُّمال: ما رُمل أي نسج، يُقال: «رمل الحصير وأرمله، فهو مرمول ومُرمل، ورملته، والمراد أن السرير قد نسجَ وجهه بسعف النخل، ولم يكن عليه سوى الحصير» اهـ مادة رمل.

رأيتُ فيه شيئاً يَردُّ البصر إلا أُهَبةً[١] ثلاثة، فقلتُ: ادعُ يا رسول الله: أن يُوسَّع على أمتك، فقد وُسِّعَ على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالساً، ثم قال: أفي شكٍ أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجلتْ لهُم طيباتُهُمْ في الحياة الدنيا، فقلتُ: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدْخُلَ عليهن شهراً من شدّة موجدته عليهنّ حتى عاتبه الله عز وجل»[٢]..... [*]....

---

(١) في النهاية: الأُهب: بضم الهمزة والهاء، وبفتحهما جمع إهاب وهو: الجلد قبل الدبغَ، فأما بعده فلا» اهـ مادة أهب.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٤/١ وهذا لفظه ورواه البخاري ٥١٩١ ومسلم: ١٤٧٩.

(*) وقال القرطبي في المفهم: ٢٥٩/٤ وما بعدها «ويمكن أن يكون تعجب عمر من ابن عباس رضي الله عنهما، لأنه استبعد أن يخفى مثل هذا على ابن عباس، مع مداخلته لأزواج النبي ﷺ ولكونه ابن عمه، وشهرة هذه القضية، وشدّة حرصه على سماع الأحاديث، وكثرة حفظه، وغزارة علمه، ولما كان في نفس عمر من تعظيم لابن عباس حتى قدمه على كثير من مشايخ بدر. وإنما أراد بالجارة عائشة وكنّى بها عنها مراعاة للأدب، واجتناباً للفظ الضرر، أن يضاف لمثل أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهُنّ، ويعني بذلك عائشة. وقوله: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب»؟ إنكار منه على عمر لما وقع منه من الالتفات إلى الدنيا ومد عينيه إليها، وقد بالغ رسول الله ﷺ في الجواب والردع عليه بقوله «أولئك عجلت لهم طيباتهم، أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» فيه حجة على تفضيل الفقر» اهـ باختصار.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ٨٦/١٠ «وفيه استحباب مجالس العلم والتناوب في ذلك، إذا لم يتيسّر الحضور بنفسه. وفيه ما كان عليه الصحابة من اهتمامهم بأحوال الرسول ﷺ، والقلق التام لما يقلقُه ويغضبه. وفيه استجباب التجمل بالثياب ونحوها عند ملاقاة الأئمة والكبار احتراماً لهم. وليس فعله ﷺ من الإيلاء. لأن الإيلاء في عرف الفقهاء مختص بالحلف على الامتناع من وطئ الزوجة. وكونه أربعة أشهر وعشراً على رأي الجمهور. وفيه جواز الاحتجاب للإمام والقاضي ونحوهما لحاجتهم. وفيه وجوب الاستئذان على الإنسان في منزله وإن علم أنه وحده لأنه قد يكون على حالةٍ يكره الاطلاع عليها، وفيه سنية تكرار الاستئذان إذا لم يؤذن له، ولا فرق في ذلك بين الرجل الجليل وغيره. وفيه ما تأديب الرجل ولده صغيراً أو كبيراً أو بنتاً متزوجة، لأن أبي بكر وعمر ضي الله عنهما أدبا ابنتيهما، وفيه، كان عليه الصلاة والسلام عليه من التقلل من الدنيا والزهادة فيها، وفيه جواز سكنى الغرف ذا الدرج واتخاذ الخزانة لإثاث البيت وفيه ما كان عليه الصحابة من حرصِهم على طلب العلم وتناوبِهِمْ في ذلك، وفيه جواز قبول خبر الواحد، فقد كان عمر يأخذ ذلك عن الأنصاري ويأخذ الأنصاري عنه، وفيه إذا رأى الإنسان صاحبه مهموماً أن يؤانسه بما يشرح صدره ويكشف غمه وهمه وأن يستأذن في ذلك. وفيه توقير الكبار، وخدمتهم وهيبتهم، كما فعل ابن عباس مع عمر رضي الله عنهما، وفيه =

واعلم أن غضبه ﷺ واعتزاله عنهُنّ، كان لأسباب متعددة متوالية، فوقعت أولاً قصة العسل، ثم قصة مارية، فنزلت آيات التحريم، ثم اجتمعن يسألنه النفقة..، وجدّتْ بعض الأمور الأخرى، فآلى رسول الله ﷺ من أزواجه واعتزلهن شهراً، ثم نزلت آية التخيير[١].

ولما نصر الله تعالى نبيه ﷺ، وفرّق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة، والنضير، وخيبر، ظن نساءه، أنّه اختصّ بنفائس اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله، وقلن يا رسول الله! بنات كسرى، وقيصر، في الحلي والحلل، ونحنُ على ما تراه من الفاقة والضيق! وآلم ذلك النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى الآيات وأمره أن يتلوها عليهنّ[٢].

قلت: في الرواية الآنفة الذكر أن عمر رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ، وأن عمر رضي الله عنه دخل عليه.... كما سبق.

على أنه في رواية أخرى، أن أبا بكر رضي الله عنه جاء أولاً يستأذنُ على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه بعد ذلك، فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساءُهُ. وهو ساكتٌ، فقال: عمر: لأكلمنّ النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله ﷺ رأيت بنت زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت[٣] عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدا

=

الخطاب بالألفاظ الجميلة. وفيه جواز نظر الإنسان في نواحي بيت صاحبه، إذا علم عدم كراهية ذلك منه، وفيه أن للزوج أن يهجر زوجته ويعتزلها في بيت آخر» اهـ باختصار.

وزاد في فتح الباري: ١٨٩/٩ وما بعدها «والأنصاري الذي كان يتناوب مع عمر رضي الله عنه هو عتبان بن مالك. وفيه ما كان عليه عمر رضي الله عنه من شدة شفقته على رسول الله ﷺ، وعظيم نصحه، وهذا من موافقات عمر رضي الله عنه. وفيه استحباب التكبير عند حصول النعمة. وفيه استحباب طلب الاستغفار ممن هو أعلم وأتقى» اهـ باختصار.

وكذا قال العيني في عمدة القاري: ٢٥٨/٢٠ و٢٥٩ «ولقد جمع كل ما ذكر من الفوائد في كتاب مواقف عضب فيها النبي ﷺ حتى ٨٩ وما بعدها ص ٩٦، فلينظر».

(١) انظر التكلمة: ١٢١/١.

(٢) البحر الميط: ٢١٩/٧.

(٣) في لسان العرب: (الوجأ: اللكز. ووجأه باليد، والسِّكين وجْأ، ضربه، ووجأ في عنقه كذلك. ووجأتُ عنقه وجأ: أي ضربته) ٩ اهـ مادة وجأ.

ناجذهُ[١]، فقال رسول الله ﷺ هنّ حولي كما ترى، يسْألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فنهاهُما رسول الله ﷺ، فقالت نساؤه ﷺ: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال: وأنزل الله عز وجل آية الخيار..[٢]..... [*]....

إن نساء الرسول ﷺ عندما اجتمعن على النبي ﷺ فقلن نُريد ما تريد النساء من الحلي، حتى تجرأت إحداهُن أن قالت له لو كنّا عند غير النبي ﷺ لكان لنا شأن وثياب وحليٌّ، وقيل: إن أم سلمة طلبت معلماً، وميمونة حلة يمانية، وزينب ثوباً مخططاً، وأم حبيبة ثوباً سحولياً، وحفصة ثوباً من مصر، وجويرية ذهباً، وسودة قطيفة خيبرية، إلا عائشة لم تطلب شيئاً[٣].

قلت: والقول السابق إن عائشة لم تطلب شيئاً يناقضه بعض ما سبق ذكره في الحديث قبل قليل، ولما صرف رسول الله ﷺ الخمس على الفقراء، ولم يحصل لعائشة شيئاً، جادلت رسول الله ﷺ في ذلك وأبو بكر جالس، فرفع أبو بكر يده ليلطمها فمنعه رسول الله ﷺ في ذلك وقال لها دعها يا أبا بكر فإنها صبية[٤].

---

(١) في النهاية: «جمعها نواجذ: وهي من الأسنان: الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر والأشهر: أنها أقصى الأسنان، قال: والمراد الأول: لأنه ﷺ ما كان يبلغُ به الضحك حتى تبدوَ أواخر أضراسه» اهـ مادة نجذ.

(٢) بهذا السياق رواه أحمد في المسند: ٣٢٨/٣، والنسائي في الكبرى: ٩٢٠٨، قال في الموسوعة الحديثية: ٣٩٢/٢٢، إسناده صحيح، وهي نفس قصة هجرانه لنسائه شهراً كما مر سابقاً.

قلت والحديث: في صحيح مسلم: ١٤٧٨ وذكر مجيء أبي بكر وعمر وعلي.

(*) قال العيني في عمدة القاري: ٢٥٨/٢٠ - ٢٥٩. «وفيه تعرض الرجل لابنته بترك الاستكثار من الزوج، إذا كان ذلك يؤذيه ويُحرجه. وفيه الصبرُ على الزوجات، والإغضاء عن أخطائهنّ، والصفح عما يقع منهُنّ من ذلك في حق المرء ومما يكون في حق الله تعالى. وفيه دخول الآباء على البنات والتفحص عن أحوالهنّ لا سيما المتزوجات» اهـ باختصار.

وقال القرطبي في المفهم: ٢٥٥/٤ «وهذا الفعل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بابنتيهما مبالغةً في تأديبهنّ. وكذا هجرانه ﷺ لنسائه لكونهنّ، تبسطْنَ عليه تبسطاً تعديْن فيه ما يليق بمقام النبوة من احترامه، وإعظامه، ولولا حسن معاشرته ﷺ، ولين خلقه ما تجرأن على ذلك، ولما امتدت أعينهُنّ إلى شيء من متاع الدنيا فعند ذلك أمر الله تعالى نبيّه أن يُخيرُهنّ» اهـ باختصار.

وكذا ذكره في التكملة: ١٢٥/١، وفي إرشاد والساري: ٤٨١/١٠.

(٣) انظر عمدة القاري: ٢٥٦/٢٠. وهذا كلام التفسير ولم أجده في كتب الحديث.

(٤) انظر حاشية البيضاوي: ٦٢٩/٦.

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[١]، وحول نزول الآية وتفسيرها خمسة أقوال:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى صان خلوة نبيّه ﷺ، وخيرّهُنَّ ألا يتزوجن بعده، فلما اخترنه امسكهُنّ.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى خيره بين العبودية والنبوة، أو الملك والنبوة، فلما اختار الأولى، أمره الله تعالى بتخيير نسائه ليكُن على مثاله، فأنزل الله الآية.

الثالث: أن أزواجه طالبنه بما لا يستطيع كما سلف في الحديث السابق، فأنزل الله الآية.

الرابع: أن أزواجه اجتمعن يوماً، فقلن: نريد ما تريد النساء، كما سلف قبل قليل فأنزل الله الآية.

الخامس: أن أزواجه اجتمعن في الغيرة عليه، فحلف ألا يدخل عليهِنّ شهر، قال: وهو الصحيح قاله الجمهور[٢].... [*]...

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٨.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي: ٥٥٠/٣، والجامع للقرطبي: ١٠٦/١٤، وما بعدها.

(*) وكذا في مشكلات القرآن: ١٨٥/٢، كلام مشابه، وفي مجاز القرآن لأبي عبيد أيضاً: ١٣/٢، قلت: وبهذا يعلم نصاً أن الأعمال تضاعف إن كانت صالحة، وكذا عقابها إن كانت سيئة، بقدر ما يكون الشخص قريب في الحس والمعنى من الله ورسوله ﷺ، فكلما ازدادت منزلة العبد في العلم والقرب من الله تعالى يضاعف له ذلك.

وقال في منار السبيل: ٢٠٧/٣ «ورد أن الحسنة والسيئة بزمان ومكان فاضلين، تضاعف، وذلك كمضاعفة الحسنات والسيئات في مكة المكرمة، وعلى قياس ذلك العامل، وله شواهد، منها آيات الأحزاب في حق أزواج النبي ﷺ، ومنها، ما ثبت عن عمر الخطاب رضي الله عنه، قوله لأهله: لا أوتى بأحد تعدّى الحدود منكم إلا ضاعفت عليه العقاب، لأن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وقال رجل لعلي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه، إنكم أهل البيت مغفور لكم، فغضب، وقال: نحن أحْرى أن يُجري فينا ما أجرى الله على زوجات النبي ﷺ، من أن نكون كما قلت، إنا لنرى لمحسننا ضعفين من الأجر، ولمسيئنا ضعفين من العذاب، وقرأ آيات الأحزاب، وسأل أحد أولاد بشر الحافي، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن مسألة، فقال: هي حلال، فلما أدبر دعاه وسأل عنه فأخبر بأنه أحد أولاد بشر الحافي، قال: رُدوه، فلما جاءه، قال: لا يحل لك، إنكم من أهل بيت وورع وزهد أفتاه بما هو أحوط لدينه» اهـ
=

وخلاصة ما في آية الخيار، أن قال لهُنّ أنتُنّ بين أمرين: إما الإقامة مع الرضا بما قسم الله تعالى لكنْ، والعمل بطاعته رجاء ما وعد، وأن لا تمدنّ الأعين إلى ما متعت به النساء من زينة الحياة الدنيا، أو إن لم ترضين أطلقكن وأمتعكن، طلاقاً من غير ضرار، ولا مخاصمة، ولا مشاجرة إن لم ترضين بالبقاء معي، وبعد هذا التخيير، وعدهُنّ بمضاعفة العذاب مع المعصية، والثواب مع الطاعة[1].

وهذه الآيات خطاب من الله تعالى لنساء النبي ﷺ إظهاراً لفضلهنّ، وعظم قدرهِنّ عند الله تعالى، لأن العتاب، والتشديد في الشيء مُشْعِرٌ برفعة رتبتهِنّ، لشدة قربهِنّ من رسول الله ﷺ وبقدر القرب من رسول الله ﷺ يكون القرب من الله تعالى[2].

وما روي أنه دخل ﷺ على حفصة رضي الله عنها وعندها امرأة فقال ﷺ للمرأة: «ألا تعلمين هذه يعني حفصة - رقية النملة»[3].... [*]..

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت آية التخيير دخل عليَّ رسول الله ﷺ بدأ

=

باختصار.

قلت: ألا فليفهم ذلك كل من انتسب إلى الدوحة النبوية المباركة، وشرفه الله بالانتساب إلى سيد الخلق محمد ﷺ، قال الهيتمي في الصواعق المحرقة ص: ٣٥٨: «واللائق بأهل البيت المكرم المُطَهّر، أن يجروا على طريقة مشرفهم وسننه ﷺ، اعتقاداً، وعملاً، وعبادة وزهداً، وتقوى، ناظرين إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات آية ١٣، والى قول مشرفهم ﷺ وقد سئل عن أكرم الناس، فقال: أكرمهم عند الله أتقاهم لله» اهـ.

(١) انظر منار السبيل: ٢٠٧/٣.

(٢) انظر حاشية الصاوي: ٢٧٦/٣.

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٧٢/٦، وأبو داود ٣٨٨٧ وابن أبي شيبة في مصنفه: ٨٣/٨، والنسائي في الكبرى: ٧٥٤٣، والبيهقي في السنن: ٣٤٩/٩، وابن حبان في صحيحه ٦٠٩٦. والطبراني في الكبير: ٣٩٩/٢٣، وعبدالرزاق في المصنف: ١٩٧٦٨. وقال في الموسوعة: ٤٥ / ٤٦ إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(*) قال في شرح المواهب: ٣٨١/٩ «والنّملة، بفتح النون وإسكان الميم، وهي قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد كالساق، سميت بذلك لأن صاحبها يُحِسُّ في مكانه كأنّ نملة تدُبّ عليه وتعضُّه. ترقى فتذهب بإذن الله تعالى، والنبي ﷺ إنما أراد بهذا تأنيب حفصة وتأديبها، لأنه ألقى إليها سراً فأفشته» اهـ باختصار.

وكذا قال في عون المعبود: ٢٦٦/١٠ إلا أنّه زاد فقال: «ورقية النملة كلام كانت نساء العرب يقلنه للعروس تحتفل، وتختضب، وتكتمل، وكل شيء يفْتعل غير أن لا تعصي زوجها» اهـ.

بي، فقال: «ياعائشة، إني ذاكرٌ لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي فيه، حتى تستأمري أبويك؟ قالت: فقرأ عليَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1] قالت: وقد علم - والله - أنّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقِهِ فقلت: أفي هذا أستأمِرُ أبويّ! فإني أريد الله عز وجل ورسوله والدار الآخرة»[2]... (*)... ومن أساليب تأديبه ﷺ لنسائه هجره لزينب بنت جحش بسبب قولها للنبي ﷺ عندما أمرها أن تعطي صفية جملاً من جمالها، فقالت:

---

(١) الأحزاب آية - ٢٨.

(٢) رواه بهذا السُياق أحمد في المسند: ١٦٣/٦، والبخاري ٥٦٣٣، عند مسلم ١٤٧٥.

(*) قال في التكملة: ١٢٥/١ - ١٢٦ «الصحيح المحفوظ أن أزواج النبي ﷺ كلهُنّ قد اخترْنَهُ، وما روي أنّ واحدة منهُن اختارت الدنيا فغير صحيح، وقيل هي الكلابية» اهـ

وقال ابن العربي في أحكام القرآن: ٥٥٧/٣ «وأمّا الكلابية فلم يَبن بها النبي ﷺ. وأما قول من قال فإنها اختارت نفسها فغير صحيح» اهـ باختصار. وكذا ردّه ابن سيد الناس في عون الأثر: ٢/ ٣١٠، وكذا في الإصابة: ٣٧١/٤.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: وفيه أن عمر رضي الله عنه قال لحفصة؟ ولقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يُحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ فبكت حفصة أشد البكاء» - صحيح مسلم - رقم ٢٧٠٤.

وقضية تطليق النبي ﷺ لحفصة ثم مراجعتها صحيحة - وهي عند أحمد في المسند: ٤٧٨/٣ عن ابن عمر، وأخرجه الطبراني في الكبير: ١٧ /٤٦٦، قال في الموسوعة: ٢٥ /٢٧١ صحيح لغيره، وفي مجمع الزوائد: ٣٣٣/٤ قال رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات وشاهد من حديث عمر رضي الله عنه عند ابن حميد في المنتخب ٤٣، وعن ابن عباس عند الدارمي /١٦٠، وأبي داود ٢٢٨٣، والنسائي ٢١٣/٦، وابن ماجه ٢٠١٦ وأبي يعلى ١٧٣، وابن حبان ٤٢، والحاكم: ١٩٧/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

وكذا من طريق آخر عن ابن عمر، عند ابن حبان ٤٢٧٦، والطبراني في الكبير ٣٠٥/٢٣، وعن أنس عند الحاكم: ١٥/٤، والبزار، وكذا عن عمار بن ياسر، عند البزار: ٢٦٦٨، ومن حديث عقبة بن عامر الجهني عند الطبراني في الكبير: ٨٠٤/١٧، وعن قيس بن زيد عند الحاكم: ٥/٤، والطبراني: ٩٣٤/١٨.

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: «طلق رسول الله ﷺ حفصة، فبلغ ذلك عمر، فوضع التراب على رأسه، فقال: ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعد هذا، فنزل جبريل عليه السلام، فقال للنبي ﷺ: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر». رواه الطبراني في الكبير: ٨٠٤/١٧، وقال في مجمع الزوائد: ٣٣٣/٤، فيه عمرو بن صالح لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. - ولقد ذكر ابن عبدالبر في التمهيد"أن النبي ﷺ طلق حفصة طلقة واحدة فأمره جبريل عليه السلام بمراجعتها وقال إنها صوامة قوامة" انظر التمهيد: ٢١٣/١.

أنا أعطى تلك اليهودية، قال فتركها رسول الله ﷺ وهجرها شهرين، فلما دخل عليها بعد هذه الفترة أهدته جارية وضيئة كانت تملكها لشدة فرحتها بعودة النبي ﷺ[(١)].

قال القسطلاني في المواهب «وبالجملة فمن تأمل سيرتَه ﷺ مع أهله وأصحابه وغيرهم، علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه، الغاية التي لا مرمى وراءها لأحد من خلق الله تعالى»[(٢)].

المبحث الثامن:
في متفرقات في هذا الباب

لقد سبق وقررنا أنّ أحواله ﷺ وأخلاقه ليس لها حدٌّ[(٣)]، لأنّ خلقه القرآن، وإذا كان القرآن الكريم ليس له حدٌّ في تفسيره فكذا أخلاقه وأحواله ﷺ، ولكن ما لايدرك كله لا يترك جُلُّه، وفيه نعرض بعضاً من أحواله ﷺ في بيته.

لقد كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى منزله، جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ نفسه بينه وبين الناس، يرِدَ في ذلك عليه العامة والخاصة، ولا يدّخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل نادِيَه وقَسْمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهُم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم، بالذي ينبغي لهم ويقول: ليُبلغ الشاهدُ الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيعُ إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيعُ إبلاغها ثبتَ الله قدميه يوم القيامة لا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روّداً ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون من عنده أدلّة[(٤)]... [(*)]...

---

(١) القصة في المسند: ٣٣٨/٦ وفي الطبقات: ١٢٦/٨، وفي أسد الغابة: ٤٩١/٥.

(٢) انظر المواهب للقسطلاني: ٦٢/٦.

(٣) سبق عند ذكر ما قيل في خصائصه ﷺ.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات: ٣٢٥/١، وهو ضعيف فيه جُميع بن عمر، قال في التقريب: ٩٦٨/١، ضعيف رافضي، وفيه ابن قلت: أي جهالة وهو مجهول.

(*) وتميماً للفائدة نكمل الحديث كما في الطبقات: «قال: فسألته عن مخرجه من بيته فقال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته خَزن لسانه إلا مما يُعينُهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، أو قال لا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحرّس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بُشْرَهُ، ولا خلقه يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسّن الحسن ويقويه، ويُقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا، لكل حال عنده عتاد، =

=

لا يقصر عن الحق ولا يجوز الدين، يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده، أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة، كان لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر، إذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر أصحابه بذلك، يعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسبُ جليسهُ أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاوله في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، من سأله حاجة لم يرّده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بَسْطهُ وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا في الحق عنده سواء، مجلسه مجلس حلم، وعلم، وحياء، وصبر، وأمانة لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤّتى فيه الحرم، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون أو يحوطون فيه الغريب، دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب، يتغافل عما لا يشتهي، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً ولا يعيره، لا يطلب عورته، ولا يتكلّم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا ولا يتنازعون عنده، إذا تكلم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده، يضحك مما يضحكون، ويتعجبُ مما يتعجبون منه، يصبر للغريب على الجفوة في منطقة ومسألته حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهُم، يقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأردفوه، لا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام، كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقرير، والتفكر، فأما تقريره ففي تسوية النظر والاستماع إلى النّاس، وأما تذكره أو تفكره، ففيما يبقى ويفنى، جمع الحلم والصبر، لا يغضبُهُ شيء ولا يستنفره جمع، له الحذر في أربع: أخذهُ بالحسنى ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة» اهـ.

قلت: الحديث وإن كان ضعيفاً، لكن المتتبع لكتب الشمائل يجد أنّ الكثير من فقرات هذا الحديث صحيحة السند والمتن المعْنى والمبنى ماثلة فيه ﷺ، وهكذا إذاً هو رسول الله ﷺ، فليس في وقته فراغ، فهو: إما في عبادة ربّه، أو في خدمة أهله، أو في قضاء حاجة نفسه، والباقي للناس، يدعوهم ويعلمهم ويرشدهم، ثم إنه ﷺ قد أرشد أمته إلى مثل ذلك فقال: «لا تزول قد عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع منها، عن عمره فيما أفناه» الحديث - رواه الترمذي في المسند ٢٤١٧ وقال حسن صحيح.

ولأهمية الـوقت في حيـاة الـمسلم أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ ﴾ سورة الليل آية ١ - ٢، - وقال: «والعصر إن الإنسان لفي خسر» سورة العصر آية ١. وقال: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ ﴾ سورة الضحى: آية ١، ومن المعروف عند أهل التفسير أن الله تعالى إذا أقسم بشيء، فإنما يريد بذلك ليلفت أنظارنا إلى ذلك الذي أقسم به، وينبهنا على جليل منافعه وآثاره.

وقال المحاسبي في رسالة المسترشدين ص ٢٠٥ «وحصِّل الأوقات، واعرف ما يذهب به نهارك وليلك، وجدّد في كل وقت توبة، واجعل عمرك ثلاث ساعات: ساعة للعلم، وثانيه للعمل، =

المطلب الأول:
في كيفية دخول بيته ﷺ
إذا قدم من سفر

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ لا يطرقُ[1] أهله، كان لا يدخل إلا

=

وثالثه لحقوق نفسك، وما يلزمك، واعتبر بمن مضى».

وقال العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في شرح الرسالة: ص: ٢٠٥ «أي اكتسب الأوقات ولا تضيعها فارغة من غير أن تملأها باستفادة أو إفادة، وخاصة إذا كنت طالب علم، فالوقت هو رأسُ مالك» اهـ.

وفي شرح الحكم العطائية ص: ٢٩٠ «قال الحسن البصري رضي الله عنه متحدثاً عن الصحابة وحرصهم على الوقت «أدركتُ أقواماً، كانوا على أنفاسهم وأوقاتهم، أشد حفظاً وأحرصُ منكم على دنانيركم، ودراهمكم، وقالوا: إن ساعات الليل والنهار خزائن مصفوفة يوم القيامة أربعاً وعشرين، فمن كان عمّرها في الدنيا رآها خزائنٌ معمورة بالنعيم، ومن كان ضيعها وجدها فارغة فيندم» اهـ.

وقال الذهبي في السيرة: ٤٤٦/١٩ «كان ابن عقيل الحنبلي يقول: لا يحلُّ لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة أو مناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حالة راحتي وأنا منطرح، فلا أنهضُ إلا وقد خطر ببالي ما أسطره»، وفي تذكرة الحفاظ: ٣/ ١١٤١ «وكان الخطيب البغدادي يمشي في الطريق وفي يده جزءٌ يُطالعه» اهـ.

وقال ابن الجوزي في كتابه النفيس صيد الخاطر ص ٢١، «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يُضيع منه لحظة في غير قربة، وقد كان جماعة من السلف الصالح يُبادرون اللحظات» وفي ص ١٥٥ «ورأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق فشبّهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر» وفي ص ٢٧٨ «وما أَبْلَه من ضيع عمره وهو لا يعلم متى يأتيه الموت، وأشد منه بلهاً وغفلة من عبر الستين وقارب السبعين؟ وهو مع ذلك غافل، وهل بقي لابن الستين منزلاً، فإن طمع في السبعين فإنما يرتقي إليها بعناء شديد، وإن طمع في الثمانين فهو يزحف إليها زحف الصغير، فالعاقل من فهم مقادير الزمن، وينبغي له عند تمام الأربعين أن يجعل همّه التزود إلى الآخرة، فإذا بلغ الستين فقد أعذر الله إليه في الأجل» اهـ باختصار. وفيه أيضاً: ص ٢٧٩ «فلما رأيت الزمان أشرف شيء، كرهت لقاء الناس، وصرتُ أدافع جهدي، فإذا غُلبتُ قصّرتُ الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً ويضيع شيءٌ من وقتي».

(١) في النهاية: أي ليلاً، وكل آتٍ بالليل فهو طارق، ومنه حديث: نهى المسافر أن يأتي أهله طروقاً، وحديث، أعوذ بك من طارق الليل إلا طارق يطرق بخير» اهـ مادة طرق.

غدوة أو عشياً»[١]... [*]....

المطلب الثاني:
في دخوله ﷺ بيته فرأى شيئاً فغضب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ وقد سترتُ بقرام[٢] لي على سهوة لي[٣] فلما رآه رسول الله ﷺ، وقال: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله قالت: فجعلناهُ وسادة أو وسادتين»[٤].... [*]...

---

(١) رواه البخاري: ١٨٠٠ وهذا لفظه، ومسلم: ١٩٢٨، وغيرهما.

(*) في عمدة القاري: ١٨٩/١٠، «ومع أن الزوجين لا تخفى عيوب كلّ منهما عن الآخر، ومع ذلك فقد نهى الشارع عن طروق الرجل أهله ليلاً لئلا يطلع الزوج على ما ينفرُ نفسه عن زوجته، لكون التوادد والتحابب أمر مطلوب شرعاً خصوصاً بين الزوجين» اهـ باختصار.
وزاد في إرشاد الساري: ٣٢٤/٤ «والنهي للتنزيه لا للتحريم، وذلك لئلا يكون يتطلب عثرات أهله، أو يريد كشف أستارها» اهـ باختصار.
وكذا فتح الباري: ٧٢٥/٣. وشرح النووي ٧١/١٣، وزاد في المفهم: ٢٢٠/٤ «وهناك عله أخرى: وهي أن لا يطرقهم يتخونهُم ويطلب عثراتِهم» اهـ.
وزاد في عون المعبود: ٣٣٠/٧، «وأما إن كان سفره قريب أو يعلم أهله متى قدومه فلا بأس بدخوله متى متى شاء إن شاء الله تعالى لزوال المعنى الذي نهى بسببه» اهـ. وزاد في التكمله: ٣/ ٢٦ «والنهي في الحديث ليس عن خصوص الليل أو النهار، وإنما المقصود النهي عن المفاجأة أو طلب العورات أو العثرات أو الاستتار، أو بتخونهم، فإذا انتفت هذه الأشياء وآذانها الزوج بوقت قدومه فحينئذٍ لا بأس بطروقه ليلاً» اهـ باختصار.
وكذا في حاشية الشنواني وزاد ص ٣٥٩ «ويؤخذ منه كراهية مباشرة الرجل زوجته في حالة لا تكون فيها متنظفة لئلا يطلع منها على ما يكون سبباً لنفرته بسبب ما يكون من الرائحة الكريهة، وفيه دليل العمل على كل ما من شأنه أن يزيد المحبة، بين الزوجين، ويؤخذ منه أن الإستحداد ونحوه، مما تتزين به المرأة لزوجها أمر مستحب، وليس داخلاً في معنى تغيير الخلقة» اهت باختصار وتصرف.

(٢) في النهاية: «القرام: الستر الرقيق، وقيل الصفيق من ضفوف ذي ألوان، والإضافة، كقولك: ثوبٌ قميص وقيل أيضاً: هو الستر الرقيق، وراء الستر الغليظ، ولذلك أضاف» اهـ.

(٣) قال في النهاية: «السهوة بيتُ صغير منحدرُ في الأرض قليلاً شبيهٌ بالمخدع، وقيل هي كالصِفة تكون بين يدي البيت، وقيل شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء» اهـ مادة سها.

(٤) البخاري ٥٩٥٤ واللفظ له، ومسلم: ٢١٠٧.

(*) قال القرطبي في المفهم: ٤٢٧/٥ «يفهم منه كراهية ستر الحيطان بالسّتر - البرادي - لأن ذلك من السرف، وفضول زهرة الدنيا لذلك نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يمدذ عينه إليها. وقد فعل ذلك =

=

سلمان رضي الله عنه حين تزوج، فجاء ليدخل البيت قد سترت، فلم يدخل، وقال منكراً لذلك: أمحموم بيتُكم، أم تحولت الكعبة في كندة فأزيلَ كل ذلك، ودعا ابن عمر رضي الله عنهما أبا أيوب رضي الله عنه، فرأى ستاراً على الجدار، فقال: أبو أيوب: ما هذا؟ فقال: غلبنا عليه النساء! فقال: من كنت أخشى عليه، فلم أكن أخشى عليها، والله لا أطعم لك طعاماً فرجع، وفد أفاد حديث عائشة رضي الله عنها، المنع من ستر حيطان البيوت، ومما يجرُّ إلى الميل إلى زينة الدنيا، ومن اتخاذ الصور المرقومة، ومن الصلاة إلى ما يشغل البال» اهـ باختصار.

وقال في الفتح ٤٠١/١٠ «واستدل بالحديث على جواز اتخاذ السترة أو ما شابهها إذا كان فيه تصاوير، وهي مع ذلك مما يُداس ويمتهن بالاستعمال كالمخاد والوسائد وما أشبه ذلك، وهو قول جمهور أهل العلم، فإن كان معلقاً على حائط أو ملبوساً أو نجد ذلك مما لا يُعدُّ ممتهناً فهو حرام، وذهب ابن العربي إلى أن الصور التي لا ظل لها، إذا بقيت على هيئتها حرمت سواء كانت مما يمتهن أم لا، وإن قطع رأسها أو فرقت هيئتها جاز» اهـ باختصار.

وكذا في عمدة القاري: ١١٤/٢٢، كلام قريب مما ذكر، وكذا بعضه في زاد المسلم: ٢٣٢/٢.

قلت: والذي يهمنا اليوم هو معرفة حكم التصوير الفوتغرافي.

قال في روائع البيان: ٤١٠/٢ «قسم العلماء الصور إلى أقسام:

الصور التي لها ظل، وهو المصنوعة من معادن أو حجر، أو غير ذلك، وهي التماثيل، فهذه إن كانت لذي روح من إنسان أو حيوان، فهي حرام بإجماع الأمة، وكذلك الصور المصورة باليد لذي روح فهي أيضاً حرام بالإجماع.

الصورة الكاملة الخلق، بحيث لا ينقصها إلا نفخ الروح فهي أيضاً حرام بالإجماع.

صور الجمادات التماثيل لغير ذي روح كالأنهار والأشجار والشمس والقمر والنجوم. فهذا جائز أيضاً بالإجماع.

أما التصوير الفوتوغرافي، يرى بعض المتأخرين من العلماء أن التصوير الشمسي لا يدخل في دائرة التحريم إذ ليس فيه مضاهاةً أو مشابهة لخلق الله تعالى، وأنّ حكمه حكم الرقم في الثوب المستثنى.

قلت: - أي - مؤلف الكتاب: وهو إن لم يكن فيه مضاهاةٌ للخلق، وليس تصويراً باليد، إلا أنه يُسمّى تصويراً، فينبغي أن يقتصر فيه الإباحة على الضرورة، كإثبات الهوية الشخصية، أو مافيه مصلحة مما يحتاج إليه الناس في معاملتهم» اهـ.

وكذا في فقه السيرة ص ٣٨٠، والنهضة الإصلاحية ص ٩٢٦٤. ونظرية الضرورة الشرعية ص ٢٦٩.

وكذا في التكملة: ٩٦/٤ - ٩٧، فيها بحث مستفيض عن ذلك. فليُراجع

قلت: ويُمكن أن يتعلق حكم التصوير بالشيء المصوّر، فمثلاً تصوير مجالس العالم والاحتفالات الدينية وماشابه فهذا حلال، أمّا تصوير ما هو محرم فعله كالحفلات الماجنة، وما اختلط فيه الرجال والنساء أو ما شابهه فهو حرام ولا أظنّ أنّ عالماً يقول بإباحة ذلك، والله

=

وعن أم سلمة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ دخل وعندها مُخنّث، وعندها أخوها عبدالله بن أبي أمية[١]. والمخنث يقول لعبدالله، يا عبدالله بن أبي أمية، إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمانٍ قال فسمعه رسول الله ﷺ، فقال لأم سلمة: «لا يدخُلنَّ هذا عليك»[٢].... [*]...

=

أعلم.

(١) «هو عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، واسم أبيه حذيفة وهو أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، كان في بادئ أمره شديد العداوة للنبي ﷺ أسلم يوم الفتح بعد ما كان مهاجراً إليه قبله، فلقيه في الطريق. مات يوم الطائف متأثراً بجراحه» انظر أسد الغابة: ١١٨/٣.

(٢) رواه البخاري ٤٥٢٤، مسلم في صحيحه: ٢١٨٠، وأحمد في المسند: ١٩٠/٦، والبخاري: ٤٣٢٤ و٥٢٣٥ و٥٨٨٧ والنسائي في الكبرى: ٩٢٤٥ وفي عشرة النساء ٣٦٣، وأبو يعلى ٦٩٦٠، والبيهقي في السنن: ٨/ ٢٢٣ و٢٢٤، وفي الصغير: ٣٢٢٢ وفي معرفة السنن: ١٦٧٨٤، وفي الشعب ١٠٨٠٢، وفي الدلائل: ١٦٠/٥، ومالك في الموطأ: ٧٦٧/٢، وابن عبدالبر في التمهيد: ٢٧٠/٢٢ وابن أبي شيبة في المصنف: ٦٣/٩، وأبو داود في السنن: ٤٩٢٩ وابن ماجه ١٩٠٢، وفي الآداب للبيهقي: ٧٤٢.

(*) في المفهم: ٥١٢/٥ «التخنث: هو اللين والتكسّر، والمخنث هو الذي يلين في قوله، وينكسر في مشيتِهِ، ويتثنّى فيها كالنساء، وقد يكون خِلقةً، وقد يكون تصنعاً من الفسقة، ومن كان ذلك فيه خلقة، فالغالب في أحواله، أنه لاحاجة له في النساء، وكذلك كان أزواج النبي ﷺ يعددن هذا المخنث من غير أولي الإربة، فكانوا لا يحجبونه إلى أن ظهر منه ما ظهر فحجبوه، وأشهر الأقوال أن اسمه هيت - ومعنى قوله: إن هذه المرأة إذا أقبلت لها من كل جانب من جوانب بطنها عكنتان، والعكنة، هي: الطيّ الذي يكون في جانب البطن من السمن، وإذا أدبرت لها من خلفها ثمان، فأجلاه النبي ﷺ من المدينة إلى الحمى. إلى أن مات في زمن عمر رضي الله عنه. وفيه ما يدل على جواز العقوبة بالنفي عن الوطن، لمن يخاف منه الفساد والفسق، ويدل على تحريم ذكر محاسن المرأة المعينة، وفيه أن من خنث وتشبه بالنساء فقد أتى كبيرة من الكبائر، ولا يقرّ على ذلك بل يؤدب بالضرب أو السجن أو النفي حتى ينزع عن ذلك» اهـ باختصار.

وكذا في الفتح: ٢٤٥/٩ وزاد: «فلما كبر وضعف أذن له عمر أن يدخل المدينة فيسأل الناس حاجته» اهـ.

وكذا في عمدة القاري: ٣٠٦/٢٠ -، وعون المعبود: ١٨٨/١٣ - ١٨٩. وكذا في إرشاد الساري: ٣٠٣/٩.

وقال في إرشاد الساري ٣٢٥/٣، وفي عمدة القاري: ٥٧/٨، وفي تحفة الباري: ١٨٨/٢، وفي فتح الباري: ١٥٣/٣، بأنها زينب، وهي إن لم يصرح باسمها البخاري فقد فعل ذلك مسلم في =

المطلب الرابع:
في غيبة بعض نسائه لبعض وموقفه ﷺ من ذلك؟

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: حكيتُ للنبي ﷺ.. فقلتُ: يا رسول الله ﷺ حسبك من صفية أنها قصيرة، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مُزجتْ بماء البحر لأنتنته»[1]...

=

بعض رواياتهِ.

وفي المفهم: ٢/٥٩٢ «لا خلاف في أنّ غسل الميت مشروع ومعمول به في الشريعة، لكن اختلف في حكمه، فقيل واجب، وقيل سنة - وهو عند الحنفية فرض - وفي الحديث استحباب الوتر في الغسل. وغسله بماء فيه رائحة الطيب. وذلك للقاء الملكين. وفائدة تخصيص الكافور تبريدُ جسد الميت، وتجفيفة، ومنعه سرعة التغيير، ولرائحته وفإن عُدم قام غيره من الطيب مقامه، وهذا كله إكرام للميت، وإعداداً له للقاء الملائكة الكرام» اهـ باختصار.

وقال النووي في شرحه: ٧/٥ «وفيه دليل على أن النساء أحقُّ بغسل المرأة من زوجها. مع أن الجمهور على جواز غسل الرجل زوجته ومنع من ذلك الشعبي، والثوري، وأبو حنيفة، وقالوا لا يجوز للزوج غسل زجته، وأجمعوا على أن لها غسل زوجها» اهـ باختصار. وكذا في فتح الملهم: ٤/٤٦٠ شيء مما ذكر، وإرشاد الساري: ٣/٣٢٧، وتحفة الباري: ٢/١٨٨.

وقال العيني في عمدة القاري: ٨/ ٥٨ «فيه التنويع في غسل الميت على أن لا تتجاوز السبع - وفي ص ٦٠ والحكمة من إعطائه ﷺ حقوه في كفن زينب، التبرك بآثاره ﷺ الشريفة، وإنما آخر ذلك ليكون قريب العهد من جسده الشريف حتى لا يكون بين انتقاله من جسده ﷺ إلى جسد زينب فاصل، وهو أصل في التبرك بآثار النبي ﷺ وجاهه، وبالصالحين» اهـ باختصار.

وقال أنس توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرج بجنازتها وخرجنا معه فرآيناه كئيباً حزيناً، فلما دخل قبرها خرج ملتمع «في اللسان: التُمع لونه، ذهب وتغير، ويقال للرجل إذا حزن أو فزع أو غضب متغير لذلك لونه: قد التمع لونه» اهـ مادة لمع. - اللون وسَألناه عن ذلك أي عن سبب تغير لونه ﷺ - فقال إنها كان مسقامة - أي كثيرة المرض - فذكرتُ شدة الموت وضمة القبر فدُعوتُ الله أن يخفف عنها» - رواه الحاكم في المستدرك: ٤/٤٦ وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(١) رواه أحمد في المسند: ٦/١٨٩، وفي مواضع غير في مسند عائشة واللفظ لأحمد، والترمذي ٢٥٠٢، وقال حديث حسن صحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت: ٢٠٦، والخرائطي في مساوئ الأخلاق: ٢٠٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٦٧٢١، والخطيب البغدادي في الكفاية ص ٤٠، وأبو داود ٤٨٧٥، وإسحاق بن راهويه: ١٥٩٦، وابن المبارك في مسنده ٢١، وفي الزهد ٧٤٢، والبغوي في الجعديات ١٧٥٩، وأبو نعيم في أخبار أصبهان: ٢/٢٧٨.

ومعنى قول عائشة رضي الله عنها: وحكيت له إنساناً أي إن أفعل مثل فعله أو أقول مثل قوله؟ وكان من بعد هذا ندم وتوبة من عائشة لما زجرها النبي ﷺ[١].

والمعنى أن النبي ﷺ لم يرض لعائشة أن تغتاب ضرتها صفية، وتقول عنها كذا وكذا، فعظم عليه ﷺ أن يسمع غيبة أحد، وأخبرنا أن كلام الغيبة لو مُزج بالبحر لغيّره، فكيف بمن تجلس مع قرينتها وتغتاب من قريب وبعيد فإن الغيبة من الكبائر أعاذنا الله منها.

---

(١) انظر عون المعبود: ١٥١/١٣.

الفصل الثاني: في حسن معاملته ﷺ لذريته، وأقربائه، وخدمه، وزواره والوافدين عليه

المبحث الأول:

في حسن معاملته لأولاده ﷺ

ولدت خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ ولده كلهُم، إلا إبراهيم، وأكبر بنيه القاسم، ثم عبدالله، ولقبهما، القاسم الطيب، وعبدالله الطاهر، وأكبر بناته ﷺ رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، فأما الذكور فهلكوا قبل البعثة، وأم بناتُه فكلهُنَّ أدركن الإسلام فأسلمن، وهاجرن معه ﷺ»[1]....

والراجح أن زينب هي أكبر بناته، وفاطمة صغراهنّ، وكلهُنّ من الأم الجليلة والسيدة الكريمة الفاضلة خديجة رضي الله عنها، وجميعهنّ أدركن الإسلام، وهاجرن إلى المدينة، كما أنهُنّ قد توفين في حياته ﷺ ما عدا فاطمة، ماتت بعده ببضعة أشهر، وقد عشن البنات الأربع في بيت النبوة، الوالد هو سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء، والمرسلين، والوالدة سيدة نساء أهل الجنة، وقد رُبِيّن على الشكر في الرضاء والسراء، والصبر في البأساء والضراء، والصفح عمن ظلمهُنّ، والكرم عند ضيفهنّ، والصدق عند حديثهنّ والتواضع أثناء سيرهنّ، والخشوع في عبادتهِنّ، والإخلاص في سائر أعمالهِنّ[2].

فلما كان مزاج النبي ﷺ معتدلاً وجب أن يكون له بنين وبنات، وبنوه يجب أن لا تطول أعمارهُم، لأن أعمارهم إذا طالت بلغوا سن النبوة، وحينئذ لا يخلو إما يكونوا

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن إسحاق: ١/١٩٠، والمستدرك للحاكم: ٤/٤٢، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢/٢٤٦، وابن سعد في الطبقات: ٨/٢٥، والهيتمي في مجمع الزوائد: ٩/٢١٢، وفي السيرة الشامية: ١١/١٦، والسيرة الحلبية: ٣/٣٩١، والأكثر من هؤلاء، رجحوا أن زينب هي أكبر بناته، وانظر سيرة آل البيت ص ٢٨٧.

قال في مجمع الزوائد: ١/٢١٧، رجاله ثقات.

(٢) انظر سيرة آل البيت ص ٢٨٧.

أنبياء، أو لا يكونوا كذلك، ولا يجوز أن يكونوا غير أنبياء، وإلا كان ذلك نقصاً في حقه ﷺ، وهو معصوم عن النقص، وأما بناتُهُ فيجوز أن تطول أعمارهم إذا النساء لسن بأهل للنبوة[١].

أجمع أهل النقل أن خديجة ولدت للنبي ﷺ أربع بنات، واختلفوا في الذكور، فقيل فقط القاسم، وقيل ثلاثة ذكور: عبدالله، والطيب، والطاهر، وقيل: اثنان القاسم، وعبدالله وهما الطيب والطاهر، والخلاف في ذلك كبير، وماتوا صغاراً، ولم يكن له من غير خديجة، إلا من مارية إبراهيم ولدته مارية في المدينة، وتوفي وهو رضيع، كما سبق في مطلب سراريه ومات بناته ﷺ كلهّن في حياته ﷺ إلا فاطمة فإنها توفيت بعده بستة أشهر[٢].

المطلب الأول:

في زينب بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها

فأما زينب فقد ولدت وكان سنّ النبي ﷺ ثلاثين سنة، وذلك قبل بعثته ﷺ بعشر سنين، وكان زواجها مبكراً، فقد كانت أول من تزوج من بنات النبي ﷺ، تزوجها أبو العاص بن الربيع[٣]، ابن خالتها هالةَ[٤] بنت خويلد أخت خديجة. رضي الله عنها[٥]، فلما بعث النبي ﷺ أسرعت زينب إلى الإيمان بالنبي ﷺ وبقي زوجها على الشرك[٦]. ولم تستطع الهجرة مع النبي ﷺ، حتى وقعت غزوة بدر الكبرى، وكان زوجها ممن

(١) انظر السيرة الشامية: ١٨/١١.

(٢) انظر المفهم: ٣١٣/٦.

(٣) هو «أبو العاص بن الربيع، بن عبدالعزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي صهر رسول الله ﷺ من زينب واسمه، ربيعة وهو ابن اخت خديجة، هالة بنت خويلد، أسلم قبل الحديبية لخمسة أشهر مات سنة اثنتي عشرة للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه» السيرة: ٣٣٠/١ نسب قريش ٢٣٠، أسد الغابة: ١٨٥/٦، مجمع الزوائد: ٣٧٩/٩، الإصابة: ٢٣١/١١.

(٤) لم أجد لها ترجمة وذكر إلا في كونها أخت خديجة.

(٥) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٥/٨، سير أعلام النبلاء: ١٤٦/٢، والمستدرك للحاكم ٤: ٤٤، والسيرة النبوية لابن هشام: ٦٥١/١، وأسد الغابة: ١٨٥/٦، ومجمع الزوائد: ٣٧٩/٩، قال: وفي إسناده انقطاع. وانظر سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٢٨٨.

(٦) انظر الطبقات الكبرى: ٢٥/٨، وسيرة آل البيت ص ٢٨٨.

حضر هذه المعركة في صفوف المشركين، فوقع أسيراً بين أيدي المسلمين[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنتُ رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها يوم زواجها بأبي العاص، قالت فلما رآها النبي ﷺ رقّ لها رقةً شديدة، وقال: إن رأيتُم أن تطلقوا لها أسيرها، وَتردُّوا عليها الذي لها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها[٢]..... (*)...

ولما تعرض لها بعض كفار قريش حينما أرادت الهجرة، وعلم النبي ﷺ حزن لذلك حزناً شديداً، حتى بعث سرية من أصحابه لملاقاة زينب ومعاقبة المعتدين وأقام زوجها يمكث كافراً حتى إذا خرج لعير لقريش، قال «خرج أبو العاص في عير لقريش وبلغ رسول الله ﷺ أنّ عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب، فلقوا العير فأخذوها وأسروا أناساً، وفرّ أبو العاص بن الربيع إلى المدينة، فدخل على زينب بسحرٍ، فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر، قامت: زينب على باب المسجد فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس هل سمعتُم ما سمعت قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعتُ الذي سمعتُم، المؤمنون يدٌ على من سواهم يُجيرُ عليهم أدناهُم وقد أجرنا من أجارت، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله دخل على زينب فسألتْهُ أن يرُدّ على أبي العاص ما أخذ منه ففعل، فقال: أي

---

(١) السيرة: ٢٤٦/٢، والطبقات الكبرى: ٢٦/٨.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٢٧٦/٦، وفي سيرة ابن هشام: ٦٥٣/١، وأبو داود: ٢٦٩٢، وابن الجارود ١٠٩٠، والطبراني في الكبير: ١٠٥٠/٢٢، والحاكم: ٢٣/٣ و٢٣٦ و٣٢٤ ووافقه الذهبي على تصحيحه، والبيهقي في الدلائل: ١٥٤/٣، وفي السنن ٣٢٢/٦ والواقدي في مغازيه ١٣٠/١، قال في: الموسوعة: ٤٣ /٣٨١ إسناده حسن من أجل ابن إسحاق.

(*) قال في عون المعبود: ٢٥٤/٧، «وكانت القلادة لخديجة فأهدتها لزينب حين تزوجت، فلما رآها النبي ﷺ رقَّ رقة شديدة لما تذكر عهد خديجة وصحبتها، ولما تعانيه زينب في غربتها، وبعدها عنه ﷺ» اهـ.

وفي السيرة: ٢٤٦/٢، «وكان ﷺ أخذ عليه العهد أن يُخلي سبيل زينب، لتهاجر إلى المدينة ففعل» وأشار إلى ذلك البخاري في صحيحه بعد الحديث ذي الرقم ٣٧٢٩ «وذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته فأحسن، قال: حدثني فصدقني ووعدني فوفى».

بنية: أكرمي مثواه، ولا يخلص اليك فإنك لا تحلين له، ورد عليه ﷺ ما أخذ من مال العير بعد موافقة الصحابة، ثم ذهب إلى مكة فردَّها إلى أهلها ثم عاد مسلماً إلى المدينة، فردّ عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول(١).

وعاشت زينب في المدينة مع النبي ﷺ وزوجها مقيمة على طاعة ربها، فتصفه بكل فضيلة حتى جاء الذي لا مفرَّ منه ولا حيلة، هادم اللذات، ومفرق الجماعات إنه الموت(٢).

ولما دخل رسول الله ﷺ على النساء اللواتي كن يغسلنها قال: اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك إن رأيتُنّ بماء وسدر(*)، أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتُنّ فآذنني، فلما فرغن آذناه، فأعطانا حقوه(٣). - فقال: أشعِرْنها(٤) - إياهُ تعني إزاره.

... ولقد توفيت زينب ابنة رسول الله ﷺ وتركت وراءها ابنة من أبي العاص بن الربيع هي أمامة بنت أبي العاص، وقد كان الرسول الأكرم ﷺ يُسّر بها، ويلاعبها، ويُحبّها حباً كثيراً حُبّ الجد لحفيدته، ودليلنا في هذا، ما حدثت به السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «أهديتْ للنبي ﷺ قلادةٌ من جزْع(٥)، فقال: لأدفعنّها إلى أحب أهلي إليّ، فقالت نساؤه ﷺ: ذهبت بها عائشة، فدعا النبي ﷺ أمامة بنت زينب، فعلقها في عنقها»(٦). وفي رواية: «قدمت عليه حليَةٌ من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب، وفيه فصٌّ حبشي، فأخذه النبي ﷺ بعودٍ ببعض أصابعه، معرضاً عنه، ثم دعا

---

(١) انظر الطبقات: ٢٧/٨، وبعضه في المستدرك: ٤٥/٤، سكت عنه الذهبي وانظره مطولاً في مجمع الزوائد: ٢١٥/٩. ٢١٦.

(٢) انظر سيرة آل البيت ص ٢٩٤.

(*) «في النهاية: السدر: هو شجر النبق من شجر الصحراء» اهـ مادة سدر. «واجعلن في الآخرة كافوراً - في لسان العرب - هو أخلاط تجمع من نبات طيب الرائحة تركب من كافور الطلع قال ابن دُريد: لا أحسب الكافور: عربياً» اهـ مادة كفر».

(٣) في النهاية: «الحقو: معقد الإزار، وجمعه: أحق وأحقاء، ثم سمي به الإزار للمجاورة» مادة حقا اهـ.

(٤) في النهاية: «الشعار: الثوب الذي يلي الجسد لأنه يلي شعره» اهـ مادة شعر.

(٥) في النهاية: «الجزع بالفتح: الخرز اليماني الواحدة جزعة» اهـ مادة جزع.

(٦) رواه أحمد في المسند: ١٠١/٦، واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده: ٤٤٧١، وابن سعد في الطبقات: ٤٠/٨، وفي الموسوعة ٢٣٢/٤١، إسناده ضعيف. بضعف على بن زيد، وجهالة أم محمد، وهي امرأة أبيه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

أمامة بنت أبي العاص ابنة ابنته زينب، فقال تحلِّي بهذا يا بنية»[١].... [*]... بل إن النبي ﷺ وقد شده حبه لها ورحمته إياها كان ﷺ يُصلي وهو حامل أمامة بنت بنته زينب، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها»[٢].. [*]..

---

(١) وبهذا اللفظ رواه أحمد في المسند: ١١٩/٦، وأبو داود ٤٢٣٥، والبيهقي في السنن: ١٤١/٤، وتمام في فوائده ١٠٤٨ وابن أبي شيبة: ٤٦٥/٨، وفي الطبقات: ٤٠/٨، وابن ماجه ٣٦٤٤، والطبراني في الكبير: ١٠٨٠/٢٢، وأبو يعلى في مسنده: ٤٤٧٠، وقال في مجمع الزوائد: ٩/ ٢٥٤ وإسناد أحمد وأبي يعلى حسن.

(*) قال في عون المعبود: ١٩٩/١١. «وفيه دليل على أن الذهب مباح للنساء» اهـ.
قلت: وفيه مدى حبه ﷺ لحفيدته أمامة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٥١٦، ومسلم ٥٤٣.
وقال الذهبي في السير: ٣٣٥/١ «عاشت زينب ثلاثين سنة»

(*) قال الشعراوي رحمه الله تعالى، في سيرة آل البيت: ص ٢٩٦: «وقد خيَّر العلماء هذا الموقف النبوي مع الصغيرة أمامة بنت زينب» اهـ.
وقال القرطبي في المفهم: ١٥٢/٢ «اختلف العلماء في تأويل حمل النبي ﷺ لأمامة في الصلاة، والذي أحوجهم إلى تأويله: أنه شغل كثير - ثم استبعد قول من قال ذلك في النافلة من المالكية - وقيل: فعله ذلك كان للضرورة إذا لم يجد من يكفيه أمامة - وهذا بعيد أيضاً - وقيل مسنوخ: وأنه ﷺ كان ذلك منه على غير قصد قال: لكون أمامة تعلقت به قاله الخطابي، ثم قال القرطبي: والأشبه في ذلك أنه كان لضرورة لم يقدر أن ينفكَّ عنها، وفيه: تواضع النبي ﷺ وعظيم شفقته ورحمته للصغار، وفيه جواز حمل ما لا يشغل في الصلاة شغلاً كثيراً» اهـ باختصار.
وانظر في ذلك الفتح: ٧٠٤/١، وزاد، «قال عياض إن ذلك من خصوصيته ﷺ، وَردَّ بأن الأصل عدم الاختصاص».
وكذا في عمدة القاري: ٣٣٢/٤، وإرشاد الساري: ١٦٨/٢، وعون المعبود: ١٣١/٣، وزاد النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: ٣٢/٥ وقال: «وكل هذه الدعاوى باطلة، بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك وليس فيه ما يخالف قواعد الشرع، بل الدلائل متظاهرة على جواز ذلك» اهـ باختصار.
وزاد في فتح الملهم: ٣٨٨/٣ «وكان السر في فعله ﷺ ذلك؟ دفعاً لما كان العرب تأنفه من كراهية البنات وحملهنّ، فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة، للمبالغة في ردعهم، والبيان بالفعل أقوى من القول، وفيه: اكرامهُ ﷺ للبنات وجبراً لهم ولوالديهم» اهـ باختصار.
وجمع الشعرواي رحمه الله تعالى معظم هذه الأقوال، في كتابه سيرة آل البيت ص ٢٩٦، وما بعدها:
زاد في ص٢٩٨ «وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقته، فيحملها إذا قام، وفيه عظم قدر رحمة الوالد لولده» اهـ.
=

المطلب الثاني:

في رقية بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها

وأما رقية بنت رسول الله ﷺ فقد ولدت سنة ست وثلاثين من مولد النبي ﷺ[١]. فتكون ولادتها قبل بعثته ﷺ بأربع سنين.... [*]... وعاشت رقية في بيت النبوة وتأدبت بآدابه فلما شبت عقد عليها عتبة ابن عمها أبي لهب، ولم يدخل بها فلما بعث رسول الله ﷺ وأنزل الله سورة تهجو أبا لهب، فقال: أبو لهب لابنه رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد - ﷺ - ففارقها ولم يكن دخل بها. وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعت النساء، وتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجرت إلى الحبشة الهجرتين وولدت من عثمان عبدالله، وكان عثمان يكنّى به وبلغ سنتين ثم مات[٢].

المطلب الثالث:

في ابنته ﷺ أم كلثوم رضي الله عنها

وكانت قد عقد عليها عُتَيْبَة بن أبي لهب بن عبدالمطلب فلما بعث النبي ﷺ وأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾[٣] قال له أبوه رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، ففارقها ولم يكن دخل بها، فلم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ وأسلمت...

=

قلت: ولعل ما ذكره في فتح الملهم أقرب إلى الحكمة من سبب فعله ﷺ.

وأمامه هذه عاشت حتى تزوجها علي رضي الله عنه في خلافة عمر وكان لعلي منها ولد، وتزوجت بعد علي المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي، وكان له منها يحيى، وقيل لم تنجب لامن علي ولا من نوفل» اهـ السيرة: ٣٣٥/١ والطبقات: ٣٣٥/٨، والطبقات ٨/ ٣٢.

السيرة ٢٥١/٢ والطبقات: ٢٢٩/٨، وفي المستدرك: ٥١/٤، ومجمع الزوائد: ٢١٧/٩، وعزاه إلى الطبراني وقال ورجالهما إلى قائلة ثقات.

(١) الحاكم في المتسدرك: ٤٦/٤، والسيرة: ٢٥١/٢.

(*) ولما ماتت رقية قال رسول الله ﷺ: الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون، فبكت النساء على رقية. وقعدت فاطمة الزهراء على شفير القبر تبكي على رقية.

(٢) انظر السير.

(٣) سورة المسد: آية (١).

وبايعت رسول الله ﷺ وأخواتها ثم هاجرت مع عيال رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم تزل بها. فلما توفيت أختها رقية بنت رسول الله ﷺ زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه تزوجها وهي بكرٌ، كان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة فلم تلد له، إلى أن ماتت سنة تسع من الهجرة فكان رسول الله ﷺ قد خرج إلى بدر وهي مريضة فخلّف عليها زوجها عثمان فتوفيت ورسول الله ﷺ في بدر ولم يشهد دفنها. «لو كنَّ عشراً لزوجتهُنّ عثمان»[1].... [*]...

المبحث الثاني:

في ابنته ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنها

إنها سيدة نساء العالمين، البضعة النبوية، والجهة المصْطفويّة، أم أبيها - كانت تكنى ابنة أبيها - سيد الخلق محمد ﷺ، القرشية الهاشمية، أم الحسنين، مولدها قبل البعثة بقليل[2]... [*]...

---

(١) السيرة: ٢/٢٥٢، والطبقات ٨/٣٠ - ٣١ وفي مجمع الزوائد: ٩/٨٣، فيه القلابي ضعفه الجمهور وقال ابن حبان يعتبر حديثه.

(*) وكذا في السيرة: ٢/٢٥٣، قال في مجمع الزوائد: ٩/٨٣.
وفيه محمد بن زكريا القلابي ضعفه الجمهور، وقال ابن حبان يُعتبر حديثه إذا روى عن الثقات.
«وعن أنس رضي الله عنه قال شهدنا ليلتنا لرسول الله ﷺ وهو جالس على القبر، فرأيتُ عيناهُ تدمعان، فقال: هل فيكم رجلٌ لم يُقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل قال: فنزل في قبرها» - البخاري ١٢٨، والترمذي في الشمائل ٣٢٧، والطيالسي ٢١١٦، وفي الطبقات لابن سعد ٨/٣٨ والدولابي في الذرية الطاهرة: ٨٢.
وفي رواية أخرى نزل في حفرتها علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد) ٩ الطبقات: ٨/٣١.
وفي عمدة القاري: ٨/١١٠، والفتح: ٣/١٨٨، أنها أم كلثوم زوج عثمان رضي الله عنها.
وقال في عمدة القاري: ٨/١١١ «وفيه جواز البكاء على الميت، وجواز إدخال الرجل المرأة في قبرها لكون الرجال أقوى على ذلك من النساء ولو كان غير ذي رحم محرم، وإيثار البعيد العهد على ملامسة النساء في مواراة الميت. وفيه جواز الجلوس على شفير القبر» اهـ
وكذا في الفتح: ٣/١٨٨.

(٢) هكذا قال الذهبي في السيرة: ٢/١١٨ - ١١٩، وأبو نعيم في حلية الأوليا ء: ٢/٤٠.

(*) وقبل الحديث عن السيدة البتول فاطمة الزهراء، لا بد من الإشارة إلى أن الله تعالى فضّل العرب على غيرهم من الأمم فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ =

وإذا كان ذلك كذلك، فالثابت أيضاً أن رسول الله ﷺ، قال لفاطمة رضي الله عنها: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة»[1].. وكان ﷺ يُحبها ويكرمها، ويُسِرُّ إليها، كانت صابرة دينة، خيِّرة، صيِّنة، قانعة، شاكرة لله تعالى[2] اهـ.

=

ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (١١٠) سورة آل عمران، أضف إلى ذلك بأن خير خَلق الله سيدنا محمد ﷺ هو عربي، ولذا وجب حبّ العرب، وورد التحذير من بغضهم خصوصاً منهم جيل الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «لا يبغض العرب إلا منافق» - رواه أحمد في المسند: ٨١/١، وابن عدي في الكامل: ١٠٥٩/٣، وهو ضعيف بسبب إسماعيل بن عياش فقد أجمعوا على ضعفه لما قال بن عدي.

وقوله ﷺ:. من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فبغضي أبغضهم» - قال في مجمع الزوائد: ٢١٥/٨، رواه الطبراني، وفيه حماد بن واقد ضعيف، ويعتبر حديثه وبقية رجاله ثقات، وهناك روايات أخرى في هذا المعنى.

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣٦٢٣ و٣٦٢٤ و٦٢٨٥ و٦٢٨٦، وفي الأدب المفرد: ٩٤٧ و٩٧١، ورواه مسلم في صحيحه.

(٢) انظر السير: ١١٩/٢.

قلت: وقد ألف السيوطي كتاباً جمع فيه مسند فاطمة رضي الله عنها وأورد فضائلها فبلغ أقصى ما يمكن استقصاؤه فأثبت بالتواتر أن فاطمة سيدة نساء هذه الأمة، وكذا قال السيوطي في الآثار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٢٧٦ - ٢٨٧ وسبقه إلى ذلك ابن حجر في الفتح: ١٠٥/٧: وقال: قال العلماء بتواتر ذلك.

وقال في فيض القدير: ٤٥٠/٣ «أي إن حبّ العرب وقريش آية الإيمان، وبغضهم آية النفاق، ذلك لأن هذا الدين نشأ منهم، وكان قيامه بسيوفهم وهممهم، ولأن من علامة صدق الحب حبّ كل ما ينسب إلى المحبوب، فإن من يحبُّ إنساناً يحبّ كلب محلته، فالمحبة إذا قويت تعدّت من المحبوب إلى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به، ويتعلق بأسبابه، فإن من أحب الله تعالى، أحب رسوله، ومن أحب رسوله، أحب العرب، وقريشاً، وبني هاشم وأصحابه وذريته» اهـ باختصار وتصرف وزيادة.

«وإذا ثبت فضل العرب، فقد ثبت أيضاً فضل قريش، وبني هاشم فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» - رواه مسلم في صحيحه٢٢٧٦، وأحمد في المسند: ١٠٧/٤، والبخاري في التاريخ الكبير ١/٤، وفي الصغير: ٩/١ والترمذي ٣٦٠٦، وابن أبي عاصم في السنة ١٤٩٥، وفي الآحاد والمثاني ٨٩٤ وأبو يعلى ٧٤٨٥ والطبراني ١٦١/٢٢، والبيهقي ٣٦٥/٦، وفي الدلائل ٣٦٥/٦ وفي الدلائل: ٣٦٥/٦ والخطيب

=

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيتُ أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ، في قيامه وقعوده، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت إذا دخلت عليه، قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان ﷺ، إذا دخل عليها، قامت من مجلسها فقبلتْهُ وأجلسته في مجلسها(١)....(*)....

ولما لفاطمة الزهراء رضي الله عنها هذه المنزلة الرفيعة السامية، فقد طمع الكبار من صحابة النبي ﷺ أن تكون زوجه له، فهذا أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ

=

في تاريخ بغداد ٦٤/١٣.

(١) رواه الترمذي: ٣٨١٢، وقال: حديث حسن صحيح، رواه الحاكم في المستدرك ١٥٤/٣ ووافقه الذهبي على تصحيحه، وابن سعد في الطبقات: ٢٢/٨.

(*) قال الشيخ العلامة الشعرواي رحمه الله تعالى في سيرة آل بيت النبي ﷺ: ٣٠٩ - ٣١٠ «سمتاً، دلاً، هدياً، هذه الألفاظ متقاربة المعاني، فمعناها الهيئة والطريقة، وحسن الحال، ونحو ذلك، وفسر الدلَّ بحسن الشمائل، وأصله من دل المرأة، وهو شكلها وما يستجد منها، وكأنها أشارت بالسمت إلى ما يُرى على الإنسان من الخشوع، والتواضع لله تعالى، وبالهدي، ما يُتحلّى به من السكينة والوقار، والى ما يسلكه من المنهج المرضى، وبالدل حسن الخلق، ولطف الحديث، ومعاملته ﷺ فاطمة بما صور الحديث يوضح قدر حبه ﷺ لفاطمة، لقد كانت سنوات عمرها مليئة بكل معاني الصبر، والجهاد في سبيل مرضاة الله تعالى، وتحملت الأذى مع رسول الله ﷺ في بدء الدعوة إلى الإسلام، فصبرت على البلاء وتحملت الكثير من المعاناة والمحن، ولذا استحقت أن تكون سيدة نساء المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها» اهـ.

قال المناوي في فيض القدير: ٥٣٦/٤ «قال السبكي الذي نختاره وندين الله به، أن فاطمة أفضل، ثم خديجة، ثم عائشة. ولوضوح، قاله السبكي تبعه عليه المحققون،: فأفضلهن: فاطمة فخديجة فعائشة، وكونها أفضل من سائر أخواتها وباقي النساء كونه خصّها بالبضعة، ولتجرعها ألم فقده دونهن. فكانت أخواتها في صحيفة رسول الله ﷺ، ومات سيد الخلق ﷺ في حياتها فكان رزؤه في صحيفتها ومميزاتها، ومن سؤددها أن المهدي المبشر به آخر الزمان من ذريتها مخصوصة بذلك كله. وفي الفتاوى الظهيرية للحنفية، أن فاطمة رضي الله عنها لم تحِضْ قط ولذا كانت تلد من هنا وبعد ساعة تصلي، لئلا تفوتهاصلاة واحدة، ولذا سميت الزهراء، وقد ذكر هذا أيضاً الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذو القربى وأورد فيه حديثين أنها حوراء آميه هرة مطهرة لاتحيض ولا يُرى لهادم في طمث ولا ولادة، وقد ورد أن النبي ﷺ وضع يده على صدرها ورفع عنها الجوع فما جاعت بعد، ولما احتضرت غسّلتْ نفسها واوحت أن لا يكشفها أحد فدفنها علي بغُسلها ذلك، وذكر العراقي أن فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة» اهـ وذكره المناوي في فيض القدير باختصار.

يحدثنا عن ذلك فيقول: جاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، قد علمْتَ مناصحتي وقِدَمي في الإسلام، وإني وإني قال: ولذاك؟ قلت: تزوجني فاطمة، قال: فسكت عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر رضي الله عنهما، فقال له: قد هلكتُ وأهلكت، قال: وما ذاك؟ قال: خطبتُ فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عنّي، قال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل الذي طلبت، فأتى عمر رضي الله عنه النبي ﷺ، فقعد بين يديه، وقال مثل ما قال أبو بكر - فسكت عنه، فرجع إلى أبي بكر فقال له: إنه ينتظر فيها أمر الله تعالى، قم بنا إلى علي، فأتياه فذكرا له خطبة فاطمة، قال علي: فنبهاني لأمر كنتُ عنه غافلاً، فقمتُ أجرُّ ردائي حتى أتيتُ النبي ﷺ فقعد بين يديه - وقال مثل ما قال أبو بكر وعمر، قال: وما ذاك قال: تزوجني فاطمة، قال: وعندك شيء؟ قلتُ: فرسي وبدني[1] قال: أما فرسك، فلا بُدّ لك منه، وأما بدنك فبعها، قال: فبعتُها بأربع مائة وثمانين، فجئتُ بها حتى وضعتها في حجره، فقبض منها قبضة، فقال، أي بلال ابتع بها طيباً، وأمرهم أن يجهزوها، فجعل لها سريراً مشرطاً بالشريط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وقال إذا أتتك فلا تُحدث شيئاً حتى آتيك، فجاءت مع أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء رسول الله ﷺ، فقال: أين أخي؟ قالت أم أيمن: أخوك وقد زوجتهُ ابنتك؟ قال: نعم، ودخل رسول الله ﷺ البيت، فقال لفاطمة: ايتيني بماء، فقامت إلى قعب[2] في البيت، فأتت فيه بماء، فأخذه ومجّ فيه ثم قال لها تقدمي، فتقدمت، فنضح بين ثدييها وعلى رأسها، وقال اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم أخذ من الماء فمجَّ فيه فدعاني، ثم صبّ على رأسي وبين ثدْيي، ثم قال: اللهم إني أعيذه بك وذريتَه من الشيطان الرجيم، ثم قال لعلي: ادخل بأهلك باسم الله والبركة)[3].. [*]..

---

(١) في النهاية: ذكر الحديث، ثم قال: «البدن: الدرع من الزرد، وقيل هي الصيرة منها» اهـ مادة بدن.

(٢) في لسان العرب المحيط: «القعبُ: القدح الضخْم، والغليظ، الجافي، وقيل: قدح من خشب، مُقَعَّر، وقيل: قدح إلى الصغر يُشبّه به الحافر، والجمع القليل: أقعُب، الكثير قعابٌ وقعبة وأول الأقداح الغمر، ثم القعب، ثم العس» مادة قعب.

(٣) الحديث رواه بهذا السياق ابن حبان رقم ٦٩٤٤، والطبراني في الكبير ١٠٢١/٢٢، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد: ٢٠/٩، وقال فيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف.

قلت: والحديث له شاهد أورده في مجمع الزوائد: ٢٠٦/٩ - ٢٠٧ بغير هذا اللفظ ولكن بنفس المعنى وبطلب أبي بكر وعمر ذلك وقال الهيتمي: ٢٠٧/٩ وفيه محمد بن ثابت بن أسلم وهو =

المطلب الأول:

في وليمة عرس فاطمة رضي الله عنها

لما خطب علي فاطمة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ لعلي، لا بدّ للعرس من وليمة، فقال سعد[1] علي كبش، وقال: فلان: عليّ كذا وكذا من

=

ضعيف.

وشاهد آخر أيضاً، وفيه أن سعد بن عبادة ذكر فاطمة، أمر علياً رضي الله عنهما بذلك، وجاء علي وخطبها من رسول الله ﷺ قال في مجمع الزوائد: ٢٠٨/٩ وفيه يحيى بن يعلى وهو ضعيف.

وله شاهد أيضاً من حديث بريدة، وهو قريب مما ذكر قال في مجمع الزوائد: ٢٠٩/٩، قال: ورجالهما رجال الصحيح.

قلت: وكل الروايات الواردة في ذلك تذكر قصة الماء ودعاءه ﷺ لعلي وفاطمة انظر المجمع: ٢٠٤/٩، وما بعدها والدعاء صحيح، وشاهد أيضاً عن ابن عباس عند ابن حبان ٦٩٤٥، وأبي داود ٢١٢٥، وأيضاً عن أنس عند أبي داود وكذا ٦٩٢٦، عند ابن حبان ٦٩٢٧ عن علي وعن بريرة عند النسائي: ٢٢/٦، والحاكم ١٦٧/٢ ووافقه الذهبي، وأحمد في الفصائل: ٦٣١/٢ والدولابي ابن في الذرية الطاهرة: ٩٢.

(*) قلت: يزعم بعض أهل البدع ممن يشتمون الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ تزوج عائشة وحفصة تقيه لشرهم؟ كبرت كلمة تخرج من أفواهم إن يقولون إلا كذبا؟!!

وما ذلك إلا للدلالة على مذهبهم الفاسد في التقية؟ إذ لو كان الأمر كذلك وحاشاه ﷺ لبادر إلى تزويجهم فاطمة وهذا رد على زعمهم ولكن الزّيغ والضلال والحقد الدفين الذي أعمى أبصارهم عن رؤية الحق؟ أعاذنا الله وعصمنا من الضلال. وقال في فيض القدير: ٢٦٨/٢ بعد ما ذكر خطبة أبي بكر وعمر لفاطمة قال «وردهما رسول الله ﷺ وزوجها لعلي، والراجح أنه ﷺ زوجها علياً في غيبته، فلما جاء أخبره بأن الله تعالى امره أن يزوجه فاطمة، فقال: رضيت، أما صداقها فكان الدرع» اهـ باختصار.

قلت: ودعاؤه ﷺ لعلي وفاطمة أورده السخاوي في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» ص ٨٨. ونصه زيادة عما سبق «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلمها» - ورواه النسائي في الكبرى: ٧٣/٦، وفي عمل اليوم والليلة ٢٥٨. وعليه بوّب السخاوي بقوله: باب دعاؤه ﷺ ببركة في هذا النسل الكريم.

قلت: وبالطبع فقد استجاب الله دعاءه ﷺ وستبقى هذه البركة حتى يخرج المهدي ببركة تلك الدعوة النبوية فيصلح الله به الحال ويظهر العدل، وتعود للإسلام دولته إن شاء الله تعالى.

(١) هو سعد بن عبادة، أبو قيس الأنصاري الخزرجي المدني سيد الخزرج، سيداً جواداً، كان يبعث كل يوم جفنة من ثريد اللحم، أو ثريد بلبن أو غيره إلى النبي ﷺ مات في خلافة أبي بكر، وقيل =

ذُرةٍ[١]... [*]..

المطلب الثاني:
في جهاز عرس فاطمة رضي الله عنها

وأما جهار عرس فاطمة الزهراء سيدة نساء هذه الأمة فسيبقى مضرب الأمثال على مر الأجيال، وهذا علي رضي الله عنه يحدثنا عن هذا الجهاز المتواضع فيقول: لما زوجني رسول الله ﷺ فاطمة جهزها بخَميلةٍ[٢]، وسادةٍ من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ، وقُرْبةٌ، ورحَيين[٣]... [*]...

=

في خلافة عمر بحوران وهذا الأرجح، السير: ٢٧٠/١ الطبقات: ١٤٢/٢/٣، الاستيعاب: ١٥٢/٤، أسد الغابة: ٣٥٦/٢.

(١) رواه أحمد في المسند: ٣٥٩/٥، وأبو يعلى في مسنده ١/ ١٤١، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣٠١٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤٦/١٥ وفي تهذيب الكمال: ٧٥/١٧ و٧٦، وابن سعد في الطبقات: ٢١/٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٢٥٨ قال في الموسوعة ٣٨ /١٤٣ إسناده محتمل للتحسين، عبدالكريم بن سليط، لم يرو عنه اثنين، وذكره ابن حبان في الثقات.

(*) قال القرطبي في المفهم: ١٣٦/٤ «جمهور العلماء أن الويمة مندوبة في العرس، وذهب الشافعي في قول، ومالك أيضاً، وداود، إلى وجوبها» اهـ باختصار.

وقال في فتح الملهم: ٤٠٨/٦ «من مصالح الوليمة، إشاعة النكاح، وشكر الله تعالى على نعمة الزواج، وعلى ما أولاه من انتظام تدبير المنزل والقدرة على ذلك، ومنها البر بالمرأة وقومها، فإن صرف المال في ذلك وجمع الناس في أمرها يدلل على كرامتها، عليه وكونها ذات بال عنده، وهذه الأمور مهمة في إقامة الألفة بين الزوجين، وفيها يعتاد المرء على الكرم، وعصيان داعية الشح إلى غير ذلك من الفوائد والمصالح» اهـ باختصار وتصرف.

(٢) في النهاية: «الخميلة القطيفة كل ثوب له خمل، وقيل الخميلُ: الأسود من الثياب» اهـ مادة خمل.

(٣) في النهاية: «أصل الرحا: الحجرين، اللذين يُطحن بهما» اهـ مادة رحا.

(*) قال في الروض الفائق ص ٢١٧ «فما كان همهم الدنيا ولا لذاتها، ولا في راحة النفس شهواتها، ولم يكن لهم إلا رضا ربهم والدار الآخرة، ولقوله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾» سورة الأحزاب (٣٣) اهـ. قلت: ليت الأمة تقرأ قصة زواج وجهاز سيدة نسائها وابنة خير خلق الله سيدنا رسول الله ﷺ؟ إذاً لانتفت المشكلات أمام زواج الشباب؟ ألا فليتراحم الله المسلمون في أعراسهم؟ ألا فليتقوا ويتراحموا؟ فإذا ما تراحمنا رحمنا الله، وإذا نزعت الرحمة من الناس، فكيف ينتظرون الرحمة من الله تعالى، فمن لا يرحم لا يرحم؟ وكان هذا لزواج المبارك قبل غزوة أحد على أرجح الأقوال» انظر السير: ١١٩/٢،

=

المطلب الثالث:

في عيشة الزهراء وماذا طلبت من أبيها ﷺ

جاءت الزهراء رضي الله عنها إلى رسول الله تشكو ما تلقاه من أثر ذلك الرحى في يدها، وتطلب منه خادماً يخدمها، فلم تجدهُ، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة أمر فاطمة، فذهب النبي ﷺ إلى بيت فاطمة، فوجدهما قد أخذا مضجعهما فقال: مكانكما، فقعد بيننا، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتُما؟ إذا أخذتُما مضجعكما: فسبحا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»[١]... [*]....

=

والفتح: ١٤٥/١٣، والسيرة الشامية: ٣٧/١١، والسيرة الحلبية: ٤٧٣/٢، ومجمع الزوائد ٢٠٥/٩.

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣٧٠٥ و٥٣٦١ و٥٣٦٢، ومسلم ٢٧٢٧.

(*) قلت: وإذ أردنا أن نتعرف على حقيقة عيشة سيدة نساء هذه الأمة، وما كانت تعانيه فما علينا إلا أن نقرأ الرواية في سنن أبي داود - رقم ٥٠٥٣ - (وكانت فاطمة أحب أهله إليه، قال علي رضي الله عنه جرّتْ الرحى حتى أثرتْ بيدها، واستقت بالقربةِ حتى أثرت في نحرها، وقمّتْ - أي نظفت - البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت) في النهاية: «دكن الثوب: إذا اتسخ واغبرّ لونه يدكن دكناً» اهـ مادة دكن ثيابها فأصابها من ذلك ضرّ» ثم ساق بقية الحديث.

ومع ما كانت تعانيه ابنة سيد الخلق ﷺ فقد قال لها كما في الرواية الثانية لأبي داود رقم ٥٠٥٦. «سبقكُنّ يتامى بدر» وزاد البخاري - وعليه بوب البخاري رقم ٣١١٣ وانظر هذا القول في الفتح ١٢٤/١١. «والله لا أعطيكُم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم» اهـ.

وقال القرطبي في المفهم: ٥٤/٧ «وفيه دليل على: أن المرأة وإن كانت شريفة عليها أن تخدمُ بيت زوجها، وتقوم بعمله الخاص به، وبه قال بعضُ أهل العلم، وقيل: ليس على المرأة خدمة بيت زوجها، شريفة كانت أم دنيئة. وحملوا حديث فاطمة على أن ذلك تبرع منها، ولا خلاف في استحباب ذلك العمل من الزوجة، وفيه ما يدل على ما كان عليه الصدر الصالح من الصحابة من شظف العيش وشدّة الحال وأن الله تعالى حماهم من الدنيا مع أنّه مكنهُم منها، وهي سنةُ الله في الأنبياء والأولياء. وأمره ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بهذه الأذكار، هي من باب أنه أحب لهما ما يحب لنفسه، إذ هي - أي فاطمة - بضعة منه، أراد لها أن تؤثر الفقر، وتتحمل شدة العيش والصبر على ذلك، ترفيعاً لمنازلها وتعظيماً لأجرها» اهـ باختصار وتصرف.

وزاد في فتح الباري: ١٢٨/١١ «وفيه جواز دخول الرجل على ابنته وزوجها بغير استئذان، وفيه بيان إظهار غاية العطف والشفقة على البنت والصهر» اهـ باختصار.

ومن الأدلة على أن النبي ﷺ أحب لسيدة نساء هذه الأمة أن تعيش تلك العيشة الآنفة الذكر، فقد دخل عليها ﷺ وفي يدها سلسلة من ذهب فقال لها النبي ﷺ: «بالعدل بأن يقول الناس: فاطمة بنت محمد - ﷺ - وفي يدها سلسلة من نار، ثم عذمها» في اللسان: عذم يعذِمُ عذماً، =

قلت: إيه يا نساء العصر؟ حبذا؟ لو اطلعت نساءنا على عيش سيدة نساء المؤمنين، وعلى خِدمتها لزوجها وبيتها؟ إذا لعرفن مدى النعمة التي يعشنها في هذا الزمن، ولحمدن الله تعالى على ذلك وشكرنه؟ بل إن كفران النعمة والعشير قد طغى على نساء العصر في هذا الزمن ولا حول لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المطلب الرابع:

في حبه ﷺ لفاطمة رضي الله عنها

وقد كان النبي ﷺ يحبُّ فاطمة رضي الله عنها ويكرمها، وكانت بذلك أحبّ الناس إليه[(١)(٢)].

وكان ﷺ لفرط حبه لها، إذا قدم من سفر صلى في المسجد ركعتين ثم يُثني بها، فأتاها مرة فاستقبلتْهُ على الباب فجلعت تقبل وجهه، فقال لها ما يبكيك يا بنية، قالت:

=

وعذمه بلسانِه يعذمه عذماً، لامه وعنفه، والعذم الأخذُ باللسان واللوم، والعُذمُ: اللوامون والمعاتيون» اهـ مادة عذم - عذماً شديداً، ثم خرج ولم يقعُد، فأَمَرَتْ بالسلسلة فبيعتْ، واشترت بثمنها عبداً فأعتقته، فلما علم النبي ﷺ بذلك كبّر وقال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار» - رواه أحمد في مسنده / ٢٧٨ - ٢٧٩، والنسائي ١٥٨/٨، والحاكم: ١٥٣/٣، وقال في الموسوعة ٨٤/٣٧ - رجاله ثقات رجال الصحيح.

وقال في حاشية الموسوعة الحديثية ٨٥/٣٧ «ولو سملنا بصحة الحديث، فإنه يحمل على أن النهي فيه قبل نزول فرائض الزكاة، أو على أن المنع من لبسه للتباهي والتفاخر، أو على أنه فيما لا تؤدى زكاتُه، أو على خوف الافتتان به، والانشغال عن أمور الدين، وأما ما يخصُّ فاطمة رضي الله عنها، في هذا الحديث، فلأنه ﷺ كان يأخذ أهل بيتِه بالعزيمة، وبأمرهم بما هو خيرٌ لهم وأفضل» اهـ.

وقال الشعرواي رحمه الله تعالى في سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٣٣٣ «حقاً إنها دعوة إلى البساطة في أمر الحياة الزوجية؟ صدقاً إنها دعوة إلى الرضا بأقل القليل في وقت تخرب فيه البيوت، ويشرد الأولاد، وتطلق النساء من أجل بعض كماليات الحياة؟ فهلا اقتدينا بأمثال هؤلاء الأطهار؟! أليست فاطمة قدوة لكل مسلمة؟ أليست هي سيدة نساء العالمين في زمانها، أليس عليٌّ القرشي الهاشمي هو أمير المؤمنين ومن العشرة المبشرين بالجنة؟! فكيف لا نتخذهما أسوة» اهـ.

(١) السير: ١١٩/٢.

(٢) وحديث كانت فاطمة أحب الناس إليه ﷺ رواهُ: الترمذي في سننه: ٣٨٦٨ وقال حديث حسن والحاكم: ١٠٤/٣، ووافقه الذهبي على الصحيح والطيالسي ٢٤٨٤.

أراكِ قد شحب لونك، واخلولقت ثيابك، فقال لها: «لا تبكي يا بنية، فإن الله تعالى بعث أباك على أمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر ولا شعر: إلا أدخله الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ الليل»[١]..... [*]...

ولقد بلغ من محبته وإكرامه ﷺ لفاطمة الزهراء رضي الله عنها أنه لما أراد علياً رضي الله عنه أن يتزوج على فاطمة، فلما علمت بذلك أتت رسول الله ﷺ وقالت: إنّ قومك يتحدثون أنّك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌ قد خطب ابنة أبي جهل[٢] فقال: «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم من علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهُمْ، فإنما فاطمة هي بضعةُ منيّ يُريبني[٣] ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها، فترك علي

---

(١) رواه الحاكم: ٤٨٨/١ وقال الذهبي رواته ثقاة سوى أبي فروة ورواه الطبرني: ٢٢٥/٢٢ وفي الحلية: ٣٠/٢ وابن الأعرابي في المعانقة ١٨٨، والجزء الأخير في المسند: ١٠٣/٤ و٤/٦ وابن حبان في صحيحه ٦٦٩٩.

(*) قلت: ومما سبق في حبه وحسن عشرته لبناته ﷺ درس لنا في أن نحسن عشرة وصحبة بناتنا والرحمة لهُن بالإضافة إلى فعله ﷺ الرائع مع بناته فقد أوصى بذلك فقال:
«من عال ابنتين، أو ثلاث بنات، أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يَبنّ، أو يموت عنهُنّ، كنت أنا وهو كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى» - رواه أحمد في المسند: ١٤٨/٣ وابن حبان ٤٤٧، والبخاري في التاريخ - وفي المفهم: ٦٣٦/٦ تعليقاً على بعض روايات هذا الحديث.
«من ابتلي: أي امتحن واختبر، فأحسن اليهنَّ، وقام بما يُصلحهَنُّ، ونظر في أصلح الأحوال لهُنَّ، فمن فعل ذلك وقصد به وجه الله تعالى، عافاهُ الله تعالى من النّار، وباعده منها، ولا شك أنَّ من لم يدخل النار دخل الجنة، ولذا غير في بعض روايات في الحديث في هذا المعنى كنت أنا وهو، على أن الستر يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات او الأخوات، ولا يعني بالإبانة البلوغ بحيض أو ببلوغ السن، إذ قد تكون في حالة بلوغها أحقَّ بالصيانة والقيام عليها لتكمل صيانتها فيُرغب في الزواج منها، ولذا قال العلماء لا تسقط النفقة عن والد الصبية بالبلوغ، بل بدخول الزوج بها» اهـ باختصار. وكذا في التكملة: ٢٢٨/٥، ٢٢٩، وكذا بعض ما ذكر في فتح الباري: ٤٢٨/١٠.
قلت: فما قول: الذين يأكلون إرث النساء ويسبون إلى بناتهم وأخواتهم ألا فليتق الله هؤلاء قبل أن لا ينفع الندم؟

(٢) «هو عمرو بن هشام المخزومي لقبة أبو جهل، لكثرة إيذائه لرسول الله ﷺ، وصدّه عن الدعوة حتى كان رأساً في ذلك، وكان أكثر زعماء قريس عداوة للنبي ﷺ حتى سُمّي بفرعون هذه الأمة قتل في بدر ومات على كفره» انظر السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٥/١.

(٣) في النهاية: «أي يسوءني ما يسوؤُها، ويزعجني ما يُزعجها، يقال رابني هذا الأمر، وأذاني إذا رأيت =

الخطبة»[1].... [*]..

=

منه ما أكره» اهـ مادة ريب.

(١) رواه البخاري: ٩٢٦ - ٣١١٠ - ٣٧٢٩، واللفظ له ومسلم: ٢٤٤٩.

(*) قال القرطبي في المفهم: ٦/٣٥٣ - ٣٥٤ «وإنما لم يأذن النبي ﷺ في ذلك لأنه خاف على فاطمة من الفتنة من أجل الغيرة، وما توقع من مناكدة هذه الضرة. ولما خاف على فاطمة المفسدة في دينها من ضرر عداوة تسري إليها، فتتأذى، فيتأذّى النبي ﷺ بسببها، وأذى النبي ﷺ حرام، فيحرم كل ما يُؤدي إليه، ففيه القول بسد الذرائع، وإعمال المصالح، وإن حرمة النبي ﷺ أعظم من حرمة غيره. ويحرم علينا مطلقاً فعل كل شيء يتأذى به النبي ﷺ وإن كان في أصله مباحاً، لكنه إن أدى إلى أذى الني ﷺ ارتفعت الإباحة، ولزم التحريم، وفيه ما يدل على جواز أن يغضب الرجل لابنته وولده وحرمه، وعلى الحرص في دفع الضرر عنهم، إذا كان ذلك بوجه جائز، وفيه جواز خطبة الإمام الناس وجمعهم لأمر حدث أو يحدث» اهـ باختصار.

وزاد في فتح الباري: ٩/ ٢٣٩ «وأصح ما تحمل عليه القصة في أن النبي ﷺ، حرّم على علي أن يجمع بين فاطمة وابنة أبي جهل. وكان ذلك رعاية لخاطر فاطمة، ثم قال ابن حجر: والذي يظهر له أن ذلك من خصائص النبي ﷺ أن لا يتزوج أحد على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصة في فاطمة، ولذا عرف بالاستقراء أن من أعظم الأذى الذي دخل على النبي ﷺ قتل الحسين عليه السلام. واستحقاقه العقوبة الأخروية مع الدنيوية» اهـ باختصار.

وكذا في إرشاد الساري: ١١/٥١٧،

وزاد العيني في عمدة القار ي: ١٦ / ٢١٣ «وفيه أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأنها أفضل من خديجة، ولما سئل أبو بكر بن داود عن ذلك فقال: لا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحد» اهـ باختصار.

وكذا عدّ السيوطي ذلك في الخصائص ص ٤٣٣.

وقال العيني أيضاً في عمدة القاري: ٢٠/٣٠١ «وفيه إكرام من ينتسب إلى خير الشرف»

وزاد ابن بطال في شرحه: ٧/٢٨٨ «وفيه من الفقه منع أشياء لم تبلغ التحريم، بأن يمنع من يريدها وإن كانت حلالاً لما يلحق ذلك من الكراهية في العرض أو المضره في المال» اهـ باختصار.

وبعض ما سبق ذكره في شرح النووي ١٦/٣ - ٤.

وكذا في التكملة: ٥/٩١ - ٩٢ «وفيه أن الغيراء إذا خشي عليها أن تفتن في دينها، كان لوليها أن يسعى في إزالة ذلك، إذا لم يكن عندها من تتسلى به ويحفف عنها السهم» اهـ باختصار.

قال المناوي في فيض القدير: ٤/٥٣٥ «قوله: بضعة مني أي كقطعة لحم، فمن أغضبها» بفعل ما لا يرضيها، فقد أغضبني، استدل السهيلي على أن من سب فاطمة كفر لأنّ ذلك يغضب النبي ﷺ، وأنها أفضل من الشيخين: قال ابن حجر: وفيه نظر، قال الشريف السمهودي: معلوم أن أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثم لما رأت أم الفضل في نومها أن بضعة

=

المطلب الخامس:
في اللحظات الأخيرة لفاطمة مع النبي ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها، قالت أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: مرحباً يا بنتي، ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم إنّه أسرّ إليها حديثاً، فبكتْ، فقلتُ لها: استخصّك رسول الله ﷺ بحديثِه ثم تبكين! ثم إنهُ أسرَّ إليها حديثاً، وضحكت، فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب من حُزْن، فسألتُها عما قال، فقالت: ما كنتُ لأفشي سرّ رسول الله ﷺ حتى إذا قبض النبي ﷺ سألتُها، فقالت: إنه

=

من النبي ﷺ في حجرها، أولها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت فاطمة الحسن فوضع في حجر أم الفصل - قلت: هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ٣٣٩، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ٢٧٩/٨، وأبو يعلى في مسنده: ٧٠٧٤، والبيهقي في معرفة السنن والآثار: ٣٧٥/٣ - ٣٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٢٠/١ و١٧١/١٤، وأبي داود ٣٧٥، وابن ماجه في المقدمة» ٥، وابن خزيمة ٢٨٢ والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٩٢، والحاكم: ١٦٦/٢، والبغوي في شرح النسة: ٢٩٥، والدولابي في الذرية الطاهرة ١٠٩، والطبراني في الكبيرة: ٢٥ /٣٩ قال في الموسوعة الحديثية: ٤٥٠/٤٤ إسناده صحيح. - فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعة من تلك البضعة النبوية، وإن تعددت الوسائط، ومن تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال والمحبة لهم وتجنب بغضهم على أي حال كانوا عليه، وفيه تحريم من يتأذى به المصطفى ﷺ يتأذيه فكل ما وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فالنبي ﷺ بتأذى به بشهادة هذا الخبر ولا شيء أعظم من ادخال الأذى على فاطمة من قبل ولدها ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد» اهـ من فيض القدير: ٥٣٥/٤.

وقال الشعراوي رحمه الله تعالى في سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٣٣٨.

«وفي هذا بيان كمال في شفقته ﷺ، ورحمته بفاطمة رضي الله عنها وشدة خوفه عليها، وفيه إكرام من ينتسب إلى الخير والديانة» ا هـ.

وزاد في شرح المواهب على ما سبق ٢٧٢/٧ «وكان ﷺ لا يواجه احداً بالمعاتبة، ولعله إنما جهر بمعاتبة علي رضي الله عليه مبالغة في رضا فاطمة، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة وكان الأوائل يراعون ذلك حتى في أولاد أولاد فاطمة» اهـ. وفيها أيضاً: ٢٧٤/٧ «أن حسين بن الحسين خطب ابنة المسور بن مخزمة، فقال له: ما من نسب ولا صهر أحبّ إليّ من نسبكم وصهركم، ولكن عندك ابنة ابنتها، ولو زوجتك أغضب ذلك فاطمة، قال فذهب حسين بن الابن عاذراً له. ولعل امتناع المسور عن ذلك مزيد ورع وإلا فالأمر جائز لكون الوارد ببناته أو بفاطمة خاصة فقط» اهـ باختصار.

أسرّ إلي، فقال: إنّ جبريل كان يُعارضني[١] بالقرآن في كُلّ عام مرة، وإنّهُ عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيتُ لذلك، ثم قال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين؟ قالت: فضحكتُ لذلك»[٢]... [*]..

---

(١) قال في النهاية: «أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن من المعارضة: المقابلة ومنه عارضتُ الكتاب بالكتاب أي قابلتُهُ به» اهـ مادة عرض.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٣٦٢٣ و٣٦٢٤ و٦٢٨٥ و٦٢٨٦، وفي الأدب المفرد: ١٠٣٠، ومسلم في صحيحه ٢٤٥٠.

(*) قال في الفتح: ٨٣/١١ «وفيه أنه لا ينبغي إفشاء السر إذا كان فيه مضرة على المسر، فلما أمنت فاطمة ذلك بعد وفاته ﷺ، أخبرت به» اهـ وكذا في سيرة آل بيت النبي ﷺ ص ٣١٢.

وفي شرح النووي ٥/٦، «فيه معجزات: الأولى إخباره ﷺ ببقاء فاطمة بعده، الثانية إنباءها أنها أول أهله لحوقاً به ووقع ذاك. وفيه ما كان عليه الصحابة وفاطمة من إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا» اهـ. وفي المفهم: ٣٥٥/٦ و٣٥٦ «وإنما كان بكاؤها أولاً حزناً على النبي ﷺ لما علمت من قرب أجله، وضحكها الثانية: فرحاً بما بشرها به من السلامة من هذه الدار، ولقرب الاجتماع به، والفوز بما لها عند الله تعالى من الكرامة، وفيه استحباب عرض القرآن على الشيوخ ولو مرة في السنة» اهـ باختصار.

وكذا في التكملة: ٩٤/٥ و٩٥ بعض ما ذكر، وفي شرح المواهب: ٩٩/١٢ «ولما اشتد الكرب على رسول الله ﷺ وهو ينازع سكرات الموت، قالت وا كرباه لكرب أبتاه، فقال: يا فاطمة ليس على أبيك كربُ - (في اللسان: الكَرب، على وزن الضرب، مجزوم: وهو الحزن والغم الذي فيأخذ بالنّفس، وجمعه كُرَوب، وكرَبه الأمرُ، والغم يكرُبه كرباً اشتد عليه فهو مكروب وكريب، والاسم الكُربة، وإنه لمكروب النفس - اهـ مادة كرب)، فلما مات ﷺ قالت:

يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاهُ، فلما دفن قالت: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التُراب» - رواه البخاري في الجامع الصحيح: رقم ٤٤٦٣ وهذا لفظه، ورواه أحمد في المسند: ١٩٧/٣ والحاكم في مستدركه: ٥٦/٣ وهو في مصنف عبدالرزاق ٦٦٧٣، والنسائي في الكبرى: ١٢/٤ - ١٣، وابن حبان ٦٦٢٢، والطبراني في الصغير: ١٠٨٢، والبيهقي في السنن: ٧١/٤، والدارمي في سننه ٨٧، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣١١، وابن ماجه ١٦٣٠، وأبو يعلى في مسنده ٣٣٨٠ وفي الدلائل ٢١٢/٧ - ٢١٣.

وفي شرح المواهب: ١٢٤/١٢ «والمراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من شدة الموت، وفيما يصيب جسده الشريف من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر» اهـ

وكذا في فتح الباري: ٧٥٦/٧ «ويستفاد من الحديث جواز التوجع على الميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة، وأن ذلك ليس من النياحة لأنه ﷺ سمعها وأجابها ولم ينكر عليها» اهـ

وفي شرح المواهب أيضاً مثل ذلك: ١٤٦/١٢ وزاد «ولقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعد =

قلت: والأمر المتفق عليه عند أئمة الإسلام قاطبة أنّ ذرية النبي ﷺ باقيةً في نسل وذرية فاطمة رضي الله عنها[١].... [*]...

ومن خصائص فاطمة رضي الله عنها أن نسل الرسول ﷺ انقطع من كل بناته، إلا منها،... وبقي نسل فاطمة إلى يوم الدين بمشيئة رب العالمين، وكانت بدايتُهُ في الحسن والحسين السبطيْن رضي الله عنهما وأرضاهما[٢].

قلت: وفضائل السيدة الزهراء كثيرة وأكتفي بذكر حديث روي في فضلها، عن

=

ذلك ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك» اهـ.

وفي شرح المواهب أيضاً: ١٦٨/١٢ «وإنّما قالت فاطمة: أطابت أنفسكُم» إشارة بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك، لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها، ولسانه حاله بقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قُهِرْنا على فعله امتثالاً لأمره تعالى» اهـ.

قلت: وهكذا انطوت صفحة من صفحات التاريخ جسدت في طياتها أعظم صورة للمودة والاحترام المتبادلين بين أب هو سيد الخلق رسول الله ﷺ، وبين ابنته هي سيدة نساء هذه الأمة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها.

وكان مماتها بعد ستة أشهر من وفاة الرسول ﷺ - السير: ١٢٧/٢، وصححه في مجمع الزوائد: ٢١١/٩.

(١) انظر سير أعلام النبلاء: ١٢٢/٢.

(*) قال السخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ص ١٧: «وانتشر نسله ﷺ من فاطمة في سائر الآفاق من جهة السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما فقط» اهـ.

وفي فيض القدير: ٢١/٥ «وإن هذه الخصوصية مقصورة على سلالة الحسن والحسين رضي الله عنهما فقط دون سلالة زينب بنت فاطمة، وهي التي ولدت من عبدالله بن جعفر فإنهم ينسبون إلى أبيهم لا إلى أمهم» اهـ باختصار وتصرف.

وكذا قرر السخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ص ٢٠٣ وياليت نساءنا وبناتنا يقتدين ويتأسيْن؟ فحسبهُنّ أنها ابنة سيد الخلق؟ وزوجة علي رضي الله عنه؟ وأم الحسنين؟

ولو فعلت نساؤنا إلا لحققن لأنفسهنّ السعادة الدنيوية والأخروية.

وصدق المتنبى حيث قال:

ولو كانت كلُّ النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخرٌ للهلال

عن كتاب يتيمة الدهر: ٣٩/١.

(٢) انظر سيرة آل البيت ص ٣٢٧.

علي رضي الله عنه قال: «إن الله عز وجل ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»[١].

المبحث الثالث:

في حسن معاملته ﷺ لذريته ووصيته لأمته بهم

من المعروف أنّ نسل وذرية النبي ﷺ محصورة بنسل الحسن والحسين، وسيأتي إن شاء الله تعالى خلال هذا البحث تقرير ذلك بالدليل.

لكن ناساً من الناس قديماً وحديثاً ركبوا أهواءهم إرضاءً لنزواتهم فأنكروا ذلك...[*]..

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ١٥٣/٣ لكن قال الذهبي: فيه حسين بن زيد ضعيف لايحتج به، ورواه الطبراني في الكبي ر ٤٠١/٢٢، وابن عدي في الكامل: ٤٠١/٢، والدارقطني في العلل: ١٠٣/٣، والدولابي في الذرية الطاهرة: ٢٣٥، وأبونعيم في معرفة الصحابة: ٣١٨/١ - ٣١٩، وقال في الميزان: ٥٣٥/١، وقال أبو حاتم ثم حين يعرف وينكر، يعني يضعفه حديثه. وأورده السيوطي في أكثر من موضع في كتاب مسند فاطمة مرة موقوفاً على علي، وأخرى مرفوع إلى رسول الله ﷺ. وقال في مجمع الزوائد: ٢٠٣/٩: إسناده حسن.

(*) قديماً قالها الحجاج بن يوسف الثقفي ليحيى بن يعمر حين أرسل إليه، فلما حضر بين يدي الحجاج قال له: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ، تجدهُ في كتاب الله، وقد قرأتُه، من أوله إلى آخره فلم أجده فقال له يحيى: لو قرأتَه كلّه لوجدتَهُ في قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة الأنعام (٨٤)، قال يحيى: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت صدقت) انظر تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٢.
وكذا قالها الحجاج للإمام محمد الباقر رضي الله عنه فردَّ عليه بما ردّ يحيى بن يعمر. انظر تفسير الشعراوي: ٣٧٧٦/٦، والسيرة الشامية: ٥٦/١١.
أما حديثاً فسمعناه مراراً ممن أزعجهم حبّ الكثير من المسلمين لمن انتسب إلى النبي ﷺ؟
وليس أدل على أن الحسن والحسين وذريتهما هي نسل وذرية النبي ﷺ بالإضافة إلى ما سبق، ما رواه أبو بكرة رضي الله عنه قال: رأيتُ النبي ﷺ، يقول على المنبر وحسن معه، وهو يقبل على الناس مرة ومرة أخرى على الحسن ويقول: إن ابني هذا سيدٌ ولعلّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين» - رواه البخاري في صحيحه: ٢٧٠٤ و٣٧٤٦ و٧١٠٩، وغيره المجتبى: ٣/ ١٠٧، وفي الكبرى: ١٧١٨ و٨١٦٦، وفي عمل اليوم والليلة: ٢٥٢، والبزار في مسنده ٣٦٥٥ والطبراني في الكبير ٢٥٩٠، والبيهقي في الاعتقاد ص ٣٧٦ - ٣٧٧، وفي الدلائل ٤٤٤/٦، وفي أسد الغابة ٢٥٩٢ والخطيب في تاريخ بغداد: ١٨/١، وشواهد عن جابر في الدلائل: ٤٤/٦، وعن أنس عند النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٥٤، وعن أبي هريرة عند الطبراني في الكبير =

المطلب الأول:

فيمن هم أهل وآل بيت النبي ﷺ

اختلف السلف والخلف في تحديد المراد من أهل البيت الذين عناهم القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[(١)].

فذهبت طائفة إلى أن المراد بالآية هم أزواج النبي ﷺ، وذهب طائفة أخرى إلى أن المقصود هم علي وفاطمة، والحسن، والحسين، وتوسطت طائفة ثالثة، فجعلت الآية شاملة للجميع - أي لأزواج النبي ﷺ، ولعلي، وفاطمة، والحسن والحسين»[(٢)]... [(*)]...

=

٢٥٩٩ وغيرهم.

قلت وهذا نصّ في معرض الخلاف؟ فهما ابنا رسول الله ﷺ شاء من شاء ومن أبى فإباؤه على نفسه ولا يقدح في ذلك؟!

(١) الآية ٣٣ - سورة الأحزاب.

(٢) انظر الأقوال في ذلك تفسير ابن كثير: ٧٩٨/٣ وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤/ ١١٩، وما بعدها وأحكام القرآن لابن العربي: ٥٧١/٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ٢٧٨/٦، وروح المعاني للألوسي: ٣/٢٢ وما بعدها.

وغير ذلك من كتب التفسير، وانظر التكملة: ٥٧/٥ وما بعدها.

(*) قلت: والحديث عند مسلم في صحيحه - صحيح مسلم رقم ٢٤٢٤. - عن عائشة رضي الله عنها ولفظه وخرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مُرجل من شعرٍ أسود فجاء الحسن ابن علي ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾.

قال القرطبي في المفهم: ٣٠١/٦ «المرط الكساء، وجمعه مروط، والمرُجل: يروى بالحاء: يعني فيه صورة الرِّحال، وبروي بالجيم: أي فيه صور المراجل: وهو القدور، لكن يظهر لي أن المرجل هنا يُراد به الممشوط حملُهُ وزُبْرُهُ - أي شعره - وهذا أولى ما يُفسِّر به. وقراءة النبي ﷺ هذه الآية على من ذكرهم الحديث دليل على أنّ أهل البيت المعنيون في الآية، هم المغطون في ذلك المرط في ذلك الوقت، والمراد بالرجس الذي أُذهب عن أهل البيت: هو مُستخبثُ الخُلُق المذموم، والأحوال الركيكة، وطهارتُهم: عبارة عن تجنبهم ذلك، واتصافهم بالأخلاق الكريمة، والأحوال الشريفة» اهـ.

وللتدليل على أنَّ الآية الكريمة شاملة، لعلي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام.

ما تحدثنا به أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فتقول: إن النبي ﷺ كان في بيتها، فدعا فاطمة، وعلياً، والحسن، والحسين، فدخلوا عليه فأكلوا وعنده كساءٌ، قالت: فأخذ الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهُم الرجس، وطهرهُم، تطهيراً - وكرر ذلك - قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي، فقلتُ يا رسول الله ﷺ: وأنا معكُم، فقال: إنك إلى خير، إنك إلى خير[1].

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٩٣/٦ و٢٩٦ و٣٠٤ و٣٢٣ وقال في الموسوعة: ١١٩/٤٤ حديث صحيح وله أسانيد ثلاثة، وهو أيضاً عند أحمد في الفضائل: ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ بأسانيده الثلاثة، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٧٦٦، والطبراني في الكبير: ٢٦٦٨ و٢٦٦٢ و٦/٢٢ و٢٦٦٧ و٧٥٩/٢٣ و٩٣٩ و٧٦٨ و٧٨٠ و٧٥٠ و٢٦٦٤ و٢٦٦٥ بالأسانيد الثلاثة وهو أيضاً في الأوسط٢٢٨١، والصغير ١٧٧، وأبو نعيم في أخبار أصفهان: ١٠٨/١، والبخاري في تاريخه ١٩٦/٢، والطبري في تفسيره ٨/٢١ وأبو يعلى في مسنده ٦٨٨٨ و٧٠٢٦، والحاكم ٤١٦/٢ و١٤٦/٣، والبيهقي في السنن: ١٥٠/٢، والبغوي في تفسيره: ٢٥٩/٥، والترمذي: ٣٢٠٥ و٣٨٧١، وقال: هذا حديث حسن وهو أحسن شي ورَدَ في الباب وأخرجه ابن أبي شيبة: ٧٣/١٢، والدولابي في الكنى: ١٢١/٢، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٠٣.
وهذا ما ذكره الألوسي في روح المعاني: ١٢/٢٢ و١٣» -، وعن أنس، وابن أبي شيبة: ١٢/ ١٢٧، وأبو يعلى في مسنده: ٣٩٧٩، والطيالسي ٢٠٥٩، الطبري في تفسيره: ٦/٢٢ - ٧، والطحاوي في مشكل الآثار ٧٧٤، ورواه الترمذي في سننه وسكن عنه والحاكم: ٢٥٨/٣، والطبراني في الكبير ٢٦٧١ والقطيعي في زوائد على فضائل الصحابة: ١٣٤٠، وشواهد من حديث أبي الحمراء عند ابن حميد: ٤٧٥ والطبري: ٦/٢٢، وأخر من حديث أبي سعيد الخدري، عند الطبراني في الأوسط: ٨١٢٣، وثالث عن أبي برزة عند الطبراني في ذكره في مجمع الزوائد: ١٦٩/٩.
وشاهده حديث علي رضي الله عنه قال: «أتاني رسول الله ﷺ وأنا نائم أنا وفاطمة سحراً، حتى قام على الباب، فقال: ألا تصلون» - الحديث رواه البخاري: ٧٣٤٧، ومسلم ٧٧٥ وغيرهما.
وقال العلامة الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في سيرة آل البيت ص ٨ «وقد توسع زيد بن أرقم رضي الله عنه في فهم آل البيت حينما سئل عنهم: فقال: نساؤه من أهل بيته؟ ولكن أهل بيته، من حرموا الصدقة بعده: وهم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس» - رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٤٠٨، وابن حبان ١٢٣، والترمذي ٣٧٨٨، وأحمد في المسند: ٣٦٦/٤ وغيرهم.

=

ولما كان سياق الآيات في الحديث عن أزواج النبي ﷺ، ولئلا يظنَّ ظان إنّ الآية قاصرة عليهم، أراد النبي ﷺ، بفعله ذلك أن يؤكد ذلك العموم في حق علي وفاطمة وحسناً وحسيناً، فدعاهم وجللهُم بالكساء، ليثبت لهم ما أثبتته الآية في حق أزواجه ﷺ، ودعا لهم بالتطهير، فلا شك بعد هذا البيان في أنهم معنيّون أيضاً في الآية الكريمة[١].

ومعنى الآية أن الله تعالى شرع لأهل البيت وأمرهم بأنّ اجتنابهم النواهي وفعلهم الأوامر والاتصاف بالأخلاق السنية، والبعد عن الأخلاق المذمومة يؤدي بهم إلى إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم[٢].

ومن الأدلة أيضاً على كون فاطمة وعلي وحسناً وحسيناً من أهل البيت ما يحدثنا به أنس رضي الله عنه من أنّ النبي ﷺ بعد ما نزلت عليه الآيات: كان يَمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: الصلاة الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٣].

المطلب الثاني:
في وصيته ﷺ أمته بأهل بيته

إذا كان ﷺ رحمةً مهداة للعالمين، فمن باب الأولى أن تكون هذه الرحمة سارية في آله وذريته ﷺ، ولقد جسّد رسول الله ﷺ هذه الحقيقة الساطعة حيث أوصى أمته بآل بيته عن، زيد بن أرقم[٤] رضي الله عنه.. قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً بماء يُدعى

=

وقال القرطبي في المفهم: ٣٠٥/٦ «وقد عينهم زيد تعييناً يرفع معه الإشكال، وهم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وأبي العباس»، وفي تاريخ ابن عساكر «التهذيب» ٢٠٨/٤ «الصحيح المعول عليه أن المراد بأهل البيت نساؤه ﷺ وذريته، وظاهر القرآن والأحاديث الصحيحة تدل على ذلك» اهـ.

وفي سيرة آل البيت للشعراوي رحمه الله تعالى ص ١٢، «وهذا هو القول الذي لا ينبغي العدول عنه» اهـ.

(١) انظر التكملة: ٥٧/٥.

(٢) انظر التكملة: ٥٨/٥.

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣/ ٢٥٩

(٤) هو زيد بن أرقم بن زيد بن النعمان الأنصاري الخزرجي من مشاهير الصحابة، وكان ممن ردّه

=

خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد أيها النّاس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكُم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركُم الله في أهل بيتي»[1] الحديث.... [*]... وسماهما ثقلين، لأنّ الأخذ بهما، والعمل بهما ثقيل، والعرب تقول لكّل شيء خطير نفيس: ثقيل، ولذلك لحرمة الشيء النفيس، أي فكأنه ﷺ: إنما سمى كتاب الله تعالى، وأهل بيته: ثقلين لنفاستهما، وعظم حرمتهما، وصعوبة القيام بحقهما... وهذه الوصيةُ، وهذا التأكيد العظيم يقتضي: وجوب احترام آل بيت النبي ﷺ وأهل بيته، وإبرارهُم، وتوقيرهم، ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأنهم جزءٌ منه، فإنهم أصوله التي نشأ عنها، وفروعَهُ التي نشأت عنه كما قال: فاطمة بضعة منّي يُريبني ما يُريبُها ومع ذلك فقابل بنو أميّة عظم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق، فسفكوا دماءهُم، وسبوا، وأسروا صغارهم، وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم، وفضلهم، واستباحوا سبهم، ولعنهُم، فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيته، وقابلوه بنقيض مقصودة، فواخجلهُم إذا وقفوا بين يديه! وبفضيحتهم يوم يعرضون عليه[2].

= النبي ﷺ يوم أحد لصغر سنه نزل الكوفة ومات بها سنة ثمان وستين. السيرة: ٣/١٦٥، والطبقات الكبرى: ٦/١٨. والتاريخ الكبير: ٣/٣٨٥.

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٤٠٨، وأحمد في المسند: ٤/٣٦٦ و٣٦٧، وأبو داود: ٤٩٧٣، والترمذي و٣٧٨٨، وقال حسن، وابن حبان ١٢٣، وابن حزيمة ٢٣٥٧، والدارمي في سننه: ٣٣١٦، وابن أبي عاصم في السنة: ١٥٥٠، والنسائي في الكبرى ٨١٧٥، والطبراني في الكبير: ٥٠٢٨.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٥/١٨٠ «قال العلماء إنما سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما» اهـ.

وفي التكملة: ٥/٥٩ «وحاصل هذا الحديث أنّ رسول الله ﷺ ذكر ثقلين: كتاب الله تعالى، وأهل بيته، أما الأول فقد أمر بالأخذ والاستمساك به، وأما الثاني: فقد أمر بمعرفة قدرهم وفضلهم وأداء حقوقهم» اهـ.

(٢) انظر المفهم: ٦/٣٠٣ - ٣٠٤.

قلت: وحديث زيد ابن أرقم رضي الله عنه السابق ذكره له شاهد من حديث أبي سعيد الخدري =

وناهيك بهذا الحديث العظيم فخراً لأهل بيت النبي ﷺ فالحديث على اختلاف رواياته المتعددة والتي أوردتها، تتضمن الحث على المودة لهم، والإحسان إليهم، والمحافظة عليهم، واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمستحبة، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخراً، وحسباً ونسباً، لا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية، كما كان سلفهم كالعباس وبنيه، وعلى وآله وذويه، وكذا يتضمن تقديم المتأهل منهم للولاية على غيره[1].

وفيه تصريح بأن القرآن وأهل بيته ﷺ كتوأمين، ووصى أمته بحسن معاملتهما، وإيثار حقهما... فالوصية ببرّ أهل بيته ثابتة لجميعهم، وأما الاقتداء، فإنما يكون بالعلماء العاملين منهم،... وهذا الحديث: يفهم منه أنه لا يزال يوجد في أهل بيته ﷺ من يكون منهم أهل للتمسك والاقتداء به في كل زمان إلى أن تقوم الساعة[2].

المطلب الثالث:

في الحثِّ على حب أهل بيته وذريته ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: أحبّوا الله لما يغذوكم

=

رضي الله عنه.

والزيادة التي في هذا الشاهد هي قوله ﷺ. وإنهما لن يفترقا حتى يراد على الحوض» - رواه أحمد في المسند: ١٤/٣، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠ /٥٠٦، وابن أبي عاصم في النسة: ١٥٥٤ وأبو يعلى ١٠٢٧، وفي الفضائل لأحمد ١٧٠، والطبراني في الصغير: ٣٦٣ - ٣٧٦.

والحديث أورد الإمام السخاوي في كتابة استجلاب ارتقاء الغرف ص: ٤٨ وما بعدها. فذكر بالإضافة إلى رواية زيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، ذكر رواية سلمه بن كهيل عن أبي الطفيل، وكذا من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، وحذيفة بن أسيد الغفاري، ومن حديث حذيفة، ومن حديث ضميرة الأسلمي، ومن حديث، عبدالرحمن بن عوف، وابن عباس، وابن عمر، وعدي بن حاتم، وعقبة بن عامِر، وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي شريح، وأبي هريرة، وأم سلمة، وأم هاني هؤلاء الصحابة: كلهم أورد السخاوي رواياتهم المتفقة مع حديث زيد معناً، وإن اختلفت في بعض ألفاظها» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره: ١٧٩/٤ «ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة، ومن أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخراً وحسباً ونسباً» اهـ.

(١) انظر الاستجلاب ص ٦٠.

(٢) انظر شرح المواهب: ٢٥٠/٩.

به من النّعم، وأحبوني لحب الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبي»[١].

وكذا قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكُم لله ولرسوله»[٢]... [*]...

اعلم أنّ الله تعالى لما اصطفى نبيّه ﷺ على جميع خلقه، وخصّهُ بما عمّه به من فضله الباهر، حباهُ، أعلى ببركتِه من انتمى إليه نسباً، ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة، وألزم مودّة قرباه كافة بريته، وفرض محبّة جملة أهل بيتِه المعظم وذريته، فقال: «قل لا أسألكُم عليه أجراً إلا المودة في القربى»[٣].

وقد جعل الله تعالى أهل بيت النبي ﷺ مشاركين له في خمسة أشياء: في المحبة، وتحريم أكل الصدقات، والطهارة، والسلام والصلاة عليهم في الصلاة ولم تكن هذه لغيرهم[٤].

---

(١) رواه الترمذي في سننه: ٣٧٨٩ وقال حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، والحاكم: ١٥٠/٣ ووافقه الذهبي على تصحيحه وأورده السخاوي في الاستجلاب ص: ٦٧ وقال: والعجيب ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في العلل. وكذا قال: الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ٣٤٤، ورواه البيهقي في الشعب: ٤٠٨ و١٣٧٨ و١٥٠٢.

(٢) رواه أحمد في المسند: ١٦٥/٤ و٢٠٨/١، وابن شيبة في تاريخ المدينة: ٦٣٩/٢، ابن ماجه في المقدمة: ١٤٠، والحاكم: ٧٥/٤ والترمذي ٣٧٥٨، وقال حسن صحيح، والنسائي: ٨١٧٦، والطبراني في الكبير: ٦٧٢/٢ و٦٧٣ و٦٧٤، وذكره السخاوي في الاستجلاب ص ٦٩.

(*) قلت: وأورد السخاوي مجموعة من الأحاديث في كتاب الاستجلاب ص ٦٧ وما بعدها في فضل حب أهل البيت فليراجع وكذا فعل الطبري في «ذخائر العقبى في فضائل ذوي القربى» ص ٥١ وما بعدها فليُراجع.

(٣) انظر شرح المواهب ٢٤٠/٩.

قلت: وهو مشاهد في زماننا إذ إننا نرى من خيار علماء الأمة اليوم فيهم من ينتسب إلى النبي ﷺ.

(٤) انظر شرح المواهب ٢٤٦/٩.

وقال الزرقاني: والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة في القربى» اهـ باختصار.

قلت: وقديما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

يا آل بيت رسول الله حبكُم ... فرضٌ من الله في القرآن أنزله

يكفيكُمُ من عظيم الفخر أنكُم ... من لم يُصَل عليكم لا صلاة له

ديوان الشافعي ص ٧٢.

قلت: وفي هذا إشارة إلى أن الصلاة الإبراهيمية فرض في الصلاة بعد التشهد كما هو المشهور

=

المطلب الرابع:

في غضبه ﷺ عند إيذاء أحد من أهل بيته وتحذيره من ذلك

من تعرّض لأحد من أهل البيت بالأذية فقد عرَض نفسه للخطر العميم، والعذاب الأليم، كما يتضح ذلك من الحديث الآتي: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ، قال: «يا بني عبدالمطلب[(١)] إني سألتُ الله لكُم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يعلم جاهلكُمْ، وسألتُه أن يجعلكُم حوداء[(٢)]، نجداء[(٣)]، رحماء، فلو أنّ رجلاً صفن[(٤)] بين الركن والمقام، وصلى وصام، ثمّ مات وهو مبغض لأهل بيت محمد

=

في مذهب الشافعي وهذا ما قصده الشافعي رحمه الله تعالى في البيت الثاني. انظر المغني: ١/ ٤١. وإعانة الطالبين: ١/٢٠٠.

وقال في فيض القدير: ٢٢٩/١ «أي ولأن محبتهم تصديق لمحبة النبي ﷺ» اهـ.

وفي شرح المواهب أيضاً: ٢٥٠/٩ «وأما الوصية بالعترة حباً واتباعاً، فلأن العنصر إذا طاب أصله، أعان على فهم الدين فطيبه يؤدي إلى حسن الأخلاق ومحاسنها وهو يؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته» اهـ بتصر ف.

قال العلامة الشعراوي رحمه الله تعالى في سيرة آل البيت ص ٢٢، «فالواجب على المسلم أن يمتلئ قلبه بحب أهل البيت، وأن يحسن إليهم، بذكرهم بالتقدير والاحترام» .

وقال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في المقالات ص ١٥٨ «ومن منهج أهل السنة إجلال أهل البيت وحبهم حباً يرضاه الله ورسوله» اهـ .

وقال في القرطبي في الجامع ١٦/١٦ «وكفى قبحاً قول من يقول إن التقرب إلى الله بمودته لنبيه ﷺ وأهل بيته. منسوخ» اهـ.

(١) عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف، ولد عبدالمطلب جده النبي ﷺ عشرة أنفس وست نسوة، العباس، وحمزة وعبدالله، وأبا طالب، والزبير، والحارث، وحجلاً، والمقوم، وضرار، وأبا لهب، والنسوة: هم: صفية، أم حكيم، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة، أسلم منهم، العباس، وحمزة، وصفية، الطبقات: ٣٤/٨ و٣٨ وانظر السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٨/١، وعبدالمطلب هو جد الرسول ﷺ.

(٢) في لسان العرب المحيط: حوداء الحُمى تحاوده: أي: تعهدُهُ، وهو يُحاورنا بالزيادة: أي يزورنا بين الأيام، وحاود: اسم اهـ مادة حود.

(٣) في النهاية: «النجداء: جمع نجيد: وهو الشريف. والنجيد: الشجاع» اهـ مادة نجد.

(٤) وفيها: «صفن: إذا رفع رأسه من الركوع قمنا خلفه صفوناً: أي قياماً، وكل قائم على على رجليه فهو صافن، ومنه حديث، وقد صفن بين قدميه» اهـ مادة صفن.

دخل النار»[١]. فمن آذى أهل البيت، فقد آذى النبي ﷺ، ومن أذى النبي ﷺ، فقد أغضب الله تعالى. ومن أغضب الله تعالى، فقد حاق به العذاب، ولذا يحرم علينا تحريماً شديداً إذاية أهل البيت بالقول أو الفعل، أحياء كانوا أو أمواتاً»[٢].

قلت: وليس أدلَّ على ذلك، حينما جاءه العباس[٣] غاضباً يشكو إليه جفاءً من بعض رجال قريش، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه وحتى استدرّ عرقٌ بين عينيه، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكُم لله ولرسوله. -ثم قال- أيّها الناس: من آذى العباس فقد آذاني، إنما عمُّ الرجل صنو أبيه»[٤]... [*]...

وهذه درة بنت عمه أبي لهب تشكو إلى رسول الله ﷺ تعيير البعض لها بقولهم «يا ابنة حطب النار، فقال لها: إذ صليت الظهر فصلي حيث أرى فصلى النبي ﷺ الظهر، ثم التفت إلى الناس، وقال:

أيها الناس ألكُم نسبٌ ولي نسبٌ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أغضب الله من أغضبك يا رسول الله ﷺ قال: ما بال أقوامٍ يؤذونني في قرابتي، من

---

(١) رواه الحاكم: ١٤٩/٣ ووافقه الذهبي على تصحيحه والطبراني: ١١٤١٢ ورواه الفاكهي في أخبار مكة ٩٨١.

(٢) انظر سيرة آل البيت ص: ١٨.

(٣) هو العباس بن عبدالمطلب بن هاشم عم الرسول ﷺ قيل إنهُ أسلم قديماً قبل الهجرة، وكتم إسلامه، حتى فتح مكة، ولد قبل الفيل بثلاث سنين، مات سنة اثنتين وثلاثين في عهد عثمان». السير: ٧٩/٢، والطبقات: ٤/٥ - ٢٣، والاستيعاب: ٨١٠/٢، والإصابة: ٣٢٨/٥.

(٤) رواه أحمد في المسند: ١٦٥/٤ الترمذي في السنن: ٣٧٥٨ وقال حديث حسن صحيح والنسائي في الكبرى، ٨١٧٦، والطبراني في الكبير،: ٦٧٢/٢ و٦٧٣ و٦٧٤، وابن ماجه في المقدمة ١٤٠، والحاكم: ٧٥/٤ ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(*) وفي شرح المواهب: ٣٤٩/١ «سئل القاضي أبو بكر أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النّار، فأجاب بأنَّ من قال ذلك: فهو ملعون. ولا أذى أعظم من أن يُقال: أبوه في النار. ولقد عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً قال في حق والد النبي ﷺ أنه مشرك بعدما قال: أأقطع لسانه! أأقطع يده رجله! أأَضرب عنقه؟ ثم قال لا يلي لي شيئاً ماحييت وعزله عن الدواوين» اهـ بتصرف

قلت: وإذا كان الأمر كذلك فيمن آذاه في أصله، فكذا يكون من آذاه في فرعه؟ وانظر ما كتبه في الزواجر: ٥٠/١ في حكم من انتقص أو آذى النبي ﷺ.

ولقد أورد السخاوي رحمه الله تعالى في الاستجلاب ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١ مجموعة من الآحاديث تحذر من إيذاء أو بغض أهل البيت فلينظر.

آذاني فقد آذى الله تعالى، وفي رواية: هذه ابنةُ عمي فلا يقول لها أحدٌ إلا خيراً»[١]..

ومن أبغض أهل البيت فهو منافق نفاقاً عملياً، فإن كان بغضه لهم من حيث كونهم، من آل البيت وانتسابهم إلى النبي ﷺ فهو نفاق حقيقي.

قلت: ولايتوهمن متوّهم أنه يكفيه حبّ أهل بيت النبي ﷺ دون حب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؟

هذا لا يكفي، فمن أبغض الصحابة رضي الله عنهم، وخصوصاً منهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وعائشة وحفصة وسائر أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهُنّ، كان حكمه حكم من أبغض أهل البيت.

وإنما المنهج الصحيح، والطريق المستقيم التي تؤدي بالعبد إلى رضا مولاه أن يحب الجميع، ويترضى ويترحم على الجميع، وأن يسكت عن الخلاف الذي دار بين الصحابة تاركاً أمرهم إلى الله تعالى، وإن المتتبع للأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في فضل حب الصحابة، والتحذير من بغضهم أو سبِّهم لا تقلُّ أهمية عن الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت، هذا إن لم تقل إن الأحاديث الواردة في الصحابة أصحّ من الأحاديث الواردة في أهل البيت.

قلت: ومن تلك الأحاديث الواردة في الترهيب من بغض أهل البيت، حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا يُبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار[٢].

---

(١) رواه الطبراني في الكنير: ٦٥٦/٢٤ - ٦٥٧، وقال في مجمع الزوائد: ٢٥٨/٩ فيه عبدالرحمن بن بشير وثقة ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وبقية رجاله رجال الصحيح، وانظر الاستجلاب للسخاوي: ص ٦٩.

(٢) الحدث رواه الحاكم في المستدرك: ١٥٠/٣، وسكت عنه الذهبي، وابن حبان في صحيحه: ٦٩٧٨ قال شعيب الأرناؤط إسناده حسن، وأخرجه البزار في مسنده: ٣٣٤٨. وهذا هو المنهج الوحيد الذي يُنجي العبد يوم القيامة.

قلت: وعليه: ترجم ابن حبان بعنوان: ذكرُ إيجاب النار لبغض أهل بيت المصطفى ﷺ انظر الحديث ٦٩٧٨ ٤٣٥/١٦.

وقد أورد السخاوي في الاستجلاب ص: ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧. مجموعة من الأحاديث المحذرة من بغض أهل البيت أضربتُ عنها صفحاً لضعفها فلتُراجع؟

لكن ضعف هذه الأحاديث، ليس معناه أنه ليس لها أصلٌ، بل إن لها أصلاً وشواهد تدل على =

المطلب الخامس:

في وعده ﷺ بالمكافأة يوم القيامة لمن أحسن إلى أهل بيته

لقد بلغ من حسن عشرته ﷺ لأهل بيته مبلغاً تجاوز به ﷺ ذاته الشريفة، إلى أمته، فوعدهم بأن من أحسن إلى واحد من ذريته أو ذويه وأقربائه، وذلك حينما قال ﷺ: «من صنع صنيعةً إلى أحد من ولدِ عبدالمطلب في هذه الدنيا، فعليّ مكافأتُهُ إذا لقيني»[(1)].. [(*)]..

=

صحة معناها ومبناها.

شاهده: قوله ﷺ من حديث عثمان بن عفان، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «من يُرد هوان قريش أهانه الله عز وجل» - أما رواية عثمان فيه عند أحمد في المسند: ٦٤/١، وابن حبان ٦٢٦٩، وابن أبي عاصم ١٥٠٥، والبزار ٣٧٣، والحاكم: ٧٤/٤ وسكت عنه الذهبي قال في الموسوعة: ٥٠٧/١ إسناده حسن، قال في مجمع الزائد: ٢٧/١٠، رجال أحمد، وأبو يعلى والبزار، ورجاله ثقات.

أما رواية سعد فهي عند أحمد: ١٧١/١، الشاشي في مسنده: ١٢٤ وابن أبي شيبة: ١٧١/١٢ وابن أبي عاصم في السنة: ١٥٠٤ وفي الآحاد الثاني: ٢١٦، والحاكم: ٧٤/٤ في الموسوعة: ٣/ ١٤٨، إسناده حسن، وكذا عن محمد بن سعد في المسند: ١٨٣/١ والبخاري في التاريخ الكبير: ١٠٣/١ والترمذي: ٣٩٠٥، وقال: غريب من هذا الوجه والثاني رقم ١٢٣ وأبو يعلى: ٧٧٥، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ٥٤٢، وابن أبي عاصم: ١٥٠٣، في السنة وفي الآحاد المثاني: ٢١٥، وكذا عن عمر بن سعد في المسند: ١٧٦/١، وعبدالرزاق في المصنف: ١٩٩٠٥، وابن عربي الكامل، قال في الموسوعة: ١٠٦/٣. إسناده حسن رجاله رجال الشيخين غير عمر بن سعد وهو أيضاً من حديث أنس بن مالك، عند الطبراني في الكبير: ٧٥٣، والبزار في مسنده: ٢٧٨٢، قال شعيب الأرناؤوط في الموسوعة: ٥٠٧/١ وإسناده حسن. وقال في فيض القدير: ٢٩٩/٦ «إسناده جيد، والمعنى وهذا للزجر والتغليظ ليكون الانتهاء عن آذاهم أسرع امتثالاً» اهـ.

قلت: وإذا كانت بنو هاشم أشرف بطون قريش كما سبق، ورسول الله ﷺ هو سيدهم في أصله وذريته، صدق ما ورد في الحديث في حق من آذى أحداً من أهل بيت النبي ﷺ.

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد: ١٠٢/١٠، وابن الجوزي في العلل،: ٢٨٦/١، وقال في مجمع الزوائد: ١٧٣/٩ وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وهو مروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قلت: وهو في كنز العمال رقم: ٣٤١٥٣، وذكره في الجامع الصغير: بلفظ من صنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافأته عليها يوم القيامة وعزاه إلى ابن عساكر.

وعزاه القسطلاني في المواهب ٢٥٣/٩ إلى ابن سعد في الطبقات أيضاً، والى الإمام أحمد في

=

=

العلل.

وقال: المناوي في فيض القدير: ٦/٢١٢ وهو في تاريخ الطالبين، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٦/٢٢، والسخاوي في الاستجلاب: ص: ١٢١.

قلت: وعد بعضهم الحديث في الموضوع ليس صواباً وبعد دراستي لسند الحديث تبيَّن أن: ليس فيه من الضعفاء إلا عبدالرحمن بن أبي الزناد قال الذهبي في السير: ٨/١٦٨ - ضعفه ابن نهدي، واحتج به النسائي ثم قال في ص ١٦٩ وإما كان ضعفه من سوء حفظه وفي ص١٧٠ - وبعضهم يراه حجة قلت: - أي الذهبي -: وحديثه حسن» اهـ ولم يذكر في مجمع الزوائد ضعفاً في السند سوى عبدالرحمن.

(*) وقال الزرقاني في شرح المواهب: ٦/٢٥٣ «سواء ترك المكافأة مع القدرة عليها، أو عجز عنها لعدم القدرة، فتكون المكافأة عليها يوم الفزع الأكبر، ونعم المكافئ محل الاضطرار، وفيه دلالةٌ على مزيد عنايته ﷺ بأهل بيته، ولمن فرّج عنهم كربة، أو لبّى لهم دعوة، أو أنالهم طلباً» اهـ بتصرف.

وقال المناوي في فيض القدير: ٦/٢١٢ «فيه دلالة على عناية الله ورسوله ﷺ بهم ما لايخفى فهنيئاً لمن فرج عنهم كربة، أو لبّى لهم دعوة أو طلباً، والوقائع الدالة على ذلك أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر فمن أراد الوقوف على كثير منها فعليه بتوثيق عرى الإيمان للبارزي» اهـ قاله المناوي.

وفي الاستجلاب للسخاوي ص ١٢١ - أحاديث أخرى في هذا المعنى فليراجع ومن تلك الأحاديث الواردة حديث ابن عباس، وابن الزبير وحديث أبي سعيد الخدري وأبي ذكر قولهم عن رسول الله ﷺ «مثل أهل بيتي فيك مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف هلك» - رواه عن أبي ذر في مستدرك الحاكم: ٣/١٥٠ - ١٥١ قال الذهبي: فيه مفضل بن صالح ضعيف، وذكره السخاوي في الاستجلاب في الحلية: ٤/٣٠٦ قال أبو نعيم غريب لم نكتبه الا من هذا الوجه قال في مجمع الزوائد في رواية عباس: ٩/١٦٨ وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو متروك، وفي رواية ابن الزبير قال: رواه البزار وفيه ابن لهيعة وهو لين، وفي رواية أبي سعيد قال: فيه من لا أعرفهم قال السخاوي في الاستجلاب ص ٩٥ وطرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضهاً.

وقال السخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ص ١١٣، وكذا أقوال أبي بكر في ذلك وهي عند البخاري، وقول عمر للعباس وإكرامه له يوم فتح مكة، وكذا تقبيل زيد بن ثابت ليد عبدالله بن عباس، وقوله هكذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نفعل بأهل بيته» اهـ.

وذكر أيضاً إحسان عمر بن عبدالعزيز، لعبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين وإكرامه له، وكذا مسامحة الإمام مالك لأبي جعفر المنصور لكون المنصور من أولاد العباس، وفيه أمثلة كثيرة فلينظر ليُعلم كيف كان سلف هذه الأمة يتعاملون بُحبّ وتقدير لأهل بيت النبوة وهم القدوة في ذلك، ص ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ -

=

المطلب السادس:

في حسن اختياره ﷺ

الأسماء الحسنة لولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما

ما سبق ذكره في المطالب السابقة هو في حسن عشرته ﷺ لذريته وأقربائه، فهو على الجملة وبشكل عام أما في التفصيل في حسن عشرته ﷺ لذريته وأقربائه فنورده في هذا المطلب وما بعده فنقول: لما ولدت فاطمة رضي الله عنها الحسن جاء النبي ﷺ إلى بيت فاطمة، فقال: أروني ابني، ما سميتموهُ قال علي رضي الله عنه أسميناه: حرباً، فقال ﷺ بل هو حسن، فلما ولد الحسين: قال أروني ابني، ما سميتموه، قال علي: حرباً وفقال: بل هو حسيناً، ثم لما ولد الثالث، قال ما سميتموه قال حرباً فقال بل

=

١٢٠» اهـ بتصرف.

ولخطورة وأهمية هذا النسب الشريف والانتساب إليه: ختم السخاوي كتابه الاستجلاب بخاتمة قال فيها:

ينبغي التحرز من الانتساب إلى النبي ﷺ إلا بحق فإن من انتسب إليه بغير حق ينطبقُ عليه قوله ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة» رواه أحمد في المسند ١٧١/٢، واللفظ له والبخاري في صحيحه عن علي ٦٧٥٥، ومسلم ١٣٧٠، وعن عمرو بن خارجه في المسند ٤/ ١٨٧، وعن أبي بكر رضي الله عنه أيضاً في المسند ٣٨/٥، وعن أبي ذر عند البخاري: ٣٥٠٨، ومسلم ٦١، وعن جابر بن عبدالله في مسند أبي يعلى ٢٠٧١.

قال السخاوي أيضاً: ص١٣٢ «قال مالك بن أنس من انتسب إلى النبي ﷺ كذباً، يُضرب ضرباً وجيعاً ويشهر به، ويحبس حتى تظهر توبته، لأن ذلك استخفاف بالرسول ﷺ وقال السخاوي أيضاً ص ١٣٤ - واللائق بمن ثبت له نسباً إلى النبي ﷺ، اقتداء آثار سلفهم، والسير على سننهم وتصرفهم - لأن من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه» - الحديث في صحيح مسلم: رقم ٢٠٧٤.

قلت: ويحسن هنا إيراد قول إبراهيم حينما قال الله تعالى:

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ اهـ الآية ١٢٤ البقرة.

فمن جمع مع النسب التقوى العمل الصالح مع اتباع النبي ﷺ! فقد جمع الشرفين شرف كرم التقوى وشرف الانتساب إلى حضرة النبي ﷺ.

ومن فقد شرف وكرم التقوى، ولم يبق عنده إلا النسب فهذا ينطبق عليه ما قالة زين العابدين كما مر سابقاً.

وملخصه: أن من أساء من أهل البيت ضوعفت عليه السيئة: ومن أحسن ضوعفت له الحسنة؟ شأنهم في ذلك شأن زوجات النبي ﷺ كما في سورة الأحزاب.

هو مُحْسنٌ، ثم قال ﷺ: «إنما سمَّيتُم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشبر»[(١)]....[(*)]...

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو أصح الأقوال، ومات مسموماً في ربيع الأول سنة خمسين للهجرة ودفن بالبقيع وأما الحسين فولد سنة خمس وقيل: سنة أربع من الهجرة[(٢)].

المطلب السابع:

في ملاعبته ﷺ للحسن والحسين

لقد كان النبي ﷺ يضع الحسن بن علي على عاتقه ويقول: اللهم إني أحبُّه فأحِبّه[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٩٨/١ و١١٨، والبخاري في الأدب المفرد: ٨٢٣، وابن حبان ٦٩٥٨، ورواه أحمد أيضاً في الفضائل: ١٣٦٥ والبزار في مسنده: ٢٧١٣، والحاكم ٣/ ١٨٠ والطبراني في الكبير: ٢٧٧٤ و٢٧٧٦ و٢٧٧٥ والطيالسي: ١٢٩، وأبو يعلى ٤٩٨، وقال في مجمع الزوائد: ٥٣٢/٨ رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ابن هانئ وهو ثقة، قال في الموسوعة: ١٥٩/٢ إسناده حسن من أجل هانئ وبقية رجاله رجال الشيخين.

(*) الحديث: وفيه دليل على ما سبق من أن الحسن والحسين هما ابنا رسول الله ﷺ، ويدل أيضاً على استحباب اختيار الأسماء الحسنة للأولاد، وفيه جواز التسمية بأسماء الأمم السابقة.

وفي كتاب نصيحة الملوك للماوردي ص ١٦٦ «إنّ من أول إكرام الوالد لولده أن يُحلِّيه والده باسم حسن، وكنية لطيفة شريفة، فإن للاسم الحسن موقعاً في النفوس مع أول سماعه» اهـ.

وفي كتاب تربية الأولاد في الإسلام: ٦٥/١، وما بعدها «إنه مما ينبغي للوالدين، أن يختارا لولدهما من الأسماء أحسنها وأجملها تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ: إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»، - الحديث: رواه أحمد في المسند: ١٩٤/٥، والدارمي في سننه: ٢٦٩٤، وابن حميد في مسنده: ٢١٣٥، وأبو داود في سننه: ٤٩٤٨، والبغوي في الجعديات: ٢٥٨٤ وابن حبان: ٥٨١٨، وأبو نعيم في الحلية: ١٥٢/٥ و٥٨/٩، والبيهقي في السنن: ٣٠٦/٩، وفي الشعب: ٨٦٣٣، والبغوي في شرح السنة: ٣٣٦٠ في الموسوعة: ٣٦ /٢٣ وإسناد أحمد منقطع. -. كما أن عليهما أن يجنبا الولد الاسماء القبيحة، التي فيها تميّع وتشبه بالآخرين: كالأسماء التالية: هيام، وهيفاء، ونهاد، وسوسن، قيادة، وناريمان، وغادة، وأحلام، وما شابهها، وذلك حتى تتميز أمة الإسلام بشخصيتها، وتعرف بخصائصها وذاتيتها، وما هذه الأسماء إلا فقد لكيانها، وانحدار لاعتبارها، وتحطيم لمعنوياتها، ويوم وصل المسلمون إلى هذا تمزقت أوصالهم، وسهل على أعدائهم اختراقِهم، جعل أعزة أهلها أذلة ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» اهـ باختصار.

(٢) انظر المفهم: ٢٩٥/٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم ٣٧٤٩.

«لقد كان النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة، وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله عنهما، يقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»[١]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «رأيتُ الحسن والحسين على عاتقي النبي ﷺ، فقلتُ نعم الفرس تحتكما فقال النبي ﷺ ونعم الفارسان هما»[٢]... [*]...

عن يعلى العامري[٣] أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام فاستقبل

---

(١) الحديث قال في مجمع الزوائد: ١٨٢/٩، رواه الطبراني وفيه مسروح أبو شهيب وهو ضعيف.

(٢) رواه البزار في مسنده: ٢١٩، وأبو يعلى ٥٠٣ وذكره ابن حجر في المطالب ٢٥٦، وابن شاهين في شرح مذهب أهل السنة ١٧٩ وأبو نعيم الأصبهاني في فضائل الخلفاء الراشدين ١٣٥، قال في مجمع الزوائد: ١٨٢/٩، والحديث رواه أبو يعلى في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(*) قلت: هذان الحديثان أساس فهم في معرفة كيف يتعامل الأبوان مع الطفل حينما يكون طفلاً صغيراً دون الخامسة من عمره، قال في كتاب منهج التربية النبوية ص ٣٥٠ «إن مصاباة الطفل وملاعبته تنمي في نفسه وتساعده على إظهار مكنونات نفسه» اهـ.

وقال في فيض القدير: ٢٥٧/٦ «وفي ذلك دليل على من كان له ولدٌ صغير ذكراً أو أنثى فليتصاب له بلطف ولين في القول والفعل ويُفرحهُ ليسره» اهـ.

وفي كتاب تربية الأولاد في الإسلام: ٢٦٣/١ بعدما ذكر الحديثين السابقين قال «وهذا كان يفعله رسول الله ﷺ هو إشعار من الوالد للولد بمحبته، الأمر الذي يجب أن لا يغيب عن ذهن الوالدين. ألا فليفهم المربون طريقة رسول الله ﷺ، وفي طريقة رسول الله ﷺ في إشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أولادهم على الحب والتعاون والإيثار، وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية» اهـ باختصار وتصرف.

وفيه أيضاً: ٧٢٨/٢ «الإسلام دين الواقع والحياة، فلم يفرض عليهم الجدية في كل حياتهم، وإنما راعى حبّ الفطرة البشرية للسرور الفرح، واللعب، والمرح والمزاح المداعبة، شريطة أن تكون في حدود ما شرعة الله تعالى وفي نطاق أدب الإسلام، وفي فعله ﷺ، وإقراره الصحابة على ملاعبة الأطفال وإدخال السرور عليهم، لكون ذلك يتفق مع أمزجة البشر، وطبيعة الإنسان، وإذا كان ذلك لازم لطبع الإنسان، فإن لزومه للولد الصغير من باب أولى، وذلك لأمرين:

لأنّ قابلة الولد للتعليم وهو صغير أكثر من قابليته وهو كبير.

لأن حاجة الولد إلى ظاهرة اللعب والمرح وهو صغير أكثر بكثير من حاجته إليها وهو كبير وهو ﷺ القدوة الصالحة في ذلك» اهـ باختصار، وفي كتاب منهج التربية النبوية للطفل ص: ١٨٤ «وبهذه المداعبة والملاعبة، والتصابي كان تُعامله ﷺ مع الأطفال، وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفا والقسوة، وعدم إعطاء الطفل حقّه» اهـ.

(٣) هو يعلى بن مرة الثقفي له صحبة، كنيته أبو المرازم حليف قريش وله عدة أحاديث توفي سنة ستين. التاريخ الكبير: ٤١٤/٨، والجرح والتعديل: ٣٠١/٩، وأسد الغابة: ١٢٨/٥.

رسول الله ﷺ حسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله رسول الله ﷺ أخذه فطفق الصبيُّ يَفِرُّ هاهنا مرة وهاهنا مرة، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه، فوضع إحدى يديه تحت قفاهُ، والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه، فقبله، وقال: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط»[(١)]... [(*)]..

(١) رواه أحمد في المسند: ١٧٢/٤، وفي فضائل الصحابة: ١٣٦١، وابن أبي شيبة: ١٠٢/١٢، والبخاري في التاريخ الكبير: ٧٠٢/٢٢، والحاكم: ١٧٧/٣ ووافقه الذهبي على تصحيحه، وابن ماجة ١٤٤، والترمذي ٣٧٧٥، وقال حديث حسن، والدولابي في الذرية الطاهرة: /٥٨، والطبراني في الكبير: ٢٥٨٩ و٧٠٢/٢٢ /٧٠٢، وفي مسند الشاميين: ٢٠٤٣، وفي رواية أخرى: وفي فيض القدير ٤٧٢/٣ قال إسناده حسن.

(*) وفي كتاب تربية الأولاد في الإسلام: ٧٣١/٢ «وينبغي أن يؤذن للصبي باللعب بعد انتهائه من واجباته المدرسية، لعبا جميلاً بحيث لا يتعب من اللعب، وإن منعه من ذلك وإرهاقه بالجدِ دائماً يُميتُ قلبه، ويبطل ذكاءه، ويُنغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص مما هو فيه، وينبغي أن تكون الحكمة من ذلك، إزالة ما يُحسبه الولد من السآمة والملل، والتعب، وتجديد نشاطه وحركته، وصفاء ذهنه، وترويض لجسمه من أن يُصاب بالأمراض والآفات، ولكن على الوالد، أو المربي أن يلاحظ في لعب الأولاد أمرين:

أن لا يؤدي اللعب: إلى الإرهاق الزائد، والمشقة المؤذية، لأن ذلك قد يؤدي إلى ضرر في البدن، وإضعافاً للجسم.

ألا يكون هذا اللعب على حساب واجبات أخرى يجب أن يتلقوها، أو يكلفوا بها، لأن في ذلك إضاعة للوقت» اهـ باختصار.

وقال في فيض القدير: ٢٠٨/٥. «وكان ﷺ رقيق القلب متفضلاً محسناً رقيقاً» اهـ

وفي عون المعبود: ٣٢٢/٣ «وفيه دليل جوز قطع الخطيب خطبته للأمر يحدث» اهـ.

وشواهده عن أم سلمة في التحفة: ٣٩/٩، وعن جابر بن عبدالله، في الدلائل: ٤٤٣/٦، والطبراني في الكبير ٢٥٩٦ وعن الحسن البصري مرسلاً عند النسائي في عمل اليوم والليلة: ٢٥٤، في الكبرى ٨١٦٥.

قلت: فالحديث كما رأيت في صحيح البخاري، والشواهد الكثيرة تثبت هذه السيادة للحسن بن علي رضي الله عنه قال الخطابي في معالم السنن: ٣١١/٤ «وقد خرج مصداق هذا القول في الحسن رضي الله عنه بما كان من إصلاحه بين أهل الشام وأهل العراق، وتخليه عن الأمر خوفاً من الفتنة، وكراهية لإراقة الدم» اهـ.

قال المناوي في فيض القدير: ٥٠٩/٢، «السيد في اللغة يطلق على الربِّ جل جلاله - وهو السيدالحقيقي - وعلى المالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم ومن احتمل أذى قومه، والزوج، والرئيس، والمقدم، وهو من السؤدد، وقيل من السوداء لكونه يرأس على السواد العظيم من النّاس. - وتحقق ما قاله النبي ﷺ - فنزل الحسن رضي الله عنه، عن الخلافة لا لقلة ولا =

كأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث للحسين، فخصّه بالذكر، فإنّ محبتَه محبة الرسول ﷺ، ومحبة الرسول محبة الله، ومعنى سبط: أي وأراد ﷺ أن يبين أنه سيتشعَّبُ من الحسن والحسين قبائل وسيكون من نسلهما خلق كثير[1].

قالوا ومن علامة حُبِّ الحسن والحسين حبّ ذريتهم وبحيث يُنظر إليهم الآن كالنظر في أصولهم - أي الحسن والحسين - لو كان معهم، ويعلم أن نُطفهم طاهرة وذريتُهم مباركة، ومن كانت حالته منهُم غير قويمة، فإنما تبغض منهم الأفعال دون

=

لذلة بل رحمةً للأمّة. وفيه منقبةُ عظيمة للحسن رضي الله عنه. وفيه على أن الفئتين من المسلمين. وفيه جواز النزول عن الوظائف الدينية والدنيوية» اهـ باختصار.

وكذا قال في الفتح: ٧١/١٣ وزاد «بل ترك ذلك الأمر لما رآه من حقن الدماء ومصلحة الأمة».

وزاد في الصواعق المحرقة ص: ٢١٠ «لقد كان والله الحسن بن علي خير الرجلين. وكان فيما قال لشيعته: أيها الناس إن أكيس الكيّس التقي، وأحمق الحمقى الفجور. وقد علمتُم أنّ الله تعالى هداكم بجدي، وأنقذكم به من الضلالة، وخلصكُم به من الجهالة. وأعزكُم به بعد الذلة، وكثركْم به بعد القلة، إن معاوية نازعني هو لي حولي دونه، فنظرتُ إلى اصلاح الأمة، وقطع الفتنة. فرأيتُ أن أسالم معاوية، وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعتُه، ولأبيّن أن حقن الدماء خيرٌ من سفكها، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم. وتركتُها ابتغاء وجه الله تعالى» اهـ باختصار.

وقال القرطبي في المفهم: ٢٩٦/٦ - ٢٩٧ «ويكفي الحسن عن علي رضي الله عنهما شرفاً وسيادة أنه ترك الدنيا بملكها ومالها رغبة فيما عند الله، ولم يكن ذلك عن ذلة، ولقد كان معه أربعون ألفاً بايعوه على الموت، فلما قيل له، يا عار المؤمنين قال: العارُ خيرٌ من النار» اهـ باختصار.

وقريب مما ذكر في عمدة القاري ٣٤٢/١١.

وفي تاريخ الطبري: ١٦٠/٥ «لقد استقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بكتائب أمثال الجبال» اهـ .

وقال العلامة الشعراوي رحمه الله تعالى في سيرة آل البيت: ص٢٠١، «وقد حقّقَ الحسن بن علي رضي الله عنه نبوءة جده ﷺ، وترك الملك لا لقلة، ولا لذلة ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله تعالى، وحقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة. وارتحل بعدها إلى المدينة، تاركاً الدنيا، وزاهداً في ابهة الخلافة، وظل في المدينة إلى أن توفي فيه سنة تسع وأربعين ودفن في البقيع» اهـ باختصار.

(١) انظر فيض القدير: ٤٧٢/٣.

الذوات بحيث يبقى الحبُّ للذات[١].

المطلب الثامن:

في نزوله ﷺ عن المنبر

من أجل الحسن والحسين رضي الله عنهما

بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله ورسوله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[٢] نظرتُ إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهُما»[٣]...

«وإنما رفعهما رسول الله ﷺ، ليكون لهما الرفعة عند الله تعالى وعند خلقه، ورسول الله ﷺ معصوم من الفتنة - أي الاشتغال بغير الله - فيكون المراد هنا مجرد الميل الذي لم يشغله عن الله تعالى، وعدم صبره ﷺ على تعثرهما، إنما هو لأثر الرحمة والرأفة التي امتلأ بها قلبه ﷺ على ولديه، اللذين دفعاهُ لقطع الخطبة ليقيهما نتائج التعثر في المشي»[٤] اهـ باختصار.

ومن ذلك أيضاً أنه: كان رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظرُ إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين

---

(١) المرجع السابق: ٦/٤٠.

(٢) التغابن آية ١٥.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٣٥٤/٥، وفي الفضائل: ١٣٥٨، والواحدي في تفسيره الوسيط: ٣٠٨/٤ - ٣٠٩، والعراقي في تقريب الأسانيد ص ٣٨ - ٣٩، وابن أبي شيبة: ٣٦٨/٨ و٩٩/١٢ - ١٠٠، وأبو داود في سننه ١١٠٩، وابن ماجه ٣٦٠٠، والطبري في تفسيره ١٢٥/٢٨ ١٢٦٠، وابن خزيمة ١٨٠١ - ١٤٥٦، وابن حبان ٦٠٣٨، والحاكم: ١٨٩/٤ ووافقه الذهبي على تصحيحه، والترمذي ٣٧٧٤ وقال حسن، وابن أبي الدنيا في العيال: ١٧٩، والبيهقي في السنن ٢١٨/٣، وفي الشعب: ١١٠١٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٥٤/٤، وفي أسد الغابة: ١٢/٢ - ١٣.

قلت: وعليه بوب ابن حبان يقول: ذكرُ الخبر المدحض قول من زعم أنّ ابن البنت لا يكون ولداً لأبي البنت.

(٤) انظر المنهل العذب المورود: ٢٧٣/٦.

من المسلمين[١].

المطلب التاسع:
في صلاته ﷺ والحسن والحسين يركبان على ظهره

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فإذا سجَد وثبَ الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه، أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً، فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى قضى صلاتَهُ، أقعدهما على فخذيه، قال: فقمتُ إليه، فقلت:

«يا رسول الله أردّهما، فبرقت برقة، فقال: لهُما: الحقا بأمكما، قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا»[٢]... [*]...

المطلب العاشر:
في رحمته ﷺ بالحسن والحسين رضي الله عنهما

لما كان رسول الله ﷺ الرحمة المهداة للعالمين، كان من باب أولى أن تشمل رحمته ﷺ ذريته، وفيما ذكرنا في المطالب السابقة خير شاهد على هذه الرحمة.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «أشهد أنا خرجنا مع رسول الله

---

(١) رواه البخاري ٣٧٤٦ واللفظ له و٢٧٠٤ و٣٦٢٩ و٧١٠٩، وفي التاريخ الأوسط: ١٢٢/١، والنسائي في المجتبى: ١٠٧/٣، وفي الكبرى ١٧١٨، وفي عمل اليوم والليلة، ٢٥٢، والبزار في مسنده ٣٦٥٥، والطبراني في الكبير: ٢٥٩٠، وفي الفضائل لأحمد ١٤٠٠، والبيهقي في الاعتقاد ص: ٣٧٦ - ٣٧٧، والدلائل: ٤٤٢/٦، أبو داود ٤٦٦٢، والترمذي: ٣٧٧٣ والحاكم: ١٧٤/٣، وفي تاريخ بغداد: ١٨/١٣.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٥١٣/٢، قال في الموسوعة: ٣٨٦/١٦ إسناده حسن، وشواهده: عن شداد عند أحمد في المسند: ٤٩٣/٣، و٤٦٧/٦. وعن أنس بن مالك عند أبي يعلى في مسنده ٣٤٢٨. وعن البراء بن عازب عند الطبري في الأوسط ٣٩٩٩. وعن أبي قتادة الأبصاري عند البخاري ٥١٦، ومسلم ٥٤٣، وعند أحمد في المسند: ٢٩٥/٥. وعن ابن مسعود في الحيلة ٣٥/٢.

(*) قال في فيض القدير: ٢٧٤/٥ «وهذا من كمال شفقته ورأفته ﷺ بالذرية الطيبة، فإن قيل الصلاة محل الخشوع والإخلاص وهو ﷺ أشدُّ الناس محافظة عليهما، وقد قال تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ (٤) سورة الأحزاب، ولعبهما حالة مشغلة؟ فالجواب أنه إنما فعله ﷺ تشريعاً وبياناً للجواز» اهـ.

ﷺ مرة، حتى إذا كنا ببعض الطريق، سمع رسول الله ﷺ صوت الحسن والحسين وهما مع فاطمة، فأسرع السير حتى أتاهما، فقال: ما شأن ابنيَّ يبكيان، فقالت: العطش، فابتغى الماء فلم يجدهُ، فقال: ناوليني أحدهما، فناولتُه إياه، فأعطاه لسانه، فجعل يمصه حتى هدأ فلم يسمع له بكاء، ثم قال: ناوليني الآخر، فناولتُهُ ففعل به كذلك فسكتا فما أسمع صوتهما[١]... [*]... ولما قبّل رسول الله ﷺ. الحسن والحسين وعندهُ الأقرع[٢] بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ أحداً منهم فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم»[٣].... [*]...

---

(١) رواه الطبراني في الكبير: ٢٣/٥٠ - ٥١، وذكره في مجمع الزوائد: ٩/١٨١، وقال رواه الطبراني ورجاله ثقاة

(*) قال في شرح المواهب: ٩/٢٦٥ «وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ لتحصل لهما البركة بريقه» وهذا من خصائص ريقه ﷺ، ففي شرح المواهب: ٥/٢٨٧ - ٢٨٨ «وأما ريقه الشريف، فكان يشفي الداء الحسي والمعنوي كإزالة ملوحة الماء، وابراء المريض، ويجزي الرضيع، فقد كان يدعو الرضعاء ويتفل في أفواه أولادهم، ويقول للأمهات لا ترضعنهم إلى الليل فكان ريقه ﷺ يجزيهم» اهـ باختصار وتصرف.
وفي كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ ص ٣١ «لقد أعطى الله تعالى رسوله ﷺ خصائص كثيرة في ريقه، الشريف، فمن ذلك أنه كان شفاء العليل، ورواء للفليل، وغذاء وقوة وبركة ونماء» اهـ.
قلت وللوقوف على الأمثلة في ذلك راجع شرح المواهب: ٥/٢٨٧ وما بعدها والجزء: ٧/٧٠ وما بعدها و١٩٤، ومن تلك الأمثلة ما هوفي صحيح البخاري ومسلم كقصة علي يوم خيبر، وغيرها.
قلت: إذا كان هذا هو حال ريقه ﷺ جعل الله فيه من البركة بحيث إنه أصبح فيه الشفاء والغذاء والنماء.؟ فما بال بركة جاهه ﷺ عند الله والتوسل بهذا الجاه العظيم؟
فوالله الذي لا إليه غيره؟ لا يُجادل في جواز التوسل بجاهه العظيم ﷺ، إلا من جهل قدر هذا النبي ﷺ، وأما قولهم إننا نغالي فيه، فنحنُ نقول ونعتقد أنّ جاهه العظيم عند ربّه ما كان إلا لأنه ﷺ ارتقى إلى أعلى درجات العبودية لله تعالى؟ فلذلك عظم جاهه؟!

(٢) «الأقرع بن حايس التميمي قدم على النبي ﷺ وفي بني تميم فأسلم شهد فتح مكة وحنيناً والطائف ولقب بالأقرع لصلع في رأسه أصيب به ومات في فتح خراسان» أسد الغابة: ١/١٠٧، والسيرة النبوية لابن هشام: ٢/٥٦٠.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٥٩٩٧، وفي الأدب المفرد: ٩١، ومسلم ٢٣١٨، وأبو داود ٥٢١٨، والترمذي في السنن.

(*) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٥/٧٧ «هذا عام يتناول رحمه الأطفال وغيرهم» اهـ. وكذا قال في عون المعبود: ١٤/٨٧.

=

وقال القرطبي في المفهم: ١٠٨/٦ «والرحمة في حقِّنا: هي رقةٌ وحُنوٌ يجده الإنسان في نفسه عند مشاهدة مبتُلى، أو ضعيف، أو صغير، يحمله على الإحسان إليه، واللطف به والرفق، وهذه الرحمة التي جعلها الله تعالى في قلوب عباده في هذه الدار، وتحصل عنها هذه المصلحة العظيمة هي رحمة واحدة من مئة رحمة ادخرها الله تعالى لعباده ليوم القيامة، فيرحم الله تعالى بها عباده المؤمنين وقت أهوالها وشدائدها حتى يخلصهم منها، ويدخلهم في جنته وكرامته، فمن خلق الله في قلبه هذه الرحمة الحاملة له على الرفق، وكشف ضرِّ المبتلى، فقد رحمه الله تعالى بذلك في الحال، وجعل ذلك علامة على رحمته إياه في المآل، ومن ابتلي بنقيض ذلك من القسوة والغلظة، ولم يلطف بضعيف، ولا أشفق على مبتلى، فقد أشقاه في الحال، وجعل ذلك علماً على شقوته في المآل، ونعوذ بالله من ذلك، وفي هذا الحديث يدل على جواز - بل استحباب - تقبيل الصغير على جهة الرحمة، والشفقة، وكراهة الامتناع من ذلك على جهة الأنفة، ويكره ذلك في الكبار إذا لم يكن معروفاً في الصدر الأول، ولا يدل على شفقة، فأما تقبيل الرأس فإكرام جرت عادة العرب بذلك كالأب والأم» اهـ باختصار وبعض التصرف.

وقال في عمدة القاري: ٣٤١/١١ «في جواب النبي ﷺ إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من المحارم، إنما يكون للشفقة والرحمة، وكذا الضم والمعانقة» اهـ باختصار.

وقال في فتح الباري: ٤٤١/١١ قريباً مما ذكر.

قلت: من المؤسف أن الكثير من المجتمعات الإسلامية قد ابتليت في استعمال العنف مع الأطفال؟ وهذا أمر لا شك أنه سيّئ بالنسبة لمستقبل الطفل بما ينطبع عليه من القسوة والغلظة.

وحبذا لو اقتدى المسلمون بالرسول ﷺ في حسن معاملته وعشرته للحسن والحسين وغيرهما، والمتتبع للهدي النبوي يخلص إلى أنّ النبي ﷺ حدد تعامل الوالدين مع الولد بمراحل:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الملاعبة والرحمة، والعطف والحنو على الولد، وهي تبدأ من الولادة حتى سنّ السابعة.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التأديب بشتى الوسائل، مبتعداً قدر الإمكان عن ضرب الولد، وذلك لأنّ الضرب حالة اضطرارية لا يجوز اللجوء إليها إلا عند الضرورة، وهذه المرحلة تبدأ من سن السابعة حتى الرابعة عشرة من عمر الولد.

المرة الثالثة: وهي أخطر مرحلة يمرُّ بها الإنسان، كونها مرحلة المراهقة، وتحديد الشخصية، والتعامل مع محيطه وسائر الناس، فينبغي التعامل من الوالد مع الولد ذكراً كان أم أنثى، تعامل الصديق لصديقه، والصاحب لصاحبه، ومن الخطأ الجسيم الأثيم التفكير بضرب الولد في هذه المرحلة، إذ قد تدفع الولد في هذه الحالة إلى الحقد على الوالدين، ويمكن أن يصل إلى الضرب.

وقال في منهج التربية النبوية ص ١٧٩: «تشكل العاطفة في التعامل مع الطفل الناشئ، مساحة واسعة في تكوين نفسيته وشخصيته، فإن تعامل الوالدان مع الطفل بهذه العاطفة بشكل متوازن، فإنك تجعل منه إنساناً سوياً في مستقبله وحياته كلها، فلا إفراط فيها، كون ذلك يجعل الطفل

=

=

مدللاً لا يقوم بتكاليف الحياة، بجد ونشاط، وبالمقابل فإن عدم وجودها تجعل الطفل إنساناً عنيفاً على كل من حوله لذلك فإنّ البناء العاطفي له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه، ومن مظاهر العاطفة القبلة للولد، فإن لهذه القبلة فعلها في تحريك مشاعره، وعاطفته، كما أنّ لها دوراً كبيراً في تسكين غضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ، كما نصَّ على ذلك الحديث النبوي الشريف، كما أنها برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يُبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه ويزيدُ من تفاعله مع من حوله، ثم إنها أولا وأخيراً السنة الثابتة عن المعلم والمربي الأول سيدنا محمد ﷺ، والذي يعتبر في هذا الموضوع مثلاً أعلى، ومنهجه أعظم منهج في حسن التعامل مع الطفولة» اهـ.

قلت: ولم يكن هذا النهج النبوي الكريم مع ذريته فقط، بل كان ذلك مع كل الأطفال.

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يحدثنا عن رسول الله ﷺ قال «إني أدخل في الصلاة وأنا أريدُ أن أطولها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي مخافة أن تفتن أمه» - الحديث: رواه البخاري في صحيحه: ٧١٠ واللفظ له، ومسلم ٤٧٠، وابن خزيمة ٦١٠، وابن حبان ٢١٣٩، وأحمد في المسند ١٠٩/٣، والبيهقي: ١١٨/٣، وأبو يعلى في مسنده وشواهده عن أبي هريرة، عند أحمد في المسند: ٤٣٥/٢، وعن أبي قتادة، وعند أحمد أيضاً في المسند: ٣٠٥/٥ والبخاري ٧٠٧.

وقال النووي في شرحه: ١٨٧/٤ «فيه دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الاتباع ومراعاة مصالحهم، وأن لا يدخل عليهم المشقة وإن كان يسيراً من غير ضرورة، وفيه جواز صلاة النساء مع الرجال في المسجد، وأنه يجوز إدخال الصبي المسجد وإن كان الأولى تنزيه المسجد عمن لا يؤمن منه حدث» .

وفي فتح الملهم: ٢٩٢/٣ «وذكر الأم هنا حرج مخرج الغالب: وإلا فمن كان في معناه ملحقُ به» اهـ .

وكذا في المفهم: ٧٩/٢ قريب مما ذكر والفتح ٢٣٧/٢ - ٢٣٨.

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يحكى لنا عاطفة ورحمة رسول الله ﷺ فيقول «ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» الحديث: رواه أحمد في المسند: ١١٢/٣، ومسلم ٢٣١٦ وابن أبي الدنيا في العيال ٤١٩٥ و٤١٩٦، وابن حبان ٦٩٥٠، والبخاري في الأدب المفرد ٣٧٦ وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ: ٦٥، والطيالسي، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢٦٣/٢ وفي الشعب: ١١٠١١، وابن سعد في الطبقات: ١١/١.

قلت: ومن رحمته ﷺ أنه ما حضر موت صغير ولا كبير: إلا دمعت عيناه، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألونه في ذلك فكان يقول: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» - انظر ذلك إن شئت في صحيح مسلم ٢٢٣٠، والبخاري ٦٠١٣، وأحمد في المسند: ٣٦٢/٤ وغيرهم.

=

المطلب الحادي عشر:
في بكائه ﷺ رحمة للحسين ﷺ

عن علي رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلتُ: يا نبيّ الله، أغضبك أحدٌ، ما شأنُ عينيك تفيضان؟ قال: «بل قام من عندي جبريل قبلُ، فأخبرني أن الحسين يُقتلُ بشطِ الفرات.. قال:.. فلم أملك عيْنيّ أن فاضتا»[1]... [*].....

=

ومن عجائب ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره: ٢٢٥/١٣ في باب الرحمة «أنّ صياداً كان يصيد سمكة، وكان له ابنة فأخذت السمكة وطرحتها في الماء، وقالت إنها وقعت في الشبكة لغفلتها، قال الفخر معلقاً: إلهنا صبية رحمت غفلة تلك السمكة، ونحن قد اصطادتنا وسوسة الشياطين، وأخرجتنا من بحور رحمتك، فارحمنا بفضلك وخلصنا منها وألقنا في بحار رحمتك مرة أخرى آمين».

قلت: إذا كان هذا هو شأن الرازي مع إمامته وعلمه؟ فإن حالنا أصعب من حاله، فنحن قد اصطادتنا مع وسوسة الشياطين، وهوى النفس، وشهوات الدنيا، ورجاءنا يا رب، أن تخلصنا من هذه الشهوات وتجعلنا في بحار رحمتك في الدنيا والآخرة، أمين.

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٨٥/١ واللفظ له، والبزار في مسده: ٨٨٤، والطبراني ٢٨١١، وأبو يعلى في مسنده ٣٦٣ قال في الموسوعة ٧٨/٢ وإسناده ضعيف، فيه عبدالله بن نجي مختلف فيه، ولم يوثقه إلا ابن حبان.

قلت: والحديث مروي عن أنس بن مالك، وهو عند أحمد في المسند: ٢٤٢/٣، وأبو يعلى في مسنده ٣٤٠٢، وابن حبان ٦٧٤٢، والطبراني في الكبير: ٢٨١٣، وأبو نعيم في دلائل النبوة: ٤٩٢، والبيهقي في الدلائل ٤٦٩/٦ وهو أيضاً عن أم سلمة وعائشة عند أحمد في المسند: ٦/ ٢٩٤، وفي الفضائل لأحمد ١٣٥٧ وابن حميد ١٥٣٣، والطبراني في الكبير ٢٨١٥ - ٢٨٢١ و٢٨١٩، وابن طهمان في المشيخة: ٣، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٤٢٩ والحاكم ٤/ ٣٩٨، والبيهقي في الدلائل: ٤٦٨/٦، وابن أبي شيبة ٩٧/١٥ - ٩٨، وهو أيضاً عن أبي أمامة عند الطبري في الكبير ٨٠٩٦، وعن أم الفضل بنت الحارث، عند الحاكم: ١٧٣/٣ - ١٧٧.

(*) انظر صحيح مسلم: ٢٤٠٤، والترمذي ٣٧٨١، وقال حسن صحيح، وابن حبان: ٦٩٦٠ و٦٩٧٦، وأحمد في المسند: ٣٩١/٥ - ٣٩٢ و١٠٧/٤، وغيرهم الكثير انظر تخريج الحديث في كتاب صفة النبي ﷺ ص ٦٣ وما بعدها خرّجه في تسع صفحات، حتى ذهب السيوطي وكذا غيره إلى تواتر ذلك انظر الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٢٨٦ و٢٨٧، وكذا غير السيوطي قال بتواتره -. ويا للعجب من شيعة آل البيت في العراق قديماً؟ وحتى في يومنا هذا كيف زعموا ولاءهم للحسين ولأهل البيت وكيف أنهم تخلفوا عنه في أحلك الأوقات.

=

قلت: يا ويل من أحزن رسول الله ﷺ وأبكاه في سيد من سادات الجنة - كون الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثابت في الصحيح.

المبحث الرابع:

في حسن عشرته ﷺ لأقربائه وذويه

قال في شرح المواهب «والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب عبدالمطلب ممن صحب منهم النبي ﷺ وأسلم ذكراً كان أو أنثى»[1].

=

رحم الله الحسن والحسين ورضي الله عنهما؟ حقاً لقد كان الحسن بن علي رضي الله عنه أعلم بأهل العراق من أخيه الحسين رضي الله عنه.

فهذا الطبراني في معجمه الكبير: ٧٠/٢٣ يخبرنا عن ذلك فيقول: «كان الحسن بن علي رضي الله عنه تأتيه الكتب من شيعته أهل العراق، فيقول للجارية، هات المخضب فيصبّ فيه الماء ويُلقي فيه كتب أهل العراق، وكانت الجارية تسأله فتقول: يا سيدي فمّن هذه الكتب فيقول رضي الله عنه، «من أهل العراق من قومٍ لا يرجعون إلى الحق، ولا يقصرون عن باطل، أما إني لستُ أخشاهُم على نفسي، ولكني أخشاهم على ذلك واشار إلى الحسين» - قال في مجمع الزوائد: ١٧٨/٩ ورجاله رجال الصحيح. ما من قارئ لحياة سيدنا علي رضي الله عنه، وخصوصاً لمرحلة توليه الخلافة، إلا وسيقف على مدى فقدان الثقة من أهل العراق حتى تمنى سيدنا علي رضي الله عنه الموت، ولقد فهم هذه الحقيقة، سيدنا الحسن رضي الله عنه، فخاف على أخيه الحسين رضي الله عنه نظراً لما يعرفه عنه من جرأته في قوله الحق وعدم صبره على الباطل، ولكن قدر الله وما شاء فعل، تجاهل الحسين رضي الله عنه توسل ابن عباس، وغيره من أن لا يخرج إلى العراق؟ ولكنه خرج رضي الله عنهم وكان ما كان من كربلاء، حيث اجتمع فيها على الحسين، الكربُ والبلاء من حهتين من جهة أعدائه الذين تربصوا به وقتلوه، ومن جهة الأدعياء لحب أهل البيت الذين خذلوه وتخلو عنه، ؟ فاجتمع عليه رضي الله عنه البلاء من كل صوب، ولم يجد إلى جنبيه إلا ذويه وقرابته القريبة، وجدّه المصطفى ﷺ الذي رآه ابن عباس رضي الله عنه في رابعة النهار في الرؤيا، وبيده قارورة فيها دم الحسين - قال ابن عباس: «قلت يا رسول الله ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبعُه منذ اليوم» قال: فأحصينا ذلك اليوم، فوجوده قد قتل فيه» - الحديث: رواه أحمد في المسند: ٢٤٢/١ - ٢٨٣، والطبراني في ٢٨٢٢ و١٢٨٣٧، والحاكم: ٣٩٧/٤ - ٣٩٨، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال في الموسوعة: ٦٠/٤، إسناده قوي على شرط مسلم.

(١) شرح المواهب: ٢٥٤/٩، ولقد تبعه السخاوي في الاستجلاب فانظره ص ٩ وما بعدها.

المطلب الأول:

في حسن عشرته ﷺ لعمِّه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه

عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعمر في العبّاس إنّ عمَّ الرجل صنو[١] أبيه..»[٢]... [*]...

عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب[٣] قال: «دخل العباس على رسول الله ﷺ مغضباً، فقال ما يغضبك يا عم؟ قال: يا رسول الله، مالنا ولقريش، إذا اتلاقوْا بينهُم تلاقوا بوجه مُبشرة، وإذا لقوْنا لقوْنا بغير ذلك؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرّ وجهه، وحتى استدر عرقٌ بين عينيه، وكان إذا.. غضب استدر، فقال سُرِّيَ عنه، قال: والذي نفسي بيده أو قال: والذي نفس محمد بيده لا يدخُل قلب رجل الإيمان حتى يحبُّكُم لله ولرسوله، ثم قال: أيها الناس، من أذى العباس، فقد آذاني، إنما عمّ الرجل صنو أبيه»[٤]... [*]....

---

(١) قال في النهاية: «الصنو: المثل، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد، يريد أنّ أصل العباس وأصل أبيه واحداً» اهـ مادة صنو.

(٢) رواه، والترمذي في سننه ٣٧٦٠ وقال ٣٧٦١، حسن صحيح غريب، وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة: ٥٠٠/١، والبيهقي في السنن: ١١١/٤.

(*) وانظر شرح الكلمة في شرح المواهب: ٢٧٣/٩ وزاد على ذلك فقال: «ولقد جعل رسول الله ﷺ مقام عمه العباس بمنزلة والده، أي فكما يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقِه فكذلك عمه العباس» اهـ باختصار.

وكذا في شرح صحيح مسلم للنووي: ٥٧/٧، وفي فتح الملهم: ٢٢/٥.

وقال القرطبي في المفهم: ١٨/٣، «وهذا تعظيم لحق العباس، احتراماً، وميزةً، وإكراماً من أن يتعرض له أحد بباطل» اهـ باختصار. وكذا في عون المعبود: ١٩/٥.

(٣) هو عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي له صحبة، سكن الشام في أيام عمر رضي الله عنه توفي سنة إحدى وستين في دولة يزيد بدمشق، السيرة ١١٢/٣، الطبقات: ٤/ ٥٧، أسد الغابة: ٣٣١/٣.

(٤) رواه أحمد في المسند: ١٦٥/٤ واللفظ له، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠٨/١٢، والترمذي ٣٧٥٨ وقال حسن صحيح، والنسائي في الكبرى: ٨١٧٦، والطبراني في الكبير: ٦٧٢/٢٠ - ٦٧٣ - ٦٧٤.

(*) قال في شرح المواهب: ٢٧٣/٩ «وفيه الإشارة إلى أنّ الإيمان الحقيقي المنجي، وهو التصديق القلبي، وبين المحبة والإيمان ارتباط من جهة أنّ المحبة ميل القلب إلى المحبوب، والإيمان التصديق القلبي، فيجتمعان في القلب، وجعلهما متلازمين، فيلزم من نفي أحدهما نفي الآخر، =

ومن حسن عشرته ﷺ لعمه، دعا له ولولده. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ للعباس «اللهم اغفر للعبّاس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنباً إلا سترتْهُ، اللهم احفظه في ولده»[1]... [*]...

ولقد روي لنا ذلك عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: لقد رأيت من تعظيم رسول الله ﷺ عمه العباس أمراً عجباً[2].

= ثم علّل هذه المحبة بكونها لله ولرسوله، فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك، ثم جعل أذاه كأذى نفسه، لأنه عضوه وعصبه، ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الأب» اهـ.

قلت: تعليل ولزوم المحب محل المحبوب فمن أحب شيئاً أحب كل ما له صلة بهذا الشيء، ولما أحب قيس ليلى، كان يقبل جُدران بيتها وكان يقول: انظر ديوان قيس ص ٥٤.

وما حُبّ الديار شغفنَ قلبي ولكن حبّ من سكن الديار

فحمله حبّه لليلى أن يُقبل جدران بيتها، وفي المثل السائر: إن من إكرام الوردة أن تشرب الشوكة إذا اكانت بجانبها، فمن لم يحمل في قلبه حبّ الله والرسول ﷺ، وحبَّ أهل بيته وأقربائه وذويه وصحبه وكل من ارتبط مع الله ورسوله، في صلة، فإيمانه ناقصٌ لا محالة.

وقد سأل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن أوثق عرى الإيمان، فقال: «الحب في الله والبغض في الله» - الحديث: رواه البيهقي في الشعب: ٩٥٠٩ قلت، ضعيف، وفيه الصّعب بن حزن قال في التقريب: ٤٣٨/٢ - ٢٩٤٢ صدوق وله أوهام.

(١) رواه الترمذي في سننه: ٣٧٦٢وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(*) في شرح المواهب: ٢٧٤/٩ «قوله: مغفرة ظاهرة، تضبطُ جوارحهم عن المعاصي، وتجملهم بالنور المشاهد، وباطنةً: بأن تصوران أسرارهم عن نحو كِبْر وغل وحسدٍ، - قال الزرقاني - هكذا فسرهما شيخنا جزماً، لا تترك ذنباً إلا سترته، بعدم وقوعه، أو العقاب عليه» اهـ باختصار.

قال العلامة الشيخ عبدالله سراج الدين في كتابه سيدنا محمد رسول الله ﷺ ص: ٣٤١ - ٣٤٢ «وكان ﷺ يكرم عمه العباس، ويباهي به يفعل ذلك أمام الصحابة، ليقتدوا به في تكريم عمه العباس».

ولقد أدرك الصحابة ذلك ذلك فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي بالعباس عام الرمادة. وكان فيما قال: «أيها الناس إن رسول الله ﷺ يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يعظمُه ويفخمُه ويبرُّ قسمه فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله عز وجل فيما نزل بكم» - رواه الحاكم في المستدرك: ٣٣٤/٣، وسكت عنه الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات: ٢٨/٤ - ٢٩.

(٢) الحديث - رواه أحمد في المسند: ١١٨/٦ وهذا لفظه، ابن سعد: ٢٣٥/٢، وأبو يعلى ٤٩٣٦، والحاكم: ٢٠٢/٤، ووافقه الذهبي على تصحيحه، في الموسوعة: ٣٦٥/٤١ قال: إسناده حسن.

المطلب الثاني:

في حسن عشرته ﷺ لأبناء عمه العباس رضي الله عنهم

لقد كان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما من أكثر أولاد العباس حضوراً مع النبي ﷺ، وقد مرّ سابقاً في قصة مبيته عند النبي ﷺ[١] وهذا خيرُ دليل على ذلك، ولقد أعطى النبي الكريم ﷺ في حسن معاملة ومعاشرة ابن عمه عبدالله أروع الأمثلة في ذلك، وهذا ابن عباس رضي الله عنه يحدثنا عن تلك المعاشرة الرائعة فيقول: «ضمني رسول الله ﷺ، وفي رواية: مسح النبي ﷺ على رأسي بيده، وقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٢] [*].

---

(١) انظره: في عدد ركعاته ﷺ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٧٥ و٢٤٣ و٣٧٥٦ و٧٢٧٠، ومسلم ٢٤٧٧، وابن حبان ٧٠٥٤ و٧٠٥٥ وهذا لفظه.

(*) أورد القرطبي هذه الروايات في المفهم: ٤٠٦/٦ ثم قال: «وقد ظهرت على ابن عباس بركات هذه الدعوة، فاشتهرت علومه وفضائله، وعمت خيراتُه وفواضله، فارتحل طلاب العلم إليه، وازدحموا عند بابه، ورجعوا في اختلافهم لقوله، وعولوا على نظره ورأيه، ولقد جمع مجلسه العلم من كل جوانبه، فعلم التفسير هو رائده، وكذا الفقه، ومعرفة الحلال والحرام، والعربية، والأنساب، والشعر، وما كان أحدٌ أعلم بالنسبة، ولا أجل رأياً، ولا أثقب نظراً، من عبدالله بن عباس، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدمه على اشياخ بدر، وكان يعده للمعضلات من مسائل العلم مع ما كان عليه عمر رضي الله عنه من العلم والإمامة والإجتهاد» اهـ باختصار.

وزاد في فتح البار ي: ٢٩٥/١ «فيه استحباب المكافأة بالدعاء، قال ابن المنير، مناسبة الدعاء لابن عباس بالفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور:

إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء. أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب، أو لايفعل شيئاً، فرأى الثاني اوفق، لأن في الأولى تعرضاً للاطلاع. يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها، ففعله ذلك يدلّ على ذكائه، فناسب أن يدعي له بالتفقه في الدين، ليحصل النفع به» اهـ، وكذا نقله في التكمله: ١١٧/٥.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٦ /٣٧ «وفيه فضل الفقه، واستحباب الدعاء بظهر الغيب، واستحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الإنسان، وفيه إجابة دعاء النبي ﷺ، فكان ابن عباس من الفقه بالمحل الأعلى» اهـ .

ولقد ثبت أن النبي ﷺ دعا لابن عباس أكثر من مرة - الحديث روى ذلك الترمذي في سننه ٣٨٢٣ وقال حسن غريب.

وروى أن من أنساب دعائه ﷺ لابن عباس. أنه ﷺ ليلة خلف النبي ﷺ فأقامه فجعله حذاءه، فلما انصرف، قلت: - أي ابن عباس -: وهل ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله؟

=

=

فدعا الله تعالى أن يزداد فهما وعلماً» رواه البلاذري في أنساب الأشراف: ٢٩/٣، وفي حلية الأولياء ٣١٤/١ ٣١٥٠، في تاريخه: ٥١٨/١ وذكره الذهبي في السير ٣٣٨/٣. وقال: تفرد به محمد بن يزيد الرهاوي وهو ضعيف.

وشاهده ما روى أحمد في المسند: ٣٠٢/١ بنحوه، وهو عندالنسائي في المجتبى ٨٦/٢، وابن حبان ٢٢٠٤، وابن خزيمة ١٥٣٧، وقال في الموسوعة: ٤٧٩/٤، صحيح لغيره، وإسناده أحمد حسن: ولفظه: قال ابن عباس صليت إلى جنب النبي ﷺ وعائشة خلفنا تُصلي معنا، وأنا إلى جنب النبي ﷺ أصلى معه».

قلت: وفي الحديث أدبُ ابن عباس رضي الله عنه مع أنه كان صبياً، ودعاء الرسول ﷺ عقب ما رأى منه هذا الأدب الرفيع، دليل على وجوب الأدب والاحترام، أولاً مع النبي ﷺ

ثانياً: مع الكبار من العلماء وغيرهم، إذ إن اجلال واحترام الكبار، احترام وإجلال لله تعالى دليلُه قوله ﷺ: إن من إجلاله الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» - رواه أبو داود في سننه رقم ٤٨٤٣ قلت: وفيه إسحاق بن إبراهيم الصواف في التقريب: ٧٧/١ - ٣٢٦ قال ليّن الحديث، وعبدالله بن عمران. صديق يُخطئ كما في التقريب: ٤٧/١ رقم ٣٢٩٣، وبقية رجاله ثقات.

حبذا لو تعلم المسلمون هذا الأدب الرفيع مع من أمر رسول الله ﷺ التأدب معهم إذاً لصلحت أحوالنا ولفزنا برضا ربنا وأكثر من يبنغي أن يتصفوا بصفة الأدب مع العلماء والأكابر هم طلاب العلم، لأن الجاهل قد يُعْذر بجهله؟ لكن ما عذر أولئك الذين وسوس ولبَّس عليهم الشيطان من أنهم أتبع الناس للكتاب والسنة، فبدعوا العلماء، وكفروا أناساً كباراً في العلم والعبادة أمثال الإمام حجة الإسلام الغزالي وغيره، ومن تتبع نشرات هؤلاء الخوارج في زماننا وكتيباتِهم لوجد ذلك واضحاً في كلامهم.

وحذار لهؤلاء أن يعودوا إلى رشدهم وصوابهم ويتأدبوا بما أدب الله به نبيه؟ وأصحاب نبيه، والأدب الذي أخذه العلماء كابراً عن كابر، وإلا فإن الأمر جد خطير، وإن من عدم التزام الأدب مع العلماء والكبائر صفة من صفات المنافقين.

ففي حدث أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمامٌ مقسط» - رواه الخطيب في تاريخه: ٦١/١٤، رقم ٧٤٠١، قال في مجمع الزوائد: ١٢٧/١، ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبيد الله بن زهر بن علي بن يزيد وكلاهما ضعيف، وكذا قال المنذري في الترغيب والترهيب: ١١٥/١، وزاد وقد حسنها الترمذي لغير هذا المتن، قال المناوي في فيض القدير: ٣٩٨/٣، وعزاه في رواية أخرى إلى أبي الشيخ في كتاب الأمثال عن جابر بن عبدالله بسند ضعيف قال الذهبي في السير: ٣٣٩/٣ تفرد به سعد بن جعفر عن عبدالمؤمن وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣٣٩/٣ «عن ابن عباس قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وعنده جبريل، فقال له جبريل: إنهُ كائنٌ هذا حبر الأمة فاستوصِ به خيراً» - رواه في الحلية: ٣١٦/١، ورؤية ابن عباس لجبريل ثابتة بأسانيد صحيحه وهي عند

=

=

أحمد في المسند: ٢٩٤/١ والطيالسي ٢٧٠٨، وابن حميد ٧١، وهو في الفضائل لأحمد ١٨٥٤، والطبراني ١٠٥٨٤ و١٢٨٣٦ وغيرهم قال في الموسوعة: ٢٩٤/٤ و٤٦/٥، إسناده صحيح على شرط مسلم. ومن ذلك إردافه ﷺ لعبد الله بن عباس خلفه وتعليمه.

«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظكَ احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعول بشئ، لم ينفعوك: إلا بشئ قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» - رواه أحمد في المسند: ٢٩٣/١ واللفظ له وأبو يعلى ٢٥٥٦، وابن أبي عاصم في السنة٣١٦، والترمذي ٢٥١٦، وقال حسن صحيح، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٢٥ والبيهقي في الشعب ١٩٥، والآجري في الشريعة ص١٩٨ وعبد بن حميد ٢٣٦، والحاكم: ٥٤١/٣ - ٥٤٢، وفي الحلية: ٣١٤/١ وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ٤٦٠/١ وللحديث طرقاً كثيرة أهمها طريق الترمذي وشواهد عن أبي سعيد الخدري عند أبي يعلى ١٠٩٩، والخطيب في تاريخه: ١٢٥/١٤، وعن عبدالله بن جعفر عن أبي عاصم: ٣١٥.

وقال في كتاب منهج التربية النبوية: ص: ٣١٣، «وهذا أساسٌ من أسس التربية المهمة، وهو يُسمى تحيّن الوقت والمناسبة. ولك أن تتصور غاية السرور التي كانت في نفس عبدالله بن عباس وهو يركب خلف النبي ﷺ، فهو إذا في حالة تقبل ما يلقى إليه أضف إلى أن ذلك لم يكُن في غرفة محدودة وإنما كان هذا في الهواء الطلق، وفي حالة تشبه النزهة حيث يكون الطفل في أفضل أحوال الأخذ والتلقي» اهـ بتصرف.

قلت: ثم إن في مناداة النبي ﷺ ابن عباس بيا غلام ما يشعر بالمحبة وبتهيئة نفسه لما يلقى إليه قال في كتاب تربية الأولاد في الإسلام: ٥١٣/١ «وهذا الأسلوب له إيحاءاته المؤثرة على المشاعر، وتأثيره البالغ في القلوب، وهذا الأسلوب الاستعطافي ظاهر واضح في القرآن الكريم مثال ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ ﴾ سورة لقمان آية ١٣ اهـ.

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ٤٦٢/١ «وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية مهمة من أمور الدين حتى قال بعض العلماء تدبرت هذا الحديث فأدهشني فوا أسفي من الجهل بهذا الحديث، وقله التفهم لمعناه» اهـ.

وقال في كتاب منهج التربية ص ٢١١ - ٢١٢ «وهذا الحديث يدل على أساسٍ مهم في تكوين جسم الأطفال ويساعدهُم على الحب، والقبلات للأطفال بالتساوي ولا يقتصر على الفائز منهم فقط، وإنما ينبغي العدل بينهم في ذلك رعاية لهم جميعاً دون استثناء خشية دخول الغيرة، والحسد بينهُم، والرسول ﷺ حينما يفعل ذلك يرسم منهجاً للأمة ينبغي لكل والد ووالدة ومربي، ليقتدوا به في ذلك ويلاعبوا أطفالهم» اهـ باختصار وتصرف.

قلت: دعاء النبي ﷺ لابن عباس هكذا روى عند ابن حبان، وهو عند البخاري بلفظ اللهم علمه الكتاب، ولفظ ابن ماجه: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب، وعند أحمد ولفظه: ودعا لي

=

ولقد كان رسول الله ﷺ يصُفُّ أبناء عمه العباس: عبدالله، وعبيدالله، وكثير، ثم يقول لهم: من سبق إلي فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهُم ويلتزمُهم[١].

المطلب الثالث:

في حسن عشرته ﷺ لأبناء جعفر رضي الله عنه

عن أسماء[٢] بنت عميس رضي الله عنهما قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه، دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فقال: ائتيني، ببني جعفر، قالت: فأتيتُهُ بهم، فشمهم، وذرفت عيناه، فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال: نعم، أصبحوا هذا اليوم، قالت: فقمتُ أصبح، واجتمع اليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»[٣]... [*]...

وبكى رسول الله ﷺ حتى سال الدمع على لحيته الشريفة، وأبقى ﷺ أولاد جعفر معه يدورون معه كلما صار في بيت إحدى نسائه، قال عبدالله بن جعفر دعا لي رسول الله ﷺ فقال: اللهم بارك في صفقة يمينه، قال فما بعت شيئاً ولا اشتريت شيئاً

=

بالحكمة: وعند القسوى في المعرفة.

(١) رواه أحمد في المسند: ٢١٤/١، وأورده الحافظ بن حجر، في تهذيب التهذيب: ٨/ ٤٢١، ونسبه للبغوي عن داود بن عمر، ثم قال: وهو مرسل جيد الإسناد قال في الموسوعة: ٣٣٥/٣ وإسناد أحمد ضعيف بضعف يزيد بن أبي زياد.

(٢) هي أسماء بن عميس بن معبد بن الحارث، أم عبدالله من المهاجرات الأول، أسلمت قديماً مع زوجها، وهاجرت إلى الحبشة، تزوجت بعد جعفر أبا بكر، ثم بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، السير: ٢٨٢/٢، الطبقات: ٢٨٠/٨، أسد الغابة: ١٤/٧، الاستيعاب: ١٧٨٤/٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ٣٧٠/٦ واللفظ له، وابن ماجه في سننه ١٦١١، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٣٨٠ و٣٨١، وفي الدلائل للبيهقي: ٣٧٠/٤، والواقدي في المغازي: ٧٦٦/٢، وعبدالرزاق في المصنف: ٦٦٦٦ وقال في مجمع الزوائد: ١٦١/٦ رواه أحمد وفيه امرأتان لم أجد من وثقهما ولا من جرحهما وبقية رجاله ثقات.

(*) قال في فتح الباري: ٥٨٧/٧ «وكان ذلك منه ﷺ لما جعل الله تعالى في قلبه من الرحمة ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء، ويؤخذ منه أن ظهور الحزن، والبكاء على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرج عن كونه صابراً راضياً إذا كان مطمئناً» اهـ باختصار.

إلا بورك لي فيه[1].

ولقد كان الرحمة المهداة ﷺ يدخل على أولاد ابن عمه جعفر يتفقدهم بين الحين والآخر، لا يشغله عن ذلك ما كان عليه من أعباء الدعوة والجهاد، وتعليم الصحابة رضي الله عنهم، ودخل عليهم مرة فوجدهم ضارعين [*]، فقال ﷺ: مالي أرى

---

(١) رواه في المسند: ١/٢٠٤ - ٢٠٥.

(*) «في النهاية: الضارع: النحيف الجسم، يُقال: ضرع يضرع، فهو ضارع، وضرعٌ بالتحريك» اهـ مادة ضرع».

قلت: ولعل أسماء خشيت بعد استشهادجعفر الفقر، فطمأنها النبي ﷺ بهذه الدعوة المباركة، التي اثمرت لأولاد جعفر رضي الله عنهم غنىً وعيشة رغيدة.

وقال في كتاب التربية النبوية ص ١٥٠ «في هذه الدعوة النبوية المباركة لأبناء جعفر، إرشاداً لنا في أن تُكَوِّن الطفل اجتماعياً واقتصادياً، يجعل منه إنساناً سوياً يتعلم الجد في الحياة، ويفهمها فهاً جيداً صحيحاً، بعيداً عن الإدلال المفرط المقيت، الذي إن وجد قتل الرجولة في الأطفال» اهـ باختصار.

قلت: وهكذا تكون حسن العشرة، وتتمثل الرحمة في أسمى معانيها لتبقى تلك المعاني ماثلة، في أذهان الأمة، لتعرف بذلك؟ ما ينبغي أن يكون بين أبناء العمومة ومن تواصل الرحم، والتي قطعت في هذا الزمن إلا من رحم ربّك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي ظل تلك المسحة - انظر خير تلك المسحة النبوية المباركه في مستدرك الحاكم: ١/٣٧١ ووافقه الذهبي في التلخيص على تصحيحه والمسند: ١/٢٠٥ وفي التاريخ الكبير للبخاري: ٧/ ١٩٤ قال في الموسوعة ٣/٢٨٥ إسناده حسن. - في المسحة النبوية المباركة على رأس أبناء ابن عمه الأيتام يعطينا سيد الرحماء درساً عملياً في كيفية التعامل مع اليتيم، خصوصاً إذا كان من الأرحام ولقد بقيت آثار تلك المسحة المباركة من أشرف يد، ماثلة في ذاكرة عبدالله بن جعفر رضي الله عنه ليرويها عند رجولته ليسمعها التابعون وتصل الينا بالأحاديث والأسانيد الصحيحة، فما أحوجنا في هذا الزمان القاسي بأهله، والذي سادت فيه قطيعة الرحم، وعدم الإحسان إلى اليتيم، إلا من القليل، أن نستشعر تلك المعاني والوقائع، فنعمل بها ونطبقها في تعاملنا مع الأرحام والأيتام، فعسى بذلك إن نحن تخلقنا بها، أن نكون مع النبي ﷺ في الجنة؟ كيف لا، وهو القائل ﷺ: أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرق بينهما مثلاً» - رواه أحمد في المسند: ٥/٣٣٣ واللفظ له، ورواه البخاري ٥٣٠٤ و٦٠٠٥، وفي الأدب المفرد ١٣٥، وأبو داود ٥١٥ وشواهده كثيرة انظر الموسوعة ٣٦ /٤٥٧.

وشواهد الحديث: عن أنس عند أحمد في المسند: ٣/١١٨، ومسلم ٣٨٨٩ وعن جابر بن عبدالله في مسند أحمد ٣/٣٣٣.

وعن خلف بن علي في المسند: أيضاً: ٤/٢٣، وعن عمران بن الحصين فيه أيضاً: ٤/٤٣٦، وعن عائشة في المسند أيضاً: ٦/٢٨٦، وعن أم سلمة عند البخاري ٥٧٣٩ ومسلم: ٢١٩٧، وعن =

أبناء أخي ضارعين، فقالت: - أي أمهم - يا رسول الله إنه تسرع إليهم العين، ولم يمنعني أن أسترقي لهُم، إلا أني لا أدري ما يوافق كتاب الله تعالى من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ استرقوا لهم، فإنّه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»(١).

وكان ﷺ إذا ركب دابة أردف خلفه أولاد ابن عمه جعفر رضي الله عنهم. فهذا عبدالله بن جعفر يخبرنا عن ذلك فيقول: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرّ اليّ بحديث لا أخبرُ به أحداً»(٢).

المطلب الرابع:
في حسن عشرته ﷺ لابن عمه عقيل بن أبي طالب

إذا كانت صفة حسن المعاشرة ماثلة بتمامها في شخص رسول الله ﷺ فلن تختلف هذه المعاشرة من حيث ماهيتها بين شخص وآخر، لكنها قد تكون زائدة في

=

بريدة بن الخصيب عند ابن ماجه: ٣٥١٣، وعن عمرو بن حزم كما في أطراف المسند: ١٣١/٥.
وفي هذه قال الزرقاني في شرح الموطأ: ٤١٠/٤، الأحاديث إثبات القدر - وهو من أركان الإيمان الستة - وصحة أمر الإصابة بالعين، وأن العين قد تكون قويه الضرر، وفيها الأمر بالرقى من ذلك بما تيّسر من القرآن والأدعية النبوية في ذلك، وإنها نافعة إن شاء الله تعالى» اهـ باختصار وتصرف.

وقال القرطبيّ في المفهم: ٣١٢/٦ «و هذه أهليةٌ شريفة، وفضيله منيفة لابن جعفر» اهـ.
وفي كتاب التربية النبوية ص١٧٣ «وفي الحديث دليل على أنه ينبغي تنشئة الطفل، على خلق كتم الأسرار، لأنّ بذلك صلاح الطفل في حاله ومستقبله، وتعويده ذلك لكي يكون الطفل بعد ذلك حافظ لأسرار الأسرة، وانطلاقها، والمحافظة على المجتمع وبنائه، وذلك لأنّ الطفل الذي يتعود كتم الأسرار فينشأ عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس بحفظ أسرار بعضهم لبعض» اهـ بتصرف.

(١) الحديث: رواه أحمد في المسند: ٤٣٨/٦ والترمذي: ٢٠٥٩ وقال حسن صحيح، وابن ما جه: ٣٥١٠، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣١٤٦ وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٦/٨، والطبراني في الكبير: ٣٧٩/٢٤، والبيهقي في الشعب ١١٢٥، وفي السنن: ٣٤٨/٩، والبغوي في شرح السنة: ٣٢٤٣، وفي أسد الغابة: ١٠/٧، والنسائي في الكبرى: ٣٧، ٧٥، وهو عند مسلم في صحيحه ٢١٩٨.

(٢) الحديث: رواه مسلم في صحيحه رقم: ٣٤٢، وأحمد في المسند: ٢٠٤/١، واللفظ له، وأبو داود ٢٥٤٩، وابن م اجه ٣٤٠، والبيهقي في الدلائل: ٢٦/٦، وابن خزيمة مختصراً ٥٣، وابن حبان ١٤١١، وأبو يعلى ٦٧٨٧ و٦٧٨٨ وغيرهم.

بعض الأحيان لعارض من العوارض، وهذا الأمر قد تحقق في حسن عشرته ﷺ تجاه ابن عمه عقيل بن أبي طالب[١]، الأمر الذي عبّر عنه عقيل نفسه حيث قال: قال لي رسول الله ﷺ مرّة: يا أبا يزيد، إني أحبّك حبين، حباً لقرابتك، وحبّاً لما كنتُ أعلم من حُبّ عميّ إيّاك»[٢] قلت: ذلكُم هو الوفاء الذي تمثّل في ذات سيدنا رسول الله ﷺ مع كلِّ من كان حوله ممن عاشروه وأسدوا إليه معروفاً، ولقد رأينا كيف كان وفاؤه ﷺ مع السيدة الأولى خديجة رضي الله عنها، وهذا مثلاً آخر من الوفاء تجاه عمه أبي طالب الذي أحاطه مانعاً وصول أذى قومه إليه، فعبر عن هذا الوفاء لعقيل ابن عمه، فما أحوجنا أن نتمثل معاني الوفاء الذي ندر في هذا الزمان وجوده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان ﷺ إذا خرج لصلاة العيد يخرج معه الأقارب ومواليه: الفضل بن العباس، وعبدالله، والعباس، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، وأسامة بن زيد، وزيد بن حارثة، وأيمن ابن أم أيمن، رافعاً صوته بالتكبير والتهليل»[٣].

وهذا أسامة بن زيد رضي الله عنهما يحدثنا عن ذلك فيقول: اجتمع جعفر، وعلي، وزيد، فقال: جعفر: أنا أحبكم إلى رسول الله ﷺ، فقال علي: بل أنا أحبكُم إلى رسول الله ﷺ فقال زيد بن حارثة، بل أنا أحبكم إلى رسول الله ﷺ - فلما اختلفوا في ذلك - قالوا: قوموا بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله، فجاؤوا يستأذنونه فأذن لهم، ودخلوا، فقالوا: من أحبُّ إليك يا رسول الله، قال: فاطمة؟ قالوا نسألك عن الرجال، فقال: أما أنت يا جعفر، فأشبهتُ خلقي وخُلُقي، وأنت مني وشجرتي وأما أنت يا علي فختني - أي زوج ابنته - وأبو ولديّ، وأنا منك وأنت مني، وأما أنت يا زيدُ فمولاي،

---

(١) هو عقيل بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، أبو يزيد كان أسنّ من علي بعشرين سنة، ومن جعفر بعشر سنين، هاجر في مدّة الهدنة وشارك في غزوة موتة، عاش بعد علي رضي الله عنه ووفد على معاوية رضي الله عنهم أجمعين انظر السير: ٩٩/٣، والطبقات الكبرى: ٤٢/٤ وأسد الغابة: ٤٢٢/٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ٥٧٦/٣، وسكت عنه الذهبي، قال في مجمع الزوائد: ٢٧٣/٩، رجاله ثقات رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات، وابن سعد في الطبقات ٤٤/٤، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠٠/٣ وقد روى من وجوه كُلّها مرسلة.

(٣) انظر الحديث في صحيح ابن خزيمة: ٦٧٣.

ومني وإليّ وأحبُّ القوم إلي[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند بهذا اللفظ: ٢٠٤/٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٩٢/٦ والضياء في المختار ١٣٦٩، وابن سعد في الطبقات: ٣٦/٤، والبخاري في التاريخ الكبير: ٢٠/١ والنسائي في خصائص علي ١٣٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: ٤٧٤٧، والطبراني في الكبير ٣٧٨، والحاكم ٢١٧/٣، والخطيب في تاريخ بغداد: ٦٢/٩ .
وهكذا يعلمنا النبي ﷺ بأن نصطحب أولادنا إلى المساجد، والأماكن التي يذكر فيها، إذ بغير المسجد ومجالس الذكر لا يمكن للولد أن يتربى التربية الروحية والإيمانية، وبه يتعلم السلوك الاجتماعي مع من حوله في مجتمعه وقد بين القرآن ذلك حينما تحدث عن المساجد بقوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝ ﴾ سورة النـور (٣٧).
ولعظم وجمال تلك العشرة النبوية كان يظنّ كل واحدٍ من الأقارب وأهل البيت أنه أحبّ إلى رسول الله ﷺ من سائرهم.
وقال في الموسوعة: ٣٦ /١١، إسناده ضعيف بسبب ابن إسحاق فهو مدلس وباقي رجاله ثقات.
قلت وشواهده في صحيح البخاري ٤٢٥١ القسم الأخير من الحديث، والطيالسي ٨٨، والترمذي ٣٨١٩ وقال حسن صحيح.
وقال العيني في عمدة القاري: ٣٥٣/١٧ «وفيه من المزايا ما فيه لجعفر وعلي وزيد رضي الله عنهم» اهـ باختصار.
وكذا في إرشاد السار ي: ٢٥٢/٩.
وزاد في فتح الباري: ٥٧٩/٧ «ووقع في تراجم أهل البيت ممن كان يشبه النبي ﷺ، فاطمة الزهراء، والحسن، والحسين، وجعفر، وولداه، وقثم بن العباس، ومسلم بن عقيل، وإبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وكان يُقال له الشبيه، والقاسم بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب» اهـ.
قلت: ولم تكن هذه العشرة قاصرة على ذويه وأهل بيته رضي الله عنهم، بل كانت شاملة لكل الصحابة، رضي الله عنهم، وهذا عمر بن العاص رضي الله عنه والذي أسلم بعد صلح الحديبية وبايع الرسول ﷺ وأمّره على سرية فظن بما رأى من حسن عشرة المصطفى ﷺ له أنه من أحب الناس إليه، الأمر الذي دفعه إلى أن يقول:
يا رسول الله ﷺ من أحب الناس إليك قال: عائشة، قال: قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قال: قلت؟ نعم من؟ قال: ثم عمر، قال: فعد رجالاً» - الحديث: رواه البخاري ٤٣٥٨، ومسلم ٢٣٨٤، وأحمد في المسند: ٢٠٣/٤، وابن حبان ٦٩٠ والترمذي في السنن: ٣٨٨٦ والحاكم: ٤/ ١٢ وزاد البيهقي في الدلائل: ٤٠٠/٤ - ٤٠١ وسبب سؤال عمر بن العاص رضي الله عنه عن
=

المطلب الخامس:

في حسن عشرته ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه

لقد كان أسامة[١] بن زيد رضي الله يُسمى الحبُّ ابن الحب، وذلك لما يعرف الصحابة من منزلته عند رسول الله ﷺ، وحبّه له[٢]... [*]...

قلت لقد اجتمع لأسامة عند رسول الله ﷺ الحب من أطرافه فأبوه زيد الذي كان يحبّه رسول الله ﷺ، وأمه أم أيمن بركة والتي أحبها رسول الله ﷺ كونها التي حضنتْهُ

=

ذلك فقال: بعثني رسول الله ﷺ على جيش السلاسل، وفي الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فحدثتُ نفسي أنه ﷺ لم يؤمرني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، فأتيتُه حتى قعدتُ بين يديه. - ثم ذكر الحديث - وزاد البخاري: فسكت مخافة أن يجعلي آخرهم.

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل، حبّ رسول الله ﷺ ومولاه استعمله النبي ﷺ على جيش لغرو الشام وعمره ستة عشر عاماً سكن المزة دمشق ثم عاد إلى المدينة فتوفي فيها وكان ذلك في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه، السير: ٤٩٧/٢، الاستيعاب: ٧٥/١، أسد الغابة: ٧٩/١.

(٢) انظر تحفة الأحوذي: ٢١٧/١٠، والمفهم: ٣٠٩/٦، وعمدة القاري: ٣٢٣/١٦، وإرشاد الساري: ٢٢٤/٨.

(*) وقال القرطبي: في المفهم: ٣٠٩/٦. «ولقد كان الصحابة رضوان الله عليه أدركوا هذه الحقيقة، فلقد كان الفاروق عمر رضي الله عنه يفرض لأحباب رسول الله ﷺ الحسن، والحسين، وأسامة، وأزواج النبي ﷺ، وغيرهم ممن كان يحبهم الرسول ﷺ، خمسة آلاف في العطاء، في حين أنه كان يعطي ابنه عبدالله بن عمر رضي الله عنه ألفين، فقال لأبيه: فضلت علي أسامة وقد شهدتُ - أي من الغزوات - ما لم يشهد؟ فقال الفاروق عمر رضي الله عنه: إن أسامة كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه كان أحبَّ اليه من أبيك، فأنا أقدم حبّ رسول الله ﷺ على حبّ أبيك» اهـ باختصار.

وانظر في ذلك عمدة القاري: ٢٥٤/١٧، وإرشاد الساري ١٥٩/٩، وفتح الباري: ٤٧٤/٧، والنووي في شرحه: ٩/١٦ - ١٠

قلت: وجملة القول إن من اطلع على ما كان عليه النبي ﷺ من حسن العشرة لأقربائه وذويه سيجد في ذلك مثلاً رائعاً، ومنهجا قويماً في حسن العلاقة مع القرابة؟ كيف لا، وقد كان ﷺ خلقه القرآن، وهو الذي يقول «وءاتِ ذا القربي حقه» الاسراء آية ٢٦،

وكذا في سورة الروم آية ٣٦ .

وأماخصوص قرابته ﷺ بالمودة فيكفي في ذلك قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٣) سورة الشورى.

وربته فكان ﷺ، يعتبرها كأمه بعد أمه آمنة، فكيف لا يكون أسامة الحبُّ ابن الحب.

ولـم يكتف رسول الله ﷺ بذلك، بل كان يوصي بحب أسامة: كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان يحب الله ورسوله فليُحبّ أسامة[1].

وما كان حب رسول الله ﷺ لأسامة من حيث الصورة الظاهرة، فقد كان أسامة أسود أفطس، وإنما كان حبه ﷺ له من حيث المعاني، والخصائص التي كان موصوفاً بها[2].

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تروي لنا مشهداً من مشاهده ﷺ مع أسامة فتقول: عثر أسامة بعتبة الباب فشجّ وجهه، فقال لي: أميطي عنه الأذى، قالت: فتقذرتُه قالت: فجعل رسول الله ﷺ يمصّه ثم يمجّه، وقال: لو كان أسامة جارية لكسوتُه وحليتُه، حتى أنفقه.

فقالت عائشة: ما ولدتْ ولا أعرف كيف يغسل الصبيان» ففعل ذلك ﷺ بنفسه[3].

وكان أسامة شديد السواد، خفيف الروح، شجاعاً، ربّاه النبي ﷺ وأحبّهُ كثيراً، بحبه لزيد، وأم أيمن وولاه الإمارة[4].

وكان النبي ﷺ يكُرم أم أيمن أم أسامة رضي الله عنهما، ويبرها مبّرة الأم، وكان ﷺ عندها كالولد، ولذلك كانت تصخب عليه وتضجر فعل الوالدة بولدها. وكان ﷺ يمازحها، وقالت له يوماً احملني، فقال: أحملك على ولد الناقة، فقالت: إنه لا يطيقني، ولا أريده، فقال: لا أحملك إلا عليه، يمازحها[5].

---

(١) الحديث: رواه أحمد في المسند: ١٥٧/٦، وفي الفضائل: ١٥٢٧، وابن عساكر، وفي تاريخ دمشق: ٦٨٤/٢ وابن أبي شيبة ١٣٨/١ وقال في مجمع الزوائد: ٢٦٨/٩ - رجاله رجال الصحيح وشواهده عند مسلم رقم ٢٩٤٢.

(٢) انظر المفهم: ٣١٠/٦.

(٣) انظر السير: ٥٠/٢.

(٤) انظر السير: ٤٩٨/٢.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٢٤/٨.

المبحث الخامس:

في حسن عشرته ﷺ لخدمه

أعرف النّاس بالرجل أزواجه وخدمه، وقد دللنا في مبحث عشرته ﷺ لأزواجه على خلقه العظيم، ولطفه، ولينه معهم، فإننا هنا نعرض لذلك الخلق العظيم مع خدمه ﷺ، وقبل أن نقرأ شهادة أشهر خدامه ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه على ذلك الخلق العظيم، نعرض الحديث أولاً عن تلك الأم العظيمة التي تنبهت إلى شرف الخدمة النبوية، فما إن قدم النبي ﷺ المدينة المنورة، ورأت أم أنس الأنصار يتحفون رسول الله ﷺ بالهدايا، فنظرت وهي الأرملة الفقيرة التي لا تملك من حطام الدنيا شيئاً، فلم تجد هدية لرسول الله ﷺ أفضل من أن تقدم ثمرة فؤادها ومهجتها أنس لأجل أن يكون خادماً لرسول الله ﷺ.

قال أنس رضي الله عنه: جاءت بي أمي: أم أنس إلى رسول الله ﷺ، وقد أزرتني بنصف خمارها، وردّتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله: هذا أُنيْس، ابني، أتيتُ به يخدمُكَ، فادع الله له، فقال: «اللهُمَّ أكثر ماله وولده»[1]... [*]...

---

(١) رواه بهذا السياق مسلم في صحيحه: ٢٤٨١، وهو أيضاً عند البخاري في صحيحه ٦٣٧٨، والترمذي ٣٨٢٩، وأحمد في المسند: ١٩٤/٣، والطيالسي ٢٠٢٧، وابن حميد ١٢٦٧، والنسائي في الكبرى: ٨٦/٢، وأبو يعلى ٣٣٢٨، والبيهقي في السنن: ٥٣/٣ - ٥٤ .

ونورد هنا ما ذكره في مجمع الزوائد: ٢٧١/١ زيادة عما ذكر «انطلقت بي أمي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا قد أتحفتك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفِك به إلا ابني هذا، فخذه فليخدمك مابدا لك. وكان أول ما أوصاني به، أن قال: «يا بني اكتم سري تكن مؤمناً، واسبغ وضوءك يحبك حافظاك ويزاد في عمرك، وإن استطعت أن لا تزال على وضوء فافعل، وإن استطعت أن لا تزال تصلي فإن الملائكة تصلي عليك، ويا بني إذا خرجت من بيتك فلا تقعنّ عيناك على أحد من أهل القبلة إلا سلمت عليه، فإنك ترجع مغفوراً لك، وإذا دخلت على منزلك فسلم على نفسك وعلى أهل بيتك، ويا بني إن استطعت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فإنه أهون عليك في الحساب، يا بني إن اتبعت وصيتي فلا تكن في شي أحبّ اليك من الموت» باختصار، قال رواه أبو يعلى والطبراني وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو ضعيف.

(*) ترى امرأة في مثل حالتها من الفقر، لم تجد شيئاً تقدمه هدية إلى رسول الله ﷺ إلا ولدها؟ مع أنها بحاجة إلى ولدها ليعمل لها ويجني لها!

لكنه الحب الصادق من قلب امرأةٍ قد أصبح الإيمان فيه راسخاً رسوخ جبل أحد! هذا هو دليل =

ولنستمع الآن إلى شهادة أنس رضي الله عنه في ذلك: فيقول: خدمتُ النبي ﷺ تسع سنين، فما أعلمه، قال لي قطُّ: هلا فعلت كذا، ولا عاب عليّ شيئاً قطُّ(١).

وفي رواية:... والله ما قال لي لشيء صنعتُه لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا»(٢)

وفي رواية: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي شيء صنعتُهُ. لم صنعتَه؟ وما مَسِسْتُ شيئاً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممتُ طيباً أطيب من ريح رسول الله ﷺ(٣).

وفي رواية: لا والله ما سبني سبة قطّ، ولا قال لي أفِّ قط، ولا قال لشيء فعلتُه، لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلتُه(٤).... (*)...

=

الإيمان والحب!

فأين دليل وحقيقة حبنا لله ولرسوله ﷺ في زمن كثر فيه أدعياء الحب لله ولرسوله قولاً، وهم من الأدلة على ذلك بعيدون ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند: ٣/١٠٠، ومسلم ٢٣٠٩، وأبو يعلى ٤٣٣٣ و٤٣٣٥، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٢، وأبو داود ٤٧٧٣.

(٢) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند: ٣/١٠١ والبخاري ٢٧٦٨ ومسلم ٢٣٠٩.

(٣) رواه أحمد بهذا اللفظ في المسند: ٣/٢٦٥، قال في الموسوعة: ٢١/٣١٠ صحيح بشواهده وهذا إسنادٌ حسن.

(٤) رواه أحمد في المسند: ٣/١٩٧ وهذا لفظه، وعبدالرزاق في المصنف: ١٧٩٤٦، وابن حميد ١٣٦١، وأبو داود، ٤٧٧٤ وفي الأدب المفرد: ٢٧٧، وابن حبان ٢٨٩٣، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٣٦.

(*) قال في فتح الباري: ١٠/٤٧٤ «وكون أنس خدم النبي ﷺ عشر سنين كذا هو في معظم الروايات، وفي رواية تسع سنين، ولا مغايرة بينهما، لأن ابتداء خدمة أنس للنبي ﷺ بعد قدومه المدينة بأشهر. والظاهر أن أنس ألقى كسر العشر من الشهور مرة وجبره مرة أخرى» اهـ باختصار وتصرف.

وقال في حاشية الشنواني ص ٢٦٠ «قوله ما قال لي أف وهذا من محاسن أخلاقه العظيمة» اهـ.
وقال في عمدة القاري: ١٤/٩٣ - ٩٤ «وفيه جواز الثناء على المرء بحضرته إذا أمن عليه الفتنة، وجواز استخدام الصغير، وفيه أنّ خدمة الإمام والعالم واجبة على المسلمين، وأنّ ذلك شرف لمن خدمهم لما يرجى من بركة ذلك» اهـ باختصار. وقريب مما ذكر في شرح ابن بطال: ٨/١٤٥، وزاد في ارشاد الساري: ١٣/٦٠ «وفيها: تنزيه اللسان عن الزجر والذم، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته وذلك بما يتعلق في الأمور الخاصة بالإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعاً فلا
=

ومن تواضعه وعظيم خلقه ﷺ، أنه كان لا ينتهِرُ خادماً...، وكذا كان النبي ﷺ مع كل أحد وهذا أمرٌ لا تتسع له الطباع البشرية، لولا التأييدات الربانية...، وما ذلك اللين والخلق العظيم مع خدمه، إلا لكمال معرفته ﷺ من أنّه لا فاعل ولا معطي ولا مانع إلا الله تعالى، وأن الخلق هم وسائط وآلات، فالغضب على مخلوق في شيء فعله، كالإشراك المنافي للتوحيد، وقيل سبب ذلك، أنه ﷺ كان في حال مشاهدة تصريف محبوبه فيه، وتصرف المحبوب في المحب لا يُعلل، بل يُسلمُ ليستلذ، فكل ما يفعله الحبيب محبوب[1].

وكان ﷺ يمازح أنس رضي الله عنه فيقول: «ياذا الأذنين»[2]...[*]...

=

يتسامح فيها لأنّها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اهـ بتصرف.

(١) انظر شرح المواهب: ٤٢/٦.

وزاد في فتح الباري: ٤٧٥/١٠ «وفيه ترك العتاب على ما فات، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر إذا احتيج اليه» اهـ باختصار وتصرف. وفي مجمع الزوائد: ١٦/٩، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط «قال أنس رضي الله عنه ما دريتُ شيئاً قط وافقه، ولا شيئاً خالفاً، وإن كان بعض أزواجه ليقلن: لو فعلت كذا وكذا، فيقول: دعوه فإنه لا يكون إلا ما أراد الله تعالى»، وقال في المجمع: ١٦/٩، فيه من لا أعرفه، وبعضه في الصحيح.

وقال القرطبي في المفهم: ٤١٢/٦ «وفي دعوته ﷺ لأنس لكثرة المال والولد دليلٌ على إباحة الاستكثار من المال والعيال، ولكن إذا لم يشغل ذلك عن عبادة الله تعالى، ولا عن القيام بحقوقه، وأن يكون هذا الحال من حلال نحو تجارة أو زراعة بعيد عن الشبهات، لكن لما كانت سلامة الدين مع ذلك بادرة، والفتن والآفات غالبة، لزم التقلُّلُ من ذلك، للفرار، مما هناك - أي يوم القيامة - ولولا دعوة النبي ﷺ لأنس بالبركة لخيف عليه من الإكثار الهلكة، ألا ترى أنّ الله تعالى قد حذرنا من آفات الأموال والأولاد، ونبّه على المفاسد الناشئة، من ذلك فقال ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ - الأنفال آية ٢٨. فكأن الآية تقول لا تكون الأموال والأولاد إلا فتنة، يعني في الغالب، وقال أرباب القلوب والفهوم: ما يشغلك من أهلٍ ومالٍ فهو عليك مشؤوم» اهـ باختصار. وفي عمدة القاري: ٤٦١/٢٢ شيء مما ذكر، وكذا في شرح ابن بطال: ١٠٩/١٠.

(٢) رواه أحمد في المسند: ١١٧/٣، والضياء في المختارة ٢٣٠١، والترمذي في سننه ١٩٩٢و٣٨٢٨، والشمائل ٢٣٥، وأبو داود ٥٠٠٢، وابن الأعرابي في معجمه ٥٠٩، والبغوي في شرح السنة ٣٦٠٦، وأبو يعلى في مسنده ٤٠٩، والطبراني في الكبير ٦٦٣ وابن السنّي في عمل اليوم والليلة ٤٢٠، والبيهقي في السنن ٢٤٨/١٠، وفي الآداب ٤٠٩، والخطيب في تاريخه ٤٠٦/١٣.

(*) وكذا قال في عون المعبود ٢٣٥/١٣ اهـ، وتحفه الأحوذي: ١٠٨/٦. وفي منتهى السول: ٥٤٧/٢ «أي يا صاحب الأذنين السميعتين، الواعيتين، الضابطتين لما سمعتاهُ، وصفه به مدحاً له، لذكائه

=

=

وفطنته وحسن استماعه» اهـ .

الحديث: رواه أحمد في السنن: ٣/١١٤، والحميدي ١٤١٦، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣٣٢ و٣٣٣، وابن أبي الدنيا في العيال ٤٠٠، والترمذي في الشمائل ٢٣٧ وقال صحيح وأبو يعلى ٢٨٣٦، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٣٢، والطبراني في الكبير ٥٦١٠. وقال الترمذي في الشمائل ص ١٢٩ «وفقه هذا الحديث أنّ النبي ﷺ كان يمازح، وفيه أنه كنى غلاماً صغيراً، وفيه أنه لا بأس، أن يعطى الصبي طيراً ليلعب به» اهـ.

قلت: وقد صنف الإمام أبي العباس الطبري البغدادي جزءاً في فوائد هذا الحديث وسمّاه: جزء فيه حدث أبي عمير، لأبي العباس الطبري البغدادي، ط /١٤١٣، ١٩٩٢ القاهرة. وأنا أذكر بعض تلك الفوائد لتعم الفائدة بذلك: «ومنها أن الزيارة سنة، الرخصة للرجال في زيارة النساء غير ذوات المحارم، وزيارة الحاكم للرعية، وفيه تواضع الحاكم للرعية، وفيه كراهية الحجاب للحكام، وفيه أن الحاكم يجوز له أن يسير وحده، وفيه ما يدل على كثرة الزيارة، وأن كثرة الزيارة لا تخْلقُ الحبّ والمودة ولا تُنْقصها إذا لم يكن معها طمع، وفيه ما يدل على الألفة، وفيه الفرق بين شباب النساء وعجائزهنّ في المعاشرة، وفيه استحباب المصافحة، وفيه جواز حمل العالم علمه إلى من يريده إذا لم يكُن فيه مذلة، أو كان من المتعلم تطاول، وفيه دلالة اختصاص لبيت آل أبي طلحة، وفيه أنه ﷺ كان يمازحه كثيراً، وفيه أن ممازحة الصبيان مباح، ما لم يؤد إلى سقوط الهيبة، وأنّ ذلك سنة لا رخصة، وفيه ترك التكبر والترفع، وفيه حُسن الخلق، وفيه أن المؤمن يكون في المنزل مازحاً خلافاً لما يكون عليه خارجه، وفيه إثبات علم الفراسة في الوجوه، وفيه الاستدلال بالعبرة، لأهلها، وفيه أنّ من السنة أن يسأل الإنسان عن حالة أخيه، وفيه دليل على إثبات خبر الواحد، وفيه دليل على استحباب تكنية الولد الصغير، وفيه دليل على الرخصة في اللعب للصبيان، وتخلية الولد للعب، إذا لم يكُن من دواعي الفجور، وفيه دليل على جواز انفاق المال في ملاعبة الصبيان، إذا لم يكن من الملاهي المحرمة، وفيه جواز إمساك الطير في القفص، وفيه جواز الاصطياد خارج الحرم ثم إدخاله الحرم، وفيه جواز تصغير الأسماء، وفيه جواز معاشرة الناس على قدر عقولهم ولا يحملهُم على عقله، ثم قال أبو العباس الطبري: ثم نزيد على ذلك: بأن فيه الاستنباط والفقه والفقيه» اهـ باختصار.

قلت: وبالعود إلى ما بدأنا فيه من فوائد ذلك الحديث من دخوله ﷺ على بيت أم سليم، وأنه يجوز الدخول على المرأة الأجنبية.

هذا الكلام لم يقرّه الإمام النووي في شرحه: ١٠/١٦ حين قال «وإنما كانت أم سليم وأختها أم حرام خالتين لرسول الله ﷺ محرمتين عليه إما من الرضاع، وإما من النسب فتحل له الخلوة بهما، وكان يدخل عليهما خاصة دون سائر النساء إلا أزواجه» اهـ .

قلت: ومن المعلوم عند من له أدنى معرفة بسيرة النبي ﷺ أنّ آمنة أم النبي ﷺ كما جاءت به إلى المدينة وكان عمره ﷺ ست سنوات لزيارة أخواله بني النجار، ويصدق ذلك في خالاته إذ إن أم سليم وأم حرام من بني النجار.

=

يعني يمازحه إكراماً منه ﷺ لأنس وتلطفاً به حيث سمّاه بغير اسمه وإن كان المقصود منه المزاح، فإن سمعه يعي ما يصل إليه فينقاد له ويعمل بمقتضاه، وقيل معناه: الحث على حسن الاستماع والوعي لما يُقال له لا المزاح، لأن الأذن حاسة السمع، ومن خلق الله له أذنينِ سميعتين كان ذلك أدعى لحفظه ووعيه جميع ما يسمعه[١].

وقال أنس رضي الله عنه كناني رسول الله ﷺ ببقلة اجتنيتُها[٢].

وقال أنس رضي الله عنه كان لأبي طلحة ابن يُقال له: أبو عمير، فكان النبي ﷺ يضاحكه، قال: فرآه حزيناً، فقال: يا أبا عُمير، ما فعل النّغير[٣].

المبحث السادس:

في حسن استقباله ﷺ لزواره

بقدر حبّ النّاس لمن يُحبون تكون زيارتهم له، وحبهم لقربه، فكيف إذا كان المحبوب سيد خلق الله تعالى، من جمع الله تعالى له صفات الجمال والكمال، والتي تدعو بلسان حالها إلى حبّ الحبيب، وتمنّي دوام القرب منه. وهذا ما عبّر عنه الصحابة الكرام رضي عنهم حينما قالوا: ما ينبغي أن نفارقك في الدنيا، فإنك إذا فارقتنا - يعني

=

وفي منتهى السول: ٥٤٧/٢ «وقال ابن عربي وسبب مزاحه ﷺ أنه كان شديد الغيرة، فإنه وصف نفسه بأنه ﷺ أغير من سعد، بعد ما وصف سعداً بأنه غيور، فأتى بصيغة المبالغة، أو الغيرة من نعت المحبة، وهم لا يُظهرونها، فستر محبتّه وماله من الوجد فيه بالمزاح وملاعبته الصغير، وإظهار حبّه فيمن أحبّه، من أزواجه وذريته وأصحابه!! وقال: إنما أنا بشر، فلم يجعل نفسه من المحبيّن، فجهلوا طبيعتَهُ، وتخيلت أنّه معها لما رأتْه يمشي في حقّها ويؤثرها، ولم تعلم أنّ ذلك أمر محبوبه إيّاه بذلك وحبه ﷺ لعائشة والحسنين وفاطمة وأبي بكر وعمر. وتركه الخطبة يوم العيد لأجل الحسنين لما رآهما يتعثران، هذا كله من باب الغيرة على المحبوب أن تنتهك حرمتُهُ، وهكذا ينبغي أن يكون تعظيماً للجناب الأقدس أن يُعشق» اهـ باختصار.

قلت ومن أراد المزيد في هذا الموضوع فما عليه إلا مراجعة شرح المواهب: ٥٠٦/٤ وما بعدها ففيهما أخبار وعدد خدامه ﷺ.

(١) انظر أشرف الوسائل: ص ٣٢٧.

(٢) رواه الترمذي: ٣٨٣٠ وسكت عنه.

(٣) رواه أحمد: ١١٤/٣، والترمذي في الشمائل ٢٣٧، وقال صحيح. وغيرها.

بعد الموت - رفعت فوقنا - أي يوم القيامة - فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾[١][٢].

ولو أراد المرء استقصاء أحواله ﷺ مع صحابته الزائرين له في بيته لاحتجنا إلى مجلدات، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه ونعرض في هذا البحث الأمثلة في ذلك.

المطلب الأول:

فيمن كان يكثر عليه الدخول من أصحابه

«من المعلوم القطعي، واليقين الضروري، أن أبا بكر رضي الله عنه كان الخليل المباطن، والصفي الملازم لرسول الله ﷺ، لم يفارقه في سفر ولا حضرٍ، ولا ليلاً ولا نهاراً، ولا شدّة ولا رخاء وكذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[٣]، يشهد على ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: وضع عمر بن الخطاب على سريره - أي حين وفاته - فتكنفه الناس يَدعُونَ ويصلونّ قبل أن يُرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا ورجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فترحّم على عمر، فقال: ما خلفتُ أحداً أحبَّ اليَّ أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك، وايمُ الله إنْ كنتُ لأظُنّ أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنتُ أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول: فذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر وإن كنتُ لأظنُّ ليجعلنّك الله معهما[٤]...[*]...

---

(١) الآية ٦٩ سورة النساء.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول ص ٩٥، وذكره السيوطي في أسباب النزول ص ٩٤، قلت وهو من الأحاديث المقطوعة - أي التي نسبت إلى التابعين.

(٣) قاله القرطبي في المفهم: ٦/٢٣٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ٣٦٨٥ و٣٦٧٧، ومسلم في صحيحه ٢٣٨٩.

(*) قلت: «فهما السيدان الأولان في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أمرٌ لم يختلف عليه اثنان من الصحابة ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة، أما شأن أهل البدع فقولهم مردود وإنما هو نابعٌ عن جهلهم وحقدهم وحسدهم لهؤلاء الكرام فهذا محمد ابن الحنفية ابن سيدنا علي رضي الله عنه يسأل أباه فيقول: يا أبي أيّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ: قال: أبو بكر، قلت: ثم أنت؟ قال: عمر، قال وخشيتُ أن يقول عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين» - رواه البخاري في صحيحه: ٣٦٧١.

وهذه التراتبية بالفضل هي عقيدة أئمة أهل البيت على مر العصور والدهور، وما ينسب إليهم =

=

ممن يدعون حبهم كذب وافتراء وهراء لا يستحق الرد؟

ولكن لما أصبحنا في أيام قد أصبح لأدعياء حب أهل البيت شوكة وسلطان لا بد أن نذكر بعضاً من أقوال أئمة أهل البيت الأطهار بحق أبي بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم، أجمعين، حتى يكون المؤمن على بينة من أمره.

وأنا أختصر هنا بعض ما ذكر الإمام العلامة أحمد بن حجر الهيتمي المكي في كتاب الصواعق المحرقة: ص٧٨ وما بعدها: (ساق بالسند إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه أن رجلاً جاءه فقال: أخبرني عن أبي بكر، فقال عن الصدِّيق، فقال: وتسمِّية الصديق، فقال ثكلتك أمك قد سمّاه صديقاً رسول الله ﷺ، ومن لم يسمّه صديقاً فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة، اذهب فأحبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولما جاء شيعة الكوفة إلى زيد بن علي بن الحسين وقالوا له: ابرأ عن أبي بكر عمر، ونحن نبايعك، فأبى، فقالوا إن نرى رفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة، فمن يومئذٍ سموا الرافضة، وسميت شيعة أهل البيت بالزيدية ودخل سالم بن أبي حفصة على الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وهو مريض فسمعه يقول: والله إني أحبّ أبا بكر وعمر وأتولاهما، يا سالم: أيسب الرجل جده، أبو بكر جدي ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ: إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما. وكذب علينا أهل البيت وافترى من قال غير ذلك، ومن شك في أبي بكر وعمر فقد شك في السنّة، ومعاذ الله أن نتبرأ منهما، بل نتولاهما، ونستغفر لهما، وقال إبراهيم بن الحسن بن الحسين: وقد مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على علي رضي الله عنه، وقال الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم جميعاً، لرجل من الرافضة: لئن أمكننا الله منكُم لنقطعنّ أيديكُم وأرجلكم من خلاف ولا نَقْبل منكم توبة، وقال الحسين بن محمد ابن الحنفية: يا أهل الكوفة اتقوا الله عز وجل، ولا تقولوا في أبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل، إن أبا بكر الصديق كان مع رسول الله ﷺ في الغار ثاني اثنين، وإن عمر عزّ الله به الدين، وقال عبدالله بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: والله لا يقبل الله عز وجل توبة عبد تبرأ من أبي بكر وعمر، وإنهما ليعرضان على قلبي، فأدعو الله لهما أتقرب إلى الله بذلك.

وقال عمر بن علي بن الحسين رضي الله عنه: والله ما أوصى جدي رسول الله ﷺ بحرفين اثنين، قاتل الله الكاذب، والله يا هؤلاء إلا متآكلين بأهل بيت النبي ﷺ. وقال الإمام جعفر الصادق لبعض محبيه الصادقين المتبعين لمنهج أهل السنة: أبلغو من زعم أني إمام مفترض الطاعة، أنا منه برئ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه برئ، ألا وإني أبرأ ممن ذكرها بشر، فقيل له: لعلك تقول ذلك تقية، فقال: معاذ الله؟ أنا إذا من المشركين، ولا نالتني شفاعة جدي رسول الله ﷺ، وقال أيضاً: إن الخبثاء من أهل العراق يزعمون كذباً وافتراءاً وزوراً أنا أهل البيت نقع في أبي بكر وعمر، ومعاذ الله أن نفعل ذلك أيبرأ الإنسان من جده، من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر، فقد جهل السنّة، وقال علي رضي الله عنه إن أبا بكر وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، ومن اقتدى بهما عُصمَ، ومن تبع

=

وها هي حفصة، وعائشة رضي الله عنهما ترويان لنا فتقولان كان رسول الله ﷺ ذات يوم قد وضع ثوبه بين فخذيه، فجاء أبو بكر فاستأذن، فأذن له وهو على هيئته، ثم عمر كذلك، ثم عليّ، ثم ناسٌ من أصحابه، كل ذلك والنبي ﷺ على هيئتِه، ثمّ جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاستأذن، فأذن له، فأخذ رسول الله ﷺ ثوبه، فتجلّله[1]، فتحدثوا، ثم خرجوا - فقلت يا رسول الله، جاء أبو بكر وعمر وعليّ وسائر أصحابك، وأنت على هيئتك، فلما جاء عثمان، تجللت بثوبك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل

=

آثارهما هدي إلى صراط مستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. - وبالطبع من ذكرهما بغير ذلك فهو من حزب الشيطان، - وإن سمى نفسه حزب الله. - لأن حزب الله في الحقيقة هم الصحابة في الدرجة الأولى، ثم من سار على منهجهم وولاهم، أما من شتمهم وتبرأ منهم فهو من حزب الشيطان لا محالة، ولقد عانا أئمة أهل البيت رضي الله عنهم كثيراً من هؤلاء المدعين حبهم، حتى قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه:

أيها الناس أحبونا حُبّ الإسلام، فوالله ما برح بنا حبكُم حتى صار علينا عاراً، وفي رواية: حتى نقصتمونا إلى الناس، أي بسبب ما نسبوه اليهم وهم براء من ذلك جزى الله تعالى بعدلِهِ من افترى على أئمة أهل بيت النبي ﷺ ما يستحق المفترى، وبما كذبوا عليهم وافتروا بالزور والبهتان» اهـ من الصواعق المحرقة باختصار وبعض التصرف.

قلت: ومن أراد الوقوف على تفاصيل أكثر من ذلك فما عليه إلا قراءة هذا الكتاب، ففيه من الحجج الدامغة في الرد على أولئك الذين يدعون حب آل البيت، ما يقصم ظهر المفترى.

وكذا أشار ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه تاريخ عمر بن الخطاب إلى الكثير من أقوال علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت في ذلك ص ٥٢ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٢٧١.

وقال العلامة تقي الدين الحصني في كتابه دفع شبه من شبَّه ص٨٧ «قال أيوب السختياني - وهو أحد أئمة التابعين - قال «من أحبّ أبا بكر فقد أحبّ إمام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحبّ عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق، ومن انتقص واحداً منهم وهو مبتدع مخالف السنة والسّلف الصالح، وأخاف أن لا يتقبل الله منه عملاً حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً» اهـ.

قلت: ألا فليعلم أنه من أحبَّ هؤلاء الذين أبغضوا وشتموا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم في حكم أولئك، ونصيحتي لهم التوبة والتبرؤ منهم، لأنه من المعلوم أن المرء يحشر مع من أحب يوم القيامة، وهل الدين إلا الحب والبغض في الله.

(١) في اللسان: «وتجلّل الشيء، أخذ جُله وجلاله، والتجالُّ: التعاظم وتجلل الثوب أي لبسه» اهـ مادة جلل.

تستحيي منه الملائكة»[١]... [*]..

وبالطبع فإن سيدنا علي رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة دخولاً على رسول الله ﷺ لحكم القرابة وأنّه صهر رسول الله ﷺ[٢].

---

(١) رواية حفصة عند أحمد في المسند: ٢٨٨/٦ وهذا لفظه، ورواه البيهقي في السنن ٢٣١/٢، وعبد بن حميد ١٥٤٧ والبخاري في التاريخ الكبير: ١٠٤/٥، والطبراني في الكبير: ٤٠٠/٢٣، وفي الأوسط ٨٩٢٧، وقال في الموسوعة ٦٧/٤٤ صحيح لغيره.
وأما رواية عائشة رضي الله عنها فهي عند أحمد في المسند: ٦٢/٦، وإسحاق بن رهويه: ١٠١٨، والبخاري في الأدب المفرد: ٢٠/٢ والبغوي في شرح السنة: ٣٨٩٩ وهو في مسند عثمان في المسند: ٧١/١، ومسلم ٢٤٠٢، والبخاري في الأدب المفرد: ٦٠٠، والبزار ٣٥٥.
قلت: فكيف بالمبغض أو الشاتم لأبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وهم أحباب رسول الله ﷺ فقد آذوا رسول الله.

(*) وقال القرطبي في المفهم: ٢٧٣/٦ «والحياء هنا هو حياء توقير وإجلال، وتلك منقبةٌ عظيمة، وخصوصية شريفة، ليست لغير عثمان، أعرض عنها قتلة عثمان، ولم يعرجوا عليها - وفي ص ٢٦٧ -. وقد صح أن علياً رضي الله عنه أنه قال: من تبرأ من دين عثمان، فقد تبرأ من الإيمان، فوالله ما أعنتُ على قتله، ولا أمرتُ، ولا رضيتُ» اهـ باختصار.
وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٦٨/١٥ «وفيه جواز تدلل العالم بحضرة من يدل عليه من فضلاء أصحابه واستحباب ترك ذلك، إذا حضر غريب، أو صاحب يستحي منه، وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان، وجلالته عند الملائكة، وفيه أن الحياء صفة جميلة وهي من صفات الملائكة» اهـ. وكذا بعضه في التكلمة: ٥١/٥.

(٢) الحديث: رواه أحمد في المسند: ٨٠/١ وهذا لفظه، وابن أبي شيبة: ٣٤٢/٢ و٦٠٨ وابن ماجه: ٣٠٧٨ والنسائي ١٢/٣، وابن خزيمة: ٩٠٤، وأبو يعلى: ٥٩٢، والبزار: ٨٨٢، والدارمي ٢٦٦٣، والحاكم ١٧١/١، ووافقه الذهبي على تصحيحه.
ويوضح على ذلك فيقول: كان لي من رسول الله ﷺ مدخلان بالليل والنّهار
قلت: وفيه دليل على خصوصية علي رضي الله عنه بذلك لكونه صهره وابن عمه. ومن المكثرين الدخل عليه ﷺ عبدالله بن مسعود.
فهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يخبرنا عن ذلك فيقول: «قدمتُ أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نُرى ابن مسعود وأمّه إلا من أهل البيت، من كثرة دخولهم ولزومهم للنبي ﷺ» - الحديث: رواه البخاري في الجامع الصحيح: رقم: ٤٣٨٤، ومسلم ٢٤٦٠-. وقال في فتح الباري: ١٢٩/٧ «والحديث دل على ملازمة ابن مسعود رضي الله عنه للنبي ﷺ وهذا يستلزم ثبوت فضله» اهـ.
«ولقد كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه صاحب نعلي رسول الله ﷺ، والوسادة، والمطهرة، وصاحب السر الذي لا يعلمه غيرُهُ، والذي أجير من الشيطان» - رواه البخاري في الجامع =

=

الصحيح: رقم: ٣٧٦١، والترمذي: ٣٨٠٨.
وقال ابن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ما أعرف أحداً أقربُ سمتاً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد» رواه البخاري في الجامع الصحيح: رقم: ٣٧٦٢، والترمذي: ٣٨٠٨.
وقال العيني في عمدة القاري: ٣٤١/١٦٥ «دلاً: هو حسن الحركة في المشي، ويطلق على الطريقة، أما سمتا: وهو حسن المنظر في الدين، ويطلق على القصد في الأمور، وعلى الطريقة والجهة، ويكون أيضاً: في حسن الهيئة والمنظر من جهة الخير والدين، لا من جهة المنظر والزينة، وكلاهما جيد، بأن يكون له هيئة أهل الخير على طريقة أهل الإسلام. وفيه منقبة عظيمة لعبد الله بن مسعود بشهادة الصحابة رضي الله عنهم في أنه أشبه الناس برسول الله ﷺ في هذه الخصال» اهـ باختصار وتصرف. وكذا في إرشادى الساري: ٢٤٠/٨، وفتح الباري: ٥٢٦/١٠.
وزاد القرطبي في المفهم: ٣٧١/٦ «وشهد له كبراء الصحابة بأنه من أعلمهم بكتاب الله تعالى قراءة وعلماً. وإنما ضمه رسول الله ﷺ إليه، واختصه بخدمته، وملازمته لما رأى من صلاحيته لقبول العلم وتحصيله منه، فجعله من عداد أهل بيته، فلازمه حضراً وسفراً، وليلاً ونهاراً ليتعلم منه، وينقل عنه» اهـ باختصار وتصرف.
قلت: وشواهد ما سبق من فضله وتميزه وعلمه وفقهه مروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسند: ٧/١، و١٧٥ وفي مسند ابن مسعود عند أحمد في المسند: ٤٤٥/١، وأبو يعلى ١٦، و٥٠٥٨، وابن حبان: ٧٠٦٧.
وعن أبي هريرة في المسند: ٤٤٥/٢، وأبو يعلى ٦١٠٦، وفي الفضائل لأحمد ١٥٣٧.
وعن عمر بن الحارث في المسند: ٢٧٩/٤ والبخاري في التاريخ الكبير: ٣٠٨/٦ وفي خلق أفعال العباد ص: ٤٩.
وعن عمار بن ياسر في المستدرك: ٢٢٨/٢. وغيرهم من الصحابة. وصح فيه قول النبي ﷺ «رضيت لأمتي ما رضي الله ابن أم عبد، وكرهتُ لأمتي ما كره لها ابن أم عبد» - الحديث: رواه الحاكم في المستدرك: ٣١٧/٣ و٣١٨، ووافقه الذهبي على تصحيحه والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٥٤٩/٢، والطبراني في الكبير، ٦٨٧٥.
قلت: ومن المعروف والمشهور عند أهل العلم أنّ مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى متصلاً بالسند إلى هذا الصحابي الجليل وبخاصة في مسائل العبادات، مع ما تتواتر عن الإمام بأخذه بما قال كبار الصحابة كعمر وعلي رضي الله عنهما.
«فما ظن أوْلئك النُّشاز المتعالمين الذين انتنت كلماتُهم المجتمع الإسلامي في حقّ هذا الإمام الهمام، وأطالوا ألسنتهم بالافتراء والبهتان، بأن مذهبه لا دليل عليه من السنة الصحيحة، وأيمُ الله إنها فرية بلامرية، ودعوة لا أساس لها ولا بينة» - انظر قواعد في علوم الحديث: ص١٨.
وقال التهانوني رحمه الله تعالى في القواعد ص ٤٦٢ «ومن ترك هذا التقليد، وأنكر اتباع السلف الصالح، وجعل نفسه مجتهداً أو محدثاً واستشعر من نفسه أنه يصلح للاستنباط في هذا الزمان، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أو كاد. ولقد صدق أَحدُ زعمائهم حينما تاب ورجع إلى

=

المطلب الثاني:
في انبساطه ﷺ لمن زاره

«لقد كان رسول الله ﷺ ينبسط لجلسائِهِ انبساط الانطلاق الشرعي المباح في القول والحال، دون أن يقبضهم بحاله، أو يكبتهم بمقالهِ أياً كان القادم أو الداخل عليه»[(١)]

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجلٌ على النبي ﷺ، فقال: ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، فلما دخل هشّ[(٢)] له رسول الله ﷺ وانبسط إليه وآلان له الكلام، فقلت يا رسول قلت ما قلت، ثم ألنت له الكلام، فقال: يا عائشة «إنّ شرّ الناس منزلةً عندالله من تركه، أو ودعه النّاس اتقاء فحشه»[(٣)]... [(*)]...

=

الصواب بعد تجربة طويلة إن ترك التقليد أصل الإلحاد والزندقة في حقِ العامة» اهـ باختصار.

(١) انظر كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ ص ٢١٢.

(٢) في النهاية: هششتُ بفلان: إذا ارتحتُ له وفرحتُ له» اهـ مادة هش.

(٣) رواه، والبخاري ٦٠٥٤ و٦١٣١، ومسلم ٢٥٩١.

(*) قال ابن بطال في شرحه: ٣١٦/٩ «هو عيينه بن حصن، وفيه أن المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة وإزالة السخيمة، وقد ظنّ من لم يمعن النظر أنّ المدارة هي المداهنة، وذلك غلط، لأنّ المداراة، مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق بينهما بيّن وذلك أنّ اشتقاق اسمها من الدّهان الذي يظهر الأشياء على خلاف بواطنها، بينما المداراة هي الرفق بالجاهل وتألفه» اهـ باختصار.

وزاد في إرشاد الساري: ١٣٦/١٣ - ١٣٧ «وفسر العلماء المداهنة هي أن يلقى الفاسق المعلن بفسقه فيؤالفه ويؤاكله ويشاربه ويرى أفعاله المنكرة ويرضى بها ولا ينكرها عليه ولو بقلبه، وهو أضعف الإيمان فهذه هي المداهنة التي برأ الله عز وجل منها نبيه بقوله ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ ﴾ سورة القلم. آية ٩ وأما المداره فهي الرفق بالجاهل الذي يستر معاصيه ولا يجاهر بالكبائر، والمعاطفة في رد أهل الباطل بلين ولطف حتى يرجعوا عما هم عليه» اهـ باختصار.

وانظر فيض القدير: ٢٦٨/٢ - ٢٦٧.

وشرح رسالة المسترشدين ص: ٢٠١ وكذا قال في عمدة القاري: ٢٦٨/٢٢.

وزاد النووي في شرحه: ١٤٤/١٦ «وإنما ألان له الكلام تألفا له، ولأمثاله على الإسلام، وفيه: مداراة من يتقي فحشه، وجواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه» اهـ باختصار.

=

=

وقال القرطبي في المفهم ٥٧٣/٦ «ففي الحديث من الفقه: جواز غيبة المعلن بفسقه ونفاقه والأمير الجائر والكافر، وصاحبُ البدعة. الفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة: بذل الدنيا لصلاح الدنيا والدين، وهي مستحسنة في بعض الأحوال، أما المداهنة: فهي بذل الدين لصالح الدنيا وهي محرمة، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، وطلاقة وجهه، ولم يمدحه بقول، ولا روي ذلك في حديث» اهـ باختصار.

وكذا في التكملة: ٢٠٣/٥، وعون المعبود ١١٠/١٣.

وزاد في فتح الباري: ٤٦٨/١٠ «وهذا من علامات نبوته ﷺ، إذ إن عيينة ارتد أيام أبي بكر ووقع أسيراً» اهـ.

وكثير مما ذكر في أشرف الوسائل: ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

وفي كتاب الكملة الطيبة ص: ١٢٥ «وفي هذا الحديث بيان للكيفية التي كان يتعامل بها النبي ﷺ مع من في لسانه تسلط وإيذاء، لأنه ﷺ يعرف عنه التهور وسوء الخلق، وهو ﷺ رحيم بأمته لا يريد من أحد منهم أن يقع في سخط الله عز وجل من جراء معاملتِهِم وإنما رحمه بتحمله، وعلمنا كيف نتقي شر أمثال عيينة، فالمداراة تجلب كل خير، وبها يتجنب المسلم ما لا يحمد عقباه» اهـ.

وفي كتاب الأسس الأخلاقية ص ٢٩٩ «والمدارة واجبةُ في حق كل مسلم، لأن مدار الأخلاق عليها، فهي الركيزة الأساسية لكل خلق وتصرف، وخصوصاً للعالم والداعية الذي يقوم بمهمة الأنبياء والمرسلين وهي مهمة تحتاج إلى حسن معاشرة ومؤانسة وتحمل وصبر وجلد، فإذا وجدت داعية، ولم تجد عنده هذه الصفة فإنه غالباً ما يكون عرضه لأن يقع في حبائل الشيطان، ولا يستفيد منه القريب، ولا يذكره بخير البعيد، بل تنفلق القلوب دونه، ويقل المستفيدون منه» اهـ باختصار.

وقال في فيض القدير: ٢٦٩/٢ «والأمر للنبي ﷺ بمداراة الناس، لا يُعارض ما أمره به ربه بالإغلاظ على الكفار، والمنافقين، ذلك لأنّ المداراة تكون أولاً، فإن لم تؤدِّ الغرض منها ولم تُفد في الدعوة إلى الله تعالى، فحينئذٍ يكون الإغلاظ، فإن لم يفِ الإغلاظ بالغرض، ولم يُفد فعند ذلك السيف هو الحل» اهـ بتصرف.

قلت: فكم من الذين نصّبوا أنفسهم دعاة لدين الله تعالى قد نفروا الناس من دين الله بسبب فظاظتهم وغلظتهم، فلا ترى لهم همّ إلا في تبديع الناس وتضليلهم، وتكفيرهم أحياناً؟ مع أن الواقع والحال أنهم هم أهل البدع في مخالفتهم لأسس الدعوة، وانشغالهم وإشغالهم الناس بمثل أن الصلاة على النبي ﷺ بدعة عقب الأذان؟ وأن المولد بدعة. إلخ.

ولو أن هؤلاء سكتوا عما أقرّه العلماء السابقين ورأوه أمراً حسناً، إذاً لوفروا على أنفسهم كره الناس لهم وإيقاعهم في الفتن، مع أن النبي ﷺ كان يترك أحياناً بعض سننه لئلا يقع الناس في فتنة، خذ مثالاً على ذلك:

أنه ﷺ «كان إذا دخل الصلاة يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه»

=

المطلب الثالث:
فيمن استأذن على النبي ﷺ فقال من: قال أنا

عن جابر[١] بن عبدالله رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فدققتُ الباب، فقال: من هذا؟ قلتُ أنا. قال: «أنا أنا، كأنّه كرِهَه»[٢]... [*]...

=

- الحديث سبق تخريجه.
وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ سورة الأنعام آية ١٠٨.
قاعدة عظيمة في سد الذرائع على البشر أن لا يقعوا في الفتن، لكن ما الحيلة مع قوم لا يريدون أن يفهموا ذلك؟ وظنّوا أنفسهم عجباً ورياءً أنهم أعلم من عليها حتى من أئمة الإسلام؟
والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
وقال العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في شرح رسالة المسترشدين ص ٢٠١ «ومثال المدارة: مثال رجل به قرحة فجاءه الطبيب الرفيق فتعرف حالها، ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجتْ بطّها برفق وسهولة فأخرج ما فيها، ثم وضع عليها من الدواء ما يمنع الفساد ويقطع المادة، ثم تابع عليها المراهم المنبتة للحم، ثم ذر عليها ما يُنشف الرطوبة، ثم شدّ عليها الرباط، ولم يزل كذلك حتى صلحت، فهذا هو المداري، وأما المداهن فقال لصاحب القرحة: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء، فاسترُها عن العيون بخرقةٍ ثم إلْهُ عنها، وهذا لما رأى من جزعة من بطها، فلم تزل ما دتُها تقوى وتسحكم، حتى زاد موادّها وعظم فسادها، وقد قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إن الرجل ليخرُج من بيتِهِ ومعه دينُهُ، فيلقى الرجل له إليه حاجةُ، فيقول: إنك لزيت إنّك لزيت - يعني يُثني عليه ويُداهنه - وعسى أن لايحظى من حاجته بشيء فيرجعُ فيُسخطُ الله تعالى عليه وفيرجع وما معه من دينِهِ شيء» رواه أحمد في العل: ١/ ٢٦٨ اهـ.

(١) «هو الصحابي الجليل جابر بن عبدالله بن عمرو، الخزرجي الأنصاري أبو عبدالله، أسلم يوم العقبة الثانية، ومن أهل بيعة الرضوان غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة إلا بدراً وأحد توفي سنة ثمان وسبعين وقيل سبع وسبعين» ا.هـ السير: ١٨٩/٣، أسد الغابة: ٢٥٦/١، وتاريخ الإسلام: ٣/ ١٤٣، وتذكرة الحفاظ: ٤٠/١.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٢٩٨/٣ واللفظ له، ورواه البخاري ٦٢٥٠، وفي الأدب المفرد: ١٠٨٦، ومسلم ٢١٥٥، وغيرهم.

(*) قال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري: ٢٩/٩ «قال أهل العلم كره أن يقول الرجل عند استئذانه أنا بهذا الحديث، لأنه لم يحصل فائدة بقوله: أنا، والإيهام باق، بل ينبغي أن يقول فلان

=

=

باسمه» اهـ باختصار.

وزاد النووي في شرحه: ١٣٥/١٤ «وإن قال أن أنا فلان، أو أبو فلان فلا بأس، أو الشيخ فلان، إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه والأفضل في كل أحواله أن يقول: أنا فلان المعروف بكذا» اهـ باختصار وكذا بعض ما ذكر عند القرطبي في المفهم: ٤٧٨/٥.

وقال في فتح الباري: ١٣٨/١١، وفي عمدة القاري: ٣٨١/٢٢ وفي إرشاد الساري: ٢٥٣/١٣.

«وفي الحديث دليل على مشروعية دق الباب عند الاستئذان» اهـ.

وزاد في عون المعبود: ٦١/١٤ «ولا بأس أن يصف نفسه فيقول: أنا الشيخ فلان، أو المفتي فلان، أو القاضي فلان» اهـ باختصار.

وفي روائع البيان: ١٣٢/٢ «واختلف العلماء في: هل يقدم السلام على الاستئذان أم الاستئذان على السلام الجمهور من الفقهاء على تقديم الاستئذان وحجتهم الحديث السابق، وفصّل بعض العلماء المسألة فقال: إن كان القادم يرى أحداً من أهل البيت قدم السلام على الاستئذان، وإن كانت عينيه لا ترى أحداً قدم الاستئذان على السلام، وهذا قول جيد نبه عليه الألوسي» انظر فتح الباري: ٣٧/١١، والتحرير والتنوير: ٤٦٤/٩.

قلت: وفي عصرنا يُعتبر طرق الباب، أو قرع الجرس نوعاً من الاستئذان، فيكفي القادم أن يقرع الجرس ليدل على طلبه الاستئذان، ثم يسلم إذا قيل من، أو فتح له الباب، وقال سيد قطب رحمه الله تعالى في الظلال: ٢٥٠٤/٤ وما بعدها. «لقد جعل الله تعالى البيوت سكناً، يفيء إليها الناس فتسكُنُ أرواحهم، وتطمئنّ نفوسهم، يأمنون على عوراتهم وحرماتهم ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب، والبيوت لاتكون كذلك؟ إلاأن تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس، وإن استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان يجعل أعينَهم تقع على عورات البيوت، تلتقي بمفاتن تثير الشهوات، وتهيئ الفرصة للغواية الناشئة من اللقاءات العابرة، والنظرات الطائرة، التي قد تتكرر فتتحول إلى نظرات قاصدة، تحركها على غير قصد وانتظار، وتحولها إلى علاقات أثيمة، أو إلى شهوات محرمة. تنشأ عنها العقد النفسية والانحرافات، من أجل هذا وذاك أدب الله تعالى عباده، بهذا الأدب العالي الرفيع، أدب الاستئذان على البيوت. السلام على أهلها. وكان التعبير بالاستئناس ليرشد الطارق أو المستأذن إلى لين ولطف الطريقة التي يستأذن بها، وهي لفتةُ دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم» اهـ باختصار.

ونظراً لأهمية حرمة البيوت، ووجوب الاستئذان على أهلها. ذهب الشافعية، والحنابلة إلى أنّ من اطلع في دار بغير إذنهم من ثقب الباب فطعنوا عينه فهي هدر» - وشرح النووي: ١٣٨/١٤.

واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ رأى رجلاً اطلع من حجر في بعض حجراته ﷺ ومع النبي ﷺ حديدة يحُك بها رأسه فقال:

«لو أعلم انك تنظر لطعنتُ به عينيك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر» - الحديث: رواه

=

واستأذن رجل على النبي ﷺ فقال: أألج، فقال النبي ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا، فإنّه لا يُحسنُ الاستئذان، فقل له، فليقل السلام عليكم، أأدخل[(١)].

المطلب الرابع:

في تعاهده ﷺ لضيوفه

لقد كان النبي ﷺ من أكثر الناس ضيوفاً، يشاركونه في مطعمه ومشربه، حتى كان ينفذُ ما عنده ﷺ من الطعام فيجوع اليوم وأكثر من ذلك، لكونه لا يجد شيئاً فيأكلُهُ، أخبر بهذا أبو هريرة رضي الله عنه لما حدّث عن جوع النبي ﷺ، فكأن السامعين استغربوا فسألوا عن ذلك، وقالوا: وكيف ذلك - أي ما هو السبب - فقال: لكثرة من يغشاهُ من الضيوف، فلم يأكل طعاماً قطُّ إلا ومعه أصحابُهُ، وأهل الحاجة - أهل الصّفة - يتبعونه من المسجد[(٢)]... [(*)]...

=

البخاري: ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٣٨/١٤ «فلا يحلُّ لأحد أن ينظر في حجر باب ولا غيره، مما هو متعرضٌ لوقوع بصره على امرأة أجنبية، وفيه جواز رمي عين المتطلع بشيء خفيف، فلو رماه بشيء ففقأ عينه فلا ضمان عليه إذا كان نظره في بيت ليس له فيه امرأة ذات محرم. وهل يجوز رميه قبل إنذاره وجهان لأصحابنا - يعني الشافعية -» اهـ.

وزاد القرطبي في المفهم: ٤٨٢/٥ «إن الشرع علّق هذا الحكم على الاطلاع على البيت لأنه مظنّة الاطلاع على العورات، فلأن يُعلق على نفس الاطلاع على العورة أخرى، وأولى» اهـ.

وزاد في الفتح: ٢٧/١١ «وهذا مخصوص بمن تعمد النظر، أما إن وقع ذلك منه على غير قصد وتعمد فلا حرج عليه» اهـ.

(١) الحديث: رواه أحمد ففي المسند: ٣٦٩/٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣١٦، وأبو داود ٥١٧، والبيهقي في السنن: ٣٤٠/٨ قال في الموسوعة: ٣٨ /٢٠٧ إسناده صحيح لغيره، وفي عون المعبود: ٥٦/١٤ «أن السنة الجمع بين السلام والاستئذان وأن يقدم السلام». اهـ.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات: ٣١٣/١: قلت وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد، قال في التقريب: ١/ ٥٦٩ رقم ٣٨٧٥ صدوق تغيَّر حفظه بآخره، وبقية رجاله ثقات.

(*) الحديث: رواه أحمد في المسند: ٤٣٠/٣ و٤٢٦/٥، واللفظ له، والبخاري في التاريخ الكبير: ٤/ ٣٦٥، وفي الأوسط: ١٥١/١، وأبو داود ٥٠٤٠، والنسائي في الكبرى: ٦٦٢٢ و٦٦٩٥ والطبراني في الكبير: ٨٢٢٨ وأبو نعيم في الحلية: ٣٧٣/١ - ٣٧٤، وعبدالرزاق في المصنف: ١٩٨٠٢. وقال في الموسوعة: ٢٨/٣٩، إسناده ضعيف وباقي رجال الإسناد ثقاة.

وحيس قال في النهاية: «الحيس: هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض

=

=

الأقط الدقيق، أو الفتيتُ، وقد تكرر ذكره في الحديث» اهـ مادة حيس.

وعن طخفة الغفاري قال: «ضاف رسول الله ﷺ نفراً كنت معهم، فبتنا عنده، فخرج من الليل يتعاهد ضيوفه» - قال في الموسوعة: ٢٦/٣٩ إسناده مكرر سنداً أو متناً أي للحديث الذي سبقه «هو حديث عبدالله بن طخفة السابق».

قلت: ولقد مرّ الحديث عن جوده ﷺ فلا حاجة للإعادة والذي يجدر هنا بالإشارة وحسب ظاهر الحديث: أن النبي ﷺ عندما أكل القليل، وشرب القليل، لا ليسبق ضيوفه بالطعام أو الشراب؟ لا ولكن ليبارك ﷺ فيهما بفضل مسّ فمه الشرف لذلك الطعام والشراب، بدليل أن راوي الحديث ذكر في الحالتين أن النبي ﷺ تناولوا بعده جميعاً ودونما أن ينظروا إلى الطعام والشراب، كما هو لفظ الحديث للإشارة إلى وقوع معجزة تكثير للطعام والشراب، ثم إن التصغير في لفظيهما دليل على ذلك، وكانت ضيوفه ﷺ تأكل من بيوته حتى في غيبته.

فعن وافد بن المنتفق قال: انطلقت أنا وصاحبٌ لي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ، فلم نجده، فأطعمتنا عائشة تمراً، وعصّدت لنا عصيدة - قال في النهاية: العصيدة: هو دقيق يلتُّ بالسمن ويطبخ، يقال: عصدْت العصيدة، وأعصدتُها، أي: اتخدتها» اهـ مادة عصد - إذ جاء النبي ﷺ يتقلع - في اللسان: تقلعَ في مشيته: أي مشى كأنه ينحدرُ، وفي الحديث في صفته ﷺ أنه كان إذا مشى تقلع، وقيل: أراد قوة مشيه، وأنه كان يرفع رجليه من الأرض إذا مشى رفعاً بائناً بقوة وهو كقوله: كأنما يخط في صيب» اهـ مادة قلع - فقال: هل أطعمتُم من شيءٍ؟ قلنا نعم يا رسول الله فبينما نحن كذلك ربع - يخطُّ في اللسان: وربع بالمكان يربع ربعاً: اطمأن، والربع: المنزل، والدار بعينها، وهو مشتق من ذلك، وجمعه: أُربعٌ ورُباعٌ وربُوع وأرباعُ» اهـ مادة ربع. - راعي الغنم في المرَاح - في النهاية: المرُاح: بالضم الذي تروح إليه الماشية، أي يأوي إليه ليلاً، وأما بالفتح فهو الموضع الذي يروح إليه القوم» اهـ مادة روح. - على يده سخلة - قال في اللسان: السخلة ولد الشاة من المعز والضأن، ذكراً كان أو انثى، والجمع سخل وسخالٌ وسخلةُ وسخلان» اهـ مادة سخل. -، قال: هل ولدت؟ قال نعم، قال: فاذبح لنا شاة ثم أقبل علينا فقال: لا تحسبنّ أنا ذبحنا الشاة من أجلكم لنا غنم مائة، لا نُريد أن نزيد عليها، فإذا ولد الراعي بهمة أمرنا بذبح شاة» - الحديث: رواه أحمد في المسند: ٣٣/٤، وهذا لفظه وهو عند عبدالرزاق في المصنف ٨٠، والطبراني في الكبير: ١٩/ ٤٧٩، وأبو داود ١٤٢، والحاكم في المستدرك: ١/ ١٤٨ و٢٣٢/٢ و٢٣٣، ووافقه الذهبي على تصحيحه وفي الموسوعة٣١٠/٢٦، إسناده صحيح رجاله ثقات. الحديث.

وقال في عون المعبود: ١٦٣٤/١، «وإنما قال النبي ﷺ ما قاله أي لأجل أن يظنوا أن النبي ﷺ يتكلف لهم، والظاهر من هذا القول، أنهم لما سمعوا رسول الله ﷺ أمر بذبح الشاة، اعتذروا إليه وقالوا: لا تتكلف لنا، فأجابهم بذلك القول» اهـ باختصار.

قلت: ومع ما دلت عليه هذه الآحاديث من إكرامه ﷺ لضيوفه، وتفقد أحوالهم واهتمامه بهم، فيها أيضاً: أن النبي ﷺ كان بعيد عن التكلف مع ضيوفة، وهذا هو الكرم الحقيقي، ومن يوم أن

=

وكان ﷺ إذا كثرت عليه الضيفان وضاق عليهم المكان، أبقى عنده منهم، وقال لأصحابه لينقلب كل رجل بضيفه - قال عبدالله بن طهفة: حتى إذا كان ذات ليلة اجتمع عند النبي ﷺ ضيفاً كثر، فقال: لينقلب كل رجل مع جليسه، قال: عبدالله، فكنت ممن انقلب مع رسول الله ﷺ، فلما دخل بيته قال: ياعائشة، هل من شيء؟ فقالت: نعم حُويسة كنتُ أعددتُها لإفطارك قال: فجاءت بها في قعبة لها، فتناول منها رسول الله ﷺ منها قليلاً فأكله، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكلنا منها حتى ما ننظر إليها، ثم قال: هل عندك من شراب؟ قالت: نعم: لبينة كنتُ أعددتُها، قال: هلُميها، فجاءت بها، فتناولها

=

ظهر التكلف، بين المسلمين في الضيافة، انتشر البخل وكره الضيف بينهم، وأصبح الكثير من المسلمين ممن ينطبق عليهم المثل: يكرهون الضيف وزاده معه؟ وهذا من مصائب هذا الزمن، ولو أنّ الأمة حافظت عل هدي النبي ﷺ وما كان عليه السلف الصالح لما كره أحدٌ ضيفه.

وقد رُوي عن النبي ﷺ قوله: «أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف» - قال في الشذرة: ١/ ١٣٧ «قال النووي: ليس بثابت، وقد أخرجه الدارقطني عن الزبير بن العوام مرفوعاً لفظه «ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمتي» وسنده ضعيف، وأخرجه ابن عساكر، في تاريخه بلفظ «اللهم إني وصالحي أمتي براء من التكلف، وهو في مسند الفردوس، وأورده الغزالي في الإحياء» اهـ ما قاله ابن طولون.

قلت: ويؤيد الحديث قول سلمان رضي الله عنه لرجل مَرَّ عليه فدعا له سلمان بما عنده في بيته وقال لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفتُ لك» - رواه أحمد في المسند: ٤٤١/٥ وابن المبارك في الزهد ١٤٠٤، والبزار في مسنده: ٢٥١٥، والطبراني في الكبير: ٦٠٨٣، والأوسط ٥٩٣١، والحاكم: ١٢٣/٤، ووافقه الذهبي وقال: مع أن فيه سليمان بن قرم وهو سيّئ الحظف، والبخاري في الكبير: ٣٨٦/٢، وأبو نعيم في أخبار أصفان: ٥٦/١، والبيهقي في الشعب: ٩٥٩٩، وفي تاريخ بغداد: ٢٠٥/١٠ والدارقطني في المؤتلف والمختلف ١٣١٤/٣، وابن ماكولا في الإكمال ٢٤٩/٤ والسمعاني في الأنساب ٢٣٦/٧، وقال في الموسوعة الحديثية ٣٩ /١٣٦، حديث يحتمل التحسين بمجموع طرقه.

وقال البيهقي في الشعب: ٩٥/٧ بعد أن أورد الأحاديث السابقة: «قال: قلت: وهذا يدل على ترك التصنّع مع الناس، وعلى استعمال الصدق معهم في الضيافة وغيرها، خلاف ما عليه بعض الناس من التصنع بالكذب وإعداد ذلك من حسن العشرة، وبالله التوفيق والعصمة. قال ميمون بن مهران، إذا نزل بك ضيف فلا تكلف له ما لا تطيق وأطعمه من طعام أهلك، والقه بوجه طلق فإنك إن تكلّفت له ما لا تطيق أوشك أن تلقاهُ بوجه يكرهه» اهـ باختصار.

قلت: وأما إذا كان الإنسان ذا سعة، فلا مانع من أن يتكلف لضيفه فذلك من شيم الكرام، فإن كان موسراً ولم يفعل، فهذا هو البخل المكروه؟

رسول الله ﷺ فرفعها إلى فيه فشرب قليلاً، ثم قال: اشربوا باسم الله فشربنا، والله ما نظر إليها، ثم خرجنا فأتينا المسجد.

ولقد كان الصحابة إذا أصاب أحدهم الجوع لجأ إلى بيوت رسول الله ﷺ ليأكلوا، فهذا المقداد بن الأسود رضي الله عنه يحدثنا عن ذلك فيقول: قدمتُ أنا وصاحبان لي على رسول الله ﷺ، فأصابنا جوع شديد، فتعرضنا للنّاس فلم يُضفنا أحد، فانطلق بنا رسول الله ﷺ إلى منزله وعنده أربع أعنزٍ، فقال لي: يا مقداد جزِّء ألبانها بيننا، أرباعاً، فكنت أجزِّئه بيننا أرباعاً، فاحتبس رسول الله ﷺ ذات ليلة، فحدثْتُ نفسي أنّ رسول الله ﷺ قد أتى بعض الأنصار، فأكل وشرب حتى رَوِي، فلو شربْتُ نصيبه، فلم أزل كذلك حتى قمتُ إلى نصيبه فشربتُه، ثم غطيت القدح فلما فرغتُ، قلتُ الآن يجيء رسول الله ﷺ جائعاً، ولا يجدُ شيئاً، فاستحييتُ، وجعلتُ أحدث نفسي، فبينا أنا كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فسلم تسليمة يُسمعُ اليقظان ولا يوقظُ النائم، ثم أتى القدح فلم يجد شيئاً، فقال: اللهم أطعم من أطعمنا، واسق من سقانا، فاغتنمتُ الدعوة، فقمتُ إلى الشفرة فأخذتُها، ثم أتيتُ الأعنز فجعلت أمسها أيها أسمن، فلا تمرُّ يدى على ضرع واحدة إلا وجدتُها حافلاً - أي باللبن - فحلبتُ حتى ملأتُ القدح، ثم أتيتُ به رسول الله ﷺ، فقلت: اشرب يا رسول الله فرفع اليّ رأسه فقال: بعضُ سوآتك يا مقداد، ما لخبر. قلتُ: اشرب ثم الخبر فشرب حتى روي، ثم ناولني فشربتُ، فقال: ما الخبر، فأخبرتُه، فقال: هذه بركة نزلت من السماء، فهلا أعلمتني حتى نسقي صاحبنا فقلتُ: إذا أصابتني وإياك البركة، فما أبالي من أخطأت[1].

---

(١) الحديث: رواه أحمد في المسند: ٦/٢ - ٣ - ٤ - ٥، واللفظ له والطبراني في الكبير: ٥٧٢/٢٠ - ٥٦٩ و٥٧٣ و٥٧٤، وأبو يعلى ١٥١٧، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٤٣/٤، وفي مشكل الآثار ٢٨١٠، وابن سعد في الطبقات: ١٨٣/١ - ١٨٤ وأبو عوانة في مسنده ٨٣٩٧ والطيالسي ١١٦٠، والبخاري في الأدب المفرد: ١٠٢٨، ومسلم ٢٠٥٥، والترمذي ٢٧١٩، وقال: حديث حسن صحيح والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣٢٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة: ٤٥٦، والبيهقي في الدلائل: ٨٥/٦ - ٨٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١٧٤/١، وتمام في فوائده ١٦٣٨.

«وكانوا فقراء مقلين ليس عندهم شيء يواسون به» وكذا في التكملة ٤٢/٤.

وقال القرطبي في المفهم: ٣٣٢/٥ «إن ذلك لامتناع ممن تعرضوا له إنما كان لأنهم ما وجدوا شيئاً يطعمونهم إياها، كما اتفق للنبي ﷺ مرة حيث طلب جميع بيوت نسائه فلم يجد عندهم =

وكان ﷺ إذا جاءه الضيف وليس عنده ما يطعمه إياه يحوله إلى ضيافة أصحابه.

ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود فارسل إلى نسائه هل عندكم من طعام، فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضيف هذا الليلة[1].

=

شيئاً ياكله، فإنّ الوقت يومئذٍ كان شديداً عليهم» .

قلت: وهذا التأويل هو اللائق بأصحاب رسول الله ﷺ لأنهم لا يمكن أن يبخلوا على ضيف بلقمة طعام وهم الذي وصفهم القرآن ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٩) سورة الحشر.

(١) الحديث - رواه البخاري: ٣٧٩٨، ومسلم ٢٠٥٤، وأبو داود ٣٧٤٨، والترمذي في السنن: ١٩٦٧، وابن ماجه: ٣٦٧٥.

وقال القرطبي في المفهم: ٣٣٢/٥ «وفيه دليلُ: على مشروعية السلام عند دخول البيت، وقد استحسنه مالك، وأن ذلك مما ينبغي أن يكون يرفق واعتدال» ٩ اهـ.

وقال النووي في شرحه: ١٤/١٤، «هذا فيه آداب السلام على الإيقاظ في موضع فيه نيام، أو من في معناهم، وإنه يكون سلاماً متوسطاً بين الرفع والمخافتة بحيث يسمع الأيقاظ، ولا يهوش على غيرهم» اهـ.

وبعضه في التكملة: ٤٣/٤.

وقال النووي أيضاً: «فيه الدعاء للمحسن والخادم ولمن سيفعل خيراً، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم والأخلاق المرضية، والمحاسن المرضية، وكرم النفس، والصبر، والإغضاء عن حقوقه ﷺ فإنه لم يسأل عن نصيبه من اللبن» اهـ.

وزاد القرطبي: ٣٣٣/٥ «وفيه دليل على نزاهة نفسه ﷺ، إذا لم يسأل عن نصيبه، ولم يعرج عليه، لكنه دعا الله تعالى، ولما فهم المقداد منه الدعاء، وطلب أن يفعل الله ذلك معه في الحال، عرف أن الله يجيبُه، ولا يرُدَّ دعوتهُ، لا سيما عند الحاجة والفاقة، فقام لينظر شيئاً تكون به إجابة دعوته، فوجد الأعنز حُفلاً، أي: ممتلئة الضروع باللبن، وهذا الحديث من دلائل نبوة النبي ﷺ - عند مسلم فضحكتُ حتى ألقيتُ أرضاً - فلما رأى النبي ﷺ منه ذلك، كره له ذلك، وقال: إحدى سوآتك يا مقداد، أي: الحالة حالة سيئة من جملة حالاتك التي تسوء، منكراً لذلك، لأنّ كثرة الضحك تميت القلب الروحي، فلما أخبره المقداد خبره شرب اللبن، وبما أجاب الله من دعوته فقال النبي ﷺ: ما هذه إلا رحمة من الله تعالى وبركة معترفاً بفضل الله تعالى، وشاكراً لنعمتِه، ومقراً بمنته، فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً» اهـ ما قاله القرطبي.

وزاد النووي ١٥/١٤، «وإنما ضحك المقداد لذهاب ما كان به من الحزن وانقلابه سروراً، لشرب النبي ﷺ وظهور هذه المعجزة، ولتعجبه من قبح فعله أولاً وحسنه آخراً» اهـ باختصار.

وكذا بعض ما ذكر في التكملة: ٤٣/٤.

=

وفي ذلك أمثلة كثيرة تحتار منها ما يحدثنا به أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: «والله إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد كنت أخر مغشيًّا عليَّ، بين حجرة عائشة والمسجد فيجيء الحائي فيظنّ أن بي جنون، والله ما بي إلا الجوع. ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم - أي الصحابة - الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل، وما سألتُه إلا ليستتبعني، فلم يفعل، فمر عمر، فسألتُه عن آية من كتاب الله عز وجل وما

=

وقال في الفتح /١٥٠/٧ «وزعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس الذي شكى الجهد. والذي أضاف هو أبو طلحة» اهـ باختصار.

وقال في التكملة: ٤١/٤ «بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وأهله، فلما لم يجد في بيوته شيئاً يواسي به ضيفه، رغَّب غيره في ضيافته، وهذا حكم الضيافة والمواساة، في الشدئد أن يساعد الرجل المجهودين بنفسه، فإن لم يستطع حولهم إلى غيره» اهـ.

قال النووي في شرحه: ١٢/١٤ «هذا الحديث مشتمل على فوائد كثرة منها: ماكان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع، وضيق حال الدنيا، ومنها أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ بمواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه، من ماله. ومنها المواساة في الشدائد، وفيها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره» اهـ باختصار.

وزاد القرطبي في المفهم: ٣٣٠/٥ (فيه ما يُدل على شده حالهم، وضيق عيشهم، وكان هذا والله أعلم في أول الأمر، وأما بعد ذلك فلما فتحت خيبر كان النبي ﷺ يحبس لأهل قوت سنتهم» اهـ.

وكانت بركة النبي ﷺ في طعامه أو شرابه هي التي تشبع الضيوف الكثيرون الذي يبلغون أحياناً العشرات.

قال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري ١٧٩/١٠ «وهذا الحديث. علم عظيمٌ من أعلام نبوته ﷺ، وذلك أن النبي ﷺ عرف ما في نفس أبي هريرة ولم يعلم بذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه معجزة تكثير اللبن حتى شرب منه جميع أهل الصفة، وفيه ما كان عليه ﷺ من إيثار البلغة وأخذة القوت في كرم نفسه، وأنه لم يستأثِر بشيء من الدنيا دون أحد من أصحابه» اهـ.

وكذا قال في عمدة القاري: ١٧٩/١٠، وكذا في فتح الباري: ٢٩١/١١.

وزاد في فتح الباري: ٢٩٢/١١ «وفيه جواز الأكل حتى الشبع لقول أبي هريرة لا أجد مسلكاً وإقرار النبي ﷺ له على ذلك، وعدم إنكاره، وفيه عظم كرم النبي ﷺ وإيثاره أهل الصفة على نفسه وأهله» اهـ باختصار.

قلت: وللوقوف على المواطن التي كثر فيها الطعام ببركة سيدنا رسول الله ﷺ فليراجع شرح المواهب: ٣٩/٧ وما بعدها.

سألتُه إلا ليستتبعني، فلم يفعل، فمر أبو القاسم رسول الله ﷺ فعرف ما في وجهي، وما في نفسي، فقال «أبا هر، فقلتُ: لبيك يا رسول الله. فقال: الحق، واستأذنتُ فأذنَ لي، فوجد النبي ﷺ لبنا في قدح، فقال: - أي لأهله - من ائن لكم هذا اللبن، فقالوا: أهداه لك فلان، فقال ﷺ: أبا هر، فقلت لبيك يا رسول الله، قال: انطلق إلى أهل الصفة، فادعهُم، لي قال: وأهل الصفة حينئذٍ أضياف الإسلام، ليس لهم مأوى، ولا أهل، ولا مال يأوون إليه، وكان إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية، أكل منها، وبعث إليهم منها، وإذا جاءت الصدقة أرسل بها إليهم، ولم يُصب منها، قال أبو هريرة: فأحزنني ذلك، وكنتُ أرجو أن أصيب من ذلك اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي فقلتُ في نفسي، وما يغني هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن، فإذا جاء القوم كنتُ أنا الذي أعطيهم وأقول فماذا يبقى لي، من هذا اللبن؟ ولكن لم يكُن من طاعة الله ورسوله بُد، فانطلقتُ فدعوتُهُم، فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، ثم قال رسول الله ﷺ: أبا هر، خذ فأعطيهم، فأخذتُ القدح فجعلتُ أعطيهم، فيأخذُ الرجل القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يردّ القدح، وأعطيه الآخر، فيشرب حتى يروى، ثم يردّ القدح، وأعطيه الآخر، فيشرب حتى يروى. ثم يردُ القدح، وهكذا حتى أتيتُ على آخرهم، وحتى انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه في يده، ثم نظر إليَّ فتبسم، وقال: أبا هر قلتُ: لبيك يا رسول الله قال: بقيت أنا وأنت، فقلتُ: صدقت يا رسول الله، قال: اشرب فشربتُ فما زال يقول: اشرب، حتى قلتُ والذي بعثك بالحق، ما أجدُ له مسلكاً، قال: فأرني، فأعطيتُه القدح، فحمد الله تعالى وشرب الفضلة[1].

كان أهل الصفة أناس فقراء ليس لهم منزل يأوون إليه وكانوا إذا أمسوا يأمر رسول الله ﷺ أصحابه فيأخذ كل رجل منهم واحداً أو أكثر من أهل الصفة وما يبقى منهم فيأتي النبي ﷺ بعشائه فيتعشى معهم، ومرة يدعوهم إلى بيته، واختلف في

---

(١) الحديث: رواه أحمد في المسند: ٥١٥/٢، واللفظ، له والبخاري ٢٤٦ و٦٤٥٢، والترمذي٢٤٧٧، وهناد في الزهد: ٧٦٤، والفريابي في دلائل النبوة: ١٦، وابن حبان: ٦٥٣٥ وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٧٧ ٠٧٨، والحاكم ١٥/٣ - ١٦، وأبو نعيم في الحلية: ٣٣٨/١ - ٣٣٩، والبيهقي في الدلائل: ١٠١/٦ - ١٠٢ والبغوي ٣٣٢١، وابن حجر في تعليق: ١٦٩/٥ - ١٧٠، وينجو هذا الحديث مختصراً عند البخاري ٥٣٧٥ وابن حبان ٧١٥١.

عددهم، قيل سبعون، وقيل أكثر من مائة، وقيل أربعمائة[(١)].

المطلب الخامس:
في اجتماع الأنصار عنده ﷺ يسألونه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتت الأنصار إلى النبي ﷺ بجماعتهم، فقالوا: إلى متى لننزع من هذه الآبار؟ فلو أنا أتينا رسول الله ﷺ فدعا لنا ففجّر لنا من هذه الجبال عيوناً، فجاؤ بجماعتهم إلى النبي ﷺ فلما رآهم قال: مرحباً واهلاً، لقد جاء بكم الينا حاجة، قالوا: إي والله يا رسول الله ﷺ. قال: فإنكم لن تسألوني اليوم شيئا إلا أوتيتُموهُ، ولا أسأل الله شيئاً إلا أعطانيه، فأقبل بعضُهُم على بعضٍ، فقالوا: الدنيا تريدون؟ اطلبوا الآخرة، فقالو بجماعتهم: يا رسول الله، ادعُ الله لنا أن يغفرَ لنا، فقال: اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، قالوا: يا رسول الله ﷺ، وأولادنا من غيرنا، قال: وأولاد الأنصار، قالوا يا رسول الله، وموالينا، قال: وموالي الأنصار[(٢)].. [(*)]...

المطلب السادس:
في إكرامه ﷺ الكريم من كل قومٍ

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: دخل جرير[(٣)] بن عبدالله البجلي رضي الله

---

(١) انظر إرشاد الساري ٤٥٧/١٣.

(٢) رواه أحمد في المسند: ١٣٩/٣، و٢١٧ وهذا لفظهُ، والبغوي في الجعديات: ٣٣١٦، وفي شرح السنة: ٣٩٦٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار. ٥٨١٤و٥٨١٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ٣١٤، وقال في الموسوعة: ٤٦٥/٢٠ إسناده قوي.

(*) قال القرطبي في المفهم: ٤٦٩/٦ «ويمكن أن تشمل بركة هذا الاستغفار المؤمنين من نسل الأنصار إلى يوم القيامة مبالغة في إكرام الأنصار، ويؤيد ما في الرواية الأخرى: ولذراري الأنصار» اهـ.

قلت: وفي اختيار الأنصار دعوة الآخرة على الدنيا دليل على رجاحة عقولهم، إذ إنّ العاقل من آثر ما يبقى على ما يفنى وفضل الأنصار ومناقبهم كثيرة، ويكفي أن نعلم قول الرسول ﷺ فيهم. «ولا يحبّ الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم: إلا منافق» - رواه البخاري في صحيحه: ٣٧٨٣، ويكفي الأنصار أن الله تعالى وصفهم بالقرآن بقوله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ - سورة الحشر آية ٩.

(٣) هو جرير بن عبدالله البجلي القسري، أبو محمد عمرو وكان من أعيان الصحابة هو الذي قال فيه =

عنه على رسول الله ﷺ وعنده أصحابه، ضَنَّ كل رجلٍ بمجلسه، فأخذ رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه فتلقّاه بنحره ووجهه فقبّلهُ ووضعَهُ على عينيه، وقال: أكرمك الله كما أكرمتني يا رسول الله، ثم وضعه على ظهر رسول الله ﷺ، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا أتاه كريم قوم فليكرمه»[1]... [*]..

المطلب السابع:

فيمن جاءه ﷺ يطلب منه الدعاء والوسيلة[*]

=

رسول الله ﷺ سيدخل عليكم رجلٌ على وجهه مسحةُ ملك - الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٦٠/٤، وابن خزيمة ١٧٩٧ و١٧٩٨، وابن حبان ٧١٩٩، والحاكم: ٢٨٥/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه. توفي سنة إحدى وخمسين وقيل أربع وخمسين» السير: ٥٣٠/٢، وأسد الغابة: ١/ ٣٣٣ الاستيعاب: ٣٣٧/١ والإصابة: ٧٦/٢.

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢٩٢/٤ وسكت عنه الذهبي وقال الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٥/٨ فيه: عون بن عمر العتبي وهو ضعيف قال: وبعض هذه الأسانيد حسنة.
قلت: وأصل الحديث عند مسلم في الصحيح: رقم ٢٤٧٥ ونصه، ما حجني رسول الله ﷺ منذُ أسلمت، ولا رآني إلا تبسّم في وجهي، ورواه أحمد في المسند: ٣٦٢/٤، والبخاري في صحيحه ٣٠٣٥ و٦٠٨٩، والترمذي في السنن ٣٨٢١ وفي الشمائل ٢٣٢.

(*) وقال في أشرف الوسائل ص ٣٢٢ «وأراد جرير رضي الله عنه بذلك إظهار خصوصيته عند رسول الله ﷺ، وأنه كان يشهد فيه من مشاهد الفضل والرحمة المقتضي لفرحة المستلزم لتبسمه» اهـ.
وفي الفتح: ١٦٤/٧ «أي ما منعني رسول الله ﷺ من الدخول عليه في بيته إذا ما استأذنتُ عليه» اهـ. وكذا في عمدة القار ي: ١٦ /٣٨٨، وفي ارشاد السار ي: ٢٩٥/٨ يقص ما ذكر، وكذا في شرح النووي ٣٤/١٦ - ٣٥.

(*) قال في اللسان: «الوسيلة: المنزلةُ عند الملك، والوسيلة الدرجة، والوسيلة القربة» اهـ مادة وسل.
قال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في المقالات ص ٤٠٩ وما بعدها: «أما بعد: فإنا نرى طائفية من الحشوية يحاولون إكفار الأمة جمعاء بين حين وآخر بسبب أنهم يتوسلون إلى الله تعالى بالأخيار، وهم في إنكار التوسل محجوجون بالكتاب والسنة، والعمل المتوارث والمعقول».
أما الكتاب فمنه قوله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ - المائدة آية ٣٥ - والوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص، والتوسل بالأعمال، هو المتبادر من التوسل في الشرع رغم قول كل مفترٍ، والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، ثم ساق الأدلة ببيان توثيق رجالها بما لا يدع مجالاً للشك في جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياتِهِ وبعد
=

عن عثمان[1] بن حنيف رضي الله عنه، أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: ادعُ الله لي أن يعافيني، فقال له رسول الله ﷺ: إن شئت دعوتُ الله

=

مماته، ولا ينكر ذلك إلا المعاند الذي لا يريد أن يستمع إلى القول الحق في هذه المسألة، ثم قال في آخر المقالة: وذلك كان لغير المتعنتين - فلينظر - قلت: وأما المتعنتون فهم لا يريدون الاستماع إلى تلك الأدلة الناصعة وهذا شأنهم.

وفي كتاب السنة والبدعة ص ٥٩ وما بعدها أورد المؤلف عشرة أحاديث على جواز التوسل بحضرة النبي ﷺ، ثم قال في ص ٦٦، والقول بجواز التوسل قول جماهير أهل العلم من السلف والخلف، حتى قال الإمام ابن الجوزي: إن التوسل من عمل السنة وصح القول فيه عن الإمام أحمد بن حنبل، وأثبته الأئمة بعده، وعلى رأسهم ابن قدامة في المغني، والذي قال عنه ابن تيمية، ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه، والتوسل والتبرك شيءٌ واحد لا فرق بينهما، وقد روي تبرك الصحابة بالنبي ﷺ بما يبلغ التواتر المعنوي ولا فرق في التوسل به ﷺ في حياته أو بعد وفاته فإنه ﷺ حي في قبره حياة برزخية بالأدلة المتواترة» اهـ باختصار.

قلت: إذا كان القرآن الكريم قد نصَّ صراحة على حياة الشهداء حين قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ سورة آل عمران آية ١٦٩.

فإذا كان الشهداء أحياء بعد مماتهم وهم أقل رتبة من الأنبياء، ولا يماري في ذلك اثنان من المسلمين، فما بالك بالأنبياء الرسل عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم سيد الأنبياء والرسل، وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ لكن: قاتل الله التعصب، والتعنت حيث يحجب صاحبه عن قبول قول الحق.

وقال في فقه السيرة ص ١٤١ (وقد صح عن الصحابة أنهم تبركوا بآثار النبي ﷺ في طعامه، وشرابه، وشعره، وعرقه، وريقه، والى فضل وضوئِهِ. فإذا كان هو الشأن هكذا في التوسل بآثاره ﷺ، فما بالك بالتوسل بجاهه العظيم عند الله تعالى، وبكونه رحمة للعالمين؟ ولا يذهبنّ بك الوهم إلى أننا نقيس التوسل على التبرك، وأن المسألة لا تعدو أن تكون استدلالاً بالقياس، فإن التوسل والتبرّك كلمتان تدلان على معنى واحد، وهو التماس الخير والبركة عن طريق المتوسل به، وكل من التوسل بجاهه ﷺ والتوسل بآثاره أو فضلاته أو ثيابه، أفراداً وجزئيات داخلة تحت نوع شامل وهو مطلق التوسل الذي ثبت حكمه بالأحاديث الصحيحة، كل الصور الجزئية له تدخل تحت عموم النص عن طريق ما يسمّى بـ «تنقيح المناط» عند علماء الأصول» اهـ.

انظر الوجير في أصول التشريع الإسلامي ص ٤١٥.

قلت: وتنقيح المناط: مسلك من مسالك العلة في تشريع الأحكام في الشريعة الإسلامية.

(١) هو «عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي القبائي، أخو سهل بن حنيف ولاه علي رضي الله عنه البصرة، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه» السير: ٣٢٢/٢، أسد الغابة: ٥٧٧/٣، الإصابة: ٣٨٦/٦.

لك، وإن شئت أخّرت فهو خير لك، فقال الرجل: ادعُ لي يا رسول الله، فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسأل وأتوجه اليك بنبيك محمد نبيّ الرحمة، يا محمد، إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم شعفه فيَّ»[(١)].

المبحث السابع:

فيمن جاءه ﷺ من النساء مستفتياً في بيته

لقد كان رسول الله ﷺ ملاذاً للنساء يستفتنّه في أمر دينهم، كما يستفتيه الرجال، فيجدْنَ عنده ﷺ الأمان والطمأنينة لما يختلج في نفوسهنّ.... [(*)]....

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت امرأة رفاعة القرظي على النبي ﷺ تستفتيه وأنا وأبو بكر عنده، فقالت يا رسول الله: إن رفاعة طلقني فبت طلاق، وتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنما عنده مثل هدبة الثوب، وأخذت هدبة من جلبابها، وخالد بن سعيد بن العاص بالباب، لم يؤذن له، فقال يا أبا بكر، ألا تنهى هذه عما

---

(١) رواه أحمد في المسند: ١٣٨/٤ وابن حميد في المنتخب: ٣١٣/١ و٥١٩ ووافقه الذهبي على تصحيحه والنسائي في الكبرى: ١٠٤٩٥، وفي عمل اليوم والليلة ٦٥٩ وابن ماجه ١٣٨٥ وابن خزيمة ١٢١٩ والطبراني في الكبير ٨٣١١ وفي الصغير ٥٠٨ قال في الموسوعة: ٤٧٨/٢٨ إسناده صحيح.

وزاد القرطبي في المفهم: ٤٠٣/٦ «ولا يفهم منه أنَّ جرير كان يدخل على النبي ﷺ بغير إذن، فإن ذلك لا يصح لحرمة بيوت النبي ﷺ، ولما يقضي ذلك من الاطلاع على عورات البيوت، وتبسمه ﷺ في وجهه لكونه من كُمّل الرجال خلقاً وخلقاً» اهـ. قلت: وفي الحديث الأول: دليل على جواز التبرك بآثار النبي ﷺ وكذا الصالحين؟ فلو كان ذلك غير جائز كما يزعم البعض؟ لأنكر النبي ﷺ على جرير تقبيله للثوب ووضعه إياه على عينيه. وقد سبق شي من ذلك.

(*) وفي الحديث دلالة على أنّ الزوج الثاني الذي تزوج المطلقة ثلاثاً لا يحلها للزوج: إلا بالجماع الحقيقي الذي تحصل به اللذة من الطرفين باختصار، انظر المبسوط: ٤١١/٦، والحاوي الكبير: ٨٤٥/٩.

«وتبسم النبي ﷺ تعجباً من جهرها وتصريحها بأمر تستحي منه النساء في العادة، أو لرغبتها في زوجها الأول وكراهية الثاني، ومذاهب الأئمة الأربعة وجماهير العلماء سلفاً خلفاً أن من حلف على امرأته ثلاثاً تحرم على زوجها حتى تنكح زوجاً غيره، ولا تحل للأول إلا بالدخول من الثاني». انظر في شرح النووي: ٤/١٠، وعمدة القاري: ٣٣٦/٢٠، وإرشاد الساري: ١٩/١٢. وزاد المسلم: ٣٩٢/١، وحاشية الشنواني: ٢٢٨.

تجهر به بين يدي رسول الله ﷺ؟! فما زاد رسول الله ﷺ: على التبسم وقال كأنك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عُسيلتك»(١).

المطلب الأول:

فيمن جاءته ﷺ من النساء تشكو إليه زوجها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾(٢)(٣)... (*)...

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ٣٤/٦، والبخاري ٥٨٢٥ و٦٠٨٤، ومسلم ١٤٣٣، وعبدالرزاق في المصنف ١١١٣١، والنسائي في المجتبى ١٤٦/٦، وفي الكبرى ٥٦٠٢، والطيالسي في الأوسط ٨٦٣٥، وشواهده عن ابن عمر في المسند ٢/٢، وأبو يعلى ٤٩٦٦ وفي التاريخ الكبير ٣/٤، ومن حديث أنس أبن مالك عند أحمد أيضاً في المسند: ٢٨٤/٣، ومن حديث عبدالرحمن بن الزبير في المنتقى عند ابن الجارود: ٦٨٢، ومالك الموطأ: ٥٣١/٢ وابن حبان ٤١٢١.

زاد القرطبي في المفهم: ٢٣٥/٤ «وفيه دليل على أنّ مثل هذا إذا صدر من مدعيته لا ينكر عليها، ولا توبخ بسببه، فإنه في معرض المطالبة بالحقوق، ويدلُّ على صحته: أن أبا بكر رضي الله عنه لم ينكر، وإن كان خالد تحرك للإنكاره حضه عليه».

وفي فتح الباري ٢٣٥/٩ «وفيه ما كان عليه الصحابة من سلوك الأدب في حضرة النبي ﷺ على من خالف ذلك بفعله أو قوله» اهـ.

قلت، ومن أراد التفصيل في مسائل الحديث ومتفرقاته فليراجع التفصيل في ذلك عند القرطبي في المفهم ٢٣٧/٤ وما بعدها، وفي فتح الملهم: ٤٣٤/٦ أسهب في التفصيل فليراجع، وكذا في فتح الباري ٣/١٠ وما بعدها.

وكذا في موضوع ذلك في كتب الفقه وكتب تفسير آيات الأحكام كتفسير القرطبي، وابن العربي.

(٢) الآية (١) سورة المجادلة.

(٣) رواه أحمد في المنسد: ٤٦/٦ واللفظ له وابن ماجه ١٨٨ والطبري في تفسيره ٢٨/ ٥، وأبو الشيخ في العظمة ١٩١ واللالكائي في أصول الاعتقاد: ٦٨٩ والبيهقي في السنن: ٣٨٢/٧ وفي السنن الصغير: ١٣٨/٣ وفي معرفة السنن والآثار: ١١٥/١١ وفي الأسماء والصفات: ٣٨٥ وفي الاعتقاد والهداية ص ٥١ وابن راهويه ٧٣١ والنسائي في الاعتقاد والهداية ص ٥١ والنسائي في المجتبى ١٦٨/٦ وفي الكبرى ٥٦٥٤ والآجري في الشريعة ص ٢٩١ وابن حميد في المنتخب ١٥١٤ وأبو يعلى في مسنده ٤٧٨٠ وأبو داود ٢٢٢٠ والحاكم ٢/ ٤٨١ وشواهده عن خولة بنت ثعلبة في المسند: ٤١٠/٦ - ٤١١ وحديث سلمة بن صخر في المسند: ٤٣٦/٥ وقال في الموسوعة ٢٢٨/٤٠ إسناده صحيح على شرح مسلم.

(*) قلت: ولقد أضربنا صفحاً عن قصة المجادلة، وظهار زوجها منها، وأمعنّا النظر فيما دل عليه =

المطلب الثاني:
فيمن جاءتْه ﷺ تشكو إليه أباها

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «جاءت فتاةٌ إلى رسول الله ﷺ، وقالت: يا رسول الله؛ إنّ أبي زوجني ابن أخيه يرفعُ بي خسيستَهُ[1]، فجعل الأمر إليها،

=

الحديث: الأمر الذي استشعرته الصديقة عائشة رضي الله عنه، باستحضار عظمة سمع الله تعالى، والذي بالطبع يخالف سمعنا، وهذا الذي استشعرته عائشة رضي الله عنها، ينبغي أن يستشعره كل مسلم، الأمر الذي يحقق له أن يعبد الله تعالى بالإحسان، والذي أكد عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع فيه، وفسّر النبي الكريم ﷺ بقوله: «الإحسان أن أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» - الحديث رواه مسلم في صحيحه رقم ٨، وأحمد في المسند: ١/٢٧ و٥١ - ٥٢ - ٥٣، وابن حبان ١٥٨، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٣٦٣، وابن منده في الإيمان ٦، وأبو داود ٤٦٩، والبخاري في خلق أفعال العباد، والطيالسي ٢١ -، وفي الشعب ٣٩٧٣، وابن خزيمة ٢٥٠٤.

وقال ابن رجب الحنبلي في جامع الحكم: ١/١٢٩ «قال بعض العارفين: أشار الحديث إلى مقامين:

أحدهما: مقام المراقبة وهو أن يعمل العبدُ على استحضار مشاهدة الله له، واطلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، وإرادته إياه بالعمل.

الثاني: مقام المشاهدة: وهو أن يعمل العبدُ على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيبُ كالعيان» اهـ.

وقال الحارث المحاسبي: في رسالة المسترشدين ص ٢٤٦ «والمراقبة في ثلاثة أشياء:

١ - مراقبة الله في طاعته بالعمل ٢ - مراقبة الله في ترك معاصيه ٣ - مراقبة الله في النعم والخواطر، ومراقبة العبد لله عز وجل أشد تعباً على البدن من مكابدة قيام الليل، وصيام النّهار، وإنفاق المال في سبيل الله تعالى، وقد ذكر عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: إن لله في أرضه آنية، وإنّ من آنيته فيها القلوب، فلا يقبل الله منها: إلا ما صفا وصلب ورق - رواه الإمام: أحمد في الزهد من كلام التابعي الجليل خالد بن جعدان ص ٣٨٤، وقريب منه في الإحياء ٢/١٧٥ مرفوعاً قال العراقي في التخريج إسناده جيد.

ومعنى ذلك أن صفاء القلب لله عز وجل باتباع أمره واجتناب نهيه، ومشاهدة الصدق وبالإشفاف، وصفاءُه لرسول الله ﷺ بقبول ما أتى به قولاً وعملاً وبينة، وصفاءَه للمؤمنين بكف الأذى وإيصال النفع، وأما قوله: وصلبَ: فمعناه: قوي في إقامة حدود الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما قوله: ورقّ: فالرقةُ على وجهيْن: رقةٌ بالبكاء، ورقةٌ بالرأفة» اهـ.

(١) قال في النهاية: «الخسيس: الدنيء، والخسيسة، والخساسة: الحالة التي يكون عليها الخسيس،

=

فقالت الفتاة: فإني أجزتُ ما صنع أبي، ولكنّي أردتُ أن تعلمَ النّساءُ أن ليس للآباء من الأمر شيء»[١]... [*]...

=

يقال: رفعتُ خسيسته، ومن خسيسته، وإذا فعلت به فعلاً يكون فيه رفعتُه» اهـ مادة خسس.

(١) رواه أحمد في المسند: ١٣٦/٦، والدارقطني في السنن ٢٣٢/٣، والنسائي في المجتبى: ٨٦/٦، وفي الكبرى ٥٣٩٠، وابن ماجه ١٨٧٤، وابن أبي شيبة: ١٣٧/٤، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/ ١١٨، وفي الصغرى. ٢٤٠٠، وعبدالرزاق في المصنف: ١٠٢٠٣ والطبراني في الأوسط ٦٨٣٨.

(*) قال في عون المعبود «فقد توافق أمره ﷺ وخبره على أن البكر لا تُزوج إلا بإذنها، ويبعد حمل الحديث على الاستحباب» اهـ.

وفي بذل المجهود: ١٠٢/١٠ «والحديث دليلٌ على أن الولي لا يجوز له إجبار البكر البالغة على الزواج من أحد بعينه».

قلت: والإسلام بواقعيته وإن كان أعطى للمرأة حق اختيار شريك حياتها، ولم يُجز للولي إجبارها في ذلك.

لكن الصحيح أيضاً أن الإسلام منع البكر البالغة من الاستفراد برأيها في الزواج دون رضا الولي - الوالد - لأنها لربما تكون في حالة مراهقة لا تُحسنُ اختيار الزوج، فيقع الندم بعد ذلك ولأجل ذلك أعطى الإسلام حق الاعتراض للولي - الوالد - إذا رأى هذا الزواج غير مناسب ومكافئ، ولذا قال رسول الله ﷺ: أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» - الحديث رواه أحمد في المسند: ٦٦/٦و١٦٦، واللفظ له وأبو داود ٢٠٨٤، وأبو يعلى ٤٨٣٧، وعبدالرزاق المصنف ١٠٤٧٢، وابن راهويه ٦٩٩، وابن الجارود في المنتقى ٧٠٠، والدارقطني في السنن: ٣ /٢٢١، والحاكم ١٦٨/٢، والبيهقي في السنن ٧/ ١٠٥، والطيالسي ١٤٦٣ والترمذي: ١١٠٢، وقال: حديث حسن وابن حبان ٤٠٧٤ وفي مسند الشافعي ١١/٢، وقال في الموسوعة ٤٢ /٢٠٠، إسناده صحيح.

وشواهد هذا الحديث عن ابن عباس عند أحمد في المسند: ٢٥٠/١، والطبراني في ١١٢٩٨، وأبو يعلى ٢٥٠٧، وابن ماجه ١٨٨٠ والبيهقي ١٠٩/٧، قال في الموسوعة ١٢٢/٤، وهذا الحديث بمجموعة طرقه يصير حسناً.

جاء في شرح النووي: ٢٠٤/٩. واختلف العلماء في اشتراط الولي في النكاح فالجمهور على اشتراطه، وحكى ابن المنذر أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك، وذهبت الحنفية إلى أنّه لا يشترط مطلقاً، وحجتهم حديث ابن عباس: الأيم أحق بنفسها من وليها» انظر الإنصاف: ١٣٢/١٠، والروضة الندية: ٥/٢. - الحديث رواه أحمد في المسند: ٢١٩/١، ومسلم ١٣٢١، ومالك في الموطأ: ٥٢٤/٢، والشافعي في المسند: ١٢/٢، وأبو داود ٢٠٩٨، والترمذي ١١٠٨، وابن حبان ٤٠٨٤ و٤٠٨٧ وعبدالرزاق ٢٣٥٧. - والجواب ما قال ابن الجوزي في التحقيق إنه أثبت لها حقاً وجعلها أحق بنفسها لأنه ليس للولي إلا مباشرة العقد، ولا يجوز له أن يزوجها بغير إذنها، والحق أن النكاح بغير الولي باطل كما تدل عليه الأحاديث.

=

المطلب الثالث:

فيمن جاءته ﷺ من النساء فأوصاها بزوجها

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ في حاجة، فلما فرغت من حاجتها، سألها رسول الله ﷺ قائلاً لها: أذاتُ زوج أنت؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: فأين أنت منه، أو فكيف أنت له - شك من الراوي - قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: «انظري اين أنت منه، فإنه جنتك ونارك»(١).. (*)....

=

وكذا في المفهم: ١١٩/٤، وشرح النووي: ٩/ ٢٠٤ - ٢٠٥، وفتح الملهم: ٣٧٢/٦. وعون المعبود: ٧١/٦.

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٣٤١/٤ و٤١٩/٦، واللفظ له والنسائي في الكبرى ٨٩٦٣ و٨٩٦٤ و٨٩٦٩، والطبراني في الكبير: ٤٤٨/٢٥، وفي الأوسط ٥٣٢، والحاكم ١٨٩/٢، ووافقه الذهبي على تصحيحه والبيهقي في الشعب ٨٧٢٩ و٨٧/٣٠ و٨٧٣١ وفي الآداب (٥٨).
وفي السنن ٢٩١/٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى: ٤٥٩/٨، والحميدي في مسنده ٣٥٥، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٠٤/٤، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٣٥٧ في الموسوعة الحديثية ٤٥ /٣٤١ وإسناده محتمل للتحسين.

(*) إن المرأة المسلمة العاقلة لأمر دينها ودنياها وآخرتها، الراشدة الفاهمة لدورها الذي رسمه الإسلام في هذه الحياة لا يمكن أن تتأثر بالمتفلتين من التدين، والذين نصَّبُوا أنفسهم دعاة لتحرير المرأة؟ لا ندري من أي شيء سيحررونها لكن المتتبع لأفكار هؤلاء لا يمكن أن يفهم دعوتهم في ذلك؟ إلا تحرير المرأة من الدين، وجعلها تتمرد على القيم الأخلاقيّة بحجة أنها نصف المجتمع؟ لكن المرأة المسلمة ليست من هذا النوع؟ بل مطيعة لربّها فيما أمر، ولزوجها دوماً في غير معصية لله، بارة به، حريصة على إرضائه، وإدخال السرور على نفسه، ولو كان فقيراً معسراً، لا تتذمر من ضيق ذات يده، ولا تضيق ذرعاً بأعمال البيت، وتربية الأطفال، ونذكر دائماً الفضليات من النساء عبر تاريخنا الإسلامي، كنّ مثالاً لها في الصبر والإحسان والمروءة والمعروف في خدمة أزواجهنّ وبيوتهنّ، على ما كُنّ فيه من قلة وفاقة وضنك عيش، وفي مقدمة هؤلاء سيدة نساء هذه الأمة ونساء أهل الجنة، ابنة سيد الخلق محمد ﷺ تلكم فاطمة الزهراء، والتي مرّ الحديث عنها في المباحث السابقة، وغيرها من نساء وبنات السلف الصالح رضي الله عنهنَّ أجمعين كأسماء بنت أبي بكر وغيرها ذلك أنّ المرأة عندما يكون حالها هكذا مع زوجها فإنها تضمن لنفسها دخول الجنة، أليس رسول الله ﷺ هو القائل: إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها أدخلي من أيِّ أبواب الجنة الثمانية شئتِ» الحديث: رواه أحمد في المسند: ١٩١/١، وابن حبان ٤١٦٣ وهذا لفظه وعند البزار ١٤٦٣ و١٤٧٣، وفي الحلية ٣٠٨/٦، وزاد في مجمع الزوائد فقال: ٣٠٦/٤، ورواه الطبراني في

=

المبحث الثامن:
في إكرامه ﷺ للوافدين عليه

لما فتح رسول الله ﷺ مكة، وأسلمت ثقيف وبايعت، وفرغ من تبوك، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وإنما كانت العرب تتربص هذا الحيّ من قريش، وذلك أنّ قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل عليه السلام لا ينكر العرب عليهم ذلك، كانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ وخلافه، فلما دانت قريش، ودخلت الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، دخلوا في دين الله أفواجاً يضربون إليه أكباد الإبل من كل وجه[١].

وكان ابتداء الوفود عليه ﷺ في آخر سنة ثمان وما بعدها، وكانت سنة تسع للهجرة تسمى سنة الوفود[٢].... [*]....

=

الأوسط، وفي الموسوعة ١٩٩/٣، إسناد أحمد حسن لغيره.

ولتبقى الأسرة في الإسلام أسرة متماسكة، كُلّ يعرف وظيفته وعمله، في جو مليء بالحب والتعاون والتفاهم؟ يبشر النبي ﷺ تلك المرأة التي أرضت ربها أولاً ثم زوجها ثانياً فيقول: «أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» - الحديث: رواه البيهقي في الشعب ٨٧٤٤، «ورواه الحاكم: ١٧٣/٤ ووافقه الذهبي على تصحيحه وابن ماجه ١٨٥٤، ورواه الترمذي في السنن ١١٦١، وقال حديث حسن غريب.

فما أحوج النساء في هذا الزمن إلى سماع مثل هذه الأحاديث، إذاً لصلحت الأسر، وبالتالي المجتمع، ولضمنت المرأة لنفسها رضي الله تعالى والجنة والتي هي أمنية كل مسلم ومسلمة ولكن؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟ في زمن لا هم فيه للنساء وحتى للرجال إلاّ اتباع أهوائِهم، والله المستعان.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٥٥٩/٢ - ٥٦٠.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥٦/٢٢، وشرح المواهب: ١١٣/٥، والسيرة الشامية ٢٥٩/٦.

(*) وكانت معظم الوفود تنزل في دار رملة بنت الحارث بعد أن تبايعه في المسجد» الطبقات ١/ ٢٢٧٠، والسيرة الشامية: ٢٩٥/٦ و٢٣٢ و٣٩٤.

وكان رسول الله ﷺ إذا قدم عليه الوفود لبس أحسن ثيابه، وأمر علية أصحابه بذلك» رواه في الطبقات، والأصبهاني في معرفة الصحابة: ١٤٩٧/٤.

وقال في فيض القدير: ١٨٨/٥ «وإنما كان ﷺ يفعل ذلك قاصداً إعلاء كلمة الله تعالى، ونصر دينه، وغيظ عدوه» اهـ بتصرف. انظر فيض القدير: ١٨٨/٥.

..... ولما وفد وفد عبد القيس إلى المدينة رحب بهم النبي ﷺ ودعا لهم، ولبس المنذر بن عائذ أحسن ثيابه ثم دخل على النبي ﷺ، وقد بسط النبي ﷺ رجله واتكأ، فلما دنا الأشج - أي المنذر بن عائذ - استوى النبي ﷺ قاعداً، فرحب به وألطفه،... ثم قال له يا أشج إن فيك خلتين يُحبهُما الله تعالى: الحلم والأناة[1].

وممن دخل عليه ﷺ بيته ممن وفد عليه عدي بن حاتم الطائي أكرم العرب ما قبل الإسلام، قال عدي: فخرجتُ حتى قدمتُ على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلتُ عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لمعامدُ بي إلى بيته، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: فقلت في نفسي: والله ماهذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم محشّوّةٍ ليفاً، فقذفها اليّ، فقال: اجلس على هذه، قال: قلتُ: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ على الأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم دخولٍ فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال: فأسلمت وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكوننّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٣/٣، ومسلم ١٨، وابن حبان ٤٥٤١، وابن منده في الإيمان ١٥٥، والبخاري في خلق أفعال العباد ٢٠٣، وفي الأدب المفرد: ٥٨٥، وأبو يعلى ٦٨٥، وابن حبان ٧٢٠٣.

وفي شرح النووي: ١٨٩/١٠ «وأما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وترك العجلة. تربص الأشج حتى نظر في مصالحة ولم يعجل إلى رسول الله ﷺ، والحلم في قول قاله لرسول الله ﷺ فاستدل به بهذا القول على رجاحة عقله، وفيه جواز مدح الرجل في وجهه إذا لم يخش عليه العجب» اهـ باختصار تصرف.

وكذا قال في فتح الملهم: ٣٦٣/١، وشرح المواهب: ١٣٩/٥.

قلت: وفيه ما لا يخفى من حسن استقباله ﷺ لهذا الوفد وثنائه ودعائه لهم، ومدحه لسيدهم، وفيه أن الإنسان لا يقاس بجماله ولا بطوله ولا بقصره إذ إنّ الأشج كما تقول الروايات رجلاً دميماً؟ ومع ذلك أعجب به الرسول ﷺ لتلك الصفات الحميدة التي لاحت عليه في كلامه وجوابه للنبي ﷺ.

القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البت، وأيم الله لتكوننّ الثالثة، ليفيضنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه[١].

قلت: وماذا يستطيع المرء أن يقول أمام هذه العظمة من التواضع والخلق العظيم؟ امرأة تستوقفه طويلاً وهو يستمع إليها بكليته، ويجلس عدي على الوسادة وهو يجلس على الأرض؟ مشهدان من مشاهد العظمة من رسول الله ﷺ، ثم بفضل ما رأى من رسول الله ﷺ من أنه إنسان آخر؟؟ فما هو إلا أن أصبح مسلماً بعد محاورة هادئة مع رسول الله ﷺ.

ولو أنّ الدعاة إلى الإسلام اليوم تأملوا هذه المشاهد؟ وطبقوها، إذا لهانت عليهم الصعاب، وانقادت لهم الرقاب، ولملكوا قبل ذلك وبعده قلوب العباد ووصلوا إلى رضا رب الأرباب، وبينما رسول الله ﷺ مع أصحابه صدر النهار، إذ جاء وفد قومٍ حفاة عراة مجتابي النّمار[٢]، متقلدي السيوف، عامتهُم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل بيته ثم خرج فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلّى ثم خطب.... - وحث فيه على الصدقة - إلى - أن قال: حتى رأيتُ وجه رسول الله ﷺ يتهلل[٣] كأنّه مذْهبةٌ[٤]، فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجرُ من عمل بها بعد من غير أن ينتقص من أجورهم

(١) انظر في المسند: ٣٧٨/٤ قال في الموسوعة ١٢٢/٣٢ بعضه صحيح وهذا إسناد حسن، ورواه الحاكم ٥١٨/٤ و٥١٩ ووافقه الذهبي على تصحيحه وبعضه في صحيح البخاري ٣٥٩٥، وابن ماجه ٨٧، وابن أبي عاصم في السنة ١٣٥، والطبراني في الكبير ١٨٢/١٧، والخطيب في تاريخ بغداد: ١١ - ٦٨ - ٦٩، وابن حبان ٦٦٧٩، وفي أسد الغابة ٤ - /٨ - ٩، وفي دلائل النبوة ٥/ ٣٤٣، وفي الحلية ١٧٠/٧.

لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنّما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك إنما يمانعك من.

(٢) في النهاية: «النّمار، كلّ شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة، وجمعها نمار، كأنها أخذت من لون النّمر» اهـ مادة نمر.

(٣) في النهاية: «وتهلّل وجهه: أي استنار وظهرتْ عليه أمارات السرور» اهـ مادة هلل.

(٤) في اللسان: «يُقال: ذهبْتُ الشيء فهو مُذهب إذا طليتَه بالذهب، ومنه حديث: كأنه مذهبة، وخصّ بالتأنيث لأنهما أصفى لوناً وأرقّ بشرة»، اهـ مادة ذهب.

شيء...»[١]... [*]....

---

(١) وراه أحمد في المسند: ٣٥٩/٤ و٣٥٨، والنسائي في المجتبى: ٧٥/٥ و٧٧، وفي الكبرى ٢٣٣٥ والبغوي في الجعديات ٥٢٠، وابن حبان ٣٣٠٨، والترمذي ٢٦٧٥وقال حسن صحيح، وابن ماجه ٢٠٣، والطيالسي ٦٧٠، والبيهقي في السنن الكبير ١٧٥/٤، وفي الصغير ١٢٤٧، وفي الشعب ٣٣١٩، والبغوي في شرح السنة ١٦٦١.

(*) قال القرطبي في المفهم: ٦٣/٣ «مجتابي العباء أو النمار: أي مقطوعي أوساطها، والاجتباب: التقطيع والخرق والنمار جمع نمرة: هي ثياب من صوف فيها تنمير، والعباء، جمع عباءة، وهي: أكسيةٌ غلاظ مخططة، وإنما تغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى، من فقرهم، وحاجتهم فشق عليه ذلك. بعد أن رأى ما رأى من تقديم أصحابه العون إلى هؤلاء الفقراء سُري عنه وأشرق وجهه ﷺ فرحاً بما ظهر من فعل المسلمين، ومن سهولة البذل عليهم، ومبادرتهم إلى ذلك، وبما كشف الله تعالى من فاقات أولئك المحاويج» اهـ باختصار وبعض التصرف.

وزاد النووي في شرحه: ١٠٣/٧ - ١٠٤ «وإنما سُرَّ رسول الله ﷺ: لما رأى من شفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره. وفيه الحثُ على الابتداء بالخيرات، وسنّ السنن الحسنة، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات» اهـ. باختصار.

وكذا في فتح الملهم: ٨٤/٥،٨٥.

وقال النووي أيضاً ١٠٤/٧ «وهذا الحديث تخصيص قوله ﷺ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» اهـ.

وقال أيضاً ١٥٤/٦ «قال العلماء والبدعة المذمومة: كُلّ عمل عُمل على غير مثال سابق، ولذا قسم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام: واجبة، مندوبة، مباحة، محرمة، مكروهة.

١ - من البدع الواجبة: نظم الأدلة للرد على الملاحدة والمبتدعة والطاعنين في الإسلام وشبه ذلك.

٢ - ومن البدع المندوبة، تصنيف كتب العلم وبناء المدارس وغير ذلك مما شابه.

٣ - ومن البدع المباحة: المتبسط في ألوان الأطعمة وغيرها مما هو في دائرة المباح.

٤ - ومن الحرام والمكروه ظاهر وهو ما خالف القرآن والسنة.

فإذا عرفت ما ذكرتُهُ علم أنّ الحديث من العام المخصوص، وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة، ويؤيد ما قلناه، قول عمر رضي الله عنه في جمع المسلمين على إمام واحد في التراويح، «نعمة البدعة هذه» اهـ باختصار وتصرف.

وكذا ذكر صاحب كتاب السنة والبدعة هذه الأقوال من ص ١٤ - ١٨ وعزا ما للإمام الشافعي والنووي والعز بن عبدالسلام، والقرافي، وابن العربي، والحافظ ابن حجر العسقلاني ثم قال «فهل يُعقل أن يكون كل هؤلاء وغيرهم لا يفهمون كلام الله وكلام رسوله ﷺ وأن هؤلاء وحدهم يفهمون؟ اللهم إن هذا من الإفك» اهـ. بتصرف.

ثم قال في ص ١٥ «والأمر العجيب الغريب أنّ هؤلاء الذين يبدعون الأئمة والعلماء، ويعملون =

وكان رسول الله ﷺ إذا أتته الوفود يعجل إليهم بالإحسان والصدقة وبذل المعروف، وأطيبهم نفساً، وأعظمهم جوداً، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، لا يدخر شيئاً لغده، أسمى من الغمائم المثقلة، وأجرى بالخير من الريح المرسلة، ما سئل عن شيء قط فقال لا، ولا أعرض عن طالب حاجة، وحسبك شاهداً على ذلك أنه ﷺ ردّ سبي هوازن لما وفدوا إليه، وكانوا ستة آلاف، وكان إذا سئل وليس عنده شيء وعد ولم يرد، ولما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله: «ما كلفك الله ما لا تقدر عليه كره هذه الكلمة، ولما قال بلال رضي الله عنه: أنفق رسول الله ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً، تبسم وأشرق وجهه، وكان ذلك منه ابتغاء مرضاة الله تعالى» اهـ وتألفاً... للوفود على الإسلام ويؤثر في ذلك على نفسه وأهله وذويه، فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك، وهو في نفسه وأهله يعيش عيش الفقراء[1].

ومن تأمل حسن تدبيره ﷺ للوافدين إليه الذين كانوا كالوحش الشارد، مع الطبع المتنافر، كيف ساسهم، واحتمل جفوتهم، وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا إليه من كل حدب وصوب، تحقق أنه ﷺ أعقل العالمين، ولما كان عقله

=

على إثارة الخلافات في المسائل الفرعية، لا تجد لهم صوتاً ولا حرفاً في المسائل الكبرى التي وقع فيها المسلمون اليوم» اهـ.

قلت: وعتب مؤلف كتاب السنة والبدعة على هؤلاء في كونهم ليس لهم في المسائل الكبرى اليوم، ليس في محله:

إذ إنّ هؤلاء لو كانوا علماء قادرين على الكلام في المسائل اليوم؟ لما طعنوا في قول عمر رضي الله عنه وهو من هو؟ الذي وافق ربه في مسائل كثرة، وقد سبق الحديث عن عمر رضي الله عنه سابقاً، ولما طعنوا أيضاً في أقوال الإمام الشافعي الذي كان إماماً في اللغة والفقه والكتاب والسنة. ذلك لأنّ من دأب العالم أن يحترم العلماء؟

قلت: وهذا نموذج من حسن استقباله ﷺ للوافدين عليه ومن أراد الاستزادة من أخبار ذلك فما عليه إلا مراجعة الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٢٢/١، ص ٢٦٩ والسيرة الشامية: ٢٥٦/٦ - ٤٤٠ فهي ممتعة في تعدد رواياتها، وفي شرح المواهب: ١١٥/٥ حتى ص ٢٣٨ وهي ممتعة بشروطها.

وما من كتاب من كتب الحديث إلا ذكرت فيه بعض أخبار الوفود.

وخلاصة القول: إن المتتبع لأخبار الوافدين عليه ﷺ يجد في ذلك أروع الأمثلة في حسن استقباله وإكرامه ﷺ لهم.

(١) انظر محمد المثل الكامل ص ٢٣.

أوسع العقول، اتسعت أخلاقه الكريمة العظيمة اتساعاً لا مزيد عليه، فكان أصبر الناس على جفوتهم، أو قبيح قولهم وفعلهم.

قد رجح عقله، وصحت همته، وصدقت فراسته ﷺ فخاطب كل قومٍ بما يصلحهم؟ فما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شدة... ولم يهزّه طيش، ولم يستفزه خرق، بل كان أحكم في النّفار من كل حكيم، وأسلم في الخصام من كل سليم، وقد مُني بجفوة الأعراب فلم تقع منه نادرة ولم تحفظ عليه بادرة ما روى التاريخ زعيماً غيره إلا كانت له عثرة أو جفوة إلا هو ﷺ معصوم من كل عثرةٍ، أو هفوةٍ، يكرم كريم كل قوم ويوليه أمرهم، ويقبل معذرة المعتذر إليه، وفد إليه كعب بن زهير تائباً فقبله وألقى عليه بردته الشريفة.. حقاً كان ﷺ ذا سياسة شريفة، ونظر ثاقب، ورأي صائب صادق، وحدس موافق، ومن أدل الأدلة على براعته ﷺ السياسية، وسديد تصرفه حسن استقباله وإكرامه للوافدين عليه، وإجابة مطالبهم[1].

وليس أدل على ذلك ما حدثتنا به الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «إن أمداد العرب كثروا على رسول الله ﷺ حتى عَمّوهُ، فقام إليه المهاجرون يفرجون عنه، حتى قام على عتبة بيتي (*) - فأسلم رداءه في أيديهم، ووثب العتبة لمدخل البيت...»[2]

(١) انظر كتاب محمد المثل الكامل: ٣١ و٣٢.

(*) بيتي فرهقوه - «قال في النهاية: يقال: رهقه، يرقهة رهقاً أي غُشية» اهـ مادة رهق.

(٢) رواه أحمد في المسند: ٦/١٠٧، وأبو يعلى في مسنده ٤٥٧٥، وابن راهويه ٧٩٣٠، والطحاوي في شكل الآثار: ٦٠٢ قال في الموسوعة: ٢٨١/٤١ فيه عبدالرحمن بن أبي الزناد مختلف فيه وفي الصحيح منه شيء.

الفصل الثالث:
في أحواله ﷺ
في مرضه حتى وفاته

من المقرر في علم العقيدة أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جائزٌ في حقهم وقوع الأعراض البشرية عليهم، التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالمرض ونحوه، لكنهم قرروا أيضاً أن لا يكون المرض مرضاً منفراً، كالبرص والعمى وأشباههما، ومما يُروى من الراويات في حق يعقوب وأيوب، عليهما الصلاة والسلام أباطيل وافتراءات ليس لها أيُّ سند صحيح، بل هو نسيج خيالات وخرافات بني إسرائيل، وافتراءاتهم على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وليس لها صلة بواقع الحال[1].

وليس أدل على ذلك وقوع المرض عليه ﷺ قول عائشة رضي الله عنها:.....، وكان ﷺ إذا شغله عن قيام الليل نومٌ، أو وجع، أو مرضٌ، صلى من النّهار اثنتي عشرة ركعة...[2].

المبحث الأول:

في شدة الوجع عليه ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّ رسول الله ﷺ طرقه وجع، فجعل يشتكي، ويتقلب على فراشه، فقلت: - أي عائشة -: لو صنع هذه بعضنا لوجدت عليه، فقال رسول الله ﷺ «إن الصالحين يشدَّدُ عليهم، وإنه لا يصيبُ مؤمناً، نكبة من شوكةٍ، فما فوق ذلك، إلا حُطَّتْ به عنه خطيئة ورفع له بها درجة»[3]... [*]...

---

(١) انظر شرح الجوهرة ٢٨٢.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٥٤/٦، واللفظ له و٩٥/٦، والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٧٣. ومسلم ٧٤٦.

(٣) رواه أحمد في المسند: ١٦٠/٦ و٢١٥ واللفظ له والحاكم ٣١٩/٣ و٣٢٠، ووافقه الذهبي على =

قلت والظاهر من الحديث أن تقلبه ﷺ من الوجع على فراشه، إنما كان بسبب وجع الخاصرة، الناتجة، عن تحرك الرمل في الكلى، يؤيده قول عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عروق الكلية، وهي الخاصرة، تأخذ رسول الله ﷺ شهراً ما يستطيع أن يخرج إلى الناس..[١].

وشدة الوجع عليه ﷺ مروي عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو.... يوعك[٢] فمسسته، فقلتُ يا رسول الله، إنك

=

تصحيحه، ابن حبان ٢٩١٩، وابن سعد: ٢٠٦/٢، والطحاوي في مشكل الآثار ٢٢١ و٢٢١٢، وقال في الموسوعة ١٠/٤٣ إسناده رجاله رجال الشيخين.

(*) وقال النووي رحمه الله تعالى في شرحه: ١٢٩/١٦، «قال العلماء والحكمة في كون الأنبياء أشدَّ بلاءً من غيرهم، أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير، ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم» اهـ.

وقال ابن بطّال في شرحه على صحيح البخاري: ٣٩٤/٩ «ولعل شدة الوجع والبلاء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ أنّ البلاء يكون في مقابلة النعمة فمن كانت نعمة الله عليه أكثر، كان البلاء عليه أشد» اهـ

وزاد في إرشادي السار ي: ٣٨٠/١٢ وفتح الباري ١١٧/١٠ «ومن ثم ضوعف حدُّ الحر على العبد، وقبل لأمهات المؤمنين ﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ الأحزاب آية ٣٠». اهـ

وزاد في العيني في عمدة القاري: ٣١٤/٢١ - ٣١٥ «ولما كانت نعمة النبوة والرسالة لا تعلوها نعمة، لذا كان الوجع إذا نزل برسول الله ﷺ كان شديداً، وفي الحديث دلالةُ على أن القوي يتحمل ما حُمّل، والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان عليه البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه، وأعلى من ذلك من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه، فيُسلم ولا يعترض، وأرفع منه من شغلته المحبة عن طلب رفع البلاء، وأنهى المراتب وأعلاها من يتلذذ بالبلاء، لأنه عن اختيار الله له نشأ» اهـ.

وفي المفهم: ٤٣٧/٦ بعض ما ذكر.

وزاد في التكملة: ١٩١/٥ «وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلم، لما في ذلك من تكفير الخطايا، والذنوب فإن لم توجد، ففيه رفع الدرجات وزيادة الحسنات، وهذا هو الذي عليه جماهير العلماء» بتصرف واختصار.

(١) الحديث: رواه أبو يعلى في مسنده: ٢٠٧/٥ قال الهيتمي في مجمع الزوائد: ٢٩٢/٢ فيه محمد ابن إسحاق مدلس، وبقية رجاله ثقات، وقال الشامي في سيرته ٢٢٧/١٢، سنده، جيد.

(٢) في النهاية: «الوعك: هو الحمّى، وقيل ألمُها، وقد وعكه المرض وعكاً ووعك فهو موعوك» اهـ مادة وعك.

لتوعك وعكاً شديداً؟ قال: أجل، إني أوعكُ كما يوعك رجلان منكُمْ، قلت: إنّ لك أجرين؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، ما على الأرض مسلم يُصيبُهُ أذىً، من مرض فما سواه، إلا حط الله عنه خطاياهُ كماتحطُّ الشجرُ ورقها[1]..

مطلب: في كثرة مرضه ﷺ في آخر حياته

عن عروة[2] بن الزبير رضي الله عنه قال: يا أمّاه لا أعجب من فهمك، أقول زوجة رسول الله ﷺ، وابنة أبي بكر رضي الله عنه، ولا أعجب من علمك بالشّعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبي بكر، وكان أبو بكر رضي الله عنه من أعلم الناس بذلك، ولكن أعجب من علمك بالطّبِ، كيف هو؟ ومن أين هو؟ قال: فقالت: أي عُرية، إن رسول الله ﷺ كان يسقمُ في آخر عمره، فكانت تقدِمُ عليه وفود العرب من كل وجه، فتنْعتُ له الأدوية، وكنتُ أعالجها له، فمن ثمّ[3]...[*]...

(١) الحديث: رواه أحمد في المسند ٣٨٢/٢، واللفظ له، ورواه البخاري: ٥٦٤٧ و٥٦٤٨ و٥٦٦٠ و٥٦٦٧٠، ومسلم ٢٥٧٢ وأحمد ٨٨/٦، وكذا عن جابر بن عبدالله عند مسلم ٢٥٧٥، ومن حديث أبي سعيد الخدري في المسند: ٤/٣ وأبو يعلى ١٢٥٦ وابن أبي شيبة ٢٣٠/٣، ومسلم في الصحيح ٢٥٧٣، والبيهقي في الشعب ٩٨٣٣، وفي السنن ٣٧٣/٣.

(٢) هو عروة بن الزبير حواري رسول الله ﷺ ابن العوام عالم المدينة القرشي الأسدي المدني الفقيه، أحد الفقهاء السبعة، أمه أسماء بنت أبي بكر، لازم خالته عائشة وتفقه عليها، مات سنة ثلاث وتسعين وقيل أربعة وتسعين، السير: ٢٢١/٣، والطبقات الكبرى: ١٧٨/٥، والحلية: ١٧٦/٢، والتذكرة: ٥٨/١.

(٣) رواه أحمد في المسند: ٦٧/٦ واللفظ له، والبخاري في تاريخه: ٢٠٩/٥، وأبو نعيم في الحلية: ٢/ ٥٠، والطبراني في الكبير ٢٩٥/٢٣ و٢٩٤/٢٣ والطبراني في الأوسط ٦٠٦٤. وقال في الموسوعة الحديثية: ٤٤١/٤٠. حديث صحيح.

(*) «قلت: وفيه أن رسول الله ﷺ كان كثير الأسقام في آخر حياته. وفيه دليل على سعة علم عائشة رضي الله عنها.

وهذا ما شهد به القاصي والداني، ففي السير: ١٣٥/٢، روت عائشة رضي الله عنها علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه» وفي ص ١٣٩ «أن مسندها يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق الشيخان على مئة وسبعين حديثاً وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بتسعة وستين». وفيه أيضاً ص ١٩٩ «قال الزهري: لو جمع علمُ النساء، وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علماً» وفيه ص ٢٠٠ «قال عطاء: كانت عائشة أفقه النّاس وأعلمهم، وأحسن الناس رأياً في العامة».

المبحث الثاني:
في سحر اليهود له ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنّه ليُخيلُ له أنه يفعل الشيء وما يفعله..[١]... [*]....

---

(١) قلت وقصة سحره ﷺ، البخاري ٥٧٦٥.

(*) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: ١٤/١٧٤ «قال الإمام المازري رحمه الله تعالى مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة. وأنه يفرق به بين المرء وزوجه، وهذا الحديث مصرح بإثباتِهِ، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل قول من أنكره، وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بزعم أنه يحطّ من منصب النبوَّة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأنّ الدلائل القطعية قد قامت على صدقة وصحته وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهده بذلك، وتجويز ما قام بالدليل بخلافه باطل، فأمّا ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان مفضلاً من أجلها، وهو مما يعرض للبشر، فغير بعيد أن يخيّل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد يخيَّل الإنسان مثل هذا للإنسان في المنام، فلا يبعد تخيّلهُ في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيَّل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السّداد، وقال عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: إنه يأتي أهله ولا يأتيهنّ، ويروى يخيّل إليه: أي يظهر له من نشاطه، ومتقدم عادتة القدرة عليهنّ، فإذا دنى منهنّ أخذته أخذة السحر فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ذلك محمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة. قوله «حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا»، هذا دليل لاستحباب الدعاء عند حصول المكروهات، وتكريره، وحسن الالتجاء إلى الله تعالى، وقوله: مطبوب: أي المسحور، يقال طب الرجل إذا سحر فكنوا بالطب عن السحر، كما كنوا بالسليم عن اللديغ، أما المشاطة: فبضم الميم وهي الشعر الذي يسقط من الشعر الذي سقط من الرأس واللحية عن تسريحه وجفِ طلعة ذكر» وهو بمعنى وعاءُ طلع النخل وهوالغشاء الذي يكون بقول: طلعة ذكرك، وهو بإضافة طلعة إلى ذكر، ووقع في رواية للبخاري من رواية ابن عيينة «ومشاقة» بدل مشاطة، وهي المشاطة أيضاً، وقيل: مشاقة الكتان، أما بئر أروان، فهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق، وقولها: فقلت يا رسول الله ﷺ أفلا أستخرجنه، وفي الرواية الثانية: أفلا حرقتُهُ، وكلاهما في الصحيح، أي فطلبت منه عائشة إخراجه ثم إحراقُهُ، فدفنها رسول الله ﷺ وأخبر أن الله قد عافاه، وأنهُ يخاف من إخراجه وإحراقه وإشاعة هذا ضرراً وشراً على المسلمين، من تذكر السحر أو تعلمه وشيوعه» اهـ باختصار.

=

مطلب:
في تداويه ﷺ بالرقية وأمره بها

ومن البديهيات المعلومة لدى المسلم أن الشافي هو الله تعالى، وإذا كان الشفاء من الله تعالى، فالذي يشفي بالأسباب المادية وهو الدواء، فكذا يشفي سبحانه وتعالى بالشفاء الروحي، والذي هو الرقية بالقرآن أو بما ورد عن النبي ﷺ من الأدعية.

وكما أنه ﷺ استعمل العلاج المادي، فكذلك استعمل العلاج الروحي، أو كما سمّاه ابن القيم، الإلهي، تقول عائشة رضي الله عنها، كان النبي ﷺ إذا اشتكى رقاه جبريل عليه السلام فقال: بسم الله أرقيك من كل شيءٍ يوذيك، ومن شرِّ حاسد إذا حسد، ومن شرِّ كلِّ ذي عين»(١)... (*).

=

وكذا في التكملة: ٤/١٧١ - ١٧٩.

وأما ما يعالج به من السحر، فقال في المواهب ٩/ ٤٥١ «ذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فتدقُّ ثم يضرب ذلك بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي، والإخلاص، والمعوذتين، ثم يحسو منه ثلاث حسيات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه ما كان به، وهو مُجرّب للرجل إذا احتبس عن أهله. وممن صرّح بجواز النشرة المزني عن الشافعي، والطبري، وقال الزرقاني: والشعبي ويحيى بن سعيد، وجاءت بها آثار واستدل بجوازها بقول: عائشة: أفلا تنتشرْ، فلم ينكر عليها، وإنما قال أما أنا فالله فقد شفاني» اهـ باختصار. وانظر إعانة الطالبين ٤/١٣٢٦ والمجموع ٩/٦٧.

(١) الحديث أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند: ٦/١٦٠، وابن سعد: ٢/٢١٣، ومسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى رقم ٢٨٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣٤٠.

(*) قلت: والحديث عن أبي سعيد الخدري في مسند الإمام أحمد ٣/٢٨، ومسلم ٢١٨٦، والترمذي ٩٧٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة ١٠٠٥، وابن ماجه ٣٥٢٣، وأبو يعلى ١٠٠٦٦، والطبراني في الدعاء ١٠٩٦.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٤/ ١٧٠ «هذا تصريح بالرقى بأسماء الله تعالى وفيه توكيد الرقية والدعاء، وتكريره، وقيل المراد بالنفس نفس الآدمي، وقيل المراد بها العين، فإنّ النفس تطلق على العين، ويقال رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه، كما في الرواية الآخرى من شر كل ذي عيْن ويكون قوله أو عين حاسد من باب التوكيد بلفظ محتمل أو شكاً من الرواية في لفظه والله اعلم. ثم قال: وأما الإصابة بالعين فأثبته جماهير العلماء، وأنكره طوائف من المبتدعة. ومذهب أهل السنة أن العين حق، وإنما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى، وأجرى الله تعالى العادة أنّ يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر» اهـ - ما قاله النووي. وكذا المفهم: ٥/٥٨٠ - ٥٨١، والتكملة: ٤/١٨٥ - ١٨٦.

=

المبحث الثالث:

حاله ﷺ في مرضه الأخير حتى وفاته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئ فيه، - أي مرضه - فقلتُ: وارأساه، فقال: «بل أنا ورأساه، أدعي لي أباك وأخاك حتّى أكتبَ كتاباً لأبي بكر، فإنّي أخاف أن يقول قائلٌ، ويتمنّى متمنّ: أنا أولى، ويأبى الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر»[1]... [*]....

فلما اشتد عليه ﷺ المرض استأذن أزواجه أن يُمرض في بيت عائشة فأذنّ له، فخرج معتمداً على العباس وعلى رجلٍ آخر، ورجلاه تخطان الأرض فقال ابن عباس أتدري من ذلك الرجل؟ هو علي بن أبي طالب - قال الزهري - فقال النبي ﷺ وهو

=

وقالت عائشة رضي الله عنها: أمرني رسول الله ﷺ أن نسترقي من العين: الحديث وصحيح البخاري في كتاب الطب: ٥٧٣٨ ومسلم ٢١٩٥ وأحمد في المسند /٦٣/٦.

وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: ١٦٩/١٤، «وفي ذكر أحاديث الرقى، والحديث في الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، فقد يظَنّ مخالفاً لهذه الأحاديث، ولا مخالفة بل المراد في ترك الرقى التي هي من كلام الكفار والرقى المجهولة، والتي بغير العربية، وما لا يعرف معناها، وهذه مذمومة لاحتمال أن معناها، كفر أو قريب منه أو مكروه، وأما الرقى بآيات القرآن، والأذكار المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة، ومن العلماء من قال في الجمع بين الأحادث، أن المدح في ترك الرقى للأفضلية، وبيان فضيلة التوكل، والذي فعل الرقى والأذن فيها لبيان الجواز مع أنّ تركها أفضل، وبهذا قال ابن عبدالبر وقد نقلوا الإجماع على جواز الرقى بالآيات والأذكار الواردة عن النبي ﷺ، ومنهيّ عنها إذا كانت بما لا يُدرى معناه لجواز أن يكون فيها كفر» اهـ باختصار.

(١) رواه البخاري ٥٦٦٦ و٧٢١٧، ومسلم ٢٣٨٧.

(*) قال العيني في عمدة القاري: ٣٣٠/٢١ «وفيه أنه يجوز للمريض الشكوى إذا كان على أساس الطلب من الله الشفاء أو على غير طريق التضجر من القدر، إذ إن الألم لا يقدرُ أحد على دفعه، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك، فلا يُستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه شيء في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوّه والجزع الزائد، لأن فعل ذلك يخرج الإنسان عن معاني أهل الصبر، وأما مجرد الشكوى فليس مذموماً حتى يحصل السخط للقدر» اهـ باختصار.

وكذا في فتح الباري: ١٢٩/١٠ وزاد «وقد اتفق العلماء على كراهية شكوى العبد ربّه، وذلك بذكر ما هو فيه على سبيل التضجر» اهـ. وقريب مما ذكر في إرشاد السار ي: ٣٩٦/١٢.

ببيت ميمونة، لعبدالله بن زمعة، مُر الناس فليصلّوا، فلقي عمر، فقال يا عمر صلِّ بالنّاس، فصلى بهم، فسمع رسول الله ﷺ صوت عمر فعرفه، وكان جهير الصوت، فقال رسول الله ﷺ: أليس هذا صوت عمر؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ: قال يأبي الله عز وجل ذلك والمؤمنون، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، قال عبدالله عن عائشة رضي الله عنها إنه لما دخل رسول الله ﷺ بيت عائشة، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ لا يملك دمعه، وإنّه إذا قرأ القرآن بكى، قالت: وما قلتُ ذلك إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأبي بكر أن يكون أول من قام مَقام رسول الله ﷺ فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فراجعتُهُ فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس إنكنّ صواحب يوسف[1].

---

(١) الحديث: قلت: هو هكذا بهذا السياق في مسند أحمد: ٣٤/٦، قال في الموسوعة الحديثية: ٤/ ٦٩، إسناده صحيح دون قصة عمر فهو ضعيف لانقطاعه، وتفرد بوصله محمد بن إسحاق كما في الرواية الثانية في المسند: ٣٢٢/٤ وهي عند أبي داود ٤٦٦٠ والطبراني في الكبير ٤٤٦/١٣، وابن أبي عاصم في السنة ١١٦١، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ: ٢٤٣/١، والطحاوي في مشكل الآثار ٤٢٥٣، والحاكم: ٦٤٠/٣، وفي الطبقات: ٢٢٠/٢.
وفي شرح ابن بطال: ٤٠٢/٩، وزاد المسلم: ٢/٣ و١١٠/٢، واشتد المرض عليه ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها حتى أغمي عليه - الحديث: انظر ذلك في مسند أحمد: ٤٣٨/٦، وابن حبان ٦٥٨٧، والحاكم في المستدرك: ٢٠٢/٤. ووافقه الذهبي على تصحيحه، وعبدالرزاق في المصنف: ٩٧٥٤، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ /٥١٠/١.
والصحيح من ذلك عند البخاري: ١٩٨ و٦٧٨ و٣٣٨ و٤٤٤٢، ومسلم ٤١٨ و٤٢٠.
وقال في شرح المواهب: ١١٠/١٢ «صلى أبي بكر بالناس سبع عشرة صلاة في مرضه ﷺ» اهـ.
قلت: وهذه الروايات المتعددة عن جمع من الصحابة الكرام كلها تدل على الجزم والقطع بصحة ذلك، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ وعن جبير بن مطعم أن امرأة من الأنصار أتت رسول الله ﷺ فكلمتْهُ، فأمرها بأمر، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن لم أجدك قال: - كأنها تعني الموت - قال: إن لم تجديني فائتي أبا بكر» - الحديث والبخاري، ومسلم ٢٣٨٦.
«وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً؟ لو استخْلَفهُ قالت أبو بكر، فقيل لها: ثم من من بعد أبي بكر قالت: عمر، ثم قيل لها من بعد عمر قالت: أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا» - الحديث رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٣٨٥.
وقال القرطبي في المفهم: ٢٤٦/٦ و٢٥٠ «وهذه النصوص وإن لم تكن نصًّا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، لكنه ظواهر قوية إذا انضاف إليه استقراء ما في الشريعة مما يدل على معاني الفضل لأبي بكر، علم ضرورة استحقاقه رضي الله عنه للخلافة وانعقادها له ضرورة شرعية، =

المبحث الرابع:
في آخر وصاياه ﷺ قُبيل وفاته

لقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من بعده شرَّ الاختلاف، وفساد ذات

=

والقادح في خلافته مقطوع بخطئه وتفسيقه، وهل يُكفر أم لا؟ خلاف في ذلك والأظهر تكفيرهُ لمن استقرأ ما في الشريعة مما يدل على استحقاقه لها، وأنّه أحقُّ وأولى بها، سيّما وقد انعقد إجماع الصحابة على ذلك» اهـ.

وكذا في شرح النووي: ١٥/١٥٤ وزاد «وأما ما تدعيه الشيعة من النص على علي رضي الله عنه والوصية له باطل لا أصل له باتفاق المسلمين، والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن علي رضي الله عنه، وأول من كذّبهم بذلك علي رضي الله عنه نفسه» اهـ.

وهذا الرد الذي أشار إليه النووي ذكره ابن حجر الهيتمي في الصواعق ص ٩٣ «وروي من طريق كثيرة عن علي رضي الله عنه أنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد إلى رسول الله ﷺ عهداً لجاهدتُ عليه، ولو لم أجد إلا ردائي، ولم أترك أبا بكر رضي الله عنه يصعد درجة واحدة من منبره ﷺ». اهـ. وقد أسهب في الصواعق المحرقة في هذا الموضوع ص ٨٦. وما بعدها فليراجع وكذا في زاد المسلم: ٢/١٢٢.

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ٢٢٣ «ولما ذهبت الخلافة الظاهرة عن أهل بيت النبي ﷺ لكونها صارت ملكاً عوضوا عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم».

وقال القرطبي في المفهم: ٤/٥٥٧ «وقد أكثر الشيعة والروافض من الأحاديث الباطلة الكاذبة، وادعوا نصوصاً على استخلاف النبي ﷺ علياً رضي الله عنه، وادعوا أنها متواترة عندهم، وهذا كله كذب مركب ولو كان شيئاً من ذلك صحيحاً لما سكت عليه الصحابة رضي الله عنهم، ولذكره علي رضي الله عنه، ولما حل له أن يسكت عن حقه، وهو الذي يعلم عنه صلابتُه في الدين وشجاعتُهُ رضي الله عنه، ولا يتقي أحداً في سبيل حقه وفي دين الله تعالى، كما لم يتق معاوية، وأهل الشام حينما امتنعوا عن بيعته بعدما ما بايعه أهل الحل والعقد في المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ معلم من ذلك قطعاً كذب من ادعى الوصية» اهـ، ببعض التصرف.

وعلي رضي الله عنه نفسه لما سئل أخصكم رسول الله ﷺ بشيء فقال: «ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يخص الناس به إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة، قيل وما في هذه الصحيفة قال: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وفيها بيان حرم المدينة، وفيها شيء من الفرائض» الحديث - رواه أحمد في المسند: ١/١١٩ - ١٥١، وأبو داود ٢٠٣٥ والنسائي: ٨/٢٤ و٢٠، وأبو يعلى ٥٦٢ و٣٣٨، والطبري في تهذيب الآثار. ص ١٩٧، والبيهقي: ٧/١٣٣ - و١٣٤، والبزار ٧١٣.

قلت والرواية في ذلك تختلف بألفاظها وأسانيدها لكنها متقاربة لفظاً ومعنىً.

البين، ومن هنا كانت إرادته ﷺ أن يكتب كتاباً باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه، ولكنه عدل عمّا همّ به، اكتفاءً بتلك الإشارات الواضحة التي كان يطلقها في حقِّ أبي بكر رضي الله عنه، ولئلا يكون العهد أو الاستخلاف سنة من بعده متبعة، تُغلق باب الاجتهاد والشورى والنصح للأمة، وتفتح عليها من أبواب الهوى والشر ما لا طاقة لها به، ومن هنا كان ﷺ لا يفتأ يأمرهم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة لمن يتولى أمرهم ويقودهم بكتاب الله تعالى، ولو كان المتأمر عبداً حبشياً طالما أنه أقام الصلاة ولم يأمر بمعصية، كما أوصى الولاة بالعدل والرفق بالأمة، وينذر من شقّ عليهم، ومن غشهم بالخزي والخذلان، وأيّاً ما كان ذلك الكتاب الذي كان يريد رسول الله ﷺ كتابته، أو الذي كان سيعهد إليه، فقد كفانا مؤونة ذلك بما ترك فينا، مما لو تمسكنا به لن نضل أبداً: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حيث لم يترك ﷺ خيراً إلا أوصى به أمته ولم يترك شراً إلا وحذر منه أمته، علمه من علمه وجهله من جهله وأقام بذلك الحجة على العباد وأشهدهم بأنهم بلغهم ذلك وشهد الصحابة رضي الله عنهم له بذلك[١] وقد وصَّى ﷺ أمته عند وفاته بوصايا نعرض لها بالتفصيل.

المطلب الأول:

في وصيته ﷺ بالأنصار

ولما مرض النبي ﷺ وثقل عليه المرض، جلس الأنصار يبكون، فمرّ عليهم أبو بكر رضي الله عنه، فقال ما يبكيكم قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ فأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ وقد عصب رأسه على حاشية برد، قال: «فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي[٢] وعيبتي[٣]، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن

---

(١) انظر كتاب من ذخائر السّنة النبوية: ٢/٧٧٤ باختصار.

(٢) في النهاية: «أراد ﷺ أنهم بطانته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك، لأنّ المجترّ يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته، وقيل أراد بالكرش الجماعة، أي جماعتي وصحابتي، ويقال عليه كرش من الناس، أي: جماعة» اهـ مادة كرش.

(٣) وفيها أيضاً: «عيبتي: أي خاصتي وموضع سري، والعرب تكنى عن القلوب، والصدور بالعياب، لأنهما مستودع السرائر، كما أن العيب مستودع الثياب، ومفردها عيبة» اهـ مادة عيب.

مسيئهم»[1].... [*]....

المطلب الثاني:
في وصيته أمته أن يحسنوا الظنّ بالله

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتَنّ أحدكُم، إلا وهو يُحسنُ الظن بالله تعالى»[2].... [*]...

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣٧٩٩ و- ٣٨ و٣٩٠١، ومسلم في صحيحه ٢٥١٠، وأحمد في المسند: ١٧٦/٣، والترمذي: ٣٦٠٧.

(*) قال في التكملة: ١٤١/٥ «والحاصل أن الأنصار جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمد عليهم في أموري» اهـ.

وفي عمدة القاري: ١٦/ ٣٦٦ «وإنما كان بكاؤهم خوفاً على وفاة النبي ﷺ فيفقدوا مجلسه معهم فبكوا حزناً على ذلك» وفي إرشاد الساري: ٨/ ٢٧٣ «فيه دليل على محبته، ﷺ للأنصار، ووصايته أمته بهم» اهـ. وكذا في فتح الباري: ٧/ ١٥٣ وشرح النووي: ١٨/١٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢٨٧٧، وأبو داود ٣١١٣، وابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظنّ بالله رقم والبغوي في الجعديات: ٣٠٩٧، وابن حبان ٦٣٧.

(*) قال النووي في شرحه: ٢٥٩/١٧ «قال العلماء هذا تحذيرٌ من القنوط، وحثّ على الرجاء عند الخاتمة، ومعنى حسن الظن بالله تعالى: أي أن يظنّ العبد أنّ الله يرحمه، ويعفو عنه» اهـ.

وقال في عون المعبود: ٢٦٥/٨ «والمعنى لايموت أحدكم في حال من الأحوال إلا في هذه الحالة وهي حسن الظن بالله تعالى بأن يغفر له، وإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله تعالى، وإنما يحسن الظن بالله تعالى من حسن عمله، فكأنه ﷺ قال: أحسنوا أعمالكم يحسن ظنكم بالله تعالى، فمن ساء عمله ساء ظنّه، ويجوز أن يكون المراد به الترغيب في التوبة والخروج من المظالم، فإذا فعل المسلم ذلك حسن الظن بالله تعالى ورجاء رحمته» اهـ باختصار وتصرف.

وقال أبو العباس القرطبي في المفهم: ٧/ ١٤٢ - ١٤٣ «والمعنى: استصحبوا الأعمال الصالحة، والآداب الحسنة التي يرتجي العامل لها قبولها، ويُحققُ ظنّهُ برحمة ربّه عند فعلها، فإن رحمة الله قريبٌ من المحسنين، وعقابه قريب على العصاة والمذنبين، وإنّ حسن الظن بغير عملٍ غِرّة، كما قال ﷺ: الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنىّ على الله الأماني - الحديث: رواه أحمد ١٢٤/٤، والترمذي ٢٤٥٩، وقال حديث حسن والحاكم: ٥٧/١ و٢٥١/٣، ووافقه الذهبي على تصحيحه وغيرهم - وهذا إنما يكون في حالة الصحة والقوّة على العمل، وأما ففي حال حضور الموت، فليس له غير الفكر في سعة رحمة الله تعالى، وعظيم فضله، وأنه لا يتعاظمه ذنب يغفره، وأنه الكريم الحليم، والغفور الشكور، المنعم الرحيم، ويُذكّر بآيات الرحمة وأحاديثها لعل ذلك يقع في قلبه فيُحبُّ الله تعالى فيلقى الله وهو على ذلك، فيحشر في زمرة التائبين بعد أن كان في زمرة الخطائين» اهـ باختصار.

المطلب الثالث:
في وصيته ﷺ بإخراج المشركين
من جزيرة العرب وإجازة الوفود

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوصى رسول الله ﷺ عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنتُ أجيزهُمْ، ونسيتُ الثالثة[1].... [*]....

---

(١) رواه البخاري في ٣٠٣٥، ومسلم.

(*) قال في النهاية: «جزيرة العرب، قال أبو عبيد: هي ما بين خفر أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن في الطول، وما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة في العرض، وقيل: هي من أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً، ومن جُدة وساحل البحر الأحمر إلى أطراف بلاد الشام عرضاً، قال الأزهري: سميت جزيرة لأن بحر فارس - المحيط وبحر السودان - الأحمر - أحاطا بجانبيها وأحاط بالجانب الشمالي منها، دجلة والفرات، وقال مالك بن أنس: أراد النبي ﷺ بجزيرة العرب، المدينة المنورة نفسها، وإذا أطلقت الجزيرة العربية في الحديث، ولم تضف إلى العرب، فإنما يراد بها، ما بين دجلة والفرات» اهـ مادة جزر.

وينظر في ذلك عون المعبود: ١٩١/٨، وشرح النووي: ٩٣/١١، وفتح الباري: ١٩٧/٦، وفي المفهم ٥٦١/٤.

وقال في عون المعبود: ١٩١/٨ «ظاهره أنه يجب إخراج كل مشرك من جزيرة العرب يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك» اهـ. والذي قاله النووي في شرحه: ٩٣/١١ «وأخذ بهذا الحديث مالك والشافعي وغيرهما من العلماء فأوجبوا إخراج الكفار منها، وخص الشافعي الحكم بمكة والمدينة واليمامة وأعمالها دون اليمن وغيره ممن هو من جزيرة العرب بدليل آخر مشهور في كتبه وكتب أصحابه، قال العلماء، ولا يمنع الكفار من التردد مسافرين في الحجاز ولا يمكنون من الإقامة فيها أكثر من ثلاثة أيام، قال الشافعي وموافقوه إلا مكة وحرمها فلا يجوز تمكين دخول كافر إليها بحال من الأحوال، فإن دخله خفيه وجب إخراجه، فإن مات ودفن فيه نبش وأخرج مالم يتغير هذا مذهب الشافعي وجماهير الفقهاء، وجوز أبو حنيفة رحمه الله تعالى دخولهم الحرم لحاجة أو لاستخدام» اهـ باختصار.

وقال القرطبي في المفهم: ٥٦٢/٤ «قوله: وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزهم» هذا منه ﷺ عهدٌ ووصيةُ لولاة المسلمين بإكرام الوفود، والإحسان إليهم، قضاء لحق قصدهم، ورفقاً بهم، واستئلافاً لهم، وسواء في ذلك كانو مسلمين أو كفار، لأن الكافر إنما يفد في مصالح المسلمين، وهذه سنة لازمة للأمة بعد النبي ﷺ» اهـ باختصار.

وقال ابن حجر في الفتح: ٧٤١/٧ «قوله وسكت عن الثالثة: يحتمل أن يكون القائل ذلك: هو سعيد بن جبير، ثم وجدت عند الإسماعيلي، التصريح بأن قائل ذلك هو ابن عيينة، وهذا هو =

المطلب الرابع:
في وصيته ﷺ أن لا تتخذ أمته قبره وثناً

عن عبدالله بن عباس، وعائشة رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ - أي مرض - طفق يلقي خميصه[1] على وجهه، فإذا اغتّم رفعناها عنه، وهو يقول: «لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» تقول عائشة: يجذيهم مثل الذي صنعوا[2]... [*]....

=

الأرجح». وقال النووي في شرحه: ٩٤/١١ «الساكت ابن عباس والناسي سعيد بن جبير» اهـ. وكذا في المفهم: ٥٦٢/٤.

قلت: لكن الحميدي في مسنده: ٢٤٢/٥ رقم ٥٦١ «قال: سفيان: قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد بن جبير الثالثة فنسيتها أو سكت عنها» اهـ. فثبت بقول الحميدي، أن السكوت والنسيان لم يكن من ابن عباس، وإنما هو أي الساكت أو الناسي سعيد بن جبير وليس أيضاً القائل ذلك سعيد بن جبير وإنما هو سفيان بن عيينة عن سليمان اهـ. واختلف العلماء في الوصية الثالثة: ففي فتح الباري: ٧/ ٧٤١ «قال الدراوردي: الثالثة: هي الوصية بالقرآن، وبه جزم ابن التين، وقال المهلب: بل هو تجهيز جيش أسامة، وقال عياض: يحتمل أن تكون هي قوله: ولا تتخذوا قبري وثناً، ويحتمل أن يكون الصلاة وما ملكت أيمانكم» اهـ باختصار.

وكذا في عمدة القاري: ١٣٠/١٤، وإرشاد الساري: ٥٢٦/٦، واختار ابن بطال في شرحه: ٦/ ٢١١ «أن تكون الوصية الثالثة هي إنفاذ جيش أسامة، فإن الصحابة لما اختلفوا في إنفاذ جيش أسامة، قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ عهد إليَّ بذلك عند وفاته» اهـ باختصار وتصرف.

وقال في التكملة ٨٤/٢ «والكل محتمل، ولا سبيل إلى الجزم بتعيينها بعد ما نسي الراوي»».

(١) في النهاية: «الخميصة: هي ثوب خزّ أو صوف مُعلم، وقيل لا تسمّى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديماً، وجمعها الخمائص» اهـ مادة خمص.

(٢) رواه البخاري ٤٣٥ و٤٣٦ و٣٤٥٣ و٣٤٥٤ و٤٤٤٢ و٥٨١ و٥٨١٦، ومسلم ٥٣١.

(*) قال ابن عبدالبر في التمهيد: ٤٥/٥ «خشي رسول الله ﷺ على أمته أن يصنعوا كما صنع بعض من سلف من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبيٌّ عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، هذا تحذيرٌ منه ﷺ أن نصنع كما صنعت الأمم السابقة» اهـ. باختصار.

وقال في كشف الستور ص ٥٩ «جملة اتخذوا» جملة استئنافية جاءت على سبيل البيان لموجب اللعن، كأن سائلاً يسأل لماذا استحقوا اللعن، فكان الجواب: «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

ولما كان اللعنُ أمراً عظيماً وموجباً لسخط الله تبارك وتعالى وجب النظر بعين العناية للموجب، وهو قوله: اتخذوا قبور أنبيائهمْ مساجد»، فأقول وبالله التوفيق: «اتخذ» فعلُ يتعدّى لمفعول

=

=

واحد كما في قولك: اتخذتُ سيارة، أو لمفعولين كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً﴾ و«قبور» و«مساجد» مفعولي «اتخذ» وقد اكتفى هذا الفعل بالمفعولين وتم الكلام، والمساجد جمع مسجد، والمسجد اسم مكان، فالحديث يتناول مكاناً هو عين القبر من حيث السجود وعليه فالحديث لا يتناول أي مكان آخر غير عين القبر فلا يدخل فيه ما حول القبر أو ما جاوره، أو ما كان فوق القبر غير صامتٍ له، أي على غير متنه» اهـ.

قلت: ولما كان هناك طائفة ممن أخذ على نفسه عهداً بتكفير في المسألة المتعلقة بزيارة القبور والتبرك بها فلا بد من أدلّة الغموض في هذه المسأة.

قال الكوثري رحمه الله في المقالات ص ٤٦٧ «ولقد رمى هؤلاء زوار القبور والمتوسلين بالأخيار بالكفر والشرك، وهذا غلو وإسراف في هذا الحكم على الأمة المسلمة الموحدة، ولقد سبق في الردّ على هؤلاء الصنعاني حينما ردّ على الشوكاني في هذا المسألة فقال في إرشاد ذوي الألباب» عند حديثة عن الذين يسميهم الشوكاني واتباعه قبوريين مشركين فقال، هؤلاء مثبتون التوحيد لا يجعلون الأولياء آلهة؟ بل هم مثبتون لتوحيد الله بالألوهية قائلون إنه: لا إله إلا الله، ولو ضربْتَ عنق أحدهم على أن يقول إن الوليّ إله مع الله لما قالها.

أما الالتزام والتبرك بقبر النبي ﷺ بل وتقبيله جائز ودليله:

أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، - أي قبر النبي ﷺ - فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم جئتُ رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليهُ أهله، ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غير أهله» رواه أحمد في المسند: ٤٢/٥، والحاكم: ٥١٥/٤، والطبراني في الكبير ٣٩٩٩، في الأوسط ٢٨٦ و٣٩٦٢، ووافق الذهبي الحاكم على تصحيح الحديث.

وقال: في كشف الستور ص ٢٩١ - وهذا نصّ يسكتُ عنده المخالف» وفي ص ٢٩٦ قال: «ولا يوجد دليل يفيد تحريم أو حتى كراهة مس أي قبر سواء قبر النبي أو لولي أو لعموم المسلمين، منع مسّ قبر النبي ﷺ من باب الأدب فقط، ولذا من صرح لم يصرح إلا بالكراهية فقط، والمكروه جائز الفعل، وإن كان خلاف الأولى» اهـ بتصرف.

قلت: بلْ إنّ من قبل قبر النبي ﷺ قد يؤجر إن صدقت محبتُه.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في الفتاوى الحديثية: «فنقول إذا جاز التبرك والتمسّح بيدي النبي ﷺ، وبصاقه وشعره، وبالماء الذي وضع يده الشريفة فيه وكل ذلك مروي بالأحاديث الصحيحة المشتهرة - ولم يكُن ذلك شركاً ولا عبادة له ﷺ جاز التبرك بقبره الشريف الذي حوى جسده الشريف لأنّه تبرّك بآثاره، أيها المبدعون هل تقولون إنّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم أشركوا بفعلهم هذا وأقرهم رسول الله ﷺ على شركهم أم أنتُم مخطئون؟

ومما يدل أيضاً على جواز التبرك بقبره ﷺ والتمسح به اضطجاعه في قبر فاطمة بنت أسد ورفع عنها ضغطة القبر ببركة نومه في القبر، فقبرها صار روضة وبركة ورحمة بسبب نزوله ﷺ فيه، فكيف لا يكون قبره الشريف الذي حوى جسده الشريف إلى يوم القيامة روضة وبركة ورحمة

=

=

ويتبرك المسلمون به ويتمسحون لينالوا من بركته ورحمته. وقد ثبت شرعاً تكريم الأنبياء عليهم السلام وتعظيمهم عند الله تعالى وعند المسلمين أحياءً وأمواتاً، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣٢) سورة الحج، هذا التعظيم لأماكن ترابيّة وجبلية في مكة فكيف للأنبياء عليهم السلام وللأولياء رضي الله عنهم فيكون تعظيمهم أكثر من تعظيم الكعبة المشرفة فكيف، بالأماكن الترابية والجبلية وهي عرفات ومزدلفة، وهي التي في احترامنا وتعظيمنا لها دون احترامنا وتعظيمنا للكعبة المشرفة بكثير فالكعبة المشرفة أفضل عند الله وأعظم من عرفات ومزدلفة ومنى وإن المسلم أفضل من الكعبة بكثير، فكيف بالأنبياء والأولياء، وكيف نعظم عرفات ومزدلفة ومنى ولا نعظم قبور الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وهم إذا دفنوا بمكان فإنّ هذا المكان اكتسب شرفاً وبركة ورحمة وفضلاً به يستحق التعظيم، كما استحق جلد الشاة العظيم حين صار جلداً للمصحف فلا يجوز وطء القبر ولا الجلوس عليه كما أن جلد المصحف نال البركة، والتقبيل، وكذا الورق بمجاورة المصحف ووجب تعظيمهُ وتحرم أهانته وتنجيسه، فمن احترام المصحف احترام جلده - وورقه - فكذلك من احترام الأنبياء عليهم السلام والأولياء احترام قبورهم المتشرفة بأجسادهم الشريفة فإن تعظيم قبور الأنبياء والأولياء وفضلها على غيرها وبركتها ثابت شرعاً وأنّها مهبط الرحمات الإلهية، كتعظيم المقام الذي تشرّف بقدم إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة المشرفة - ثم ساق حديث أبي أيوب السابق ذكره - وساق قصة بلال كيف قصد قبر النبي ﷺ وصار يبكي ومرّغ وجهه على القبر الشريف وانكباب الزهراء على قبره الشريف ووضعت وجهها ومرغته بتراب القبر وأنشدت:

فكيف ننكر بعد هذا لمس قبره الشريف، الذي تبرك القبر وتشرف بملامسة جسده ﷺ ومجاورته له، وهذا موجب للبركة والرحمة ولخيري الدنيا والآخرة، وكيف يجعله المبدعون شركاً وكفراً لولا خذلانهم وحرمانهم من بركاته ﷺ، وما إيصاء أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بأن يدفنا مع النبي ﷺ إلا التماساً للبركة والرحمة من قبره بمجاورته ﷺ، فقياس المبدعين تعظيم قبور الأنبياء والأولياء، بتعظيم الأصنام التي ليس لها حرمة عند الله، قياس فاسد وجهل فاضح» اهـ. كلام ابن الهيتمي باختصار وتصرف.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلا ء: ٢١/٢١٢ «وسئل أحمد عمن يلمس رمّانه منبر النبي ﷺ ويمسّ الحجرة النبوية، فقال لا أرى بأساً. - قال الذهبي -: أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج وأهل البدع» اهـ.

أي قال ذلك الذهبي متعجباً من المنكرين، فكيف لو رأى هؤلاء المتعلمين وهم يفتون في دين بغير علم؟ لمات كمداً؟ وفي معجم الشيوخ للذهبي رحمه الله: ٧٣/١ بعد نقل كلام أحمد السابق ذكره: «فإن قيل فهلاً فعل ذلك الصحابة؟ قيل - أو قلنا -: لأن الصحابة عاينوه حيّاً، وتملّوا منه وقبلوا يده، وكادوا يقتتلون على وضوئه حيًّا واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخّم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه. ونحن لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر ترامينا على قبره بالالتزام، والتبجيل، والإستلام، والتقبيل ألا ترى كيف فعل ثابت البناني؟

=

=

كيف يقبلُ يد أنس بن مالك رضي الله عنه ويضعها على وجهه ويقول: يدٌ مست يد رسول الله ﷺ. وهذه الأمور لا يحركها إلا فرط حبه للنبي ﷺ، إذ هو مأمور بأن يحبّ الله ورسوله أشدّ من حبه لنفسه وولده والنّاس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنّة وحورها، بل هناك خلقٌ من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أكثر من حب أنفسهم - فكيف بالنبي ﷺ - ثم قال الذهبي:

وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يكفر به أصلاً، بل يكون عاصياً فليُعرف أن هذا منهي عنه وكذا الصلاة إلى القبر» اهـ كلام الذهبي.

وقال العيني في شرح صحيح البخاري: ٢٤١/٩، «وقال الحافظ العراقي وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك. وهو حسن محمود باعتبار القصد والنية، وقد قبّل أبو هريرة سرة الحسن بن علي رضي الله عنهم تبركاً بتقبيل النبي ﷺ للحسن في سرته وكذا فعل ثابت البناني بيد أنس. ثم قال: - أي - أخبرنا الحافظ العراقي قال: رأيتُ في كلام لدى أحمد بن حنبل: في جزء قديم أن الإمام أحمد رضي الله عنه غسل قميصاً للشافعي رضي الله عنه وشرب الماء الذي غسله به، وإذا كان هذا تعظيماً لأهل العلم، فكيف بمقادير الصحابة؟ فكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام» اهـ باختصار.

أما التوسل بالصالحين والدعاء عند قبورهم فإليك بعض ما اطلعتُ عليه.

قال الذهبي سير أعلام النبلاء: ٤٦٩/١٢ في ما نصه صلاة الاستسقاء عن قبر البخاري وفيه «وبكى الناسُ عند قبر البخاري، وتشفعوا به، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم» اهـ باختصار.

وفيه ١٠٧/١٠، عند ترجمة السيدة نفيسة «والدعاء مستجابٌ عند قبرها، وعند قبور الأنبياء الصالحين» اهـ باختصار.

وفيه ٦٠٣/١٢ في ترجمة القاضي بكار بن قتيبة «وقبرُه مشهور وقد عرف باستجابة الدعاء عند قبره» اهـ. وهو أيضاً في وفيات الأعيان: ٢٨٠/١ لابن خلكان.

وفيه أي السير: ٥١٩/١٦ في ترجمة الحافظ صالح بن أحمد الهمداني «ويستجاب الدعاء عند قبره»، اهـ.

وفيه ٢١٥/١٧، في ترجمة ابن فورك الأصبهاني «ومشهده بالحيرة يُزار، ويستجاب الدعاء عند قبره» اهـ.

وفيه ١٠١/١٨ في ترجمة أبي الحسن علي بن حميد الهمداني «وكان ورعاً تقياً محتشماً يُتبرك بقبره».

وفيه ٧٥٥/١٧ في ترجمة الحافظ أبي بكر الشافعي «والدعاء مستحبابُ عند قبور والأولياء».

وفيه ٧٥٥/١٧ في ترجمة الحافظ أبي بكر الشافعي «والدعاء مستجاب عند قبور والأولياء».

وفي معجم الأدباء ١٦/٤، ووفيات الأعيان: ٩٣/١. أن أبا بكر الخطيب شرب ماء زمزم. وأن يُدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي، وذكر قصة نهايتُها أن أبا بكر الخطيب دفن إلى جانب قبر بشر الحافي» اهـ وباختصار.

=

المطلب الخامس:

في وصيته ﷺ لأمته بالصلاة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كانت عامة وصيّة رسول الله ﷺ حين حضرةُ الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكُم، الصلاة وماملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغرُ بها صدرُهُ وما يكادُ يقبض بها لسانُه»(١).... (*)...

المبحث الخامس:

في الساعات الأخيرة من حياته ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: بينما المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي بهم، لم يفجأهُم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها، فنظر إليهم، وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسّم يضحك، فنكص أبو بكر

=

وفي تهذيب التهذيب: ٢٩٩/١١ في ترجمته. وقال البغوي في كتابه البصائر ص ١٤١ بعدما ساق الأدلة على جواز الدعاء عند قبور الأنبياء والأولياء «فعلم أن السؤال عند قبور الصالحين سيما الأنبياء وسيدهم محمد ﷺ وصاحبه أمر ثابتُ متوارث، وليس هذا سؤالاً من صاحب القبر، بل هو سؤال عند القبر الذي هو منزل الرحمة والبركة وكذا الدعاء عند باقي مواضع الإجابة» اهـ.

ولقد صرح ابن تيمية رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط المستقيم: ٦٨٩/٢ «بأن جماعات من أهل العلم والفضل من المتقدمين فمن بعدهم إلى عصره كانوا يتبحرون الدعاء عند القبور، وأن هذا منصوص عليه في أماكن كثيرة، واستحب العلماء المصنفون في مناسك الحج إذا زار قبر النبي ﷺ أن يدعو عنده» اهـ باختصار.

(١) رواه أحمد في المسند: ١١٧/٣ و٢٩٠/٦، ورواه النسائي في الكبرى ٧٠٩٨، وأبو يعلى في مسنده ٢٩٣٣ و٢٩٩٠، وابن حبان في صحيحه ٦٦٠٥، وابن حميد ١٢١٤، والضياء في المختارة ٢١٥٥ و٢١٥٦ و٢١٥٧، والحاكم ٥٧/٣ ووافقه على تصحيحه، الخطيب في تاريخ بغداد: ٤/ ٢٤٠، وابن سعد في الطبقات ٢٥٣/٢، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣٢٠٣و٣٢٠٠.

(*) قلت: ولو لم يكن في أهمية الصلاة والمحافظة عليها إلا هذا الحديث لكفى؟ فكيف ووصى بها القرآن الكريم، في أكثر من ثمانين آية، بين ترغيب في فعلها، وترهيب من تركها، وتواترت الأحاديث النبوية الشريفة في الترغيب أيضاً بفعلها والترهيب من تركها، وقد أورد ذلك الإمام المنذري في الترغيب والترهيب: ٢٢٩/١ حتى ص ٥١٤ فما يزيد على ثلاثمائة صفحة فلينظر، وويلاهُ لمن مات وهو تارك لها ولم ينتسب إلى الله تعالى، أو تهاون بها، فإن أنكرها وهزئ منها، فهو كافرٌ بإجماع الأمة كلها.

على عقبيه ليصل الصف، وظنّ أنّ رسول الله ﷺ يُريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده أن أتمّوا صلاتكُم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[١]... [*]...

وتثقل الحالة برسول الله ﷺ ودخل عليه في اللحظات أسامة بن زيد رضي الله عنه ورسول الله ﷺ قد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء، ثم يصبّها عليّ فعرفتُ أنه يدعو لي.

وأخذت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ وأوسدتْهُ إلى صدرها، فدخل عبدالرحمن بن أبي بكر، وبيده سواك فجعل رسول الله ﷺ ينظر إليه، فقالت عائشة آخذه لك يا رسول الله ﷺ فأشار برأسه أن نعم، فأخذتُه من عبدالرحمن ثم مضغتُهُ، ولينتُهُ، وناولتُهُ إيّاها، فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك، وكل ذلك وهو لاينفك عن قوله الرفيق الأعلى.

لما مرض رسول الله ﷺ أتاه جبريل، فقال: يا محمد، إن الله أرسلني إليك تكريماً وتشريفاً لك، وخاصة لك، وهذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك، ولن يستأذن على آدمي بعدك، فقال ﷺ لجبريل، فأذن له فدخل ملك الموت على النبي ﷺ ثم قال: يا محمد إن الله أرسلني إليك، فإن أمرتني أن أقبض قبضت، وإن أمرتني أن أترك تركت، فقال ﷺ: أو تفعل يا ملك الموت؟ قال: نعم وبذلك أمرتُ، فنظر النبي ﷺ إلى جبريل فقال له جبريل: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٤٤٤٨، وغيره.

(*) قال الندوي في سيرته ص ٤٠١ «نظر رسول الله ﷺ إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربهم، ورأى كيف أثمر غرس دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة، وتُواظب عليها بحضرته ﷺ وبغيبته، وقد قرت عينه ﷺ بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح في الدعوة الذي لم يقدر لنبي أو داع قبله، واطمأن أنّ صلاة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى صلاة دائمة، لا تقطعها وفاة نبيها، فملئ بالسرور قلبه والله به أعلم، فبدا ذلك ظاهر عليه باستنارة وجهه، وهو في الأصل منير، مع شدّة الألم عليه» اهـ.

وقال القرطبي في المفهم: ٥٣/٢ «وصفه لرسول الله ﷺ بهذه الصفة هو عبارة عما راعهم من جماله، وحسن بشرته، ومائية وجهه، فهممنا أن نفتتن في صلاتنا: أي نذهل فيها من الفرح بما ظهر منه ﷺ وبروزه لهم وتبسم رسول الله ﷺ فرحاً بما رآه من اجتماعهم في مغيبه على إمامهم وإقامة شريعتهم، ويحتمل أن يكون ضحك تأنياً لهم، وحسن عشرة والله أعلم» اهـ.

لقائك، فقال النبي ﷺ لملك الموت: امض لما أمرت به، فقبض روحه الشريفة، فلما توفي رسول الله ﷺ سمعوا قائلاً يقول: إنّ في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات فبالله ثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب(١).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء فيها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. وفي رواية: فما رأيت يوماً قطّ أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ المدينة، وشهدت وفاته، فما رأيت قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) الحديث: رواه البيهقي في الدلائل: ٢٦٧/٧ قال العراقي في تخريجه على الأخباء: ٤٧٤/٤ «لايصح ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا من حديث أنس، والطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جداً، وفيه انقطاع بين علي بن الحسين، وبين جده علي فهو مرسل» - الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٠١/٥، وفي الفضائل: ١٥٢٦، والترمذي في سننه ٣٨١٧ وقال حديث حسن، وفي الطبقات: ٦٨/٤.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند: ٢٢١/٣، واللفظ له، وابن حميد ١٢٨٩ والترمذي في السنن ٣٦١٨، وفي الشمائل ٣٧٤، وابن حبان ٦٦٣٤، والحاكم ٥٧/٣، ووافقه الذهبي على تصحيحه وأبو يعلى ٣٢٩٦ و٣٣٧٨، وابن ماجه ١٦٣١.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية: ٢٢٣/٤ «لقد فارق رسول الله ﷺ الدنيا، وجزيرة العرب تحت سلطانه وملوك الدنيا ترهبه، وأصحابه يفدونه بأرواحهم وما يملكون، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية بعد الزوال» اهـ.

رواه أحمد في المسند: ١٢٢/٣ - ١٢٣، وأبو يعلى ٣٤٨٦، وفي الفضائل لأحمد ٦٠٥ والحاكم ١٢/٣ قال في الموسوعة ٢٦٤/١٩ إسناده قوي على شرط مسلم.

وقال ابن رجب في لطائف المعارف ص ١١٤ «ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون فمنهُم من دهش، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام كعثمان، ومنهم من اعتقل لسانه، فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته) اهـ.

قلت: وأمام هذه المصيبة التي تزلزل الجبال لو نزلت عليها؟ وكيف أصبح أحوال رسول الله ﷺ حتى قال عمر رضي الله عنه ما قال؟

بينت بوضوح وجلاء أن أعلم وأفقه وأفهم أصحاب رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه؟

ومع رقة قلبه وكثرة بكائِهِ حتى سمِّي البكاء، وشدة حبه لرسول الله ﷺ لكنّه تلقاها بكل صبر ويقين وثبات.

=

ولما مات رسول الله ﷺ طاشت العقول، فمنهم من خبل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أضني، وكان عمر بن

=

وهذا القرطبي في الجامع ١٤٣/٤ - ١٤٤ يُفضِّل حقيقة ما جرى فيقول «هذه الآية دلت على شجاعة وجراءة أبي بكر رضي الله، فإن الشجاعة والجرأة حدهما يثبت عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من وفاة النبي ﷺ فظهر شجاعته وعلمه؟

قال الناس لم يمت رسول الله ﷺ منهم عمر وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر؟ فكشف الصديق الحقيقة بهذا الآية. فلما شاهد عمر قوة يقين الصديق الأكبر؟ تنبّه وتثبت، وخرّ واقعاً على الأرض حزناً على رسول الله ﷺ وهو من هو الفاروق أبي حفص، وخرج الناس يتلون الآية في سكك المدينة كأنها لم تنزل قبل ذلك وكان ذلك يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء، فإن قلت لم أخر دفنه ﷺ مع أن السنة التعجيل فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: ما تقدم من عدم اتفاقهم على موته ﷺ.

الثاني: أنهم كانوا لايعلمون أين يدفنونه. حتى قال العالم الأكبر أبو بكر رضي الله عنه يقول: ما دفن نبي إلا حيث يموت» - الحديث رواه الترمذي في السنن ١٠١٨، وقال حديث غريب، قال الترمذي، وقد روي هذا الحديث من غير وجه، فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ» اهـ.

ورواه أحمد في المسند: ٧/١، وعبدالرزاق في المصنف ٦٥٣٤ وأبو يعلى ٢٢ و٢٣ وابن ماجه ١٦٢٨ والترمذي في الشمائل ٣٧١ والطبراني في الكبير ٦٣٦٦ قال في الموسوعة ٢٠/١ حديث قوي بطرقه.

الثالث: أنهم اشتغلوا بالخلاف الذي وقع المهاجرين والأنصار في شأن البيعة، فنظروا فيها حتى استتب الأمر، وانتظم الشمل، واستوفت الحال، واستقرت الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، فكشف الله به الكربة، من أهل الردة، وأقام به الدين، والحمد لله رب العالمين» اهـ كلام القرطبي باختصار.

وبعض ماذكر في شرح المواهب: ١٧٥/١٢ - ١٧٦.

الحديث: في البخاري رقم ٤٤٥٤، فرحم الله الصديق الأكبر، والعالم الأول بعد رسول الله ﷺ فكم من مصيبة درأها عن الأمة، وكم من فتنة كان المخرج منها على يد الصديق، وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة، والتي خفيت عن مثل عمر بن الخطاب فضلاً عمن دونه، وكم كان عمر يراجعه في مواقفه، فيلقاه أبو بكر بالعزيمة والإرادة الصلبة، حتى يقول عمر رضي الله عنه: فما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر فعلمتُ أنه الحق، فالسعيد في الدنيا والآخرة، من عرف للصديق الأكبر، والعالم الفرد حقه وقدره فأحبه والشقي في الدنيا.

والآخرة من أبغضه؟ فهو حبيب رسول الله ﷺ، محبتُه إيمان، وبغضه لا شك أنه نفاق؟ فليختر كل امرؤ لنفسه أي الطريقين يُريد؟!

الخطاب رضي الله عنه ممن خبل، وكان عثمان ممن أخرس، يذهب به، ويجاء ولا يستطيع الكلام، وكان علي رضي الله عنه ممن أقعد فلم يستطع حراكاً، وأضني عبدالله بن أنيس فمات كمداً، وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء وعيناه تهملان، وزفراته تردد، وغصّته تتصاعد وترتفع، فدخل على النبي ﷺ فأكبّ عليه وكشف الثوب عن وجهه، وقبّله، وقال: «طبت حيّاً وميتاً..» اهـ - وغيرها أيضاً، وخرج أبو بكر وعمر يكلم الناس ويتوعد من قال بموت رسول الله ﷺ، فقال له: اجلس ياعمر، وهو ماضٍ في كلامه، وثورة غضبه، فقام أبو بكر خطيباً، وقال: وبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه.

أما بعد، فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، من كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ثم تلا ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1] وقال عمر فوالله ما إن سمعتُ أبا بكر تلاها، فهويتُ إلى الإرض ما تحملني قدماي، وعلمتُ أن رسول الله ﷺ قد مات[2].

ولما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا والله ما ندري كيف نصنع، أنجرِّدُ رسول الله ﷺ كما نُجرِّدُ موتانا أم نغلسه وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السّنة حتى إنه ما من القوم رجلٌ إلا ذقنه في صدره نائماً، قالت: ثم كلمهم من ناحية البيت، ولا يدرون من هو، فقال: اغسلوا النبيَّ الله ﷺ وعليه ثيابه، قالت: فثاروا عليه فغسلوا رسول الله ﷺ وهو في قميصه يُفاضُ عليه الماء والسِّدْر، ويدْلُكُه الرجال بالقميص، وكانت تقول: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما غسّل رسول الله ﷺ إلا نساؤه»[3].

---

(١) (١٤٤) سورة آل عمران.

(٢) رواه البخاري: ٤٤٥٤.

(٣) رواه بهذا اللفظ أحمد ٢٦٧/٦، وابن راهويه ٩١٤، وأبو داود ٣١٤١، وابن ماجه في السنن ١٤٦٤، وابن الجارود في المنتقى ٥١٧ وابن حبان ٦٦٢٧ و٦٦٢٨، والحاكم: ٥٩/٣ - ٦٠، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في السنن ٣٨٧/٣، وفي الصغير ١٠٢، وفي الدلائل: ٢٤٢/٧، وابن سعد في الطبقات ٢٧٦/٢ - ٢٧٧.
وقال في الموسوعة ٣٣٢/٤٣ إسناده حسن.

قال ابن عباس لما أجمع القوم غسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله: العباس، وعلي والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه، فلما أجمعوا غسله، نادى منادٍ من وراء الباب أوسُ بن حوليِّ الأنصاري، أحد بني عوف الخزرجي وكان بدرياً، علي بن أبي طالب، فقال له علي: ادخل، فدخل مُحضَر غسل رسول الله ﷺ، ولم يلِ من غسله شيئاً، وأسنده علي إلى صدره، وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه مع علي، وكان أسامة وصالح يصبان الماء، وجعل عليّ يغلسه، ولم يُر من رسول الله ﷺ مما يُرى من الميت، وهو يقول: بأبي وأمي، ما أطيبك حيّاً وميتاً حتى إذا فرغوا جففوه، ثم صنع به ما يصنع بالميت، ثم أدرج في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين وبردّ حبرة(*).

ثم دعا العباس رجلين، فقال: ليذهب أحدهما إلى أبي عبيدة وكان يصرِّخ لأهل مكة وليذهب الآخر إلى أبي طلحة وكان يُلحِد لأهل المدينة، ثم قال العباس حينما سرحهما: اللهم خرْ لرسولك. قال: فذهبنا فلم يجد صاحبُ أبي عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحبُ أبي طلحة، أبا طلحة، فجاء فلحد لرسول الله ﷺ(١).

(*) قال في النهاية: «الحبير: من البرود ما كان موشيباً مخططاً، يُقال: بُرد حبير، ويرد حيرة يوزن عنبة، على الوصف والإضافة وهو برد يماني، والجمع حبرٌ، وحبرات» اهـ مادة حبر.

(١) وهكذا في المسند: ١/٢٦٠، وهذا اللفظ والسياق، وأخرجه الطبري في تاريخه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيتُ – أي في المنام – ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي، فقصصتُ رؤياي على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قالت: فلما توفي النبي ﷺ ، ودفن رسول الله ﷺ في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارِكِ وهو خيرها »- رواه البخاري٥٤٩ انظر شرح الزرقاني: ٢/٩٣.

وقال الزرقاني في شرح الموطأ:٢/٩٣ « قال ابن عبدالبر وسكت أبو بكر على هذه الرؤيا حتى قبض النبي ﷺ فقال: خير أقمارك ذهب به ، ثم كان أبو بكر وعمر دفنوا جميعاً في بيتها ، وإنما أمسك أبو بكر عن تعبيره لأنه تبين له موت النبي ﷺ فعبرها بعد وفاته ﷺ ، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه معبّراً محسناً »اهـ.

وفي كتاب سلوى الكئيب ص ١٦٢ « لما رُش قبر رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها ، فأخذت قبضة من تراب القبر ، فوضعتهُ على عينها ، وبكت وأنشأت تقول:

مــاذا علــى مــن شــمّ تــربة أحمــد ... أن لا يــشُمّ مــدى الــزمان غواليــا
صُــبت علــيّ مــصائب لــو أنهــا ... صُــبتْ علــى الأيّــام عُــدّن ليالــيا

قال في النهاية: «الغالية: نوعٌ من الطيب مُركّب من مسكٍ ، وعنبر ، وعود ، ودُهن ، وهي معروفة.
=

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: نحن مجتمعون - أي نساؤه ﷺ - نبكي لم ننم ورسول الله ﷺ في بيوتنا نسكن لرؤيته على السرير إذ سمعنا صوت الكرازين. في السحر، قلات: فصحنا وصاح أهل المسجد، فارتجت المدينة صيحة واحدة، وأذن بلال الفجر، فلما ذكر النبي ﷺ بكى، فانتحب فزادنا حزناً، وعاجل الناس الدخول إلى قبره، فغُلق دونهم، فيا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا برسول الله ﷺ[1].

=

اهـ مادة علا وكذا في اللسان قال: الغوالي جمع غالية وهي أخلاط من الطيب » اهـ مادة علا.
وكذا في ذكره في شرح المواهب:١٦٨/١٢ -١٦٩ مع الشعر ، وكذا في منح المدح ص ٣٥٨ وكذا في عيون الأثر:٣١١/٢.

(١) رواه البيهقي في الدلائل: ٢٦٧/٧ وذكره ابن ناصر الدين الدمشقي في سلوى الكئيب ص ١٥٨ - ١٥٩، قال الزرقاني في شرح الموطأ ٩٣/٢ قال ابن عبدالبر لا أحفظه عن أم سلمة منفصلاً، وإنما هو عن عائشة والصواب فيه عن عثمان بن عبدالله بن موهب، وليس عبدالله بن وهب، قلت: فتكون هذه الرواية ضعيفة، والصحيح منها ما في الموطأ قالت أم سلمة «ما صدقت بموت النبي ﷺ حتى سمعتُ وقع الكرازين» رقم ٥٤٨، شرح الزرقاني: ٩٣/٢.
٢١١ - ٢١٢ وفي السيرة النبوية لابن هشام: ٣١٢/٤، وابن سعد في الطبقات ٢٧٧/٢ و٢٨٠، والبيهقي في الدلائل ٢٤٣/٧ وقصة تكفينه لها شواهد عند ابن سعد في الطبقات ٢٨٤/٢ - ٢٨٥ وقصة حفر القبر في المسند: ٨/١و٢٩٢، وأبو يعلى في مسنده ٢٢، والطبري في تاريخه ٣/ ٢١٣، والبيهقي في السنن: ٤٠٧/٣ - ٤٠٧، وفي الدلائل ٢٥٢/٧، والطحاوي في مشكل الآثار ٤٧/٤ قال في الموسوعة عن رواية أحمد ٢٨٧/٤ حسن لغيره وعن رواية حفر القبر: ٢١٣/١ قال صحيح بشواهده.
وقال الزرقاني في شرح الموطأ: ٩٣/٢ «والمعنى أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكنْ صدقت بموت النبي ﷺ شأنها شأن عمر رضي الله عنها بادئ الأمر فلما سمعت صوت الفؤوس لحفر قبره ﷺ أخذتها الدهشة والبهتة وعلمت حقيقة ذلك» اهـ بتصرف.
قلت: وبالتالي صاحت أم سلمة وأزواج النبي ﷺ وسائر أهل المدينة حزناً على رسول الله ﷺ كيف لا وموته ﷺ من أعظم المصائب.
- «في النهاية: الكِرْزَين: الفأس، ويقال له: كِرْزَن أيضاً بالفتح والكسر أفرادها، والجمع: كرازين، وكرازن» اهـ مادة كرزن.
قال القسطلاني في المواهب: ٢٤٧/١٢ «وكادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته ﷺ لمَّا فقده الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنّ إليه وصاح، فكيف بقلوب المؤمنين من أصحابه المحبين له بصدق؟ وترك بلال الأذان لعدم قدرته على إكماله حين يذكر رسول الله ﷺ فما أحَدّ عيش من فارق الأحباب، خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب.

=

=

لو ذاق طعم الفراق رضوى	لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوقٍ	يَعْجز عن حمله الحديد» اهـ

ما قاله القسطلاني:

وخلاصة القول فإن وفاته ﷺ كما قال القسطلاني في المواهب: ١٤٦/١٢، «مصيبة المصائب وكل المصائب بعده تهون. ورحم الله أبا العتاهية من قال:

اصبر لكُلّ مصيبة وتجلد	واعلم بأنّ المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها	نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجي بها	فاذكر مصابك بالنبي محمد» اهـ

اهـ باختصار من شرح المواهب

وانظر بهجة المجالس: ٢٤٩/١.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميّتٌ واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس» - الحديث: رواه الحاكم في المستدرك: ٣٢٥/٤، ووافقه الذهبي على تصحيحه، والبيهقي في الشعب ١٠٥٤١ و١٠٥٤٢ وقال البيهقي مرة عن ابن عمر، ومرة عن سهل بن سعد.

قلت: وعزاه في مجمع الزوائد أيضاً: ٢٥٣/٢ إلى الطبراني في الأوسط وقال: فيه زافر بن سليمان وثقه أحمد وابن أبو داود، وتكلم فيه ابن عدي وابن حبان بما لا يضره، وقال ابن طولون الصالحي في الشذرة: ٣٩٠/١ رقم ٥٩٣ وعزاه إلى الطبراني أيضاً في الأوسط ومسند الشهاب: ٧٤٦ و٢٥٢، والحلية ٢٥٣/٣، وأبي الشيخ، وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس، وعزاه أيضاً في مجمع الزوائد: ٢١٩/١٠ وفي الأوسط وقال إسناده حسن، وكذا في الصغير عن علي رضي الله عنه وقال: فيه جماعة لم أعرفهم» اهـ.

قلت: وإذا كان ذلك كذلك؟ إذا كان سيد الخلق وحبيب الحق ذاق الموت وانتقل إلى جوار ربه، فما على العاقل إلا أن يستعد لهذا الحق، ويتشرف بشرف قيام الليل، ويجعل عزته في طاعة الله تعالى والافتقار إليه، والاسغناء عمّا سواه، فكفى بالموت واعظاً، وبه ناهياً وزاجراً، وليجعل العاقل، هذا النبي الكريم ﷺ قدوة له، كي يحظى بشفاعته يوم القيامة وبجواره في الجنة إن شاء الله تعالى أسأل الله تعالى لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين خاتمة حسنة إنه ولي ذلك والقادرُ عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وبعد: فهذه لمحة موجزة عن حياة الرسول الأعظم، والنبيّ الأكرم، والسيد الأفخم الأجل محمد ﷺ، في بيته، أقدمها نموذجاً رائعاً مثالياً لتكون مشعلاً لكُلِّ مسلم يُريد القدوة الحسنة والمثل الأعلى، في خضمِ هذه الجاهلية التي عمت وفشت وأصبحت تموج موج البحار، وتلك الصورة عن حياته ﷺ في بيته صالحة لأن تكون منهج حياة للمسلم أيّاً كان عمله أو صفته الاجتماعية، فأشرت في البداية إلى المرحلة المكية وما كان يلقاه ﷺ من أذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وتحمله لذلك، ومواساة خديجة رضي الله عنها تلك الزوجة الوفية التي ضربت أعظم وأروع الأمثلة في التضْحية، ثم بينتُ صفة وهيئة بيوته ﷺ التي رضيها الله تعالى لنبيه ﷺ، وهو حبيبه وصفيّه وخيرة خلقه، وبيده مفاتح خزائن الأرض.

ثم بينْتُ صفة عيشه ﷺ، وعبادته، وما يتعلق بها، ثم صورة موجزة لحياته ﷺ بين زوجاته، وأولاده، وخدمه، وهي لا شك صورة مُشرقة ينبغي على المسلمين أن يضعوها نصب أعينهم، ففيها والله إن اقتدينا صلاح الزوجات، والأولاد، والخدم، وبالتالي صلاح المجتمع كله، وهو ﷺ وإن كان قد ضرب المثل الأعلى للزوج، في كيفية معاشرة الزوجات، فكذلك أيضاً رسم الرسول ﷺ للزوجات الطريقة الصحيحة، وأبرز التزامات الزوجات تجاه الزوج.

كما كانت علاقته ﷺ بأولاده، وحفده، وذريته، تحمل نموذجاً رائعاً للآباء والأجداد في كل زمان ومكان، وقد بان ذلك واضحاً في سلوك الرسول ﷺ مع بناته، وابنه إبراهيم، ثم مع الحسن والحسين وأمهما، ثم مع سائر أقربائِهِ.

كما رأينا أيضاً سلوك الرسول ﷺ مع خدمه، حيث كان هذا السلوك عقداً من نور يرسم العلاقة الصحيحة بين الخادم والمخدوم، بل يرسم العلاقة بين الرئيس والمرؤوس في أي ناحية من نواحي الحياة.

كما رأينا نفس السلوك الحسن منه ﷺ مع زواره وضيوفه، والذي يرسم أفضل وأسمى العلاقات بين الضائف والمضيف، والصاحب مع صاحبه، والأستاذ مع

تلامذته، والمفتي مع مستفتيه، والوافد مع من وفد إليه.

كما رأينا أحواله ﷺ في مرضه، وكيف أنه ﷺ تداوى وأخذه بالأسباب المادية مع توكله على الله تعالى.

كما رأينا أهمية الوصايا التي أوصى بها ﷺ أمته بها قبيل وفاته وانتقاله إلى جوار ربّه تبارك وتعالى.

ويمكننا اختصار أهم النتائج المستفادة من البحث بما يلي:

أ - أن التعرف على حياته ﷺ البيتية ضرورة من ضروريات الإيمان الحقيقي النافع في الدنيا والآخرة.

ب - في أنّ الدعوة إلى الله تعالى ينبغي أن يُراعى فيها الزمان والمكان وما يعتريهما من أحوال وتغيرات، وأن التدرج في الدعوة إلى الله تعالى أمر ضروري في نجاح الدعوة والداعي.

ج - في أن الدعاة إلى الله تعالى ينبغي عليهم البعد عن زخارف الدنيا، والاكتفاء منها بما تيسر من وسائل العيش، وذلك لأن أعين المدعويين ترمقهم ليل نهار وفي كل زمان ومكان، لكونهم القدوة في ذلك.

د - في أنّ الدعاة ينبغي أن يتميزوا عن سائر الناس بأخلاقهم وصفاتهم ونومهم وعبادتهم وما يتفرع عن ذلك، فلا ينبغي مثلاً للداعي أن ينام الليل كله ولا يقوم للصلاة في الليل.

هـ - في أن الداعي الذي لا يكون ناجحاً في بيته، لا ينجح في دعوته، وما لم يستقم حال بيتهِ، لا يسمع الناس قوله وإرشاده، بل قد يُعرِّضُ نفسه لانتقاد الناس.

و - في أن حب النبي ﷺ لا يتمُّ على وجه الحقيقة إلا أن نتوج ذلك بحب أهل بيته وذريته وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

ز - في أن الداعي إلى الله تعالى ينبغي أن يتصف بالأخلاق العالية، وحسن المعاشرة لكل الناس، وإكرام الكريم من كل قوم، وأن ذلك من أسباب نجاح الداعي بدعوته.

ح - في أن التوسل بجاهه الكريم العالي ﷺ جائز.

ط - في أن الداعي إلى الله تعالى ينبغي أن تكون دعوته لكل الناس رجالاً ونساءً، وأن يخصص النساء بشيء من العلم لكون المرأة مؤثرة في المجتمع من حيث

كونها مربية الرجال وأنها مدرسة قائمة بذاتها.

ي - وأخيراً فإني أقترح بأن تقرر حصص في المعاهد الشرعية يدرس فيها حياته ﷺ البيتية لكون ذلك أصلاً في إصلاح الأسرة من جدٍ وأب وأمٍ وزوجٍ وزوجةٍ وأولادٍ وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع.

إنّ هذا البحث يعتبر بحق ذخيرة طيبة، ومشعل نور أتمنى أن يكون له عميق التأثير في نفسي أولاً، ثم في نفوس كل قارئ وقارئة، وبالله التوفيق وبه المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتب عمر أحمد زكريا

فنيدق في ١٢ربيع الأول ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠٠٨/٣/١٩م

الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيبها في القرآن الكريم

السورة	الآية	الصفحة
طه		
﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٤٢
الأنبياء		
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	١٧٩
الحج		
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٣٣٢
المؤمنون		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾	٥١	٦٤
النور		
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	٢٨١
الفرقان		
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	١٥٠
الشعراء		
﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾	٢١٤	٣٣-٣٤، ٣٥
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾	٢١٤	٣٣

السورة	الآية	الصفحة
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٦	١٦٧
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	١٦٨
﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾	٥١	١٨١
﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾	٥١	١٨٢
﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ... ﴾	٥٢	١٥٢
﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾	٥٣	١٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟... ﴾	٥٣	١٧٠
فاطر		
﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾	٨	٤٢
يس		
﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾	٩	٤٦
﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾	٧٢ - ٧٣	٧٣
غافر		
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٩٣

السورة	الآية	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾	١٠	٢٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	٥٢	٢٩
الصف		
﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾	٦	٦
التغابن		
﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا ﴾	٨	٢١
التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾	١	٢٠٩
﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا... ﴾	٤	٢١٣
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ... ﴾	١٠	٥
قلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	٤	٢٢، ٥١، ١٨٨
﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾	٩	٢٩٤
الجن		
﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ ﴾	١ – ٢	٧
المزمل		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾	١ – ٤	١١١-١١٢

السورة	الآية	الصفحة
الليل		
﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾	١ - ٢	٢٢٢
الضحى		
﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾	١	٢٢٢
﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾	٥	٣٤
المسد		
﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ ﴾	١	٢٣٤

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس القبائل

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الأماكن

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

١- الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، ت: باسم الجويرة، ط: ١٩٩١ دار الراية.

٢- الآداب، للبيهقي، ت: السعيد المندوة، ط، مؤسسة الكتب الثقافية. ١٩٨٨م.

٣- الآداب الشرعية، لابن مفلح المقدسي، ط/٣، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م بيروت.

٤- إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام، لابن حجر الهيتمي، ت: مصطفى عبدالقادر عطا، ط/١مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٠ - ١٩٩٠م بيروت.

٥- إتحاف الخيرة، للحارث بن أبي أسامة، مطبعة البابي الحلبي: م/د القاهرة.

٦- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للدمياطي ت: الصبّاغ، مطبعة البابي الحلبي، م/دت القاهرة.

٧- إتحاف المهرة، لابن حجر العسقلاني، ت: د. يوسف المرعشلي، ط، مجمع الملك فهد ١٤٢٠المدينة المنورة.

٨- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للدجوي، ت: علاء الدين زعتري، ط/١ ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م دار العصماء - دمشق.

٩- الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، ت: عبدالملك ابن دهيش، مكتبة النهضة، ١٩٩٠م مكة المكرمة.

١٠- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، د. صالح الرفاعي ط/٢، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م المدينة المنورة.

١١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤط، ط /١

١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٢- أحكام القرآن، لابن العربي، ت: محمد عبدالقادر عطا، ط/١ دار الكتب العلمية بيروت م/د.

١٣- إحياء علوم الدين، للغزالي، ط: دار المعرفة، بيروت م/د.

١٤- أخبار أصفهان، لأبي نعيم الأصفهاني، ط١: ليدن، ١٩٣١.

١٥- أخلاق النبي ﷺ، لأبي الشيخ الأصفهاني ت: أحمد مرسي، ط، النهضة المصرية، ١٩٧٢ القاهرة.

١٦- أدب الدنيا والدين، للماوردي، ت: مصطفى السقّا، ط، دار الكتب العلمية: ١٩٨١ بيروت.

١٧- الأدب المفرد، للبخاري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، ط، المطبعة السلفية، ١٣٧٥ هـ القاهرة.

١٨- الأذكار، للنووي، ت، عبدالقادر الأرناؤوط ط، مطبعة الملاح١٣٩١هـ ١٩٧١م دمشق.

١٩- الأربعون الصغرى، البيهقي، ت: محمد بسيوني زغلول ط: دار الكتب العلمية: ١٩٨٧ بيروت.

٢٠- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ط/١ دار الكتب العلمية ١٤١٦ - ١٩٩٦ م بيروت.

٢١- الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للسيوطي ت: عبدالعزيز الغماري، ط دار التأليف ١٣٧١، القاهرة.

٢٢- أسباب النزول، للواحدي، ط: دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ بيروت.

٢٣- الاستذكار، لابن عبدالبر، ت: د عبدالمعطي قلعجي، مؤسسة الرسالة م/د، بيروت.

٢٤- أسد الغابة، لابن الأثير، ط: دار الشعب، ١٩٧٠م القاهرة.

٢٥- الأسماء والصفات، للبيهقي، ت: محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة، م/د. مصر.

٢٦- الأسس الأخلاقية، أحمد عمر النعجة، ط/١: دار البشائر ١٤٢٠ - ١٩٩٩م بيروت.

٢٧- الأسماء المبهمة، للخطيب البغدادي. ط: البابي الحلبي: م/د القاهرة.

٢٨- الأسرار المرفوعة، ملا علي القاري، ت: محمد الصبّاغ ط /١، دار العلم ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م بيروت.

٢٩- أسنى المطالب، محمد درويش الحوت، طبع: مصطفى محمد، ١٣٥٥ هـ مصر.

٣٠- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، للهيتمي، ت: أحمد فريد المزيدي، ط /١، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بيروت.

٣١- الإصابة، لابن حجر العسقلاني، مطبعة، السعادة، ١٣٢٨هـ مصر.

٣٢- أصول الاعتقاد، اللالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، ط/١، دار طيبة، ١٤١١هـ الرياض،

٣٣- أطراف المسند، لابن حجر العسقلاني، ت: زهير الناصر، دار ابن كثير ١٩٩٣ بيروت.

٣٤- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، للحازمي، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ حيدر آباد.

٣٥- الاعتقاد والهداية، للبيهقي، ت: كمال الحوت، ط/١، عالم الكتب ١٤٠٣ هـ بيروت.

٣٦- إعلاء السنن، للتهانوي، ط/١، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ بيروت.

٣٧- أعلام الحديث م/د، مكتبة السعادة مصر.

٣٨- الإكمال، لابن ماكولا، ت: المعلمي اليماني، نشر أمين دمج بيروت.

٣٩- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء ١٩٩٨م مصر.

٤٠- الأمالي المطلقة، لابن حجر العسقلاني، ت: حمدي السلفي، ط/١ المكتب الإسلامي ١٩٩٥، بيروت.

٤١- الأمثال، للرامهرمزي، ت: عبدالحميد الأعظمي، الدار السلفية ١٤٠٤ هـ بومباي.

٤٢- الأمثال في الحديث النبوي، لأبي الشيخ، ت: عبدالعلي الأعظمي، الدار السلفية، ١٤٠٢هـ بومباي.

٤٣- الأم، للشافعي، ت: محمد زهدي النجار، دار المعرفة، ١٩٧٣، بيروت.

٤٤- أنساب الأشراف، للبلاذري. مطبعة السعادة: م/د مصر.

٤٥- الأوائل، للطبراني، ت: محمد شكور، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ بيروت.

٤٦- الأوائل لابن أبي عاصم، ت: محمد السعيد بسيوني، زغلول، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، بيروت.

٤٧- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، محمد بن عجيبة الحسني، دار المعرفة، م/د، بيروت.

٤٨- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط/١، دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م بيروت.

٤٩- البداية والنهاية، لابن كثير، ط/١، ودار إحياء التراث العربي، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م بيروت.

٥٠- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، للسّهارنفوي ودار الكتب العلمية، م/د، بيروت.

٥١- البر والصلة، لابن المبارك، ت: محمد مصطفى محمد، دار الكتب العلمية، م/د، بيروت.

٥٢- بهجة المجالس ط البابي الحلبي، م/د القاهرة.

٥٣- تاريخ أصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني. البابي الحلبي: م/د القاهرة.

٥٤- تاريخ الإسلام، للذهبي، مكتبة الأحمدية، م/دت حلب.

٥٥- تاريخ ابن معين، ت: د. أحمد محمد نورسيف، ط: جامعة أم القرى،

١٩٧٩م مكة المكرمة.

٥٦- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، البابي الحلبي، ١٩٣١ القاهرة.

٥٧- تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار البشير، م/د.

٥٨- التاريخ الصغير، للبخاري، ت: محمود إبراهيم زايد. دار الوعي للتراث، ١٩٧٧، حلب.

٥٩- التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٠ الهند.

٦٠- تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة، ت: فهيم محمد شلتوت، م/د، مصر.

٦١- التتبع، للدارقطني، ت: مقبل الوداعي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥ بيروت.

٦٢- تجريد التمهيد، لابن عبدالبر، دار الكتب العلمية م/د، بيروت.

٦٣- تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ط: دار الكتب العلمية، م/د، بيروت.

٦٤- تحفة الإخوان، للكنوي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، ط /١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م مكتبة المطبعوات الإسلامية، حلب.

٦٥- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي، ت: عبدالصمد شرف الدين، الدار القيمة، ١٩٦٥ بومباي الهند.

٦٦- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي المصوره عن طبعة الهند، بيروت.

٦٧- الترغيب والترهيب، للمنذري، علق عليه محمد مصطفى عماره، ط/١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨- تعجيل المنعة، لابن حجر العسقلاني، ت: إكرامُ الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٦، بيروت.

٦٩- تغليق التعليق، لابن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، ١٤٥٠هـ بيروت.

٧٠- تفسير الآلوسي، ط/٤، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

بيروت.

٧١- تفسير ابن أبي حاتم، ت: د. حكمت ياسين، ط، دار طيبة، ١٤٠٨هـ الرياض.

٧٢- تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، م/د، بيروت.

٧٣- تفسير ابن الجوزي، ط/٢، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢، بيروت.

٧٤- تفسير ابن حقي، إسماعيل بن حقي بن مصطفى الحنفي الجلوتي البروسي، ط/١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٣ - ١٤٢٤هـ بيروت.

٧٥- تفسير البغوي، دار المعرفة، ١٩٨٦، بيروت.

٧٦- تفسير الطبري، ت: محمود شاكر، دار المعارف، والبابي الحلبي، ١٩٦٨ القاهرة.

٧٧- تفسير القرطبي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م بيروت.

٧٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط/١ دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م بيروت.

٧٩- تفسير القرآن الكريم إعرابه ومحمد علي طه الدرة، دار الحكمة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨، بيروت دمشق.

٨٠- تفسير الشعرواي، بإشراف مجمع البحوث في الأزهر، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م القاهرة.

٨١- التفسير الكبير، للرازي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م بيروت.

٨٢- تفسير عبدالرزاق، ت: د. مصطفى مسلم - محمد مكتبة الرشيد، ١٩٨٩م الرياض.

٨٣- تفسير سيد قطب، في ظلال القرآن، ط/١٠، دار الشروق، ١٤٠٢، هـ ١٩٨٢م بيروت والقاهرة.

٨٤- تفسير السيوطي، دار المعرفة، م/د، بيروت.

٨٥- تفسير الزمخشري، البابي الحلبي م/د، القاهرة.

٨٦- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، م/د، بيروت.

٨٧- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط/١ دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م بيروت.

٨٨- تكملة فتح الملهم، محمد تقي الدين العثماني، ط/١ دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م بيروت.

٨٩- تهذيب الآثار، لابن جرير الطبري، ت: علي رضا، دار المأمون للتراث، م/د دمشق.

٩٠- تهذيب الخصائص الكبرى، للسيوطي، ت: عبدالله، التليدي ط/٢، دار البشائر، ١٤١٠ هـ بيروت.

٩١- تهذيب تاريخ دمشق، عبدالقادر بدران، ط/٢، دار المسيرة ١٣٩٩، دمشق.

٩٢- تهذيب الكمال، للمزي، ت: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ بيروت.

٩٣- التوحيد، لابن خزيمة، دار الفكر، ١٩٩٣ م، بيروت.

٩٤- الثقات، لابن حبان، ت: محمد عبدالمعين خان، دار المعارف العثمانية، ١٩٧٣، حيدر آباد.

٩٥- الجامع الصغير، للسيوطي، دار الكتب العلمية م/د، بيروت.

٩٦- الجامع لأوصاف الرسول، لابن الماكولي، ت: أيمن صالح شعبان، ط/١، المكتب الثقافي ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢، القاهرة.

٩٧- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ت: عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثية، ١٩٧٥، مصر.

٩٨- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٩١، بيروت.

٩٩- جزء فيه فوائد حديث أبي عمير، لأبي العباس الطبري، البغدادي

الشافعي، ت: صابر أحمد البطاوي، ط/١، مكتبة السنة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، القاهرة.

١٠٠- الجعديات، للبغدادي، ت: رفعت فوزي عبدالمطلب، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.

١٠١- الجهاد، لابن أبي عاصم، ت: مساعد سليمان الراشدة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ

١٠٢- جواهر البحار في فضائل النبي المختار، للنبهاني، ت: محمد أمين الضناوي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨بيروت.

١٠٣- حاشية الشنواني على مختصر صحيح البخاري، المكتبة التجارية الكبرى، دار الفكر م/د، بيروت.

١٠٤- حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، ت: حسن شالوحة، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م.

١٠٥- الحلم، لابن أبي الدنيا، ت: محمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٣م.

١٠٦- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، ١٩٧٤، مصر، ودار الكتب العلمية م/د، بيروت.

١٠٧- خصائص علي، للنسائي، ت: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا م/د.

١٠٨- الخصائص الكبرى، للسيوطي، ت: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٧هـ القاهرة.

١٠٩- خلاصة البدر المنير، لابن الملقن، ت: حمدي السلفي، مكتبة الرشيد، ١٩٨٩م، الرياض.

١١٠- خلق أفعال العباد، للبخاري، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ بيروت.

١١١- الدرر المباحة في الحظر، خليل عبدالقادر الشيباني النحلاي،: محمد سعيد البرهاني، المطبعة العلمية ط /٣، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دمشق،

١١٢- الدعاء، للطبراني، ت: محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٧ هـ بيروت.

١١٣- الدعوات الكبير، للبيهقي، ت: بدر البدر، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٨٩م الكويت.

١١٤- دفع شبه من شبه وتمرد، تقي الدين الحصني، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، م/د، القاهرة.

١١٥- دلائل النبوة، للبيهقي، ت: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ بيروت.

١١٦- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصفهاني، ت: محمد رواس قلعجي ودار ابن كثير ١٩٧٠ بيروت.

١١٧- دلائل النبوة، للقريابي، البابي الحلبي، م/د القاهرة

١١٨- ديوان الشافعي، علق عليه، محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، ١٣٩١هـ ١٩٧١. بيروت.

١١٩- ديوان قيس بن الملوح العامري، علق عليه: يوسف فرحات، ط/٣، دار الكتاب العربي، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

١٢٠- ذكر أخبار أصبهان ولأبي نعيم الأصبهاني، ١٩٣١ليدن.

١٢١- الذرية الطاهرة، للدولابي، ت: محمد الجلالي ومؤسسة النشر الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

١٢٢- ذم الدنيا، لابن أبي الدنيا، ت: محمد عكا وي، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م.

١٢٣- ذكر الموت، لابن أبي الدنيا، ت: مشهور حسن آل سلمان. مكتبة الفرقان، ط/١ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، عجمان الامارات.

١٢٤- رسالة المسترشدين، للمحاسبي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، ط/١ مكتب المطبوعات الإسلامية ١٤١٩ - ١٩٩٩م حلب.

١٢٥- رسالة في تحرير المقادير الشرعية، عبدالعزيز عيون السود، ط/١ مكتبة الأمل، ١٣٦٥هـ حمص.

١٢٦- الرسالة، للشافعي، ت: أحمد شاكر، البابي الحلبي ١٣٥٨مصر.

١٢٧- ردّ المختار على الدر المختار، حاشية ابن عابدين، دار الكتب العلمية، ودار إحياء التراث العربي م/د، بيروت.

١٢٨- الرسول المعلم وأساليبة في التعليم، عبدالفتاح أبو غدة، ط/٢ مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١١ هـ ١٩٩٧م، حلب.

١٢٩- الرد على الجهمية، عثمان الدارمي، ١٩٦٠ ليدن.

١٣٠- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني. ط/٢، مناهل العرفان، مكتبة الغزالي ١٤٠٣هـ ١٩٨٠ دمشق.

١٣١- الروض البسام بفوائد تمام، ت: حاتم الدوسري، دار البشائر الإسلامية ١٩٩٢ بيروت.

١٣٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي، ت: محي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٤٥. القاهرة.

١٣٣- الروض الباسم في شمائل المصطفى، للمناوي، ت: عبدالحميد درويش، ط/١ دار التقوى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م دمشق.

١٣٤- الروض الفائق في المواعظ والرقائق، شعيب الحريفيش، دار الفكر م/د، بيروت.

١٣٥- رياض الصالحين، للنووي، مكتبة الغزالي، م/د، دمشق.

١٣٦- زاد المسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ١٣٨٤ هـ بيروت.

١٣٧- زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ بيروت.

١٣٨- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، محمد حبيب الله المالكي، الشنقيطي، دار إحياء التراث العربي، م/د، بيروت.

١٣٩- الزهد، لأحمد بن حنبل، دارالكتب العلمية، ١٤٠٣هـ بيروت.

١٤٠- الزهد، لابن أبي عاصم، ت: د. عبدالعلي عبدالحميد، الدار السلفية، ١٩٨٣م.

١٤١- الزهد، لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب

العلمية، م/د، بيروت.

١٤٢- الزهد، لهناد بن السري، ت: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٦هـ الكويت.

١٤٣- الزهد، لوكيع بن الجراح، ت: عبدالرحمن بن عبدالجبار، الفريوائي، مكتبة الدار، ١٤٠٤ هـ المدينة المنورة.

١٤٤- الزهد الكبير، للبيهقي، ت: عامر حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية. ١٩٨٧م.

١٤٥- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، ط/٢، المكتبة العصرية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م بيروت.

١٤٦- زوجات النبي ﷺ الطاهرات، محمد محمود الصوّاف. مكتبة الغزالي ١٣٨٤هـ دمشق.

١٤٧- الزيادات على الزهد، لابن المبارك، للمروزي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دارالكتب العلمية، م/د، بيروت.

١٤٨- سبل السلام، للصنعاني، ط /٤، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٣، بيروت.

١٤٩- سبل الهدى والرشّاد، محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م بيروت.

١٥٠- سنن ابن أبي داود، ت: عزت عبيد الدعّاس، نشر محمد علي السيد ١٣٨٩ هـ حمص.

١٥١- سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، العربي ١٩٥٢م بيروت.

١٥٢- سنن الترمذي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م بيروت.

١٥٣- سنن الدارقطني، ت: السيد عبدالله هاشم اليماني، دار المحاسن، ١٩٨٧م، القاهرة.

١٥٤- سنن سعيد بن منصور، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م، بيروت.

١٥٥- السنن الصغرى، للبيهقي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية ١٩٨٩م باكستان.

١٥٦- السنن الكبرى، للبيهقي و١٣٥٢هـ الهند.

١٥٧- السنن الكبرى، للنسائي، ت: د. عبدالغفار النادر، دار الكتب العلمية ١٩٩١م بيروت.

١٥٨- السنن المأثورة، للشافعي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، دار المعرفة، ١٩٨٦م بيروت.

١٥٩- سنن النسائي، دار الكتب العلمية، م/د، بيروت.

١٦٠- السنة لابن أبي عاصم، ت: الألباني، المكتب الإسلامي ١٤١٠هـ بيروت.

١٦١- السنة، للخلال، ت: عطية الزهراني ودار الراية ١٩٨٩ الرياض.

١٦٢- سلوى الكئيب بوفاة الحبيب، لابن ناصر الدين الدمشقي، ت: د. صالح يوسف معتوق، هاشم صالح مناع، دار البحوث، م/د الإمارات.

١٦٣- السنة والبدعة وعبدالله محفوظ، علوي الحضرمي، ط/١، دار القلم ١٤١٣هـ ١٩٩٢م بيروت.

١٦٤- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١، بيروت.

١٦٥- السيرة النبوية، لابن هشام، ت: مصطفى عبدالواحد، البابي الحلبي ١٣٨٤"_'هـ مصر.

١٦٦- السيرة النبوية، للندوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية م/د، القاهرة.

١٦٧- السيرة النبوية، لأبي شهبة، ط/"، دار القلم، ١٤١٧هـ ١٩٩٢بيروت، دمشق.

١٦٨- السيرة النبوية، د. محمد علي الصلابي، ط/١، دار المعرفة، ١٤٢٥،

٢٠٠٤م بيروت.

١٦٩- السيدة عائشة رضي الله عنها، عبدالحميد طهماز، ط/٥، دار القلم، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، بيروت دمشق.

١٧٠- سيرة آل البيت النبوي، للشعراوي، المكتبة التوفيقية، د/ت، القاهرة.

١٧١- سيدنا محمد رسول الله ﷺ، عبدالله سراج الدين، ط/٧ مكتبة الفلاح، ١٤١٠هـ ١٩٩٠ حلب.

١٧٢- شرح الشفا، ملا علي القاري، دار الكتب العلمية م/د، بيروت.

١٧٣- الشريعة، للأجري، ت: محمد حامد الفقي، ١٣٦٩ القاهرة.

١٧٤- شرح السنة، للبغوي، ت: شعيب الأرنؤط، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠ دمشق.

١٧٥- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الكتب العلمية، م/د بيروت.

١٧٦- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، بيروت.

١٧٧- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، ت: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م بيروت.

١٧٨- شرح معاني الآثار، للطحاوي، ت: محمد النجار، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ بيروت.

١٧٩- شرح الموطأ، للزرقاني، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، بيروت.

١٨٠- شرح المواهب اللدنية، للزرقاني، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م بيروت.

١٨١- شعب الإيمان، للبيهقي، ت: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ١٤١٠بيروت.

١٨٢- الشكر، لابن أبي الدنيا، ت: محمد السعيد زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م.

١٨٣- الشمائل، للترمذي، ت: عزت الدعاس، مؤسسة الزعبي، ١٣٨٨ هـ حمص.

١٨٤- صحيح ابن حبان، ترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م بيروت.

١٨٥- صحيح ابن خزيمة، ت: مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي م/د، بيروت.

١٨٦- صحيح البخاري، تقديم: أحمد شاكر، دار الجيل، م/د بيروت.

١٨٧- صحيح مسلم، دار المعرفة، م/د بيروت.

١٨٨- صفة الصفوة، لابن الجوزي، ط/٣، دار الكتب العلمية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢، بيروت.

١٨٩- صفة الجنة، لأبي نعيم الأصبهاين، ت: علي رضا، عبدالله، دار المأمون للتراث، ١٤٠٦هـ، بغداد.

١٩٠- صفة النبي ﷺ، للمقدسي، ط/١، دار ابن حزم، ١٤٢٥، ٢٠٠٤م، بيروت.

١٩١- صفة المنافق، للفريابي، ت: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٩٨٥م، الكويت.

١٩٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م بيروت.

١٩٣- الصلاة على النبي ﷺ، لابن أبي عاصم، ت: حمدي السلفي، دار المأمون للتراث، ١٩٩٥م،

١٩٤- الصمت، لابن أبي الدنيا، ت: عبدالقادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م.

١٩٥- صور من حياة الرسول ﷺ، أمين دويدار، دارالمعارف، د/ت.

١٩٦- صور من سير الصحابيات، عبدالحميد الشيباني، ط/٥، ١٤٨٠هـ ١٩٨٠م، الرياض.

١٩٧- الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي، ط/٣، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣ م بيروت.

١٩٨- صيد الخاطر، لابن الجوزي، ت: محمد سيد، وسيدا إبراهيم، دار الحديث م/د، القاهرة.

١٩٩- الضعفاء، للعقيلي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ بيروت.

٢٠٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٥٧ بيروت، ط/١و دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، بيروت.

٢٠١- طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأصبهاني، ت: عبدالغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ بيروت.

٢٠٢- الطب النبوي، لابن القيم وت: عبدالغني عبدالخالق، م /د.

٢٠٣- الطهور، لأبي عبيد، ت: عمر علي عمر، مكتبة الصحابة، ١٩٩٤ م، جدة.

٢٠٤- ظلال القرآن: ط /٣٥ - ٢٠٠٥، دار الشروق، بيروت.

٢٠٥- عارضة الأحوذي، لابن العربي، دارالكتب العلمية، م/د، بيروت.

٢٠٦- عشرة النساء، للنسائي، ت: عمر علي عمر، مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.

٢٠٧- العزلة، للبستي، ط/٢، ١٣٩٩هـ.

٢٠٨- العقد السمين، للحسن المكي، مكتبة السنة م/د

٢٠٩- العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، ت: مصطفى، عاشور، مكتبة القرآن، ١٩٩٠م القاهرة.

٢١٠- العلل للترمذي، ت: حمزة مصطفى، ط: مكتبة الأقصى، ١٩٨٦م عمان.

٢١١- العلل لابن المديني، ت: د. مطصفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٩٧٢م، بيروت.

٢١٢- العلل المتناهية، لابن الجوزي، قدم له، خليل الميس، ط /١، دار

الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م، بيروت.

٢١٣- العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل، ت: وصيُّ الله عياس، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م بيروت.

٢١٤- العلل للدراقطني، ت: محفوظ عبدالرحمن السلفي، دار طيبة، ١٩٨٥، الرياض.

٢١٥- عمدة القاري، للعيني، دار احياء التراث العربي، م/د وبيروت.

٢١٦- عمل اليوم والليلة، لأبي بكر ابن السني، ت: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الكليّات الأزهرية، ١٣٨٩هـ ١٩٨٩م القاهرة.

٢١٧- عمل اليوم والليل، لابن السني، ت: عبدالرحمن البرني، دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، م/د.

٢١٨- عمل اليوم والليلة، للنسائي، ت: رفعت عبدالمطلب، مكتبة الخانجي، ١٤٠٦هـ ١٩٩٤م.

٢١٩- العواصم من القواصم، لابن العربي، ت: محب الدين الخطيب، ط/٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م بيروت.

٢٢٠- عون المعبود، للآبادي، ط/٢، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م بيروت.

٢٢١- العيال، لابن أبي الدنيا. مكتبة القرآن م/د.

٢٢٢- عيون الأثر، لابن سيد النّاس، دار احياء التراث العربي، ودار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م، بيروت.

٢٢٣- الغيبة والنميمة، لابن أبي الدنيا، ت: مصطفى عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م.

٢٢٤- غريب الحديث، لأبي عبيد، دار الكتب العلمية، ١٩٧٦. بيروت.

٢٢٥- الغنية، عبدالقادر الجيلاني، دار الألباب، م/د، دمشق،

٢٢٦- غوامض، الأسماء المبهمة، لابن بشكوال، ت: عزالدين علي السيد، عالم الكتب، ١٩٨٧م بيروت.

٢٢٧- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ت: على محمد البجاوي، البابي الحلبي، ١٩٧١م مصر.

٢٢٨- الفتاوى الخيرية، خير الدين الرملي، ط/٢، دار المعرفة، ١٩٧٤ بيروت، والمطبعة الكبرى، ١٣٠٠ والقاهرة.

٢٢٩- الفتاوى، للشعرواي، علق عليه، السيد الجميلي، دار الفتح، للإعلام العربي، والمكتبة العصرية، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م بيروت.

٢٣٠- الفتاوى، للنووي، ت: علاء الدين العطار، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٤هـ مصر.

٢٣١- الفتاوى الهندية، للفرغاني، ط/٤، دار إحياء التراث العربي، م/د، بيروت.

٢٣٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، القاهرة.

٢٣٣- الفتح الرباني، أحمد البنا الساعاتي، دار الحديث م/د، القاهرة.

٢٣٤- فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي، للشرقاوي، دار المعرفة، م/د، بيروت.

٢٣٥- الفتوحات الربانية في شرح الأذكار النووية، لابن علان، المكتبة الإسلامية، م/د.

٢٣٦- فتوح مصر، لابن عبدالحكم، ١٩٢٠ ليدن.

٢٣٧- فضائل القرآن، لابن الضريس، ت: غزوى بدر، دار الفكر، ١٩٨٨م، بيروت.

٢٣٨- فضائل القرآن، لأبي عبيد، ت: وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، بيروت.

٢٣٩- فضائل القرآن وتلاوته، للرازي، ت: د. عامر صبري، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٤م بيروت.

٢٤٠- فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، ت: رضي الله عباس، مؤسسة

الرسالة، ١٩٨٣م بيروت.

٢٤١- فضائل الصحابة، للنسائي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٤ م بيروت.

٢٤٢- فقه السيرة، محمد العزالي، ط/٧، دار احياء التراث العربي، ١٩٧١م بيروت.

٢٤٣- فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي. ط/١١ دار الفكر، ١٤١٢ هـ ١٩٩١م دمشق بيروت.

٢٤٤- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبي الزحيلي، ط/٣، دار الفكر ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، بيروت دمشق.

٢٤٥- الفقه الحنفي في ثوبه الجديد، عبدالحميد طهماز، ط/١ دار العلم ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م دمشق بيروت.

٢٤٦- الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيري، دار الفكر، م/د، بيروت.

٢٤٧- الفقيه والمتفقة، للخطيب البغدادي، دار إحياء السنَّة النبوية ١٩٧٥، بيروت.

٢٤٨- الفوائد المجموعة، للشوكاني، ت: عبدالرحمن المعلمي، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٨٠هـ ١٩٦٠ مصر.

٢٤٩- الفوائد، لابن منده، ت: مسعد عبدالحميد، دار الصحابة للتراث، ١٩٩٧م مصر.

٢٥٠- فوائد تمام، ت: جاسم الدوسري، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢ بيروت.

٢٥١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط/١، دار الفكر ١٤١٦هـ ١٩٩٦م بيروت.

٢٥٢- في رحاب البلد الحرام، محمد العلوي المالكي الحسني، ط/١، دار القلم، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م بيروت دمشق.

٢٥٣- قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، ط /١، دار القلم، ١٤٠٩هـ١٩٨٨م بيروت دمشق.

٢٥٤- القناعة والتعفف، لابن أبي الدنيا، ت: محمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ٢٠٠٣م.

٢٥٥- القبل والمعانقة، لابن الأعرابي، مكتبة السنة م/د مصر.

٢٥٦- قواعد في علوم الحديث، للتهانوي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، م /د باكستان.

٢٥٧- القول المسدد في الذب عن مسند أحمد، لابن حجر العسقلاني، مطبعة اليمانة، ١٩٨٥م دمشق.

٢٥٨- قيام الليل والوتر، محمد بن نصر المروزي، عالم الكتب ١٩٨٣م بيروت.

٢٥٩- الكامل في الضعفاء، لابن عدي، ت: سهيل زكار، دار الفكر ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م بيروت.

٢٦٠- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، ١٣٨٥ بيروت.

٢٦١- الكشاف، للزمخشري، دار المعرفة، م/د، بيروت.

٢٦٢- كشف الأستار عن زوائد البزار، لابن حجر الهيتمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م بيروت.

٢٦٣- كشف الخفاء، للعجلوني، المكتبة الأزهرية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م القاهرة.

٢٦٤- كشف الستور عما أشكل من أحكام القبور، محمود سعيد ممدوح، ط/١، دار الفقيه، ١٤٣٠هـ دبي.

٢٦٥- الكفاية، للخطيب البغدادي، ت: أحمد عمر هاشم، دار الكتات العربي، ١٤٠٥هـ بيروت.

٢٦٦- الكلمة الطيبة وأثرها في النفوس. أحمد عمر النعمة، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م بيروت.

٢٦٧- كنز العمال. البابي الحلبي م/د القاهرة.

٢٦٨- الكنى والاسماء وللدولابي ودار الكتب العملة، ١٤٠٣هـ بيروت.

٢٦٩- لسان العرب المحيط، لابن مظور، قدم له: عبدالله العلالي، دار لسان العرب، م /د، بيروت.

٢٧٠- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠ هـ بيروت.

٢٧١- لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، المكتبة الأزهرية م/د القاهرة

٢٧٢- المتشابه في القرآن، لابن الجوزي، دار الأنصار، ط/١ ١٣٩٩هـ القاهرة.

٢٧٣- المتشابه في القرآن، لأبي زيد القيرواني، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ بيروت.

٢٧٤- المحلى، لابن حزم، ت: أحمد شاكر، إدارة الطباعة المنبرية، ١٣٤٧هـ.

٢٧٥- مجمع الزوائد، لابن حجر الهيتمي، مكتبة المقدسي، ١٣٥٢ هـ القاهرة.

٢٧٦- محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال. دار الألباب ١٣٨٢هـ دمشق

٢٧٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، ١٣٩٦ هـ حلب.

٢٧٨- مجاز القرآن، لأبي عبيد، ت: د. فواد شركين، مؤسسة الرسالة، م/د، بيروت.

٢٧٩- محمد ﷺ المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، مطبعة محمد علي صبح وأولاده، ١٣٨٣هـ ١٩٦٨م القاهرة.

٢٨٠- مرض النبي ﷺ ووفاته، خالد أبو صالح، ط/١ دار الوطن، ١٤١٤هـ.

٢٨١- مسند أبي بكر الصديق، للمروزي، ت: شعيب الأرنؤط، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ بيروت.

٢٨٢- مساوئ الأخلاق، للسيوطي، ت: فواز زمرلي، دار ابن حزم، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م بيروت.

٢٨٣- مسند عبدالله بن عمر، للطرسوسي، ت: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، م/د.

٢٨٤- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، ١٩٦١م بيروت.

٢٨٥- مشيخة ابن طهمان، ت: محمد ضاهر ملك، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ دمشق.

٢٨٦- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري وت: كمال الحوت، دار الجنان، ١٩٨٦م بيروت.

٢٨٧- المصنف، عبدالرزاق، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ١٩٧١م بيروت.

٢٨٨- المصنف لابن شيبة، ت: عبدلخالق الأفغاني، الدار السلفية، ١٩٨٠ الهند.

٢٨٩- المطالب العلية، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ودار العاصمة، ١٩٩٨م بيروت، الرياض.

٢٩٠- معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، المكتبة العلمية و١٩٨١م حلب.

٢٩١- المعجم للإسماعيلي، ت: زياد منصور، مكتبة العلوم ووالحكم، ١٩٩٠م المدينة المنورة.

٢٩٢- المعجم الأوسط، للطبراني وت: د. محمود الطحّان، مكتبة المعارف، ١٩٨٥م الرياض.

٢٩٣- معجم الصحابة، لابن قانع، ت: صلاح المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٧م المدينة المنورة.

٢٩٤- المعجم الصغير، للطبراني وت: محمد شكور محمود والمكتب الإسلامي، ١٩٨٥م بيروت.

٢٩٥- معجم الأدباء، لياقوت الحموي وط /١ دار الكتب العلمية، ١٣١٦هـ ١٩٩١م بيروت.

٢٩٦- معجم الشيوخ، لذهبي، ت: محمد الحبيب، مكتبة الصديق، ١٩٨٨م، الطائف.

٢٩٧- المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م بغداد.

٢٩٨- المعاهدات في الشريعة الإسلامية، محمد الدبك وط/٢ دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٨٨م الطائف.

٢٩٩- المعجم الكبير، للطبراني وت: حمدي السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م بغداد.

٣٠٠- المعاهدات في الشريعة الإسلامية، د. محمد الديك، ط/٢. دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٤٨٠هـ١٩٩٧م.

٣٠١- معالم التنزيل. للبغوي. البابي الحلبي م/د القاهرة.

٣٠٢- معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، ت: د. معظم حسين، المكتبة العلمية، ١٩٧٧م المدينة المنورة.

٣٠٣- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي، ت: د. أكرم العمري مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، بيروت.

٣٠٤- معرفة السنن والآثار، للبيهقي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية و١٩٩١ م كراتشي.

٣٠٥- المراسيل، لأبي داود السجستاني، ت: شعيب الأرنؤط مؤسسة الرسالة، ١٤٢٨هـ بيروت.

٣٠٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري، دار احياء التراث العربي. م/د، بيروت.

٣٠٧- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار المعارف، العثمانية، م/د الهند.

٣٠٨- مسند أبي عوانة، للأسفراييني، دار المعرفة، ١٣٦٢ هـ بيروت.

٣٠٩- مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين أسد، دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م دمشق.

٣١٠- مسند أحمد بن حنبل، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م بيروت.

٣١١- مسند إسحاق بن راهويه، ت: د. عبدالغفور البلوشي، مكتبة الايمان، ١٩٨٨م المدينة المنورة.

٣١٢- مسند البزار، ت: محفوظ عبدالرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م المدينة المنورة.

٣١٣- مسند الحميدي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ١٣٨١هـ بيروت.

٣١٤- مسند الشاشي، ت: د. محفوظ عبدالرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠هـ المدينة المنورة.

٣١٥- مسند الشاميين، للطبراني، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦ م بيروت.

٣١٦- مسند الشهاب، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م بيروت.

٣١٧- مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، م/د، بيروت.

٣١٨- مسند عبدالله بن المبارك، ت: مصطفى محمد، دار الكتب العلمية، ١٩٦١م، بيروت.

٣١٩- مسند علي الجعد، للبغوي، ت: رفعت فوزي عبدالمطلب، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م بيروت.

٣٢٠- مسند الفردوس، للديلمي، ت: السعيد الزغلول، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦، بيروت.

٣٢١- معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت: د. محمد راضي بك حاج عثمان، مكتبة الدار، ومكتبة الحرمين ١٩٨٨ المدينة المنورة.

٣٢٢- المغازي للواقدي، ت: د. مارسدن جوسن، عالم الكتب، م/د.

٣٢٣- المفهم في شرح صحيح مسلم، لأبي العباس القرطبي، ت: عدد من الأساتذة، ط/٢، دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م بيروت.

٣٢٤- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، د. عبدالكريم زيدان. ط/٣، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م بيروت.

٣٢٥- المقاصد الحسنة، للسخاوي، ت: محمد عثمان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ بيروت.

٣٢٦- المقالات، للكوثري، ط/١، دار الأحناف و١٤١٤هـ ١٩٩٣م الرياض.

٣٢٧- مقدمات الكوثري، ت: عبدالفتاح أبو غدة، ط/١، دار الثريا، ١٤٨٠هـ ١٩٠٧م دمشق.

٣٢٨- مكارم الأخلاق وللخرائطي والمطبعة السلفية، ١٣٥٠هـ.

٣٢٩- مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا، ت: محمد عبدالقادر عطار، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، بيروت.

٣٣٠- منار السبيل في الأضواء على التنزيل، محمد العثمان القاضي، البابي الحلبي، م/د، القاهرة.

٣٣١- المنتقى لابن الجارود، ت: خليل الميس، دار العلم ١٩٨٧م بيروت.

٣٣٢- المنتخب من مسند عبيد بن حميد، ت: صبحي السامرائي، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ بيروت.

٣٣٣- منال المطالب. لابن الأثير البابي الحلبي م/د، القاهرة

٣٣٤- المنهل العذب المورود في شرح سنن أبي داود، محمود خطاب، ط/ ٢، مؤسسة التاريخ العربي، ١٣٩٤هـ، بيروت.

٣٣٥- من معين السيرة النبوية، صالح الشامي، ط/٢ المكتب الإسلامي ١٤٢٣هـ ١٩٩٢م بيروت.

٣٣٦- منح المدح، لابن سيد النّاس، ت: عفت وصال حمزة، دار الفكر، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دمشق.

٣٣٧- من ذخائر السنة النبوية، طه محمد الساكن، ط/١، مكتبة دار ثور ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م جدة.

٣٣٨- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ سويدان، ط/٣ مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م الكويت.

٣٣٩- المؤتلف والمختلف، للدارقطني، ت: موفق بن عبدالله دار المغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

٣٤٠- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لابن حجر الهيتمي، ت: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م بيروت.

٣٤١- موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، دار الباز، ١٩٨٧م مكة المكرمة.

٣٤٢- الموسوعة الحديثية، شعيب الأرنؤط، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، بيروت.

٣٤٣- الموطأ، لمالك برواية الليثي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م بيروت.

٣٤٤- الموطأ لمالك، برواية، محمد بن الحسن الشيباني، ت: عبدالوهاب عبداللطيف والمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ مصر.

٣٤٥- الموطأ، لمالك، برواية القعبي، ت: عبدالحفظ منصور. شركة الشروق، ١٩٧٢م الكويت.

٣٤٦- الموطأ لمالك، برواية أبي مصعب الزهري، ت: د. بشار عواد، مؤسسة المتقين، جمال الدين القاسمي، دار الفكر ١٤١٥هـ ١٩٩٥م بيروت.

٣٤٧- ميزان الاعتدال، للذهبي، ت: محمد علي البيجاوي، البابي الحلبي، ١٩٦٣م القاهرة.

٣٤٨- نزهة المجالس للصفوري اليابي الحلبي م/د القاهرة.

٣٤٩- نسب قريش، للزبيدي، البابي الحلبي م/د القاهرة.

٣٥٠- نتائج الأفكار، لابن حجر العسقلاني، ت: حمدي السلفي، مكتبة المثنى، ١٩٨٦م بيروت.

٣٥١- نساء حول الرسول ﷺ، عمر أحمد الراوي. وبشار عواد دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م بيروت.

٣٥٢- نصب الراية، للزيلعي، المجلس العلمي، ١٩٣٨م الهند.

٣٥٣- نظم المتناثر في الحديث المتواتر، للكتاني، دار المعارف، ١٣٢٨هـ حلب.

٣٥٤- نظرات في الإسلام، محمد راتب النابلسي، ط/٣، دار المكتبي، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م دمشق.

٣٥٥- النظرية الضرورة الشرعية. د. وهبة الزحيلي ط/٥ مؤسسة الرسالة: ١٤١٨هـ ١٩٩٧ بيروت.

٣٥٦- ناسخ الحديث ومنسوخة، لابن شاهين، ت: سمير الزهيري، مكتبة المنار، ١٩٨٨م دمشق.

٣٥٧- النكت الظريفة، للكوثري، إدارة القرآن ١٤١٥هـ ١٩٩٥م باكستان.

٣٥٨- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ت: خليل شيحا، ط /١، دار المعرفة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م بيروت.

٣٥٩- نيل الأوطار، للشوكاني، دار الجيل، م/د، بيروت.

٣٦٠- الهدية العلائية، علاء الدين عابدين، ت: محمد سعيد البرهاني، ط/٥، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م دمشق.

٣٦١- وضح البيان في مشكلات القرآن، لأبي الحسن الغزنوي. ت: صفوان عدنان داوودي، ط/١، دار القلم، ١٤١٠هـ ١٩٩٩م بيروت.

٣٦٢- وفيات الأعيان، لابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، م/د، بيروت.

٣٦٣- الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي وط/٣. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م بيروت.

٣٦٤- يسألونك في الدين والحياة ت: د. أحمد الشرباصي، دار الجيل م/د، بيروت.

٣٦٥- يتيمة الدهر للثعالبي ط مطبعة مصر.

فهرس الموضوعات

الفهارس العامة

THE LIFE OF THE PROPHET (PBUH) IN HIS HOUSE

(Ḥayāt al-Nabiyﷺ fī Baytih)

by

Dr. ᶜOmar Aḥmad Zakariyyā

